الجزء الأول

مُذَكِّراتي

صادق عبدالله عبدالماجد

إنني أكتب للتاريخ وللأجيال الصاعدة وللمستقبل بعيد

❋ إن حاسية هذا الشعب وعمق إدراكه للخفيات من الأمور وشفافية إحساسه بما يظن البعض أنه أصبح في طوايا النسيان تجعل من العسير على أي حكومة أن تحكمه بوجهين وأن يحمل وزراؤها المسئولون فيها وجهين، وأن يتحدثوا سرا وعلانية بلسانين

❋ لست أدري لماذا هذه الأخبار المتواترة المحزنة؛ ولكن إن استطعنا أن نغير شيئا من سنة الحياة فينا ومن قدر الله الجاري علينا، لأمكن حينذاك أن ندّعي بأن نبدي رأيا فيما ليس لنا فيه يد.. فقد يرى بعض الناس في هذه الأخبار أمرا عاديا، ولكن طبيعة السجن دائما أن تنزّد النفس عند تقييمها للأمور من كل ما يعلق بها من شوائب، وترى الأمور على حقيقتها .. وترى الموت أكبر من كل ما عداه تلك الحقيقة التي أخذت ماديات الحياة في بلادنا تكون حجابا كثيفا يطفو على سطح الحقيقة، فلا يراها الناس إلا شتيتا من الألوان لا يجمع بينها وبين الواقع أو يردها إلى جوهرها إلا أن يخلو الإنسان لنفسه ساعة يراجع فيها حسابه ليعرف ما له وما عليه.

ردمك: ISBN: 978-99942-1-150-7

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة

* يعد صادق عبدالله عبدالماجد من ركائز حركة الإسلام في السودان ومن مؤسسي جماعة الإخوان المسلمين. تلقى تعليمه الابتدائي والوسطى بالسودان. غادر إلى مصر تكملة لمشوار العلمي بعد أن أوقفته إدارة التعليم الإنجليزي عن مواصلة تعليمه في السودان.

* فحصل على البكالوريا من شبرا وبكالوريوس الحقوق من جامعة فؤاد الأول ١٩٥٤.. وشهدت له تلك الفترة نشاطاً سياسياً ثقافياً واجتماعياً حيث بدأ كتابة الشعر في عمر مبكر وأكمل ديوانه وهو طالب بمدرسة حلوان الثانوية.

* بايع الأمام حسن البنا أثناء دراسته في مصر في العام ١٩٤٢، وبعودته إلى السودان نوفمبر ١٩٥٤ انخرط في العمل الدعوي والسياسي والصحفي منافحاً ومكافحاً من أجل استقلال السودان وتحكيم الدستور الإسلامي.. فعمل معلماً بمدارس الأحفاد، كانت له مواقف صلبة وآراء صارخة ضد سياسة الحكومات التي أعقبت خروج المستعمر، كان عضواً بالمجلس الأعلى للجبهة الوطنية المعارض لنظام عبود ممثلاً للإخوان المسلمين والذي يضم إسماعيل الأزهري عن حزب الاتحادي الديمقراطي والهادي المهدي عن حزب الأمة وعلي الميرغني عن حزب الشعب الديمقراطي.

* انتخب عضواً بالجمعية التأسيسية عن دائرة الخرطوم شمال (٣٣) في العام ١٩٦٥م.

* يعتبر من قادة الصحافة الحديثة في البلاد حيث بدأ مسيرته الصحفية منذ الأربعينات وكان لعمود (ما قل ودل) الصيت الذائع والأثر البالغ في نفوس الناس.

* أخذ السجن بعضاً من سنوات عمره إبان حكم المستعمر، واعتقل في اليوم التالي لانقلاب جعفر نميري وبعد انتفاضة إبريل رفقة مجموعة من الإسلاميين.

* انتخب مراقباً عاماً للإخوان المسلمين في العام ١٩٩١ حتى مارس ٢٠٠٨م.

* له دكتوراة فخرية من جامعتي الخرطوم وأم درمان الإسلامية.

* ترأس تحرير عدد من الصحف.

* كتب العديد من القصائد وله ديوان شعر بعنوان لمحات عابرة.

مُذَكِّراتي

صادق عبدالله عبدالماجد

إنني أكتب للتاريخ وللأجيال الصاعدة وللمستقبل بعيد

مقدمة

هذه المذكرات إنما هي للتاريخ ورصد للأحداث السياسية بكل ظروفها وأخبارها، خيرها وشرها ولهذا فأنا أرويها لتعيد للناس الحقائق حيث ينسى الناس الحقائق والأحداث.

صورة التقطتها من بين كثير من الصور الأخرى ورصدتها لعمق المفاهيم التي تضمنتها إنها صور يهم التاريخ أن يحتفظ بها في ذاكرته، فقد تدعو إليها الحاجة يوماً لا أدري على وجه التحديد متى يكون !؟؟؟

حسبي أن أسرد الوقائع والحقائق على حسب علمي وتقييمها بحسب وجهة نظري في مثل هذه الظروف فدعونا نفكر في هذه الحقائق فمازال في الطريق بقية ...!!؟

صادق عبدالله عبدالماجد

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر – السودان
٨١٨.٠٣ صادق عبد الله عبد الماجد، ١٩٢٥-
ص . م
مذكراتي/ صادق عبد الله عبد الماجد .-
الخرطوم: صادق عبدالله عبدالماجد، ٢٠١٨م
٣٠٨ ص ؛ ٢٤سم
ردمك: ٧-١٥١-١-٩٩٤٢-٩٧٨
١. صادق عبدالله عبدالماجد، ١٩٢٥-المذكرات.
أ. العنوان.

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة

رسالة من اللجنة المركزية لمنظمات وأعضاء الحزب
لأعضاء الحزب فقط

أثارت المقابلة التي أجراها السيد وزير الداخلية مساء الخميس ١٩٦٩/٩/١٨م ، مع بعض أعضاء اللجنة المركزية وعدد من كادر الحزب الكثير من الشائعات ، واتخذتها عناصر الثورة المضادة مادة للمزيد من الهجوم على الحزب الشيوعي ودوره في الثورة السودانية ، وموضوعاً للغط وتشويه مواقف الحزب ، ونشر روح التشكك والبلبلة ، الأمر الذي يتطلب من أعضاء الحزب وهيئاته التمسك بمبادئ الانضباط الحزبي الصارم، ودعم وحدة الحزب وحماية كيانه.

وقد ساعد على هذا الجو الطريقة التي تمت بها الدعوة حيث تمت بواسطة طلب الحضور الجنائي التي يستدعي بها البوليس أي شخص يريد التحقيق معه، وأشرف على توزيعها جهاز الأمن الذي نشأ على محاربة الشيوعيين ومطاردتهم ، وجرت المقابلة في وزارة الداخلية ، وهي ليست المكان المناسب لإجراء مشاورات ومناقشات بين فرق الثورة السودانية، وساعد على نشر البلبلة أيضاً أن الدعوة لم توجه للهيئات الحزبية المختصة والمعروفة ، والتي يراعى وضعها كل من يرغب في التعاون مع الحزب الشيوعي حتى ولو كان لا يوافق على سياسته ، ولا يتفق مع نظمه الداخلية ، هذا بالإضافة إلى أن موجِّه الدعوة اعتبر أن المدعوين هم أعضاء اللجنة المركزية ، في حين أن جهاز الأمن الذي أشرف على التنفيذ يعلم أن أغلبية المدعوين ليسوا أعضاء فيها ، وإذا كانت الدعوة موجهة للتشاور والمناقشة مع اللجنة المركزية فذلك لا يكون عن طريق الاستدعاء، بل بطلب المقابلة وتحديد أجندتها وبدون تدخل جهاز الأمن حتى لو كان جهاز ثوري.

وبعد إنهاء المقابلة انتدب المكتب السياسي أحد أعضائه للاتصال بالسيد الوزير لتوضيح كل السلبيات الآنفة الذكر ، وما تركته من أثر سلبي على الشيوعيين ، وقد أوضح السيد الوزير أنه لم يقصد الاستفزاز، بقدر ما قصد إلى زيادة التعاون ، وأن جهاز الأمن هو الذي أخرج الدعوة بتلك الصورة غير المقبولة ، وأنه يأمل في أن يتفهم الشيوعيين مقاصده الرامية إلى زيادة التعاون ، و المتاعب التي تواجه السلطة وبصة خاصة في ميدان الأمن وحماية الثورة.

هذا ما كان من وقائع المقابلة، وموقفنا من جوانبها السلبية.وخطواتنا لتصحيحها وتوضيح موقفنا المبدئي . وما يهم اللجنة المركزية في المكان الأول هو وحدة صفوف حزبنا، وهو يؤدي رسالته الثورية في الصعيدين الشعبي والرسمي، وعلى أسس واضحة وسليمة ،قائمة على البرنامج المحدد والثقة المتبادلة ، والحوار ، والنقد ، واحترام وجهات النظر.

فاللجنة المركزية تدرك المخاطر المحدقة بالثورة وبمصير القوى الثورية ، وتدرك التحديات التي تواجه طريق التطور الجديد وامتحانه في التطبيق بين الجماهير ، ووسط جو علمي وداخلي معقد. وهذا يتطلب في المقام الأول أن لا تبدد الفرق الثورية جهودها في معارك جانبية وحساسيات ذاتية ، تفتح الثغرات ـ بوعي أو بدون وعي ـ أمام الثورة المضادة التي تعمل في مكر ودهاء وخبث، إدراكاً منا لكل هذا فإن اللجنة المركزية قد عالجت السلبيات التي لازمت تلك المقابلة ونتائجها في حدود ما يساعد تطور الثورة، والبحث عن الصيغة الملائمة للتعاون بين فرقها المختلفة. واللجنة المركزية واثقة من سلامة مواقف الحزب الشيوعي ، وفي جرأته ومقدرته على نقد أخطائه وتصحيحها عندما تحدث أخطاء، واثقة من استيعاب أعضاء الحزب في مختلف المستويات لدروس وتجارب العامين الآخرين ، عندما لجأت الثورة المضادة والدوائر المعادية للحزب إلى نشر البلبلة والتشويش حول مواقف الحزب، وإلى نشر جو التشكك وعدم الثقة بين كادر الحزب وبين قاعدته وقيادته ، بهدف إضعاف فعاليته وصرف أنظار الشيوعيين عن المهام التي تواجههم في النضال اليومي.

وتدري اللجنة المركزية أن دعم الحزب الفكرية والسياسية والتنظيمية في هذه الظروف تكتسب أهمية ملحّة وعاجلة ، وجهوداً مضاعفة من كل عضو، امام الحملة المسعورة التي بدأت من أكثر من موقع، وأكثر من منبر لإضعاف نفوذ الحزب ، وتصفية مواقعه ، وصرف انتباه عضويته عن مهام العمل الثوري لخدمة مصالح الجماهير.

أما القضايا والأحداث التي أثارها الوزير في المقابلة ، وما تركته لديه من آثار سلبية تجاه الحزب الشيوعي حسب رأيه ، فإن اللجنة المركزية ترى أن مواقف حزبنا كانت في كثير من الأحيان تتعرض لتفسيرات ذاتية واستنتاجات تعوذها الحقائق المكتملة من جانب دوائر سياسية عديدة ، بما في ذلك الدوائر الديموقراطية والثورية. وترى اللجنة المركزية أن حزبنا قد درج دائماً على بذل كل ما في وسعه لتوضيح موقفه للجماهير والدوائر التي تتعاون معها ، ولازلنا على استعداد لفتح الحوار مع الفرق الثورية حول أي موقف أو حدث عام يشوبه

الغموض. ولكننا نرى أن مهام العمل الثوري تلزمنا أن ننظر للأمام، وأن لا نرجع للماضي إلا بقدر الذي يلهمنا للمواصلة مسيرة الثورة ، بدلاً من شد الأنظار للخلف أمام ضغوط العمل الثوري وصعوباته في الوقت الحاضر، وأن المستقبل والتجربة والاجتهاد الفكري والحوار كلها كفيلة بإظهار الخطأ والصواب. المهم الآن هو التصدي بجرأة وصدق وأمانة ثورية لحل مشاكل تطور الثورة السودانية وحمايتها.

أشار الوزير على سبيل المثال إلى موقف الحزب الشيوعي في إنقلاب الشهيد علي حامد ورفاقه عام ١٩٥٩م وكيف أن الحزب أخطأ عندما أدان الضباط الذين لم يشتركوا في ذلك الإنقلاب ووصفهم بالتخاذل والتردد ، وأنه استمع إلى هذا التعليل شفاهة من أحد الشيوعيين.

هذا وحده يوضح خطأ الاستنتاجات التي تعوزها الحقائق . فالحزب لم يصدر تحليلاً عن ذلك الإنقلاب إلا ما ورد في وثيقة المؤتمر الرابع "الماركسية وقضايا الثورة السودانية" صفحة١٧٧ ، وفي معرض الحديث عن نقائض عمل الحزب الشيوعي وسيادة الاتجاهات اليسارية في تلك الفترة من أيام الحكم العسكري . وقد جاء في الوثيقة ما يلي :-

((الاتجاه اليساري أيضاً في غياب خط سياسي كامل للنضال الثوري، أهدافه وآفاقه ، أدى في فترات إلى طبع عمل الحزب الشيوعي بالإثارة البحتة ، والتقديرات الذاتية للمعارك اليومية دون تعميم حقيقي لتوازن القوى ، دون وضوح في قضية هامة للعمل الثوري ، قضية نضوج الأزمة الثورية . وهذا الطابع للعمل ألحق بالحزب خسائر مختلفة بالحركة أيضاً فبين عدد من كادر الحزب ساد اليأس، وتخلى بعضهم عن النضال كما أنهك الحزب الشيوعي في معارك قدر بأنها حاسمة ، تقديراً لا يستند إلا على الرغبات الذاتية ، ومن أكبر الخسائر التي تكبدتها الحركة الثورية نتيجة للتقديرات الذاتية للأحداث العسكرية التي وقعت في نوفمبر عام ١٩٥٩م ، فقد أدت هذه الأحداث إلى فقدان كادر وطني وتقدمي، وهبطت معنويات الحركة الثورية فترة ليست بالقصيرة)) .

هذا هو التحليل الرسمي الذي يتقيد به مجموع الحزب الشيوعي . وإذا كان السيد الوزير قد استمع إلى وجهة نظر ذاتية لأحد الشيوعيين، مهما كان وضعه في الحزب فإن ذلك الشيوعي لم يكن صادقاً في نقل وجهة نظر الجزب. وإذا كان للضباط الذين اشتركوا والذين لم يشتركوا في تلك الأحداث وجهات نظر في بعضهم البعض فهذا أمر لا يسأل عنه الحزب الشيوعي .

ذكر السيد الوزير أنه وضباط آخرين تقدموا باقتراح لوزيري الحزب الشيوعي في حكومة أكتوبر ـ أحمد سليمان والشفيع أحمد الشيخ ـ لتطهير العلاقة بعد أن ماطلت حكومة أكتوبر في إجراء تطهير الجيش وثبت عجزها في ذلك ، وأن الحزب الشيوعي رفض ذلك الاقتراح . وهنا أيضاً نجد تفسير مواقف الحزب دون تقدير لكل العوامل التي جعلت الحزب يتخذ ذلك الموقف لأسباب سليمة وواقعية أهمها :-

- أن الجو الذي كان سائداً بين الضباط يرفض مواصلة العمل للوصول للسلطة ويكتفي بإصلاح وضع الجيش مع استمرار حكومة أكتوبر المدنية، وقد وافق على هذه الحقيقة الضباط الوطنيون ومن بينهم السيد الوزير في ذلك الوقت .

- كان تطهير الجيش عن طريق تمرد داخلي يعني بداية تمرد عسكري ، وعندما يبدأ التمرد العسكري لا يمكن أن يقف في منتصف الطريق بل لابد له أن يصل حتى نهاية الشوط، أي أن يسلم السلطة ، أما إذا توقف في منتصف الطريق واكتفى بتطهير الجيش ، وبقيت السلطة السياسية في يد قوى اليمين ، فإن مصيره سيكون الفشل حتى لو حقق مكاسب في البداية، لأن السلطة ستنقلب عليه بعد أن تستجمع قواها ، وقد كان الحزب الشيوعي مقدراً كل التقديرات للتحول الذي طرأ على سياسة حكومة أكتوبر ، ووحدة القوى الرجعية ضدها ، ومسير رئيس وزرائها في ركاب الرجعية .

- كان الجو الغالب في البلاد آنذاك هو هجوم الحركة الشعبية على الجيش ورفضها لتدخل العسكريين ، وكان بإمكان القوى الرجعية أن تستمد منها حركة واسعة ضد أي تحرك في الجيش بحجة أنه مظهر لعودة الدكتاتورية العسكرية ، هذا بالإضافة إلى أن دور الضباط الوطنيين في ثورة أكتوبر لم يكن واضحاً للجماهير الشعبية.

تلك كانت الأسباب التي استند إليها الحزب في تحديد موقفه في ذلك الوقت، وقد شرحه للضباط الوطنيين الذين لم يتخل عن الدفاع عنهم في أكتوبر، سواء في الإصرار على تطهير الجيش أو عودة المفصولين ، أو إطلاق سراح من اعتقلهم عبود بعد ثورة أكتوبر.

ذكر السيد الوزير أحداث تمرد الضباط في جوبا عام ١٩٦٦م ، وفي واقع الأمر أن الحزب الشيوعي لم يتم به اتصال رسمي حول أهدافها، ولا يعرف عنها أكثر مما جاء في الصحف على لسان الضباط الذين فصلوا من الخدمة نتيجة لتلك الأحداث، كما أن موقف صف الضباط في تلك الحركة لم يكن يحدده موقف الحزب الشيوعي البعيد عن الأحداث ، هذا لو كان أولئك

الصف ضباط من الشيوعيين ، بالإضافة إلى هذا فإن مناقشات عديدة أجراها رفاقنا مع بعض الضباط ومن بينهم السيد الوزير، مفادها أهمية اعتبار التحول الذي جرى بين الجنود وصف الضباط نتيجة لثورة أكتوبر وما أصابوه من وعي يجعل تحريكهم بالأوامر العسكرية وحدها مسألة عسيرة.

فإذا رفض صف الضباط والجنود في جوبا آنذاك الخضوع لأوامر الضباط أثناء تلك الحركة فإن السبب الحقيقي يجب أن نبحث عنه في اقتناعهم أو عدم اقتناعهم بتلك الحركة، لا بإلقاء اللوم على الحزب الشيوعي الذي كان بعيداً عن تلك الأحداث . ومن جهة أخرى فإن تقييم أحداث جوبا يجب أن يتم في ضوء تحليل شامل للوضع السياسي في البلاد آنذاك ، والحقيقة أن أي تمرد عسكري محلي لإصلاح الجيش ، لن يكتب له النجاح طالما كانت السلطة السياسية في يد اليمين، لأن الجيش يختلف عن النقابات والنضال النقابي ، فمن يبدأ التمرد العسكري عليه أن يواصله حتى يستلم السلطة السياسية ، وإلا تعرض للفشل ولو بعد فترة، وهذا ينطبق أيضاً على ما ذكره السيد الوزير حول تخلف ضابط وصفه بأنه شيوعي عن الاشتراك في تلك الحركة فموقفه هذا لم يحدده الحزب الشيوعي، ولا يمكن تجريم ذلك الضابط عن عدم اشتراكه في الحركة إذا كان قد بنى موقفه على النظر للتمرد في إطار الوضع العام.

أشار السيد الوزير إلى أنه علم من بعض الأشخاص أن الحزب الشيوعي كانت له صلة بإنقلاب المستجدين بقيادة خالد حسين الكد، وأن ذلك الإنقلاب قد سبب أضراراً وأدى لاعتقال عدد من الضباط، ولكن السيد الوزير يعرف جيداً الشائعات التي أطلقها الرجعيون عن اشتراك الشيوعيون في ذلك الإنقلاب، ويعرف كيف استند عليها الصادق المهدي رئيس الوزراء آنذاك في الهجوم على الحزب الشيوعي ، واعتقال قادته ، وفي وقف تطور الانفجار الشعبي الذي بدأ آنذاك عقب صدور حكم المحكمة العليا حول قرار حل الحزب الشيوعي ، وقد أثبت التحقيق العسكري والمدني خطأ الاشاعات ، وفي إمكان السيد الوزير أن يستقي المزيد من المعلومات من قادة الإنقلاب المشتركين فيه .

تناول السيد الوزير موقف الحزب الشيوعي من الثورة قبل وبعد ٢٥ مايو ، ولا نود أن نعيد تفاصيل ما كتبه الحزب ، وما اتخذه من مواقف قبل وبعد ٢٥ مايو ، فهناك حقائق واضحة:-

أولاً :- كان تكتيك الحزب الشيوعي يسير في اتجاه تجميع الحركة الشعبية واستنهاضها والوصول بها لمستوى الأزمة الثورية ، وكان يرى أن تدخل الأقسام الوطنية من القوات

المسلحة في الانفجار الثوري لمساندة القوى الشعبية. وقد جاء هذا التكتيك بعد تجارب ودراسات طويلة، خاصة خلال محاولات الإنقلاب أيام الحكم العسكري وخلال ثورة أكتوبر. ولكن عندما أجرت مجموعة من الضباط الأحرار واستولت على السلطة يوم ٢٥ مايو لم يتأخر الحزب الشيوعي في إعلان تأييده بإجراءات عملية و سريعة في مقدمتها توحيد الحزب نفسه حول طبيعة ما جرى من أحداث، والخطوات العملية والاستعداد واستنهاض الحركة الجماهيرية. وما كان لكل هذا أن يتم بدون اجتماع وموافقة اللجنة المركزية للحزب. وإذا كان السيد الوزير قد تأثر سلبياً بحضور الوزراء الشيوعيين متأخرين لأداء القسم في مساء ذلك اليوم فقد كانوا في انتظار رأي الحزب الذي لا تملك هيئة أخرى حق إصداره سوى اللجنة المركزية.

ثانياً : - أشار السيد الوزير إلى أنه اتصل بسكرتير الحزب قبل ٢٥ مايو وأن السكرتير اقترح عليه أن يضعوا مكانة خاصة للسيد الصادق المهدي في الوضع الجديد. وتود اللجنة المركزية أن تؤكد أن رأي الحزب الذي مارسه عملياً منذ عام ١٩٦٥م كان ولايزال يعتبر الصادق المهدي جزءاً من قوى اليمين في البلاد، وممثلاً لاتجاه الاصلاح اليميني الرأسمالي، وطريق التبعية للاستعمار الحديث. ونؤكد أيضاً أن رأي الحزب تحدده الهيئات المسؤولة ودوائر سياسية أخرى، على اعتبار أن رفضنا للخيار بين الهادي والأزهري فيه مساعدة حزب الأمة والصادق المهدي بصفه خاصة.

وقد أوضحنا رأينا بالمواقف العملية في الجمعية وخارجها، وترى اللجنة المركزية أن سوء الفهم هذا قد نشأ لأن السيد الوزير وبعض زملائه من قادة حركة ٢٥ مايو رفضوا أسلوب المقابلات الرسمية مع مندوبين من الحزب الشيوعي، وكان بعضهم ـ كما قال السيد الوزير ـ لا يريد أن يتفاوض مع الشيوعيين لحساسيات خاصة، لهذا لجأ للاتصالات الفردية. وإذا كان السيد الوزير قد اندهش كما ذكر لتعليق سكرتير الحزب حول الصادق المهدي، فمعنى هذا أنه كان يدرك خط الحزب الشيوعي الحقيقي ، وإلا لما كانت هناك دهشة.

وكان من الممكن إجلاء هذه القضية الهامة، وفي وقتها استجاب السيد الوزير للدعوة التي قدمت له من قبل سكرتير الحزب للاجتماع المباشر بالمكتب السياسي . ومن المعلوم أن أي رأي أو قرار لا يصدر عن هيئة حزبية مسؤولة لا يمكن أن يتقيد به مجموع الحزب الشيوعي. وقد ترك عدم فهم هذه القضية من قبل السلطة أثره السلبي على العديد من

القضايا والمواقف. فإذا كان السيد الوزير وزملائه قد اختاروا وزراء شيوعيين على أسس فردية ثم أصر الوزراء الشيوعيين على أخذ رأي الحزب من الملوم على ذلك؟؟

أشار الوزير أيضاً إلى أن بيان الحزب الأول وصفهم بالبرجوازية الصغيرة المترددة، وأنه يرى أن الشيوعيين المدعوين للاجتماع برجوازية صغيرة أيضاً، وتود اللجنة المركزية في هذا الصدد أن تؤكد أن أسلوب التحليل الطبقي هو الأسلوب الذي بنى عليه الحزب الشيوعي مواقفه منذ تأسيسه، وأن اصطلاح برجوازية صغيرة ليس إساءة لأحد وإننا نعترف أن عدداً كبيراً من أعضاء حزبنا وهيئاته القيادية ينحدرون من البرجوازية الصغيرة ، ولكنهم ارتبطوا بحركة الطبقة العاملة وحزبنا وأصبحت أهدافهم هي أهداف الطبقة العاملة في المكان الأول وأهداف بقية الكادحين وهم يناضلون كيما تحتل الطبقة العاملة ـ كطبقة ـ مركز القيادة السياسية للمجتمع والثورة لأنها أكثر الطبقات ثورية وتنظيماً، ولأنها أقدر الطبقات على السير بالثورة حتى نهايتها وبناء الاشتراكية.

أشار السيد الوزير إلى أن الحزب الشيوعي لا يؤيد الثورة بدرجة كافية وبصفة خاصة في ميدان الأمن وحماية الثورة. ولا نريد ان ندخل في تفاصيل يعرفها القاصي والداني عن جهد الشيوعيين في كل انحاء السودان في تأييد الثورة وحمايتها، ولا نريد أن نعيد أهمية الموقف المستقل للحزب الشيوعي في تقييم الأحداث والمنجزات وانتقاد السلبيات. ولكن المشكلة ناشئة من عدم استجابة السلطة في البحث عن صيغة ملائمة لتنسيق الجهود والعمل المشترك. وفي تقدير حقيقة أن الحزب الشيوعي حزب يخضع للانضباط وأنه لا يتحمل مسؤولية تصرفات أي عضو يعمل في منصب سياسي أو منصب حساس، دون موافقة الهيئات الحزبية القائدة. فإذا كان السيد الوزير قد اختار بعض الشيوعيين لمناصب حساسة على أسس فردية ورفضوا العمل إلا بعد موافقة الحزب فهذا أمر طبيعي بالنسبة لكل شيوعي ملتزم بالانضباط الثوري ويود أن يعمل لمصلحة الثورة والشعب.

إن قيادة الحزب عندما يطلب إليها ترشيح زملاء للعمل في أي مرفق أو مؤسسة تختار بمسؤولية تامة وبحسب تجربة ومقدرة وكفاءة كل زميل، لأن مجموع الحزب الشيوعي يتحمل نتائج وتصرفات من يعمل باسم الحزب في أي مؤسسة شعبية أو رسمية، ولهذا يخضع الشيوعيين للمحاسبة والمراقبة والنقد.

أشار الوزير أيضاً إلى الشائعات التي تصلهم عن الوضع في الحزب وعن موقف بعض الشيوعيين من الثورة، وتود اللجنة أن تؤكد رفضها للخوض في أي شائعات بعد التجربة المريرة التي خاضها الحزب في عام ١٩٦٨م وبداية هذا العام عندما تحولت الشائعات إلى حرب نفسية هدفها تقويض وحدة الحزب والوقيعة بين كادره وبين أعضائه وقيادته، وقد تغلب الحزب على تلك الحرب النفسية بعد نضال شاق، ولن يسمح لفتح الباب لها مرة أخرى، خاصة وقد بدأت الثورة المضادة تستغل سلاح الشائعات من جديد، وواجب كل شيوعي هو اليقظة والتماسك، وحماية وحدة الحزب وتقوية أواصر العلاقات الرفاقية بين الأعضاء وحماية النقاء الثوري في قيادة أعضائه.

أيها الرفاق: -

إن اللجنة المركزية إذ تطرح كل هذه الحقائق أمامكم تهيب بكم أن تضعوا في مقدمة اهتمامكم ونشاطكم، قضايا تطور النشاط الثوري في البلاد، فهناك قضايا الإصلاح الزراعي، وتصفية الإدارة الأهلية، وهناك قضايا تصفية مواقع رأس المال الأجنبي وتجريد جهاز الدولة وهناك قضية الجنوب والمناطق المتخلفة وهناك قضايا مواجهة هجوم الثورة المضادة في كل مستوياته وفي كافة اشكاله الظاهرة والمستترة، لنوجه كل جهدنا للعمل الثوري، ونقوّي من وحدة حزبنا وحماية كيانه ووجوده وزيادة فعاليته في النضال من أجل دعم النظام الثوري وتأمينه وتطوير الثورة السودانية بإنجاز مهامها الوطنية الديموقراطية وفتح الطريق للاشتراكية.

اللجنة المركزية

الحزب الشيوعي السوداني

الثلاثاء ـ ١٩٦٩/٨/١٩م

• فجر هذا اليوم، وكأنني أحسُّ بغرابة الأنباء وفداحتها... ففي هذا الفجر وفي نحو الرابعة والنصف انبعث الصوت الرهيب الغريب الذي سمعته مرتين منذ دخولي السجن، سمعت صوت المشنقة وهي تؤذن بانقضاء حياة أحد المساجين رحمه الله...، ترحمت عليه، وعشت خلال ذلك لحظاتٍ متسائلة حائرة...ترى هل في ظل العدل والتجرد من الخطيئة لدى الإنسان حدّاً به يستطيع جازماً مطمئناً أن يسلب إنساناً آخر حياته!! وأن يُسلمه للهواجس والظنون واليأس والأمل والنور والظلام، حين يكون محكوم عليه بالإعدام عليه ويكون ملقى في إحدى الزنزانات عاماً وأكثر من العام ينتظر تصديق الاستئناف أو أي سلطة عليا؟! و القاضي الذي حكم، والقاضي الذي يُصدَّق منه حكم الإعدام، من هما؟ وعلى أي شرعة يحكمان؟ ما سيرتهما؟ ما مزاجهما حين يصدران الحكم؟ هل كانا الليلة السابقة للحكم يعبَّان الخمر؟ هل كانا ساهرين في حفلة عرس؟ هل هما يصليان ويتعبدان لله تعالى، ويخافانه حقَّ مخافته؟ هل هما محمودا السيرة والسريرة؟ أم ما هما؟ إني والله ليقشعر في البدن والقلب معاً حين استمع إلى هذه الآلة الصماء التي تضع حداً لحياة إنسان في أقل من ثلاث أو أربع دقائق ثم ينتهي كل شيء، وساعتها بلا أدنى ريب يكون القاضي الذي أصدر حكمه بالإعدام يغط في أعمق نوم، وتتراءى له حسان الأحلام ولذائذها!!! أيها الإنسان كم أنت ظالم.. أيها الإنسان!!

ثم مضت من الشروق ساعتين، فإذا بأحد المسئولين يحمل إلى ثلاثة من إخواننا المعتقلين أنباء ليس فيها حياة واحدة، بل كلها عن حياة فارقت وعزيز ولَّى، ودارٍ عامرة صارت يباباً وقفراً... فإلى إسماعيل الأزهري حملوا نبأ أخيه المرحوم علي، وإلى حسن الترابي نعي بنت عمه، وإلى أحمد زين نعي زوج أخته... فمرت بنا لحظة صامتة حزينة ونحن الذين لا نملك من أمر أنفسنا غير الاتجاه إلى الله وحده، رحمهم الله جميعاً فإن وضع النعي والمرء سجين شاق على النفس عسير... ورغم ذك فقد سُمِحَ لأزهري وأحمد بالخروج مدة يوم أو يزيد، فإنه قد يخفف من وقع المصاب؛ ويعيد إلى أذهان المعزين حقائق ما أظنها غابت عنهم وهم يدركون بل يعرفون من السجون...

إن لله سبحانه وتعالى الإرادة المطلقة في أن يجعل بداية لنهاية كل شيء، والذين يظنون الخلود ولو إلى مدة قصير واهمون، فإن يد الله القادرة القابضة ستجعل نهاية هذا الوضع البغيض المعادي لله! أقصر مدىً لمئات المرات مما يظنون بل يتوهمون.

الأربعاء ـ ١٩٦٩/٨/٢٠م

تأكد خبر الإنقلاب الذي أشرت إليه من قبل والذي مقرراً أن يحدث يوم الأحد الماضي، واختلفت رواياته عن اتجاه القائمين به... فرأيٌ يقول بأنه كان على رأسه الأمير عبدالله إسماعيل، ضابط بالجيش ولكنه قد أُعتقل منذ مدة قبل هذا لتاريخ ومعه ضابط وهو السيد مقبل وأودعا سجن كوبر... ورأي آخر يقول أن إثيوبيا لها يد في هذا الإنقلاب وتلك مهزلة حقيقة إن حدثت، ورأي يقول أن وراءه عبدالخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعي لمصلحته هو شخصياً!! وتفصيل ذلك أنه قد حدث خلاف شديد بينه وبين الشيوعيين في حزبه لأنهم فيما يتهمون به سكرتيرهم أكدوا بأن لجان التحقيق الأخيرة كشفت عن أنه داخل في زمرة الفساد الأخير، وقد منح رخصاً تجارية وأشياء أخرى كثيرة تدينه إدانة مؤكدة تضيفه إلى زمرة المتهمين السياسيين بالتواطؤ معهم على زيادة الفساد القائم، وأنه إذا استمر التحقيق، فإن سكرتير الحزب سيلصق بهم تهمة ثابتة ليس إلى نكرانها من سبيل.. ولهذا رأى هو ـ فيما يقول الخبر ـ أن يتم هذا الإنقلاب ليذوب خلاله هذا الاتهام فيكون الموقف لصالحه ضد خصومه في الحزب الذين ناصبوه العداء والخصومة!!

وإلى هذا الحد وصلت المهزلة في البلاد، ومن يعش يرَ، أليس الصبح بقريب.

• الجامعة الإسلامية لايزال موقفها لدى الحكومة متأرجحاً... فقد كتبت عنها من قبل، وقلت أن الرأي كانِ متجهاً أخيراً إلى الإبقاء عليها، وبالفعل كان ذلك هو الرأي، ويبدو أن الذين يقلقهم أن يروا الإسلام زاحفاً في خطوات ثابتة لا يتحول عنها ولا يريم، يعزُّ عليهم أن يروا هذا البناء القوي يأخذ مكانه من القلوب في بلادنا وفي أفريقيا على حد سواء، وكيف لا ينمُّ على أيديهم وهم الذين عمدوا إلى كل بناء إسلامي أو منهج يدفع بالشباب والطلاب في المدارس إلى الأخذ بالإسلام عقيدةً ومنهجاً وسلوكاً، إلا هدموه وحذفوه من منهاج الدراسة الثانوية على وجه أخصّ... ثم جاء قراراهم الأخير يقضي ـ رغم أنهم لم يجدوا في سير الجامعة الإسلامية أيَّة مخالفات مالية ـ بأن تصبح الجامعة الإسلامية (كلية اللغة العربية والشريعة) وأن تكون الشهادة للطلاب الذين درسوا ثلاث سنوات في الصحافة أو غيرها هي شهادة (إتمام ثلاث سنوات صرح.. كذا).!!

وهكذا تقرر مصير الجامعة الإسلامية وأودع السجن عدد من طلابها أعضاء لجنة الاتحاد لأنهم باسم إخوانهم وباسم الأمة السودانية المسلمة رفعوا صوتهم للمسئولين

مطالبين بعودة جامعتهم والإبقاء عليها، بل وإنشاء جامعة ثانية وثالثة، وهاهم الآن بالسجن... وستعود الجامعة الإسلامية أرادوا أو لم يريدوا.

• لم يكد السيد إسماعيل الأزهري يقضي جزءاً من الوقت في منزله حيث يقام مأتم شقيقه المرحوم علي الأزهري حتى نقل فجأة إلى مستشفى الخرطوم، وكان حاله خطراً، حتى أنه قد أشيع بأنه قد أصيب بذبحة صدرية أو جلطة... نرى هل السجن الذي يعيشه الآن، ثم المصيبة التي نزلت به على حين فجأة، تظاهرا عليه إلى مدى هذه النتيجة، أم ترى أن الخواطر المرة التي تمر به خلال هذه الفترة الصامتة المنعزلة خلال هذا السجن الممض، قد وجدت إليه سبيلها حين تنسم عبير الحرية ومرت الأيام السابقة لاعتقاله المفاجئ...

إن أزهري بلا شك شخصية لا يستطيع نكران أثرها في الحياة السياسية في السودان، إلا مكابر أو حاقد... وهو ككل سياسي آخر له أخطاؤه ومزالقه، ولكنَّ هذا مهما يكن، لن يقدح أنه قد جهد نفسه فأخطأ وأصاب... من كل قلبي أتمنى له الشفاء والعافية.

• وفي مساء هذا اليوم كذلك نعت الإذاعة المرحوم الفنان "إبراهيم الكاشف" وهو صديق قديم تعرفت عليه في مصر حين استطاع أن يبدع تلحين قصيدة عربية كنت نظمتها في حينها أشيد فيها بالعلائق الطيبة بيننا وبين مصر، وكثيراً ما كانت تذاع هذه القصيدة التي لحّنها وغنّاها المرحوم الكاشف من ركن السودان بالقاهرة دون أن تذكر الإذاعة شيئاً عن مؤلفها... وهي بعنوان (سلوا قلبي). رحم الله الصديق الكاشف. فقد كان له باع طويل في حمل أمانة الفن السوداني في إخلاص وجرأة، ولم يدخر خلالها وسعاً في ربع قرن مضى من تاريخنا.

• لست أدري لماذا هذه الأخبار المتواترة المحزنة؛ ولكن إن استطعنا أن نغير شيئاً من سنة الحياة فينا، ومن قدر الجاري علينا، لأمكن حينذاك أن ندَّعي بأن لنا أن نبدي رأياً فيما ليس لنا فيه يد... فقد يرى بعض الناس في هذه الأخبار أمراً عادياً، ولكن طبيعة السجن دائماً أن تنزِّه النفس عن تقييمها للأمور من كل ما يعلق بها من شوائب، وترى الأمور على حقيقته... وترى حقيقة الموت أكبر من كل ما عداه، تلك الحقيقة التي أخذت ماديات الحياة في بلادنا تكون لها حجاباً كثيفاً يطفو على سطح الحقيقة، فلا يراها الناس إلا شيئاً من الألوان لا يجمع بينها وبين الواقع أو يردها إلى جوهرها، إلا أن يخلو الإنسان لنفسه ساعة يراجع فيها حسابه ليعرف ما له وما عليه.

أقول كل هذا وأنا كذلك أنعي رجلاً لا يعرفني ولكني أعرفه لأنه من الذين كان لهم يد في تاريخنا الاقتصادي والأخلاقي والسوداني بكل معاني هذه الكلمات الثلاث... ذلك هو

المرحوم محمد أحمد البرير التاجر الكبير المعروف... فقد مات بعد جراحات نفسية تواكبت عليه بوفاة عدد من أبنائه... احتمل مصيبتهم بقلب يؤمن بالله وبالموت...رحمه الله وجعل من سيرته الفطرية.. الطيبة ما يجعل الناس في بلادنا يدركون منها أن حُسن الأحدوثة بعد الموت رأسمال كبير وكنز لا يفنى.

• رغم هذه الأحداث المتوالية، ورغم أن النميري لايزال في الجنوب حتى الآن، فقد اختار السيد وزير الداخلية هذا اليوم بالذات ليذيع بياناً حول تمرد أو محاولة إنقلاب قام بها عدد من المواطنين في الاستوائية وقبض منهم ثلاثة عشر عسكرياً وثلاثة من المدنيين... وبعد أن ندد الوزير بهذا العمل قال أنه شبيه بالمؤامرة العنصرية التي قالت وزارة الداخلية وإذاعتها المستمرة أنها كانت على وشك الوقوع حين اكتشافها وزادت عليها بأن الإخوان المسلمين وحزب الأمة يشتركان فيها مع بقية العناصر الأخرى في غرب السودان... تلك المؤامرة التي علمت اليوم أن عدداً من العساكر المشتركين فيها وعددهم أكثر من اثني عشر رجلاً قد أطلق سراحهم وأعيدوا إلى الجيش.. وأن حسين خرطوم الذي أقحم فيها وقبض عليه وأودع الزنزانة حتى أمس، قيل أنهم حققوا معه ورفض أن يتحدث عن أي شيء، وطلب من الذين قبضوا عليه أن يثبتوا وحدهم الحقائق التي يدّعونها، وعلمت أنه قد أُخرج من الزنزانة ليعيش مع بقية المعتقلين... وهكذا ستظل البلاد تعيش في هذا القلق المميت منذ ثلاثة أشهر، أي منذ حدوث هذا الإنقلاب الذي كان نقمة على الناس في أرزاقهم وحرياتهم وتاريخهم ونشأتهم... فما يكاد يمر يوم واحد أو أكثر إلا والناس يفاجئون ببيان عن مؤامرة أو تفجيرات أو شتائم مقذعة من افراد غير مسئولين في الإذاعة يكيلون السباب والتهم بطريقة قبيحة تنبئ عن نفسيات كاتبيها... وأوشك الآن دولاب الحياة أن يتوقف في كل مجالاته الحيوية، الاقتصادية منها والاجتماعية... وهكذا سيبقى الناس في هذا الأتون يتقلبون فيه ذات اليمين وذات الشمال حتى يدركوا جميعاً أن ألوان الحكم التي جربوها منذ استقلال السودان إلى اليوم الذي نحن فيه، لم تعد صالحة لأن يُحكم بها هذا الشعب مرة أخرى، وأن الترقيعات التي ألصقتها كثير من حكومات العرب على نفسها لن نسمح بها نحن في بلادنا، وما عاد أمامنا ـ رضي الناس أم رفضوا ـ إلا طريق واحد، به تعود إلى الحكم هيبته وعدالته وكرامته، بعد أن فقدها بتوالي السنين، ولا طريق غيره، وإن أباه بعضهم حملوا عليه حملاً، ذلك هو طريق الإسلام بكل ما يملك الإسلام من قيم ومن شمول في نظم الحكم والاقتصاد والسياسة وفي شروط

الحاكم والمحكوم، وأن يواكب ذلك حملة إعلامية إسلامية تبين غامضه وتفسر حقائقه، وتزيل عن أفهام المسلمين أنفسهم ما علق بعقولهم من شوائب وشبهات باطلة عن الإسلام... ذلك هو طريقنا، فوالله لو بقينا مئات السنين لكي نغير هذا الحال الذي نحن فيه، ما تغير منه شيء ما لم نغير نحن ما بأنفسنا، وصدق الله العظيم (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

• حين عاد الأخ أحمد زين بعد قضاء يوم بمأتم صهره المرحوم التجاني، صباح اليوم، وجدنا فيه مادة حيَّة، (فبيوت البكا) في مثل هذه الظروف في بلادنا، هي مركز الأخبار ومستودع الحقائق، ومنبت الكلمة الحرة التي لا تكتبها صحيفة ولا تبثها إذاعة. وسأحاول سرد ما استطعته وفق ما يقتضيه الموقف من إيجاز أو إطناب:ـ

• في موكب جنازة المرحوم علي الأزهري كان المشيعون عدداً فاق حد التقدر، وواضح أن ذلك مردّه إلى مكانة السيد إسماعيل الأزهري شقيق المتوفي في نفوس الناس رغم الدعاية الواسعة التي شنتها الحكومة ضده... وقد كان الموكب مظاهرة سياسية واضحة، وقد علمت أن السيدة سعاد الفاتح قد رددّت هتافات معادية للحكومة، هتافات بسقوط الخونة.

• وفي جنازة المغفور له البرير أنزلت الحكومة المصطلحات مخافة إنقلاب الموكب إلى موكب سياسي مضاد، خاصة وأن منزل الفقيد يقع في سوق أم درمان الكبير..

• حديث الناس عن المحاكمات القادمة وما سوف يقال فيها: هل يرفض السياسيون التحدث؟ هل يهاجمون الحكومة؟ يهاجمون القانون؟ يرفضون الوضع كله لأنه غير شرعي وغير دستوري؟.. كثير من علامات الاستفهام تقف حائرة متسائلة!!

• عدد من الوزراء الذين حضروا المأتم كانوا في حالة انكسار واضحة.

والحديث عن بعض الخفايا والحقائق عن أسخاص الحكومة ومجلس الثورة، كان لبانة تلوكها ألسنة الكثير من الحاضرين..

• بعض الوزراء تقدموا باستقالاتهم من الحكومة ولكن روجعوا فيها وسحبوها ريثما ينقشع الموقف، والحالة المالية وصلت حد السوء حتى أن وزير التخطيط رأى ألا ضرورة لوزارته لأنها تخطط ولكنها لا تجد مالاً تنفذ به تخطيطها للحاضر والمستقبل.

• رفض أحد وزراء الكويت الذين حضروا إلى السودان تقديم أي عون للحكومة وقد ألحوا عليه كثيراً وقدموا له كل الضمانات ولكنه صارحهم بأن الوضع الحكومي غير مستقر وأن الشيوعيين هم المسيطرون على الموقف الرسمي. ولذلك لا مجال لتقديم أيّة مساعدة.

• اثنان من الوزراء هما موسى المبارك وحسيب بذل كل منهما جهوداً: الأول بين أفراد الوطني الاتحادي، والثاني بين أبناء النوبة لخلق جهاز مدني يؤيدهم بحجة أن بقية الوزراء وأعضاء مجلس الثورة يجدون التأييد من الشيوعيين، ولكنهما فشلا أن يستميلا من يحققان به هذه الرغبة الأكيدة.

• الحالة الاقتصادية بلغت حد السوء. فالبضائع غالية ومعدومة، وتذمر الأسر بلغ نهايته وتطبيل الصحافة آخذ في الازدياد.

• الموقف الآن في الجيش له ثلاثة اتجاهات، اتجاه يقوده العسكريون الذين يرون أن الجيش السوداني فقد خاصيته كجيش بسبب دخوله السياسة من بابها العريض، ويعملون بكل ما يستطيعون لإعادة الجيش إلى حظيرته الطبيعية حتى عن طريق الإنقلاب.

الاتجاه الثاني يقوده الشيوعيون وضباطهم الذين أطلقوا على أنفسهم (الضباط الأحرار) وعددهم نحو ستين ضابطاً وهؤلاء يرون الإمعان في تحقيق الوضع الشيوعي، وتغذية الوضع الراهن حتى ينتهي إلى الوضع الذي يريدونه.

واتجاه ثالث تقوده الأحزاب يرى ضرورة تغيير هذا النظام. ولا يزال الموقف حتى الآن يمر بهذه المراحل الثلاثة.

• اللواء نميري يؤكد في الجنوب أن دولاً مجاورة تعاون التمرد حتى لا تنجح الحلول نحو الجنوب، وقال إننا سنضرب هذه الدول!! لعله يعني يوغندا.

وواضح أن الأنانيا هي الموعودة بتسلم أمور الجنوب وقد ذكر أعضاء في (سانو)، أن ذلك يعني أن ينضموا هم إلى الأنانيا حتى لا تنفرد بالحكم الجديد، وهم يرون والحالة هذه أن يبقى الشماليون ضمن حكام الجنوب.

• اللواء نميري صرح لمراسل "الأيام" بحديث تناول فيه الإخوان المسلمين، وقال نحن نعلم أنهم يقومون بدور كبير في الثورة المضادة وفي داخل الجيش، ثم اشار إشارة أخرى عابرة يُفهم منها أن الثورة تتساهل وتتعاون ما وجدت لذلك من سبيل!!

• الزراعة هذا العام ـ رغم أن الخريف قد تحسّن ـ فهي لا تبشر بخير كثير لأن الأمطار قد تأخرت كثيراً عن مواعيد هطولها السنوية، مما سيؤثر كثيراً في انتاج القطن والذرة للموسم الجديد.

وهكذا حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

الخميس ـ ١٩٦٩/٨/٢١م

• تأكد لدينا هذا الصباح أن السيد بابكر عوض الله رئيس الوزراء قد قام بزيارة السيد محمد عثمان الميرغني، وحاول في محاولة واضحة أن يعتذر له عن الخطوة التي قامت بها الحكومة حين صادرت بعض أراضي دائرة الميرغني سداداً لديون قديمة... وقد كان ردّ السيد الميرغني جافاً وغليظاً، وأنه أكد لرئيس الوزراء أنهم على استعداد أن يساقوا إلى السجن فوراً، وأن على الحكومة ألا تطمع في أي نوع من التأييد تقوم به طائفة الختمية. (هذا وقد سبق للسيد الميرغني أن أذاع بياناً بتأييد الإنقلاب عند بداية وقوعه بأيام قلائل).

وقد حدث نفس الأمر مع السيد الهادي في الرد الذي حمله السيد أحمد المهدي، وقد أكد السيدان وطالبا بإلحاح أن يقصى الشيوعيون إقصاءً تاماً من كل أجهزة الدولة، بل أني علمت أن الإمام الهادي أكد لرجال الثورة، أنهم إن كانوا يطمعون في تفاوض معه في أي شأن فإنه يشترط لذلك أن يكون في جزيرة (أبا) وأن يقوم به السيد الصادق (المسجون الآن في بورتسودان) نيابة عنه، وأن يُقصى من أجهزة الدولة كل شيوعي، وأن يوضع للبلاد دستور إسلامي، وأن يعود الجيش إلى ثكناتهم الجنود ليفسحوا للشعب على أسس سليمة أن يمارس حكمه بنفسه.

وإن المتتبع للأحداث في بلادنا يشعر أنها تمر بمرحلة دقيقة لها أبعاد بالغة الأهمية، وأخذ الناس يتحدثون عن مهزلة الحكم وعن ضعفه وهوانه على الناس، وعندما يصل الرأي بالناس إلى هذا المدى فقل على الحكم والحاكمين العفاء.

• وفي نبأ عن وزير الداخلية، أذاعته المحطة الديموقراطية، أنه اجتمع باتحاد طلاب جامعة الخرطوم وتحدث معهم عن إيمان الثورة باستقلال الجامعة وبحرية الفكر فيها خاصة لمن هم في مثل سنهم، وأطنب الوزير في هذا الجانب، ثم أردف قائلاً إن حرية الفكر هذه مكفولة في حدود الاتجاه الذي يؤيد الثورة وأن الجامعة لن يسمح فيها باتجاهات مضادة للثورة، وإن حدث فإن الوزارة ستتدخل بالمدى الذي يصون الثورة، حتى لو اقتضى ذلك المساس باستقلال الجامعة، ثم رجا الطلاب ألا يعملوا ما من شأنه أن يدفع بالوزارة إلى مثل هذا التدخل. (ترى هل يسكت الاتجاه الإسلامي بالجامعة على مثل هذا العبث وهم الأمل الباقي؟ اللهم لا)..

• في مساء هذا اليوم أذيع نبأ العدوان الإسرائيلي الفاجر الدنيء على المسجد الأقصى، فأشعلوا فيه حريقاً مروعاً قضى على قسم كبير منه، جعل المسجد غير صالح لأداء الصلاة فيه.

وقد والله ارتعشت كل ذرة في كياني، وبكيت دماً محترقاً ذرفته في دعاء لا أشك أنه مع دعاء الملايين من المسلمين قد صعد لله تعالى يشكو هذا الجرم ويلعن الجناة والمتربصين، حين هانت على المسلمين ديارهم ومساجدهم وأراضيهم وكرامتهم، حين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، حتى تمرغت بيوت الله ومساجده، وأولى القبلتين وثاني الحرمين، حيث أُسْرِيَ برسول الله صلَّ الله عليه وسلم (من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا)!!

لقد أحسست برفات الرسول صلوات الله وسلامه عليه والصحابة أجمعين رضوان الله عليهم، بل أحسست كذلك بالأنبياء جميعاً وقد أمَّهم رسول الله قبل ن يعرج به من ذلك المكان الطاهر، بأنهم جميعاً اهتزت بهم أرضهم وأجداثهم... بل إن ملائكة الله في سمائها قد رُجَّ بها الفضاء ساعة شبَّ الحريق في بيت ستظل ذكراه ويظل اسمه خالداً في كتابه حتى يرث الله الأرض ومن عليها...

إن المسلمين اليوم مطالبون إزاء هذه المهانة الجديدة من إسرائيل بتصحيح موقفهم مع الله. وتغيير ما بأنفسهم ليغير الله ما بهم، فما عاد الأمر يحتاج إلى مواعظ وإلى دروس، فإنه أكبر من كل كلمة أو عظة... ما عاد المسلمين بحاجة إلى تذكير إلا إذا أصررنا أنهم عرب... أما إذا خاطبناهم وسميناهم بما سماهم به إبراهيم عليه السلام، وهو سماهم المسلمين من قبل، وفي هذا (ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) فإنهم لن يعوزهم أن يردوا كل ما سلبهم إيَّاه من أكثر من عشرين عاماً مضت ونحن في كل عام نحني رؤوسنا وندفنها في التراب حتى أوشكت أمة العرب كلها أن تصبح أجساداً بلا رؤوس.

إن على عاتق رؤساء الحكومات العربية واجباً أخيراً هو أن يرفعوا شعار الإسلام إيماناً به وبمفعوله السحري الذي قاتل به محمد صلَّ الله عليه وسلم والخلفاء من بعده... ولينظروا بعد ذلك إن كانوا يجدون أثراً لإسرائيل، أو يجدون رأساً لمسلم منكسة إلى الأرض... ارفعوا شعار (الله أكبر والعزّة للإسلام والمسلمين) ثم انظروا بعد ذلك لتروا كيف يبطل السحر والساحر، وكيف تصبح هذه الأمة أمة النصر والفتح بعد أن عاشت على الهزيمة والانكسار حتى أصبح العرب في عصر العلم ـ وهم علماؤه وسدنته يوم كان الغرب كله غارقاً في الجهالة ـ هم أضحوكة الغرب والشرق على السواء، ذلك لأننا مهزومون من داخل أنفسنا، مهزومون في أخلاقنا في ديننا في عقائدنا في علاقتنا في كل طريق سلكناه... فلا بد إذن أن تكون هزيمتنا حتماً مقضياً أمام كل ضعيف من الأمم حتى أمام إسرائيل... وها نحن اليوم نمر بالمحنة الثانية

ولم تنقض علينا غير عامين وشهرين منذ أجفلتْ جحافلنا أمام اليهود، رغم الثبات والرجولة التي بدت لدى الكثير من أفراد الجيوش العربية... ولكن وقد اختار اليهود مكان الحرب وزمانها وسببها فنحن غير معذورين أمام الله في أن نعيد إلى الله تعالى بيتاً تركه أمانة في أيدينا ـ فهو ميراث كل الأنبياء ـ فأضعناه طائعين أو كارهين... وليس لنا في الحالين عذر... فقد ظل هذا المسجد منذ دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بيت المقدس في تواضع المسلمين وعزتهم وجبروتهم وأصلح هذا المسجد منذ١٣٣١ عاماً حتى قام بإنشائه الأتراك منذ خمسمائة عام!!

إن الذي ينتظرنا كثير وكثير، ولكن تحت ظل راية واحدة هي الإسلام.

• حين علقت على حديث وزير الداخلية مع طلاب جامعة الخرطوم كان يساورني التفكير في إضافة شيء جديد إليه لتكتمل الصورة كلها في إطار واحد وليتضح السراب الذي تجري خلفه الثورة حين تظن أنها قادرة على إسكات صوت الإسلام أو إضعافه... فقبل أيام كان قد صرح وزير التربية والتعليم في رده عن سؤال وُجِّه إليه عن تحريم العمل السياسي في المدارس الثانوية فقال:(إن الذي نمنعه هو العمل السياسي الحزبي الرجعي، أما العمل الثوري الاشتراكي فهو اتجاه الثورة فلا يقع تحت المنع..) ووزير التربية واهم فيما يدعيه ويقوله، ولن يستطيع أن ينفذ حرفاً مما يزعم... فالدعوة الإسلامية ـ بكل ما يطلقون عليها من أسماء ـ فهي ماضية في طريقها تحت عين الله وحده، ولن تقف. وستقف الثورة في حيرة من أمرها قبل أن تفكر في وضع هذا الزعم موضع التنفيذ.

الجمعة ـ ١٩٦٩/٨/٢٢م

الأحداث لا تتناهى، ومهما يكن من شيء فإن ذلك كله بشير بخير يسوقه الله للناس؛ ولكنهم في حاجة لأن يذكروا فضل الله عليهم (ولنبلوَنَّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين)، (ولنبلوَنَّكم بالشر والخير فتنةً) صدق الله العظيم.

• لم يكد الحديث الذي أذيع أمس عن مقابلة وزير الداخلية لاتحاد طلاب جامعة الخرطوم يستقر في أفهام الطلاب، حتى أعد الاتجاه الإسلامي بالجامعة مذكرة واضحة صريحة وضوح الإسلام وصراحته إلى وزير الداخلية، وعبروا فيها عن كل آراءهم فيما يجب أن يكون عليه وضع طلاب الجامعة من كفالة حرية التعبير، لا للمؤيدين للثورة فحسب، بل في المقام الأول للمناهضين لها، وتلك أول مراتب الشجاعة والثقة بالنفس لدى المسئولين. أما أن تكون

الحرية للاشتراكيين (الشيوعيين)، وهم عن الثورة والثورة لا يختلفون لأن المنبع لدى الاثنين واحد، فذلك أمر يرفضونه مهما تكن النتائج، إذ لا يستقيم عقلاً أن تطلب الثورة مطلب كهذا، في الوقت الذي فتحت فيه أبواب سجن "كوبر" ثاني أيام الثورة ليحتوي بداخله أول ما احتوى عدد من المسئولين في الاتجاه الإسلامي في السودان. وأن الجامعة قد عاشت خلال كل العهود تتمتع بهذا الحق الطبيعي في ممارسة حرية الفكر والنقد دون أن تجد من أيّة حكومة حتى في عهد الحكم العسكري الأول معارضة مكشوفة كالتي يلمسونها الآن. وأن الثورة إذا وجدت من الحرية ما تكفل به للشيوعيين في الجامعة حق حرية هم أولى بأن يحرموا منها دون أي مواطن حقيقي، فإن الاتجاه الإسلامي كذلك لن يسمح لأحد أن يسلبه هذا الحق، وهو يجد في نفسه من الشجاعة ما يذود به عن نفسه.

هذا، وقد علمنا كذلك بأن الشيوعيين في الاتحاد ـ وقد رأوا صلابة الاتجاه الإسلامي في الجامعة ـ قرروا فصل أعضاء الاتجاه الإسلامي من عضوية اللجنة التنفيذية للاتحاد، وكتبوا بذلك منشوراً ليقرأه الطلاب، ولكنه مُزِّق قبل أن يقرأه أحد. وعُرِض الأمر على إدارة الجامعة فلم توافق ورأت أنه ليس من حق اللجنة أن تفصل عضو جاء عن طريق انتخاب زملائه له. ولايزال الموقف على هذا الوضع في غموض وقلق شديدين. وربما كان الصراع في معسكري الاتجاه الإسلامي والشيوعيين أكثر من أن يكون لبقية الطلاب مشاركة فعالة فيه.

هذا، وقد انفجر هذا الموقف المتوتر بين الاتجاه الإسلامي والشيوعيين عن معركة عنيفة، وصل فيها الأمر إلى صدام عنيف بالأيدي واستعمال القوة. وهكذا ستظل الجامعة في كل العهود نقطة تحول كبيرة في مجرى الأحداث في بلادنا. وفي هذه الآونة تقع المسئولية كاملة على الاتجاه الإسلامي بالجامعة، بوصفه أكبر قوة فيها بالتعاون مع بقية زملائهم الشرفاء الذين يعرفون جيداً مجتمعين أبعاد المعركة المندلعة اليوم.

• الموقف السياسي المضطرب، والتعثر الذي تمارسه الثورة الآن دون إرادة والجمود الذي أصاب الحياة كلها حتى خلا الميدان إلا من الشيوعيين ينوحون ويندبون ويهتفون بأصواتهم المبحوحة النكراء حول هيكل الوضع السياسي والحكومي المنهار... كل هذا وغيره دفع عدداً كبيراً من القيادات العسكرية بقيادة السيد الضابط عمر محمد سعيد إلى ضرورة التفكير في انقاذ البلاد من التدهور الذي بدأ يؤثر في كل أطرافها... فدعوا إلى اجتماع في الخرطوم للاتصال باللواء النميري وإبلاغه رأيهم في هذا الشأن، في محاولة للإنقاذ أو تضييق الهوة التي

أوجدتها الحكومة بالزج بعدد كبير من السياسيين في السجون والمعتقلات مما شلَّ أوجه الحياة كلها في البلاد بلا استثناء. وتسير خطوات التحضير لهذا اللقاء العسكري في تكتم شديد لأهميتها وخطورة المسائل التي تهدف إليها. وربما كان لهذا اللقاء إذا تمَّ أثر بعيد ـ في حاليّ فشله أو نجاحه ـ في تكييف الوضع في البلاد إلى مدىً بعيد.

• من الأنباء التي تعيش في الواقع اليوم، ما يؤكد بأن ولاء بعض القيادات الإقليمية لقيادة الإنقلاب بالخرطوم، قد إنتهى. ومثل هذه الأنباء الخطيرة تنبئ عن أمور بعيدة الغور. فمثل هذا الوضع يحمل في طياته كثيراً من المفاجآت.

• الخبر الذي ذاع من قبل عن تنحية وزير الدفاع عمر الحاج موسى لم تثبت صحته، ولكنَّ المثل القائل (لا دخان بلا نّار) يأخذ مكانه الطبيعي في مثل ظروفنا هذه.

• أخذ الشيوعيون يفقدون بعض أراضيهم الهامة في نقابات بعض الوزارات والمصالح، كنقابة بنك السودان ونقابة النقل الميكانيكي اللتين أخذهما الوطنيون، ونقابة عمال السكة حديد التي لا يزال أمرها بأيدي الوطنيين. أما اتحاد مزارعي الجزيرة فالذي حدث فيه أمر يدعو إلى الخجل ولكنه أمر مألوف لدى الشيوعيين، فقد وجهت الدعوة ليلاً لعدد معين من المزارعين لإجراء الانتخابات التي فاز فيه الشيوعي الملتحي المعروف، ولم توجه لبقية المزارعين دعوة. وهكذا فاز الشيوعيون في الانتخابات!! هل وضح السر الآن في هذه الانتخابات!! عجباً!!!

• تنحية قضاة محكمة الاستئناف العليا وقاضي القضاة والمفتي عن مناصبهم وإحالتهم إلى المعاش، جاءت في بيان شديد قاسي الوقع والحيثيات تلاه اللواء النميري من الإذاعة الديموقراطية. وقد وردت إلينا أنباء أخيرة تؤكد بأن عتاباً شديداً وجّهه النميري للسيد بابكر عوض الله بوصفه الشخص الذي صاغ البيان وأفرغ فيه مشاعر كل السنوات التي عمل خلالها هو في القضاء، وقد كان جزءاً منه وعليه تقع مسئولية كثير من الأخطاء التي إنتهت بتنحيتهم... وكان النميري يرى أن يتم ذلك بخطاب رسمي دون بيان يدينهم. وقد أحسَّ النميري بأنه قد جُرَّ عمداً إلى هذا الموقف الغريب، وقد وصل العتاب بينهما مرحلة شديدة زادت من رصيد سوء التفاهم القائم بينهما، مما زاد من حدة الموقف السياسي المتدهور يوماً بعد يوم.

السبت ـ ١٩٦٩/٨/٢٣م

• مثلما ذهب اللواء نميري إلى الجنوب في سرِّية غير معهودة في تحركات رجال الثورة، مثلما عاد كذلك في غير ضوء ولا صوت !! فقد كانت هذه الرحلة محاطة بكتمان غير مألوف ورغم ذلك لم يشأ وزير الداخلية أن يكتم نبأ محاولة الإنقلاب في المديرية الاستوائية.

وقد تكون ضرورات الأمن اقتضت ذلك. ولكن أليس من الواجب أن يكون الجنوب بعد الحلول السحرية التي قدمتها (الثورة المباركة!!)، منبعاً للأمن، ومستودعاً للاستقرار؟!!

رحم الله عمر بن الخطاب، الذي جمع رسول كسرى إليه فلسفة الحكم والحاكم، حين جاء إليه ليجده تحت ظل شجرة في دولته الآمنة المطمئنة يغطُّ في نوم عميق على وسادة من حجر، فقال كلمته التي اهتزت لها عروش الظالمين في كل أرض :(حكمتَ فعدلتَ فأمنتَ، فنمتَ يا عمر)

• اليوم فقط علمت أن الأخوين عثمان جاد الله، وعلي محمود حسنين المحامي قد شرفهما الله بالدخول إلى السجن، ولعلهما مكثا قبل هذا اليوم أياماً سابقة دون أن أعلم عنهما شيئاً. فقد أصبح السجن كالبئر العميق لا يدري أحد ما فيه؛ ومن يدري فربما تكشَّف الغد عن آخرين. ومالي وللغد البعيد فهؤلاء خمسة من أعضاء الاتحادي الديموقراطي فيهم عبدالله سلمان وآخرون قد جيء بهم إلى السجن. كيف ولماذا؟!!الجواب عند الثورة الإنقلابية الدستورية!!!

***

ثلاثة أشهر لا تزيد ولا تنقص يوماً منذ انفرج مصراع باب السجن الكبير ليضمنا إليه في حيرة من أمره بعد الفجر بقليل، فما كان بحسبانه يوماً أن ينفرج مصراعاه أو أن يطبقا، إلا على أولئك الذين يأتون إليه نهاراً بعد كلمة ينطق بها قاضٍ داخل قاعة يسمونها بالمحكمة مهما كان شأن هذا القاضي مع العدالة قُرباً وبُعداً... ولكنه في هذه المرة ينفرج في تثاقل وتثاؤب ليدرك حقيقة جديدة هي أنه ليس شرطاً أن تكون للقانون كلمة على كل من يدخل السجن، فقد جاء عهد يُتخطَّف الناس فيه من فراشهم عند الغسق، بلا حكم وبلا قانون أو سلطان، إن هو إلا هوىً جامح ونزوة مرتعشة محمومة، وظنَّة باهتة المسالك يؤخذ بها الناس بلا رقابة من ضمير أو خلق أو دين!!

فلتنقضِ هذه التسعون يوماً، ولتذهب لها مثيلات من بعد، فهي والله لن تفتَّ في عضد ولن توهن إرادة، أو تضعف يقيناً وتصميماً وعزماً... ولن يكون النصر والغلب في النهاية إلا للأقوياء المتمسكين بالذي أوحى إلى محمد صلَّى الله عليه وسلم. ولن يكون النصر إلا لنا خالصاً

من دون الناس... فلتمضِ إذن مواكب التسعين يوماً، فهي لابدّ في النهاية واصلة إلى نهاية... فإنهم مكروا إلى الله ليلاً ونهاراً فعند الله مكرهم، وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال. فيوم يأتيهم أمر الله لن ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله، ألا إن نصر الله قريب..

الأحد ـ ١٩٦٩/٨/٢٤م

جاء إلى السجن مرة ثانية الأمير عبدالله نقد الله بعد أن غادره في نفس اليوم الذي دخل فيه قبل تسعين يوماً كاملة، حيث أمضى في يومه ذاك بضع ساعات وخرج بعدها... وحدثت خلال ذلك أحداث سياسية تتعلق ببيت المهدي، وكان له فيها يدٌ بارزة، وظل الأمير نقد الله كذلك حتى عاد أخيراً إلى حيث غادر من قبل. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو لماذا عاد؟ والجواب بالنسبة لنا كمعتقلين نعتمد كثيراً على تسلسل الأحداث في تفسير مثل هذه الظواهر، قد تكمن فيه الحقيقة الأساسية التي قد لا تكتمل صورتها للوهلة الأولى... ولكن لابدَّ من البحث؛ والنتيجة في رأيي هي:

١. أن تكون له يد في محاولة الإنقلاب التي أتهم فيها الأمير عبدالله إسماعيل المحتجز الآن في كوبر. وقد يكون للخلافات السابقة بين الإمام الهادي ونقد الله، والسخط الذي حاط بالأمير نقد الله بسبب اعتقال السيد الصادق المهدي الذي تشير كثير من الدلائل على أنه عاون فيه بطريق أو بآخر، وقد يكون لتلك الخلافات وذلك السخط في انحياز نقد الله إلى جانب الأمير إسماعيل التعايشي في هذه المحاولة. وقد لا يكون الصفاء بين التعايشة وآل المهدي قد عاد إلى زوال، مما دفع بالأمير نقد الله لأن يتخذ موقفاً في هذا الجانب.

٢. وربما كان شعور الغضب والسخط الذي شاع بين الأنصار بسبب اعتقال السيد الصادق المهدي قد جعل الحياة في الخارج في نظر نقد الله صعبة قاسية عليه، خاصة وأن الأنصار مقتنعون إلى درجة اليقين بأن الأمير نقد الله هو الذي قاد السيد الصادق لهذه النهاية في السجن... ولم يكن أمام الأمير نقد الله غير البقاء داخل السجن، فجدرانه السامقة الغليظة قد تحجب عنه أصوات الغضب والسخط التي يسمعها من كثير من الأنصار.

٣. وقد يكون للأمير نقد الله يدٌ في حوادث المتفجرات الصوتية التي أذيع بشأنها بيانٌ أُكِّد فيه أنه قد تمَّ القبض على ستة متهمين.

٤. وهناك احتمال يمكن ذكره، وقد لا تكون الحقيقة فيه من الوضوح كما هي عليه فيما سبق ذلك، أن الأمير قد وضع في المكان الذي يوجد به خضر حمد عضو مجلس السيادة، والسيد إسماعيل الأزهري شفاه الله وعافاه، وكان فيه السيد أحمد المهدي الذي غادر السجن قبل أيام... وربما كانت هناك محاولة من قبل المسئولين ـ وهم اليوم قد خفضوا جناحهم قليلاً ـ لإيجاد نوع من التفاهم يتم عن طريق نقد الله بطريقة غير مباشرة، خاصة وأن نقد الله سبق له القيام بمثل هذه المهمة مع الإمام الهادي والسيد الصادق من قبل.

ومهما يكن من شيء فإن السجن الآن أصبح مكاناً طبيعياً للمعارضة الوطنية الجادة، ونحن نرى أن وجود الأمير نقد الله ـ تحت كل الظروف ـ أكرم من بقائه في الخارج... وحين تنحلُّ العقدة السياسية في البلاد ستتضح الحقائق كلها ويستبين الظالم والمظلوم.

• أذاع السيد وزير الداخلية مساء اليوم بياناً ذكر فيه بأن رجال الأمن قد اكتشفوا مكان المتفجرات الأخيرة بجهة خارج مدينة أم درمان، وأنهم عثروا على كمية كبيرة منها، وأن السلطات قبضت على ستة من الأسخاص بتهمة امتلاك هذه المتفجرات التي روعت أمن المواطنين، وأن الوزير قد شرح للصحفيين الذين دعاهم لهذا الشأن طريقة استعمالها، مثلما شرح لهم من قبل طريقة استعمال القلم الناسف الذي قيل أن إحدى وكالات المخابرات الأمريكية قد بعثت به إلى السيد الصادق المهدي!! كجزء من المؤامرة العنصرية التي سبق الإشارة إليها!!!

والصحفيون هذه الأيام يعيشون تجارب قاسية أمام كل صنوف المتفجرات الحقيقية والصوتية، وستؤهلهم بالطبع مثل هذه التجارب الجديدة إلى أن يكونوا صحفيين أو مراسلين حربيين من الطراز الأول بفضل ما يشاهدونه من عجائب تجعل (الحليم حيران!!)؛ ولو كانت الصحافة في بلادنا تتطور فناً وعلماً وأجهزة كما يحدث في كل بلد يمارس التقدم والتطور عملاً لا شعارات لاستمتع المواطنون ولعجبوا من ألوان الأسلحة وصنوف المتفجرات التي يجدها رجال الأمن في يد بعض المواطنين!! ولكن ما حيلتنا والصحافة في بلادنا منذ وجدت فيها

صحيفة (السودان) التي كان امتيازها للدكتور فارس نمر، ورئاسة تحريرها إلى خليل ثابت وصدرت في ٢٤ سبتمبر ١٩٠٣م، وحتى اليوم الذي أكتب فيه الآن إنما هي صحافة تجارية في المقام الأول... وسيغضب أصحاب الصحف لهذه الحقيقة القاسية، ولكن ما شأني وما يغضبون؟ ورغم ذلك كم يسرني أن يكون هذا القول غير صحيح، شريطة أن يثبت كبار الصحفيين ـ على وزن كبار التجار وكبار الأعيان ـ بالدليل والبرهان عكس ذلك.

وأعود إلى بيان الوزير، ولا زيادة عندي أكثر من أن اقول أنه رجع الصدى، نسمعه ولا نكاد نسيغه، وكاد والله شكنا يغلب على يقيننا...

السؤال الذي يراودني كلما سمعت مثل هذه البيانات هو: لماذا تحدث هذه الظواهر إلا في العهود العسكرية؟! ولماذا لم تكن هذه الظواهر في عهود الديموقراطية والحرية التي تمتع بها حتى الشيوعيون؟!! أم أنها الثورة المضادة؟! أم أنها مسائل يتقن الشيوعيون تدبيرها وحبكها؟! ثم تخرج إلى الإذاعة، ثم تصبح لبانة تلوكها الصحف والإذاعة، ثم تتحول إلى هتافات في ليالي الشيوعيين، ثم تصبح شعاراً تحارب به الحكومة ـ بلا وعي أو بسوء قصد ـ خصومها الأحرار الذين لا بدَّ أن تكون لهم الكلمة الأخيرة في مصير ومستقبل هذه البلاد.

الاثنين ـ ١٩٦٩/٨/٢٥م

• على حين فجأة أذاع الراديو مساء هذا اليوم نبأ سريعاً يقول بأن رئيس الوزراء قد طلب من الجمهورية العربية المتحدة إرسال ثلاثة من الاخصائيين ـ ذكر الراديو أسماءهم ـ في جراحة القلب للإشراف على علاج السيد إسماعيل الأزهري وينتظر وصولهم في ايِّة لحظة.

وأدركنا ساعتها أن حالة السيد إسماعيل آخذة في التدهور وأن الحكومة تريد أن تحمل عن كاهلها مسئولية الابطاء في العلاج على يد أخصائيين عالميين كما حدث يوم فأجأ المرض السيد محمد أحمد المحجوب رئيس الوزراء حيث كان خلال ساعات قلائل تحت إشراف أكبر أخصائيّ الأمراض في لندن. ولكن الفرق بين الأمرين أن السيد إسماعيل مكث بالمستشفى من يوم الثلاثاء الماضي حتى اليوم، مدة سبعة أيام كاملة، ثم لما يئس الأطباء هنا من العلاج ـ بل ويبدوا أنهم قرروا بعد هذه المدة عدم جدوى العلاج ـ رأت الحكومة في محاولة لإنقاذ سمعتها من تهمة الاهمال ـ وقد غرقت فيه إلى أذنيها ـ أن تستدعي هؤلاء الأطباء ليقال بأنها قامت بواجبها!! إنني من كل قلبي أسأل الله أن يمد في أيامه ويديم عليه نعمة العافية.

• تضاءلت الاحتفالات بمرور ثلاثة أشهر على الثورة واقتصرت على احتفال العمال الشيوعيين وعلى كلمات متبادلة بينهم وبين بعض الوزراء ثم حفل شاي يقام غداً بدار الجامعة يشهده قادة الثورة!! وهكذا. كل عام ترذلون، ويسافر إلى عطبرة للاحتفال بهذه المناسبة ثلاثة أسخاص هم رئيس اتحاد عمال السودان (شيوعي)، ورئيس هيئة الموظفين (شيوعي)، وثالث على شاكلتهم، وذلك بعد أن رفض اتحاد عمال السكة حديد بعطبرة القيام بهذه المهمة، وهكذا تحتفل (الخرطوم) في عطبرة!!! مُش بطال أيها العطبراويون ومزيداً من الصلابة.

• كتب السيد الفاتح التجاني في جريدة (الرأي العام) اليوم كلمة ليست مما أعرفه في الأخ الفاتح، فهو اشتراكي عربي، ورغم اختلافنا السياسي إلا أن علاقات الود والاحترام قائمة بيننا... إلا أن كلمته التي أذاعتها المحطة الديموقراطية قد استوقفتني... فهو يقول أن قوى الثورة المضادة مازالت تعمل وأنها قد تعود إلى الحكم بوجهها الشرس... ولذلك فإن القوى الاشتراكية كلها (وفيها الشيوعيون) عليها أن تتحد وأن تتجمع وأن تواجه هذه الثورة إذا عادت بما ينبغي أن تواجه به!! والذي أعرفه أن السيد الفاتح ليس شيوعياً، بل أنه يمقت الشيوعيين وهم يمقتونه. والذي أعرفه أن عودة القوى السابقة للحكم لن تكون بالنسبة له أشد وبالاً من عودة الشيوعيين أو على وجه أدقّ، من استمرارهم الراهن في الحكم!! إن هذا البلد لن تحكمه ديكتاتورية من أي لون جاءت وفي أي قوىً تجمعت، إنما تحكمه حريته النابعة من عقيدته. في هذا الاطار وحده سيكون سودان الغد القريب، ولن يكون هناك تجمع له بقاء، إلا أن يكون تجمعاً وطنياً خالصاً لا ولاء له إلا لله وحده ولهذا الوطن وحده.

• الجيش هذه الأيام مدار التفكير ومحور الصراع ومستودع تنازع القوى. فقد ثبت من مصادر هذه الحقائق أن الوضع فيه ملتهب بين طرفين فيه، يمثل أحدهما هاشم العطا وهو شيوعي، والأخير النميري وأركان حربه خالد عباس من جهة أخرى. وحين يصل الجيش مرحلة كهذه، فكل شيء يكون متوقعاً لحظة بعد أخرى، فإن السلاح كثيراً ما يحسم الأمور بأسرع مما يتصور البعض، فقط سأضع هذه الحقائق مجردة والأيام وحدها كفيلة بالتفاصيل!!

• وينتقل هذا الصراع إلى لون آخر بين الشيوعيين والقوميين العرب داخل مجلس الوزراء ومجلس قيادة الثورة، والاستقالة التي تقدم بها رئيس الوزراء من قبل تعكس جانباً من هذا التنازع الذي لا يُرى منه في الخارج غير الدخان الكثيف.

• أشارت الصحف إلى أن إجراءات مالية ستتخذ حيال كل الموظفين مستهدفة إجراء تخفيض في كل المرتبات وفقاً لمقدار الدخل بنسبة ٥%، ١٠% ، ١٥% !! وبعد سماعي لخطاب الميزانية لوزير الخزانة تبين أن عائد هذا الاستقطاع يوفر للخزانة نحو سبعة ملايين من الجنيهات!! ترى ماذا يكون رد الفعل لدى الغلابة الذين يؤثر نقص القرش الواحد في مجرى حياتهم اليومية؟! نحيا ونشوف!!

• الاتصالات بين الهادي ومحمد عثمان الميرغني قائمة، وبينهما وبين الحكومة كذلك ولكن في خيوط تختلف قوةً وضعفاً!! إلى ما تئ النتيجة؟ علمها عند الله وحده!!

• تأكد لدينا بأن اللواء النميري أعلن في مجالات خاصة بأنه سيتخلى بل سيقصي الشيوعية ولكنه الآن يجد صعوبة في ذلك.

• يقولون إن سبب وجود المعارضة حتى الآن داخل السجن وبهذه الصورة غير المحددة المعالم، ترجع إلى أن أسس النظام كلها مهتزة وآخذة في الانهيار بصورة كبيرة في كل لحظة.

• ومن غرب السودان أنباء تؤكد بأن الموقف في دارفور وجبال النوبة متوتر، ولعل الأحداث الأخيرة والاتهامات التي وجهتها الحكومة في الحادث الذي سمَّته الحكومة بالمؤامرة العنصرية وأنها تتعاون مع الاستعمار، لها وثيق الصلة بهذا الموقف الغامض في غرب السودان، وقد يساعد على هذا التوتر أن معظم هذه المناطق ذات ولاء للأنصار. وأن موقف الحكومة من الأنصار قد ضاعف من هذا التوتر وساعد على تفاقمه.

• في كل الديموقراطيات، في غير المفهوم الشيوعي للديموقراطية، تعرض الميزانية على ممثلي الشعب ليقولوا فيها كلمتهم؛ وفي غير ذلك تذاع الميزانية ـ من باب العلم بالشيء ـ على الجمهور بعد أن يكون مجلس الوزراء قد ألقى عليها نظرة وداع أخيرة، والبعض منهم يمصمص شفتيه ويلقي بنظرة تشوبها ابتسامة ذات مغزى على زميله من الوزراء، قبل أن تأخذ الميزانية طريقها إلى الإذاعة!! وقد حدثت هذه الظاهرة مرتين: الأولى في عهد الحكم العسكري الأول، والثانية في عهد الحكم العسكري المُغلّف الثاني الذي نعيشه الآن.

فقبل أن يتحدث وزير الخزانة اليوم من الراديو، سبقه رئيس الوزراء ووزير التجارة ببيانين يحملان فيهما بعض عبء الحياء والخجل عن وزير الخزانة كمقدم لما سيذيعه على الناس... وجاء الوزير اليوم ليقدم في حديثٍ عاديٍّ (شرحاً) للميزانية في خلال الثلاثة أشهر الماضية... وحدَّث الناس عن سوء الوضع المالي وعن التركة والميراث المالي الذي ليس له محتوىً والذي خلَّفه العهد

البائد!! ثم تحدث عن استيعاب الحكومة لكل حقها في الاستدانة من بنك السودان، وأن مرتبات هذا الشهر حتى اليوم العشرين منه لم يكن لها وجود ولا يُعرف كيف يتمُّ الحصول عليها، لولا أن لجأت الحكومة إلى فرض ضريبة الطوارئ، بعد أن تبين للحكومة رغبة الناس في التضحية والتبرع بجزء من دخلهم دعماً للخزانة!! فقامت بفرض هذه الضريبة وهي عبارة عن خصومات مقدارها ٥%، ١٠% ، ١٥% !! تبدأ بالدخل ٢٠ جنيهاً، ٤٠ جنيهاً، فما فوق ذلك!!

وظل وزير الخزانة يسرد على الناس ـ بالراديو ـ أن ٥ مليون قد أُرسلت إلى مشروع الجزيرة لمواجهة نفقات المشروع... وخرجنا من حديث الوزير الذي وعد بمزيد من التفصيلات في مؤتمر صحفي يعقده غداً، بأن مديونية الحكومة التي استنفدت حصيلتها وعدم وجود سائل نقدي بالخزانة يجعل من العسير وضوح الرؤيا لأكثر من هذا الشهر... وواضح كذلك أن موضوع القروض الأجنبية لم يرد له ذكر في بيان الوزير مما يؤكد بأن الدول الشرقية لم تقرض السودان شيئاً حتى الآن وبالتالي فإن الدول الغربية قد حددت الحكومة موقفها منها منذ قيام الثورة!! وبوجه عام فإن خطاب الوزير قد أثار القلق والسخط معاً... وحين يصل الأمر بالناس هذا الحد فهو إيذانٌ بميلاد وضع جديد.

الثلاثاء ـ ١٩٦٩/٨/٢٦م

الحقيقة الكبرى قد انتهت... مات الأزهري.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم...

هذه الصفحة العريضة الطويلة.. الطويلة من تاريخنا.. أمجادنا.. تراثنا.. كفاحنا.. صراعنا.. رجولتنا.. أخلاقنا.. طيبتنا.. سودانيتنا.. قد انطوت كلمح البصر! فرحم الله أزهري الشهيد... وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فقد والله ظللنا نسأل عنه منذ أول يوم لزم فيه سرير المستشفى، ونتنسم أخباره، فما عوّد الناس من قبل أن يلزم السرير ليعودوه،؛ ولكن في هذه المرة ساورنا القلق عنه، وغشى الفؤاد عنه شعور غريب بأن أزهري ربما ذهب للقاء الله، وأن رحمة الله قد تستأثر به وكثير من الناس يرتقبونه.

أسبوع واحد منذ أن خرج ليشيع جثمان شقيقه الذي مات يوم الثلاثاء الماضي فقط، فسقط في ذات اليوم مصاباً (بجلطة) في القلب، ولم يفق منها حتى أختاره الله إليه في هذا اليوم الثلاثاء!! يا سبحان الله يا أزهري.

إن الإنسان دائماً يعيش بالأمل، حتى في لحظة الموت يأمل الإنسان أن تعود له الحياة. وهكذا ظللنا على هذا الأمل حتى ظهر هذا اليوم حيث أعلن راديو أم درمان في الثانية والنصف بأن الأطباء المصريين الثلاثة قد وصلوا في العاشرة والنصف صباحاً وأشرفوا على متابعة علاج الرئيس أزهري وأن الأطباء السودانيين قد أعلنوا أن حالته آخذة في التحسن... ثم جاءت نشرة الخامسة مساء فأعادت الإذاعة نفس الخبر بأن صحته آخذة في التحسُّن!!

وحين كانت الإذاعة تبثُّ على الناس هذا (الكذب) كان أزهري شهيد السجن عليه رحمة الله ورضوانه قد أسلم الروح إلى الله تعالى في تمام الرابعة والنصف إلا دقيقتين!! وفي نحو السادسة والنصف ثار الغبار كثيفاً، وتلبدت السماء بسحب داكنة أمطرت بعدها السماء مطراً وسطاً، صحا بعده الجو وصحت له داخل السجن نفوسنا، وما كنا ندرك أن كل ذلك الانشراح سينقلب إلى مشاعر أخرى تشوبها المفاجأة، ويعصرها الحزن الممضُّ، ويتسرب نحوها صمت ماحق قاتل، حين دخل علينا من أنبأنا الخبر المفجع، فذابت في النفس أصداء الأمل ذوبان السراب، وذهبتْ النفس والفكر معاً في متاهات الأسى والحزن.. وانصرف كل واحد منا إلى نفسه ومشاعره لا يكلم أحدٌ منا أحداً، وكأننا غرباء جمعت بيننا على غير موعد، لحظة مفاجئة في موضع لا نحيد عنه ولا نريم!!

ومكثنا على ذلك والأمل في عدم صحة النبأ يزحم النفوس، ورجعنا إلى الإذاعة عسانا نجد ما ينفي الخبر المفجع... فأصغينا إلى إذاعة الساعة الثامنة التي تذيع أخبار الموتى في جميع أنحاء السودان!! فربما يُذاع من بينها اسم الشهيد أزهري... وظللنا نستمع إلى أسماء الذين توفاهم الله في ذلك اليوم، ونحن نشد على قلوبنا.. ولمَّا لم نسمع اسم الشهيد في أولها ظللنا نَعُدُّ حتى الاسم الخامس والعشرين، فلم يكن من بينها!! فقلنا في أنفسنا لعلَّ الإذاعة لم يتسع زمنها في نشرة الخامسة مساء ولا السابعة ولا الثامنة مساء، فلعلَّه قد يتسع في آخر نشراتها الإخبارية في التاسعة والنصف!! وكان الأمل حتى تلك اللحظة قد راودنا بأن الخبر غير صحيح... وبدأت نشرة التاسعة والنصف، وأصغينا إلى موجز النشرة، أو رؤوس موضوعاتها الهامة فلم يكن فيها شيء عن الشهيد أزهري!! وعند نهاية الأنباء الداخلية... بل وفي ذيل هذه الأنباء، فوجئنا بالمذيع يقول في لهجة سريعة للغاية ما يأتي بالحرف الواحد: (توفي اليوم السيد إسماعيل الأزهري رئيس مجلس السيادة المنحل!! وكان المرض قد اشتدَّ عليه، فاستدعت الحكومة ثلاثة من الأطباء العرب؛ إلا أنه أسلم الروح عصر اليوم!! هذا وقد ولد

المرحوم في١٩٠٠م بأم درمان، وتخرج في ١٩٣٠م في الجامعة الأمريكية ببيروت!! وسيشيع جثمانه غداً الأربعاء!! رحمه الله رحمة واسعة وألهم آله وذويه الصبر الجميل)!!

أرأيتم كيف نعت الإذاعة رسمياً فقيد السودان وشهيد السجن المرحوم إسماعيل الأزهري؟!! حتى في الموت لا يذوب الحقد أو تموت الضغائن؟! هل أسفوا وغضبوا لأنه مات قبل أن تشفى صدورهم من انتقامٍ أرادوه به، فأسقط في يدهم بموت الفجآة؟!! أم ماذا كانوا إليه يقصدون؟ وصيغة النعي هذه المبتورة المعدومة، هل هي من صنع الإذاعة وحدها؟ كلا، إنها من يد الحكومة وبأسلوبها.. فماذا جاء فيها؟! إنها فقط مجرد إعلان بوفاة شخص يُسمى إسماعيل الأزهري!! وإلا فما معنى عصر اليوم؟ أَبِلا توقيت وبلا ساعة أو دقيقة!! ألم يكن معه طبيب؟ بل أطباء مصريون كما تزعم الحكومة؟! ألسيت لديهم نشرة رسمية بلحظة الوفاة؟!! فلماذا إذن (توفي عصر اليوم)؟ لماذا؟!!

وقالت الإذاعة الرسمية وهي تنعي الرئيس إسماعيل الأزهري للعالم كله، لا لأحقاد الحكومة ولا هي تنعيه للشيوعيين وحدهم فهم لذلك جدُّ مسرورين ومغتبطين، ولكنها تخاطب العالم كله وتقول بأنه وُلِد في ١٩٠٠م، وتخرَّج في ١٩٣٠م!! ولا شيء بعد ذلك من حياة أزهري!!لا شيء بعد ١٩٣٠م؟!! أصحيح لا شيء بعد ذلك في نظر حكومة الثورة وإذاعتها؟!!

أليس في تاريخ إسماعيل الأزهري خلال تسعة وثلاثين عاماً هي عمر النميري، وهاشم العطا، وأبو القاسم، وكثير من الوزراء الشبان وأعضاء مجلس الثورة؟ أحقاً هم لا يعرفون شيئاً عن تاريخ هذا الرجل الكبير؟! ألمْ يسمعوا عنه شيئاً في صباهم وهم في المدرسة الأولية في سن العاشرة، وله وقت ذاك عشر سنوات في الكفاح؟!! ألم يستوعبوا شيئاً من كفاحه ونضاله وهم في المدرسة الوسطى؟! وفي عهد الإنجليز؟! ألم يذكر رئيس الوزراء شيئاً من هذا وهو كبيرهم الذي علمهم السحر؟! ألم يسمع واحد من الوزراء أو أعضاء مجلس قيادة الثورة عن شيء يُقال له الاستقلال؟! من أعلنه؟! من جعل للبلاد عَلَمَاً؟ منْ سودن الجيش والإدارة والوزارة؟!! من كان أول رئيس للوزراء؟! من كان وزيراً للدفاع والداخلية؟! من كان أول عضو في مجلس السيادة؟! ثم منْ كان أول رئيس لمجلس السيادة حتى قام إنقلاب عوض الله وحوارييه؟!! ألا يكفي واحد من كل ما ذكرت لأن تشير إليه الحكومة كجزء من نضال هذا الرجل وكفاحه ودخوله السجن والمعتقل منذ عهد الاستعمار والإنجليز والاستعمار العسكري بعهديه وشكليه؟!! مالكم كيف تحكمون؟!! أيها الحاقدون!!

ثم تقول الإذاعة عنه وهي تخاطب العالم وتخاطب السودانيين حقاً المعترفين بجهاد من جاهدوا في سبيل بلادهم يوم كان بعض من يحكمون اليوم يلعقون تراب أحذية الاستعمار في بلادنا.. تقول الإذاعة (وسيشيع جثمانه غداً الأربعاء)!! إلى أين؟!! إلى أيّة مقابر في العاصمة؟! حمد النيل؟، البكري؟، أحمد شرفي؟، فاروق؟ مقابر بحري؟ خارج لعاصمة؟!! إلى أيّة مقابر يا إذاعة الحكومة؟! ومتى سيشيع؟! في أي زمان؟! في الصباح أم في الظهر أم في المساء؟! وفي أي ساعة من زمان؟!!

إن أيُّ مخلوقٍ تذكر نعيه الإذاعة لابدَّ من أن تقول جملتها المعهودة (.... وسيشيع جثمانه إلى مقابر..... في الساعة.... صباحاً أو مساء)!! فلماذا هنا تغفل الإذاعة هذا التحديد الزمني والمكاني؟!! أحقاً هي لا تعرف والحكومة لا تعرف؟! وأليس بإمكانهما إن شاء أن يعرفا؟!! إذن لابدّ أن في الأمر شيئاً مقصوداً في هذه التعمية وهذا الإبهام... فلماذا إذن كل هذا الدوران حول حقيقة الشهيد أزهري؟!!

لا ريب في أن هذا الإبهام مقصود... فالحكومة تخشى إن هي حددت موعد التشييع ومكان الدفن، فإنها تساعد على تجمع مزيد من آلاف البشر من السودانيين كغيرهم الذين سيأتون طائعين حزانى باكين على استشهاد الرئيس أزهري بموته بمرض نما في جسمه وترعرع بسبب السجن، وهو في عمر السبعين!!

الحكومة تخشى أن تعين الناس على الحقيقة حتى لا يتضاعف عددهم وحتى لا يحدث ما ينقلب وبالاً عليها، ويصبح سبباً في الإطاحة بها وبعهدها الشئوم الأسود!! لكن هيهات فقد تسامع الناس الخبر في أنحاء السودان بل وفي العالم كله قبل أن تتحرك الإذاعة أو الحكومة لترسل للناس خبراً مبهماً مبتوراً أشبه بحال الحكومة نفسها.!!

ولكن الله الذي يؤتي الملك من يشاء هو الله الذي ينزع الملك ممن يشاء... ولتكن الحكومة على علم بأنها لن تدوم... ولن تدوم.. ولن تبقى على أنفاسنا أكثر مما بقيت!!

ثم تختم الإذاعة بيانها الرديء الحاقد بالدعاء الذي درجت عليه عند وفاة أي عامل مجهول يموت في أقصى وادٍ من أطراف البلاد، فقالت:(... وألهم آله وذويه الصبر الجميل)!! إن أزهري لو تفقه الإذاعة وحكومتها ليس فقده فقد أهله وذويه وحدهم... وليس ملكاً لهم، ففقده ـ عند المنصفين ـ فقد السودان الحر المستقل، فقد السودان بكل المخلصين فيه:

فما كان قيسٌ فقده فقد واحدٍ *** ولكنه بنيانُ قومٍ تهدَّما

هكذا نفهم هذه الحقيقة في وفاة الشهيد أزهري، ندركها بكل أبعادها وشمولها، ولن يمنعنا شيء من اختلاف الرأي أو نقد في أسلوب في العمل، فكل ذلك كان قصدنا منه الاصلاح إن استطعنا، وإنما يدفعنا كل ذلك في مجال التقييم الا ندخر وسعاً في تبيان الحقيقة وإبرازها في حق هذا الرجل الذي منح البلاد حياته ومماته.

إن الإذاعة والحكومة معاً بتصرفهما هذا وضعا نفسهما بين شِقّي الرحى وزادا على النّار الملتهبة وقوداً يزيدها ضراما... وحسبي أن أذكر بأن الإذاعة قبل أن ترسل على الناس بيانها المبتور الحاقد كانت ترسل قبل خمس دقائق فقط قصيدة (جمال العربي)!! هنيئاً لرئيس الوزراء وللإذاعة... وسلام على الخلق السوداني وسلام على الكرامة والعزّة والرجولة...

ذاك ما كان عن الشهيد حتى وفاته رحمه الله مساء هذا اليوم... وفي السجن وقد ضمتنا جميعاً أسواره العالية خلال الأشهر الثلاثة، فلابدَّ من صورة لا يراها إلا الذين يعيشونها... فمنذ اعتقال الشهيد لحظة الإنقلاب ظل بمنزله في حراسة مشددة أربعة أيام نقل بعدها إلى كوبر ومعه السيد خضر حمد عضو مجلس السيادة، ووضع الاثنان في ساحة بها غرف منفردة وبعضها متجاورة، وبين هذا (الحوش) والذي يليه جنوباً سورٌ عالٍ، حيث توجد المشنقة، وبها زنزانة للمحكوم عليهم بالإعدام.. وفي غرفة منفصلة يفصل السور بينها وبين المشنقة التي تحازي هذه الغرفة، كان يعيش أزهري رحمه الله، كان في معظم وقته داخل هذه الغرفة وكثيراً ما كان يغلق بابه عليه بعد الظهر، وفي لحظات قليلة كان يجلس مع السيد خضر حمد في الحوش ، فقد شهدتهما مرةً يصليان المغرب معاً، وتارةً رأيت معهما السيد أحمد المهدي، وفي مراتٍ عديدةٍ أخرى كنت أحييه من بعيد وهو داخل حجرته في مواجهة هذا الباب الغربي، فيرد التحية في بشر وابتسام محركاً يده عدة مرات، وكأنه يقول (شدو حيلكم ما في عوجة).

وكم ساءلت نفسي مرات عديدة عن موقع غرفته هذا لماذا يجاور المشنقة؟ يسمع صوتها قوياً داوياً كلما أنهت حياة إنسان، رغم أننا على مبعدة منها فكيف بمن يجاورها ولا يفصل بينها وبينه غير سور؟؟ أهي شيء مقصود به الحرب النفسية لرجل في مثل سنه ومكانته؟؟ أم مجرد الصدفة أوجدت لرجل هو في قمة المسؤولية؟! إنني لا أتهم أحداً من إدارة السجن، فالإنسانية التي لمسناها فيهم تنأى بهم عن التفكير في هذا، لكن كبار المسئولين في وضعٍ كالذي قاد الشهيد إلى السجن، هم الذين تشير إليهم أصابع الاتهام.

وظل الشهيد أزهري على ذلك لا يغادر غرفته الصغيرة منذ دخلها إلا لأداء الصلوات، أو لجلسة خاطفة في الحوش، ولم يسمح بأن يزوره أحد من الملايين التي تعرفه وتعرف فضله عليها وعلى البلاد قاطبة مخافة أن يكلفهم مالا يطيقون، وسمح فقط لابنه الذي يحبه كثيراً ولشقيقه أن يزوراه، وكان يقرأ القرآن كثيراً ويطلع على الكتب الإسلامية وغيرها، وكان كتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) للكاتب الإسلامي أبي الحسن الندوي، هو آخر كتاب يقرأه رحمه الله.

وتلك صفحة من التاريخ انطوت، وفي غدٍ يوم تتحرر الأقلام والعقول والأفكار والصحافة من أسارها، يومذاك يمكن أن تنشر صحائف هذا الإنسان الكبير، صحائف تشرف كل مواطن مخلص أمين مع نفسه.. صحائف كم يتمنى كل الشرفاء أن لو استطاعوا أن يكتبوا سطورها، وأن يكونوا أهم بعض سطورها، وها هو الشهيد أزهري يمضي للقاء الله من أشرف طريق للموت ومن خلف الحجب يمد يداً بيضاء تحمل كتابها بيمينها وتقول للناس﴿ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴾

الأربعاء ١٩٦٩/٨/٢٧

أصبح علينا الصباح نكداً شاحباً لا نلوي على شيء غير الإتجاه إلى الله بالترحُّم على الرجل الذي غادر الحياة في صمت مثلما غادر السجن في سكون، ليشهد مأتم أخيه الشقيق المرحوم علي الازهري ليعود للسجن مرةً أخرى بعد يومٍ واحد حسب قانون السجن، ليقضي فيه بقية أيامه، حتى يتم تقديمه للمحاكمة بعد أن تكون اللجنة التي شُكِّلت للتحقيق معه قد انتهت من استجوابه... هكذا كانوا يظنون أن الأمور تمضي وفق ما يريدون وما يخططون.

وعند الصباح دخل علينا كومندان من السجن السيد بشير حسن، في المرور اليومي، ولكنه هذه المرة منقبضاً يشوب وجهه حزن واضح، حاول أن يخفيه بابتسامة يعصرها من نفسه عصراً، وبعد تحية عبارة سريعة منه، قال سيادته (طبعاً سمعتم بالوفاة) ؟؟ فردت عليه وجوهنا قبل ألسنتنا، بل لعلَّه عرفها قبل أن يسأل، فإن عبير الحزن الذي كان يندفق من الحجرة التي جمعتنا سوياً في تلك اللحظة، ثم بادرناه بالسؤال عن إمكانية السماح لنا بإرسال برقيات تعزية في وفاة الشهيد أزهري. فردَّ بإمكان ذلك، وأخذنا نفكر في طريقة إرسالها، فكتب الأخ حمدي و الترابي ,أحمد زين برقية مشتركة، وربيع أخرى، والشفيع ثالثة ويس عمر رابعة، وأحمد البيلي خامسة ، وكتبتُ برقية هي آية من كتاب الله ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴾ وقد علمنا أن هذه البرقيات تخضع كلها للرقابة من

إدارة السجون، فقلت للضابط الذي حضر لاستلام هذه البرقيات إنها آية من القرآن لا تخضع للرقابة، أم لعل القرآن في هذا العهد يخضع للحذف والزيادة، فضحك الضابط دون أن يرد شيئاً، وحرصاً مني على وصول البرقية حذفتُ صورة أخرى:

ما حَطَّمُوكَ وإنَّما بِكَ حُطِّمُوا*** منْ ذا يُحَطِّم رفرف الجوْزاءِ.

ودون الظهر بقليل جاءني نبأ ممن أثق في كلمته من الذين لازموا الشهيد خلال فترة وضعه بالمستشفى، بأن دعوى الحكومة التي أكَّدت فيها حضور الأطباء المصريين صباح أمس، إنما هي دعوى كاذبة من أولها إلى آخرها، إذ لم يحضر من مصر طبيب واحد، وأنَّ الذين أشرفوا على علاج الشهيد كلهم أطباء سودانيون، ورغم أن الإذاعة الديموقراطية الثورية قد أكدت النبأ، وقالت بأن الأطباء المصريين قد وصلوا بالفعل في العاشرة والنصف من صباح (أمس)، فإن الخبر مكذوب وأن الاطباء السودانيين على استعداد لأن ينفوا هذا الخبر جملةً وتفصيلاً.. وأن الحكومة قد أرادت بذلك أن تعفي نفسها من تبعة الإهمال في علاج المرحوم الشهيد أزهري، فلجأت إلى هذا الطريق الذي لا يطرقه إلا أعمى البصر والبصيرة، وأكد المصدر الموثوق به أن الناس في الخارج يتحدثون عن هذه الكذبة الجريئة التي لا تصدر إلا ممن لا يخشى الله ولا يثق في إدراك الناس والمواطنين، إن طبيباً واحداً لم يحضر : والسؤال الذي يقفز الآن ــ وقبل الآن ــ هو لماذا لم ترسل الحكومة الشهيد أزهري إلى لندن لحظة إصابته بمرض القلب؟ ولماذا تباطأت في استدعاء الأطباء ــ إن صح أنها قد استدعتهم ـ إلا حين بلغ المرض ذروته ونهايته، لماذا؟؟

إن الحكومة بدأت تُحسُّ بعقدة الإثم في آخر لحظة، ولكن بعد فوات الأوان ولن يعفيها اختلاق الكذب من المسؤولية بكل إلتزاماتها الأدبية والمادية، فهي بلا شك وبكل الأدلة، أنها قاتلة وعليها دم الشهيد.

إن مصر من حقها أن تمنع أطباءها عن الحضور.. ربما أنَّ مصر قد علمت أن الاستدعاء جاء بعد أوانه وبعد أن أصبح العلاج غير ذي موضوع، كذلك فإن مصر لا تريد أن يقال أزهري قد مات على أيدي أطباء مصريين، فإن ذلك قد يكلفها ثمناً سياسياً باهظاً وهي في غنىً عن أن تدفع هذا الثمن، خاصةً وأن الأطباء قبل أن يقرروا الحضور أو الاقتناع ، كان لابدَّ أن يكون لهم إلمامٌ كامل وتقريرٌ وافٍ من أطباء السودان عن درجة المرض ومرحلته، وقد يكون التقرير أقنعهم بأن حضورهم لا جدوى منه لأنهم قد استدعوا بعد أن وصل الأمر مرحلةً لا يجدي معها العلاج، لذلك لم يحضروا ليتحملوا نتيجة بعيدة الأثر ليس لهم فيها يد!!

ومن جهةٍ أخرى فإن الحكومة أرادت أن تخلي نفسها من المسئولية بقول إنها استدعتهم، ولكنها رأت أن تصل بالكذب حتى نهايته، فقالت أن الاطباء قد حضروا بالفعل وأشرفوا على العلاج، ولكنَّ هذه المسائل مستعصية على الناس أن يعرفوها ويدركوا ما وراءها، ولكن على المسؤولين في الحكومة أن يدركوا مثل هذه البديهيات.

وظللنا في حجرتنا تلك ننتظر إذاعة أخبار الثانية والنصف، فعسى أن تكفر الحكومة عن خطئها وجريرتها بالأمس، فيإذاعة النبأ المبتور.. عساها تذكر اليوم خبراً يقول (جاءنا من أسرة فقيد البلاد أنه قد تقرر أن يكون التشييع اليوم في الساعة الرابعة والنصف إلى مقابر البكري) حتى يفهم الناس من ذلك أنها قد أوردت خبرها بالأمس على تلك الصورة لأنها لم تكن قد تحققت بعد من موعد ومكان الدفن!! ولكن من يُرِدْ الله ﴿ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ صدق الله العظيم . فلم تذكر الإذاعة شيئاً جديداً من ذلك، ولكنَّ الجديد حقاً والذي لم يحدث مثله في تاريخ كل الحكومات هو هذا الفزع المخجل، والاضطراب المفضوح الذي بدا واضحاً في بيان موجز قصير، أذاعه المذيع في ختام نشرة الثانية والنصف ودون أن يذكر مصدره والوزير الذي أمر بإذاعته !! قال المذيع بالحرف الواحد (تردد أن بعض الجهات التي عُرِفتْ بدأبها على التخريب سوف تستغل موكب تشييع المغفور له إسماعيل الأزهري عليه رحمة الله استغلالاً غير كريم لا يتناسب مع طبيعتنا السمحة في مثل هذه المواقف.. وعليه فإن الحكومة تحذر بأن قوات الأمن ستأخذ كل من تُسوِّل له نفسه بذلك بالشدَّة والصرامة) وقرأه المذيع (ضو البيت) مرتين!!

الهدف من وراء هذا البيان المخجل المرتعش واضح، فهو يزيد عاراً جديداً على الحكومة، في محاولتها المكشوفة لإرهاب المواطنين وإثنائهم عن المشاركة في واجب التشييع!! عجباً والله هذا الذي يحدث أمامي !!ولكن فيم العجب!! أليست الحكومة على رأسها بابكر عوض الله؟!! ومن ورائه شرذمة حاقدة جبانة، هي مزيج من بقايا أوشاب هذا الوطن، هم الشيوعيون ؟؟

ما الغريب في أن يحدث هذا من الحكومة، أليست هي صاحبة بيان النص المرتعد، الذي خشيت فيه الحكومة من أن تذكر للناس أن إسماعيل الأزهري قد مات تحت يدها وبسببها والغضب الدفين الذي نمى في جنبه ـ رحمه الله ـ بسبب سوء المعاملة على يد صبية لا يحسنون سياسة أنفسهم ولا صيانتها ناهيك عن سياسة أمة بأسرها وبتاريخها وبأمجادها التي لم يسهم واحد منهم فيها ولو ظلوا يلهثون بقية حياتهم؟!

إن جلال الموقف أمس إنساني أن أذكر بأن الإذاعة بعد بيانها المبتور واصلت بقية أخبارها الخارجية وعند نهايتها قال المذيع بالحرف الواحد كذلك، وقد فصل بين نعي الفقيد وما سيقوله المذيع الهمام مجموعة من الأخبار. قال لا فُضَّ فوه:

(والآن يتلو عليكم الشيخ عبدالباسط عبد الصمد سورة الفاتحة)!! ولم يجرؤ المذيع أن يذكر المناسبة التي تُلِيَتْ فيها هذه الآيات السبع التي كانت هي كل ما تفضَّلت به الإذاعة بعد وفاة الشهيد إسماعيل الأزهري!! فهل نعجب بعد ذلك إذا هدَّدت الحكومة (القوية المتماسكة الثابتة الأقدام!!) إذا هدَّدت المواطنين باستعمال القوة ضدهم أثناء موكب الجنازة؟!

إن الذي حدث من الحكومة يدعو للخجل، فهو تصرف صبياني يدعو لتحقير هذا النظام، ويدعو الناس كله للعمل على إنهائه والخلاص منه، فهي حكومة تحمل بذور فنائها في أحشائها.

ثم جاء المساء ولجأنا إلى إذاعة السابعة مساء، أي بعد دفن الفقيد بساعة واحدة أو تزيد قليلاً، عسى أن نجد فيها شيئاً يضع الحقائق أمامنا، ونحن الذين حُرِمنا من مشهد هذا اليوم ومن المشاركة العملية فيه، لنجد أنفسنا أحرص الناس على معرفة الحقائق.. وليس أمامنا غير هذه الآلة الحكومية التي ستكون ـ بسبب ما ترسله على الناس ـ سبباً في إنهاء هذا الوضع.

ثم نطق الراديو وليته ما نطق.. قال سيذيع بياناً من الناطق الرسمي لمجلس الثورة... واستبشرنا خيراً. وقلنا ذلك وما كنا نبغي... وأقسم أني حتى الآن ما زلت واهماً فيما سمعت، أحقيقةٌ هو أم خيال، أذو عقلٍ من أذاع أم هو مخبول، ولكن الذي حدث أن الناطق الرسمي قال:ـ

الآن وقد نفض الناس أيديهم بعد دفن المرحوم إسماعيل الأزهري فنحن لا نملك إلا أن نطلب له الرحمة بقدر ما أحسن وما أساء حين توليه السلطة، وقد كنا أعددنا له محاكمة عادلة، وعاملناه في السجن أحسن معاملة، ولما توفي شقيقه لم نبخل عليه في هذه المناسبة بالذهاب لتشييعه والمشاركة مع الأهل والمعارف في تقبل العزاء، كما تقتضي عاداتنا السودانية، ولما فاجأه المرض وضع في المستشفى في أرقى الدرجات، وحين أشتد به المرض استدعينا من الجمهورية العربية الشقيقة كبار اخصائيي أمراض القلب فأشرفوا على علاجه، وحين أختاره الله إليه قطعت الإذاعة أخبارها لتذيع النبأ عدة مرات وكانت تتلوا عليه القرآن الكريم...

هذا وأن الحكومة تعلن أنها تنازلت عن كل القضايا الشخصية التي كانت مرفوعة عليه، إلا أن القضايا العامة المتعلقة بأموال الشعب، فليس من حقها التنازل عنها، وأنها ستنظر في القضايا الشخصية بقدر ما هو متعلق منها بالقضايا العامة، رحمه الله رحمة

واسعة)، هذا ملخص وافٍ لكل ما أراد المتحدث باسم ضباط مجلس التورة أن يقوله... والذي أُبادر إلى قوله أن الخُلق السوداني الرفيع يأبى أن يقال مثل هذا الحديث عن رجل لم يمض على مواراته الثرى غير ساعة.. ثم ما هو القصد من وراءه، وقد مُلئ بالامتنان وبالتفضل ، وبأنهم ما قصَّروا في حقه شيئاً!! إن عقدة الذنب كثيراً ما تحرك هؤلاء الناس، ولولا أنهم يُحسُّون في أعماقهم بأنهم قد جنوا عليه وقد قصَّروا في علاجه وقصَّروا في إذاعة نعيه، ولم يتلوا عليه من القرآن غير سورة الفاتحة فقط، وأنهم لم يقطعوا حرفاً واحداً من إذاعتهم، و أن طبيباً واحداً من مصر لم يجيء كما يدَّعون، لما سارعوا بإذاعة هذا البيان، الذي أثار امتعاض كل من سمعه، بل أني كنت أحسُّ من نبرات البيان حين إلقائه، أنهم قد أسفوا لأنه أفلت من أيديهم وقد أعدوا له محاكمة عادلة!!

إن الشعب السوم يواجه نوعاً غريباً من المتسلقين للحكم ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾ ، والله القوي القدير لن يدع امثال هؤلاء الضالين المضلين يحكمون شعباً طيباً كشعبنا.. وأمثال هؤلاء هم أصدق تجربةٍ وبرهانٍ على أن ألوان الحكم التي تعاقبت على شعبنا لم تعد تغني شيئاً في واقع الناس وأن طريق الإسلام الذي كان فقيدنا رحمة الله عليه ورضوانه يتحرَّق شوقاً إلى تطبيقه وإلى جعله شرعةً ومنهاجاً لهذه الامة المسلمة هو وحده الطريق الواجب للحكم وللخلاص ممن يحاربون الله ورسوله مصداقاً لقول الله ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ وهذا وحده هو الجزء الأوفى الذي نقدمه لروح شهيدنا العزيز عليه رحمة الله.

• في غمرة أحداث اليوم، وبين جبال الحزن، تحط على رؤوسنا جميعاً، وفي السابعة مساء جاء من ينعي إلى الأخ عبدالرحيم حمدي، والده الدكتور محمود حمدي... فزاد الأسى والحزن، وكانت لحظة قاسية علينا جميعاً لم نكن نملك فيها غير الالتجاء إلى الله بالرحمة والمغفرة للفقيد... وكم زاد في ضيقنا أن الأخ حمدي مُنح ساعة واحدة زادتها إدارة السجن ساعة أخرى ليذهب خلالهما لمنزله ويعود تارة أخرى للسجن!! وعلمنا بعد عودته بأن وزارة الداخلية لم يكن بها أحد من المسئولين لاستئذانه في مدة أطول من ذلك.. وأنهم في الداخلية كانوا طوال اليوم والأمس يعدون العدة لمواجهة إجراءات الأمن قبل وبعد موكب دفن فقيد البلاد الشهيد أزهري. هذا وقد وعدت إدارة السجن بالاتصال غداً بوزارة الداخلية لمنحه المدة المناسبة!!

الخميس ١٩٦٩/٨/٢٨م

... ورقد أزهري أمس إلى الأبد في قبر بسيط في مقبرة البكري بأم درمان... وارتاح إلى الأبد جسده المنهك الذي لم يزد على أربعة وتسعين كيلو، أو مائتين وعشرة أرطال قرأتها صدفة في الورقة المُعَدَّة لتسجيل أوزان المعتقلين.. وكان ذلك صباح الثلاثاء قبل خروجه لتشييع جثمان شقيقه رحمهما الله... نعم رقد أزهري جسماً، وبقى أزهري ذكرى خالدة، وتاريخاً لن يُمحى، وعملاقاً تحوم من حوله الأقزام والمتطاولون!

كان موكبه رهيباً مهيباً حقاً وصدقاً... جلَّ عن التقدير والوصف؛ كان موكب أمة، ودموع شعب، وأحزان ملايين. ذابت فيه المشاعر، وتلاشت فيه فوارق الجنس واللون والوظيفة، فوارق الزمان والمكان والإنسان... واقبل المساء، وكل شمس منهما تنحدر نحو مغيب، تلك تنحدر نحو أفق بعيد صامت حزين وخلَّفت وراءها مساءً كئيباً سرى على الناس سكوناً وأسىً ولوعة... وهذه تحركت في هدوء نحو مغرب أخير، نحو حفرة على مشارف أم درمان، لها في كل قلبٍ مثيل وشبيه، وخلَّفت وراءها مساءها الرهيب، مساءها المكلوم، مساءها في كل شبرٍ من بلادي الحبيبة... وانهالت دموع، وتفطَّرت قلوب، وذابت مع المساء كل خفقةٍ في كل قلب.. وعندها توقفت مسامع البشر، مساع المشاعر المذابة، لتلتقي في خفقة من زمان في كلمة من الرثاء يلقيها فتىً يمثل المشاعر النبيلة والمدامع الدفَّاقة الهتونة... وقف زين العابدين الهندي يحدث الإنسان عن إنسانه الذي توارى في الحدث، وظلَّ شامخاً في قلب كل مخلصٍ يُقدِّر الإنسان... وهاجم الأوضاع والسياسة والمتسلقين في أسوار الحكم في بلادي، وهاجم الالحاد والعمالة في شخص كل مغرورٍ يُسمِّي نفسه شيوعياً دعيَّاً، في خارج الوزارة أو داخل الوزارة، وأن أزهري لم يمت ولن يموت ما عاش في أرض بلادي إنسان يُقدِّر الإنسان والفداء ويعرف الإخلاص، ويعرف الإله!!

• وسارت بعد ذلك الجموع في مظاهرات هاتفة صاخبة ضد الأوضاع السياسية المتعفنة، وكان موكب الإخوان فيها مرموق المكانة منظم الهتاف والأهداف، وانطلقت من كل حنجرة هتافات تعبر عن حقائق الإنسان الضائع المكلوم .

• وتحدث الدكتور حسن سيد أحمد، معبراً عن صرخة الإنسان حين يعجزه البكاء وحين لا تسعفه الدموع .

• هذا وقد تم اعتقال عدد كبير من المواطنين وأودِعوا في سجن كوبر موئل الأحرار.

ومنذ طار الخبر في المدينة، وكل السودان قد صار أشبه بالمدينة، تجمع الآلاف، وظلت دار الفقيد تردد فيها الهتافات تعبر عن ملايين الأحاسيس والمشاعر، حتى إذا انتظم موكب الراحل الأمين، تكدَّست هذه الآلاف من البشر ومن الهتافات فصنعت موكباً خالداً أعاد بعض الرشد في أذهان المسئولين في كرسي الحكم.

• وفي منزل الفقيد ردَّدت السيدة سعاد الفاتح هتافات داوية، مثلما رددتها يوم حضر الفقيد لتشييع جثمان شقيقه وهتفت (عاش أبو الوطنية) فانفجر النزاع وقتذاك بين عدد من الوطنيين وبعض الحاقدين.. وردَّدت هتافات اليوم وقد مات الشهيد، فتمَّ اعتقالها وأُودِعت في سجن أم درمان، وبهذا تكون الثورة قد سجَّلت على نفسها عاراً ما سبقها عليه من أحد.. وبذلك تكون السيدة سعاد أول امرأة في تاريخنا المعاصر تقبض عليها قوات الأمن فهنيئاً لها، وعار على نظام الحكم الذي سيبقى مُنَكَّس الرأس مهزوم الكيان ما بقيت في الأرض عدالة أو فضيلة أو رجولة.

• مئات المواطنين أقاموا مآتمهم على فقيدنا العزيز في منازلهم ، وتلك صورة لم يُسْبَقوا إليها في الوفاء والإعزاز والإكرام للشهيد أزهري رحمه الله .

• الصحف كافة وقفت موقفاً كريماً من الفقيد العزيز، فقد كانت وفاته أكبر من أن يكون للحكومة سلطان عليها، مثلما كان للحكومة سلطان على الإذاعة العرجاء!! فكتبت عن الفقيد ما استطاعت أن تكتب.. وهل تستطيع صحيفة أو يستطيع صحفي واحد أن يعجز عن أن يكتب عن أزهري؟ هل يستطيع؟ إن الحقيقة أكبر من الباطل.. إن أزهري الذي ظنوه قد مات هو عنوان هذا البلد، فإن ظن بعض الناس أن يحجبوا شمسه الساطعة فهم واهمون، وسيظل شهيدنا الفقيد ركناً عاتياً في تاريخنا السياسي منذ قامت في البلاد سياسة ثم آلت مقاليد الحكم للحاقدين والموتورين والناقصين، حتى مات الفقيد في يدهم وفي عهدهم البغيض الحالك، ويوم يسجل التاريخ سيرة الحكام في بلادنا سيعرف هؤلاء العظام أين مكانهم وأين مقامهم في نفوس الشعب.

الجمعة ١٩٦٩/٨/٢٩م

• توالت الأنباء عن مهد الوداع الأخير للشهيد المظلوم أزهري فقد ظللنا نتلمس أخبارنا من مصادر شتّى، وهل مثل موكب الشهيد تأتي عنه الأنباء والوصف إلا على فترات؟ ألا يجلُّ موكبه عن الوصف؟ ألم تأخذ الفجيعة بنواصي القلوب والعقول والمشاعر؟ كيف إذاً لا نتلقى كل يوم نبأً كلما صحا قلب أو تنبَّه خاطر!

لقد تحدث السيد محمد عثمان الميرغني حديثاً سياسياً خطراً ساعة الدفن، وقال إننا سنسير وفقاً لمنهج أزهري السياسي، وسنتبع طريقه في حرية وبناء السودان المستقل، واننا سنحارب الشيوعية بكل قوتنا، سنحاربها في المصنع، والشارع، والمسجد، حتى نطهر هذه البلاد منهم.

هذا وقد غمرت المنشورات السياسية ساحة الدفن ، باسم الاتحادي الديموقراطي، وكانت شديدة اللهجة ، حازمة الاتجاه، وحين انصرف الموكب راجعاً، كان بالغ الخشوع والسكون.. وترددت قبل ذلك هتافات الإخوان (عصابة مايو لن تحكمنا)، (لن تحكمنا الطغمة العسكرية)، وهتافات أخرى قوية، (مصير نميري مصير عبود) والذين انصفوا في التقدير قالوا أنه كان مثل موكب تشيع السيد علي الميرغني.

وفي ذات اليوم أمرت الحكومة بتعطيل جميع التلفونات حتى لا يتمكن الناس من الاتصال ببعضهم لمعرفة الحقيقة، وقطعت كذلك البرقيات، وأوقف أو عُطِّل عن ميعاده القطار القادم من الأبيض وهي مدينة أهل الشهيد، كل ذلك حتى لا يتم جلال الموكب باكتمال الآلاف التي سارت فيه رغم كل العوائق والعقبات.

وقد قادت الأخت سعاد الفاتح مظاهرة خلال التشييع انتهت باعتقالها!!.

هذا وقد أخذت الإذاعة في شنٍّ هجومٍ شديد على الإخوان المسلمين بعد التشييع وحتى اليوم.

السبت ١٩٦٩/٨/٣٠

سأورد هنا أخباراً صغيرة ذات دلالات وظلال، حتى أتمكَّن في نهايتها من إيراد الأنباء المتعلقة بالشهيد الكريم المفترى عليه المظلوم.

جاء في أنباء موثوق بها، أن الإجراءات المالية الاخيرة والتي كان بمقتضاها إجراء خصم مئوي من مرتبات الموظفين والعمال، أحدثت رد فعل عميق لدى هذه الفئات العاملة.

ومن ذلك أن عمال السكة حديد، وهم أكبر تشكيل عامل في البلاد، قد رفضوا تسلُّم مرتباتهم لهذا الشهر مالم تُصْرَف لهم كاملة، وهذا بلا شك خبر بعيد الدلالة عميق المحتوى سيتبعه بلا ريب كثير من العمال بل حتى الموظفين في قطاعات شتَّى أو لعلَّ هذه إحدى نتاج خداع الشيوعيين للحكومة القائمة فقد اوهموها أن الشعب بكل قطاعاته مع الثورة وأنه يرحب بكل إجراء يتطلب تضحية من الشعب، وهذا هو رد الفعل الأول الذي أحدث رد فعل مباشر في الدوائر الحكومية والعسكرية.

هذا وقد علمت بأن هذه الخصومات المالية لم تقف عند حد العاملين في القطاع العام، بل تجاوزتها إلى القطاع الخاص، الذي يقوم بقطع هذه النسبة المئوية وتحويلها لحساب الحكومة أو الخزانة العامة، وهكذا نرى أنه حين طبق الكادر على القطاع العام فيما سبق لم التسجيل في القطاع العام، وعند الخصم يتذكر المسئولين هذا القطاع المظلوم! أهكذا تكون العدالة؟

وهناك إجراء غريب قيل إن الحكومة قد لجأت لأمر آخر، هو أن كل شخص يتقاضى معاشاً أو يعمل عملاً إضافياً في الحكومة يحرم من معاشه نهائياً، وهو زعم أن المعاش حق مكتسب، إلا أننا عشنا ورأينا كيف يُحْرَم الناس من أبسط قواعد العدالة في عهد الإنقلاب الأسود.

- من الأنباء التي أخذت تبرزها إذاعة الديموقراطيين والثوريين، نبأ الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي كلفت بالدعوة إليه المملكة العربية السعودية والمغرب!! والذين يبرزون هذه الأنباء هم الذين شنوا حرباً وهجوماً ضارياً قبل أربع سنوات أو يزيد، حين برزت هذه الدعوة من مقديشو عاصمة الصومال، وتبنَّتها السعودية، ومنذ ذلك الوقت ما بقيت على الأرض تهمة أو مواجهة إلا وألصقت بالمؤتمر الإسلامي الذي كان عبد الناصر أول من ألقى عليه اسم (الحلف الإسلامي) وبدأ الهجوم عليه، وتناول هذه المهمة العملاء الشيوعيين ومن سلك طريقهم حتى انتهى أمره وقتذاك، واليوم تعود نفس الأقلام والأفواه التي نطقت بالكذب والافتراء من قبل، لتجمل الحقيقة مرة أخرى لتظهر العطف والتأييد ، وتبرز الأخبار العريضة عن خطوات هذا المؤتمر الإسلامي الذي تقف على رأسه السعودية والمغرب!! تراهم قد آمنوا اليوم بما كفروا به بالأمس وأن مصلحتهم وحدها بل ومصلحة الدول التي تحركهم من الخلف هي التي توجه هؤلاء المنافين وليس ميزان الحق والباطل هو الذي يحكم بينهم فيما فيه يتاجرون! وينافقون، إن الاتحاد الإسلامي الزاحف اليوم سواء كان في نطاق الدول أو نطاق الحركات الإسلامية في كل مكان لن تقف قوة في سبيله، ولن تستطيع دولة أو جهة أن تصد تياره الزاحف، ولئن جعل بعض المنافقين من الشيوعيين والديموقراطيين من حرق المسجد الأقصى سبباً للتستر والموافقة على هذه الفكرة الإسلامية، فإن الحقيقة الكبرى ستظل ماثلة وقائمة إلى الأبد في وحدة المسلمين وخلفه كتلة إسلامية ثالثة شاء ذلك الحاقدين أو الشيوعيين أم لم يشاءوا فإن تلك الوحدة أكبر من كل أحقاد أعداء الله وأعداء الإسلام.

كنت استمع اليوم إلى أحد العملاء المأجورين الذين يكتسبون العيش من خلال ما يقدمونه للإذاعة، ولعل الخجل والحياء جعلاه يتوارى باسمه عن المستمعين فجعل يكتب

عن الإخوان في مصر ويربطهم بإخوان السودان، وهي منشورات طالما أذاعتها، وكالات المخابرات الإنجليزية والأمريكية يوم كان الصراع على أشدِّه في عهد ثورة ناصر في سنواتها الأولى فلجأ العملاء إلى ذلك.

- بعض الصحف نشرت أن الحكومة ستطلق سراح بعض المعتقلين السياسيين خلال ٤٨ ساعه يا سلام !!وبأي حق أو قانون أو عدل قضبتم عليهم؟ أهذه العدالة في ظل الاشتراكية العسكرية الشيوعية العربية!! يا ناس إختشو شوية ،،،المسألة زادت.. إختشو!!

- بعض الوزراء المرضى بالمستشفيات سمح لهم بالعودة إلى منازلهم.

- من الغريب أن الجنود الذين قاموا بالإنقلاب كان عددهم (٢٨٣) جندياً في حين كان بسلاح الخدمة أكثر من سبعمائة جندي !!

- الأمير نقد الله من أقوى الأسباب التي ذكرت كسبب لعودته مره أخرى للسجن بأن الجيش كشف عن محاولته للإنقلاب ، وقد خضع بعض المعتقلين في هذا الحادث لتعذيب شديد، اعترف خلاله أحد المعتقلين بأن الأمير نقد الله كان معهم.

- الأخ شيخ الدين محمد عبد الله الطيار، يدخل المعتقل الآن في كوبر بتهمة المتفجرات الأخيرة، توسَّط في شأنه اتحاد الطيارين، وأكَّدوا بأنه ليس له شأن فيما اتهم به، وكان البوليس المسلح تسوَّر منزله وقبض عليه، وقد رد وزير الداخلية بأنه صحيح أن التهمة قد تكون بعيدة عنه، إلا أنه عندما كان يتحقق معه أكَّد بأنه ينتمي إلى الإخوان المسلمين ولذلك سيظل اعتقاله مستمراً، وقد نُقِل من الزنزانة إلى السجن العام.

- وزير الداخلية قال لوفد طلاب جامعة الخرطوم عند اجتماعه بهم : أن الجامعة والجامع والبار عندي سواء في مسالة الأمن!!

- النبأ الكبير عن الشهيد أزهري هو : أذ تحدثت إذاعة لندن حديثاً طويلاً عن المرحوم إسماعيل الزهري وقالت إنه رجل أفريقيا كلها، ويبدو في عمله ومنصبه الكبير كأنه موظف في حكومة السودان.

- هذا وقد أعلنت المملكة العربية السعودية الحداد عليه فقيد الإسلام والسودان والعالم العربي مدة ثلاثة أيام وكتب إعلام المملكة عنه، وقد اعلنت الصومال الحداد كذلك والكويت أيضاً، وتحدث الملك حسين ملك الأردن وقال أن القضية العربية قد ضعفت كثيراً بفقدنا للسيد إسماعيل الأزهري ، وقد أعلنت الأردن الحداد يومين على المرحوم إسماعيل الأزهري ،

وأعلن في مؤتمر وزراء الخارجية الأفريقيين وقوف الأعضاء مدة ثلاث دقائق حداداً على الراحل الشهيد.

هذا هو الشعور النبيل الكريم الرسمي الذي قامت به الدول العربية نحو الفقيد الشهيد، إيماناً منها ومن زعمائها الكرام بقيمة هذا الرجل الكبير، الذي لم يقف فقده وخسارته على السودان وحده، بل مضى حتى شمل كل العالم الإسلامي والعربي، أما في السودان فماذا حدث؟؟ وهل الذي يحدث يخفَ حتى على الأجِنّة في الأرحام؟!

إنني أذكر بعض الحقائق الأخرى التي أزيد بها على ما قلته من قبل: أن قد منعت الحكومة الصحافة السودانية حتى من نشر النعي الذي تتقدم به الهيئات والأفراد تعبيراً عن مشاعرها، وشنَّت جريدة الأحرار الحكومية هجوماً شديداً على كل الذين عبَّروا عن شعورهم نحو الراحل الشهيد.. رغم أن الصحافة قامت بدور وطني أمين جرئ مما كتبت عن الراحل الكريم.. وبدأت الإذاعة سلسلة عن نقد وتجريح الحكومات السابقة وجعلت كل همها في تركيز هجوم شديد على حكومات ازهري الأولى والثانية في حل مشكلة الجنوب!!

إن الحكومة الشيوعية القائمة لو لم تكن للأمور التي تحت قدميها، ولولا أنها أرادت لنفسها مصيراً محتوماً مليئاً بالسخط عليها، لكان بإمكانها أن تفعل أشياء غاية في البساطة ربما جعلت كثيرين يقلعون عن نقدها ومؤاخذتها والسخط عليها.. ولكنها ارادت لنفسها هذا المصير، كان بإمكانها أن تعلن النبأ في حينه وأن تجعل جزءاً واسعاً من إذاعتها لتلاوة القرآن، وان تذيع تاريخه بصورةٍ وافيةٍ أمينة، وأن تأمر بتنكيس الأعلام تعبيراً رسمياً، وأن يذيعوا نشرةً رسمية عن صحته، وأن يتحدث بعض المسئولين بأسخاصهم عنه في الإذاعة والتلفزيون.. إنهم إن فعلوا ذلك لوجدوا ترحيباً كبيراً وتأييداً قومياً لمثل هذا الموقف الرجولي إزاء رجل لم تعدله فقط لمواجهة الخصوم.. ولكنهم فعلوا عكس ذلك تماماً وزادوا عليه أنهم منعوا العربات القادمة من الخارج وكل وسائل الاتصال ، بل وزادوا أن أذاعوا بياناً كله كذب وافتراء بما قاموا به من واجب نحو الشهيد، ولكن الناس كانوا يعرفون الحقيقة، حتى السيد محمد أحمد محجوب المريض مُنِع من التشييع وكذلك السيد إبراهيم المفتي وهو مريض ومعتقل، وخال الفقيد مُنِع من التشييع.. ثم بعد كل هذا تنتظر الحكومة من الشعب أن يؤيدها وان يقف وراءها؟!

عند ظهر هذا اليوم وفي حجرة للتحقيق داخل السجن أُنْشِئتْ وأُعِدَّتْ خصيصاً لهذا الغرض حضرت لجنة يرأسها علي محمد إبراهيم المحامي!! وفيها الحسن الحسين، وآخر من

المالية واثنان آخران. واستدعت اللجنة بهذا التكوين الأخ الدكتور حسن الترابي، والسيد أحمد زين العابدين للتحقيق معهما فيما أسمته اللجنة (بالفساد السياسي)، وهو أنهما قد اشتركا في تعديل الدستور لحرمان مجموعة من المواطنين (يعني الشيوعيين حين طردوا من الجمعية التأسيسية الاولى) من ممارسة حقوقها!!وقد جاء ردها على اللجنة كما يأتي بالحرف الواحد:

إن هذا القانون الذي يتم التحقيق بموجبه قانون غير دستوري، ونحن لن نساعد اللجنة على تطبيقه!! وانتهى التحقيق!! والجدير بالذكر أن هذه اللجنة بعينها كان مفروضاً منها أن تجري التحقيق ايضاً مع السيد (المرحوم) إسماعيل الأزهري!!

هذا ما قامت به هذه اللجنة.

ملحوظة: رئيس هذه اللجنة كان قد صدر قرار بحرمانه مدة معينة من شرف ممارسة مهنة المحاماة والذي أصدر هذا القرار هو السيد بابكر عوض الله رئيس القضاء آنذاك ورئيس الوزراء الآن، الذي تتمُّ هذه الإجراءات في عهد حكومته!!

لقد هزلت حتى بدا هزالها كُلاها ، وحتى سامها كل مفلس!!

وقد فاتني أن أذكر بأن هذا التحقيق الذي بدأ اليوم وانتهى في بضع دقائق، جاء بعد أن مضى على اعتقال هذين الزميلين سبعة وتسعون يوماً وهم في السجن !!

الأحد ١٩٦٩/٨/٣١

الذين شاركوا في تشييع الشهيد أزهري قدَّروا عدد المشيعين بين مائتي ألف ومائتين وخمسين ألفاً، وفي الكلمة التي ألقاها السيد محمد عثمان الميرغني جاء قوله : انهم يؤمنون بالاشتراكية العربية، وأنهم ضد اليسار الشيوعي واليمين الرجعي!! أي أنهم ضد الشيوعيين والإخوان المسلمين.

• صحيفة (النهار) تقف قلباً وقالباً مع الإنقلاب السوداني وبوجه خاص مع رئيس الوزراء بابكر عوض الله ، وتأكد لدينا من الاخوة القادمين من أمريكا أن الولايات المتحدة تؤيد نظام الحكم القائم في السودان تأييداً مطلقاً، وأن الصحافة الأمريكية تقف مع الوضع موقفاً مؤيداً صريحاً!!.

• تتحدَّث العاصمة كلها هذه الأيام عن فضائح بعض المسئولين التي ظهرت خلال التحقيقات والتحريات الجارية للكشف عن الفساد في العهد السابق، وورد في تلك الفضائح شأن حصول عدد منهم على تراخيص تجارية، أو امتناع عن دفع الضرائب، ومن الأسماء التي وردت وترددت: بابكر عوض الله ، موسى المبارك، عبدالخالق محجوب ، وأحمد الطيب.

• تم إطلاق سراح الأخت سعاد الفاتح بعد أن سجلت موقفاً مُشرِّفاً في تاريخ المرأة السودانية وبعد أن سجَّلت على الحكومة باعتقالها سابقة عار لن تُمحى.

• اعتقل في موكب الأزهري أربعة وعشرون مواطناً معظمهم من الاتحادي الديموقراطي وبذلك بلغ عدد المعتقلين السياسيين حتى اليوم مائة وواحداً، وعدد المقبوض عليهم بتهم محددة أربعة وستين.. ذلك عدا الذين أطلق سراحهم فيهم تجاوز العدد ثلاثمائة مواطن!!

• في وزارة الداخلية الآن ستة من الشيوعيين الصينيين على ذمة الاعتقال التحفظي!! نعم.. في وزارة الداخلية، هل عرفتم شيئاً جديداً؟؟

إشارة السيد محمد عثمان الميرغني للإخوان،، كان لها رد فعل عنيف في نفوسهم وفي حماسهم.

• اتصل بعض قادة الديموقراطي الاتحادي وفيهم إبراهيم حمد بقيادة الإخوان بالجامعة في يوم تشييع جنازة الشهيد أزهري، وأكَّدوا لهم ضرورة التخفيف من حدة الموكب لأن الحكومة تترصد بالذات مواكب الإخوان!! كانت تلك المحاولة حتى قبل سنة ونصف من التشييع.

• كان الموكب بوجه عام يفقد القيادة السياسية الصحيحة لتوجيهه، واستثماره وطنياً.

• السيد محمد عثمان لم يكن في حال عادي حين خرج من سيارته ليناوله السيد محمد زيادة ورقة ليقرأها على الناس، خطابه هذا الذي أشرت إليه عدة مرات من قبل!!

• السيد عبد العزيز شدو أحد قضاتنا المنتدبين للعمل بجمهورية اليمن، كان أحد القضاة الذين شملهم قرار الإحالة إلى المعاش ضمن قضاة محكمة الاستئناف العليا، وهو ليس قاضياً بالاستئناف فحسب، بل كان يقوم بعمل وطني يمثل بلاده منتدباً لوضع أسس القضاء في اليمن.. عاد إلى السودان بأمر الحكومة.. ولكن شجاعته لم تخنه فقد كان يعلم جيداً أن رئيس القضاء السابق وهو رئيس الوزراء الحالي له اليد الكبرى فيما حدث له، وجاء يحتج في عنف على وضعه الجائر الذي وجد نفسه فيه، وبلغ به الاحتجاج حداً طالب فيه بضرورة التحقيق معه، لأنه فيما يقول يعلم الشيء الكثير عن رئيس القضاء السابق ورئيس الوزراء الحالي، يعلم فساده في القضاء، وعن منازله التي أشترها والكيفية التي تمَّ بها هذا الشراء!!

والمدينة تتحدث عن هذا القاضي الجريء، وعن سكوت المسئولين عن هذه التحديات التي يجهر بها دون خشية!! أيها القضاة كم أنتم تعرفون الكثير، وكم أنتم كذلك تصنعون الكثير!!

الاثنين ١٩٦٩/٩/١م

رانت على جو الأنباء ضروب من الجفاف غير معهودة ، ولعل الحركة التي تصنع الأخبار قد توقفت عن الدوران ، وحين تتوقف الحركة فذلك يعني الموت ، لأن الموت سكون، والحياة حركة دائبة.

• وقع في المملكة الليبية اليوم إنقلاب بعثي، في غيبة الملك السنوسي في تركيا.

• أُذيع رسمياً عن محاكمة الوزراء : أحمد السيد حمد، حسن عوض الله، يحيى الفضلي ،أمام محكمة الشعب صباح السبت القادم بقاعة الجمعية التأسيسية بالخرطوم.

الثلاثاء ١٩٦٩/٩/٢م

• اعترفت حكومة الإنقلاب السودانية الشيوعية، بحكومة الإنقلاب البعثية الليبية وكذلك فعلت مصر والعراق.

• في موكب تشييع الفقيد أزهري كان بين المعتقلين محجوب أمين ابن شقيقتي، سيقدم مع زملائه الذين سيروا مظاهرة وهتفوا خلالها ، سيقدمون قريباً للمحاكمة.

• نشب في الجامعة عراك شديد بين أحد الإخوان وأحد العملاء الشيوعيين بسبب منشور وزعه أحد الطرفين.

• جاء في نبأ موثوق به أن اثنين من أساتذة كلية الزراعة قد اعتقلا لسبب الكشف عن حيازتهما للأسلحة التي كشف البوليس عنها قبل أيام في أحد المنازل بمنطقة الجريف غرب، والأستاذان شيوعيان، والجدير بالذكر أن هذه الاسلحة التي وُجِدَتْ مُخبَّأة بهذا المنزل ليست هي الأسلحة التي تبحث عنها الحكومة فقد ثبت بأنها سُرِقَتْ من الجيش ولم يُعثر لها على أثر حتى الآن.

• طلاب الجامعة الإسلامية الذين اعتقلوا بسبب اغلاق الجامعة وتصفيتها منذ شهر ، لم أسمع بمحاكمتهم حتى احتواهم السجن العميق معنا منذ فترة طويلة مضت وهم: إبراهيم علي حيدر، دفع الله حسب الرسول، حاج آدم حسن، عبدالله الشيخ، خالد قريب الله، أحمد المكي، ميرغني بخيت، وقد حوكموا بمدد لا تقل عن سنتين ، ولعل الأخ دفع الله حُكِم بثلاث سنوات. نسأل الله أن يثبت قلوبهم على الحق واليقين والصبر حتى تنكشف هذه الغمة.

• كان هذا اليوم نهاية أيام المأتم بمنزل الشهيد أزهري، وقد تحدث فيه السيد زين العابدين الهندي حديثاً سياسياً، أكَّد فيه أن أعداء هذا البلد الحقيقيين هم الشيوعيون، وليسوا هم

الإخوان المسلمين أو حزب الأمة، وأن مقاومتنا لهم سيظل شعاراً نعمل عليه حتى نقضي عليهم، ولعل الشريف زين العابدين أراد بذلك تصحيح الخطأ الذي وقع فيه السيد محمد عثمان حين هاجم الإخوان في ساحة الدفن.

• البرقيات التي بعثنا بها من السجن إلى آل الشهيد أزهري لم تصل إليهم وبالتالي فإن الداخلية لم تسمح بإرسالها، إذ كانت جميع البرقيات التي ترسل إلى مكان العزاء تقرأ من خلال الميكروفون على الحاضرين.

• أشرت في تاريخ سابق إلى أنني سأتحدث عن اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية، وقد حان الوقت الآن، لأن المؤتمر الصحفي الذي عقده وزير التجارة اليوم خلق جواً مناسباً للموضوع، فمنذ فترة تزيد على الشهر والنصف، أذاع وزير الإرشاد حديثاً حول هذه الاتفاقية وقال: (إن مجلس الوزراء قد بحث اتفاقية الوحدة الاقتصادية وأقرَّها من حيث المبدأ)، ثم شنَّ الوزير هجوماً عنيفاً على عملاء الاستعمار الذين رفضوا هذه الاتفاقية أو هاجموها في العهد السابق، إلى آخر الهراء الذي يتقنه الشيوعيين، ومعروف لكل ذي بصيرة أو بصر، أنني كنت أول من شن الهجوم العنيف على هذه الاتفاقية يوم عُرِضتْ على الجمعية التأسيسية لإقرارها وفنَّدتُ بنودها بنداً بنداً وبيَّنتُ مخاطرها القريبة والبعيدة وآثارها العميقة على بلادي وعلى استقلالها ومجتمعاتها، حين فُتِح الباب على مصراعيه ليدخل البلاد من يشاء بلا حدود ولا قيود، يقيم كيف يشاء أو يعمل وفق ما يريد، ويستثمر أمواله بالطريقة التي يريدها في مختلف الأوجه الاقتصادية، كل ذلك حرصاً في سبيل سلامة بلادي من أن تسْتَغل بالطريقة التي يطمح بها الشيوعيون والقوميون الذين يريدون أولاً أن يسترضوا ساداتهم وأولياء نعمتهم في بعض البلاد العربية ليتحول اقتصاد هذه البلاد في النهاية إلى اقتصاد شيوعي، ثم لتقع هذه الدول العربية في غفلة من زعمائها وتحت الأحابيل والشراك التي ينصبها الشيوعيون، فريسةً للنظام الشيوعي!! من هذا المنطلق كان دفاعي عن كيان بلادي داخل الجمعية، وهجومي العنيف على هذه الاتفاقية التي بُعِثَتْ من مرقدها بعد أكثر من عشر سنوات حين رفضها ذوو المصلحة الحقيقية في هذه الدول أن مصلحتهم وحدهم تقضي بجسَّ نبض على السودان البلد البكر الخصيب ذي الموارد الطبيعية الغنية التي تنتظر استثمارها من أجل مستقبل اجيالنا حتى لا تقاسي ما قاسينا، أو تعيش شظف العيش الذي نلنا منه الكثير من العنت والمشاق.

وأثار هجومي هذا العنيف انتباه النواب ، ولكن بعد ان أجازوا الاتفاقية ووقفوا معها دون أن يدركوا جيِّداً ما يكمُن فيها من أخطار على البلاد، حتى أنني كنت أتحدث مع بعض الزملاء داخل بوفيه الجمعية ذلك اليوم فدمعت عيني بلا إرادة تعبيراً عما كان يخالج نفسي من الأسى والألم لما سيصيب بلادي على يد نوابها وممثلوها.

وبعد يومين من ذلك كتبت مقالاً بجريدة الصحافة بعنوان (احذروا هذه الاتفاقية)، وقد كان لهذا المقال أثر بعيد المدى في كل الأوساط السياسية والاقتصادية والحزبية، ثم بدأت جريدة الصحافة نفسها تكتب مقالات قوية بقلم رئيس تحريرها السيد عبدالرحمن مختار، دقَّ فيها نواقيس الخطر ووقف مؤيداً موقفي تأييداً كاملاً، وأخذت الصحف الأخرى تكتب بين مؤيدة ومعارضة ومهاجمة الشخص الذي أراد الخير وعموا عنه، وبدأت هذه الاتفاقية بعد ذلك تكون حديث الناس ومحل نقاشهم واهتمامهم، حتى أن الغرفة التجارية السودانية رفعت رأيها إلى مجلس السيادة في هذا الشأن الخطير.. ولم أقف عند ذلك بل تابعت شرح وجهة نظري وصببتُ هجوماً متواصلاً و مقالات كتبتها بجريدة (أنباء السودان) حتى أوضح أمر هذه الاتفاقية وضوحاً ما بعده زيادة لمستزيد، وحين عُرِضَتْ الاتفاقية على مجلس السيادة كما هو متبع قانوناً، للموافقة عليها لتصبح سارية المفعول، حدث خلاف داخل المجلس، إذ المفروض أن تكون الموافقة بالإجماع!! فاستدعى مجلس السيادة مستشاره القانوني وعرض عليه الأمر، وبعد دراسة الاتفاقية من كل جوانبها، قدم المستشار القانوني رأيه، وهو عدم التوقيع وعدم الموافقة على هذه الاتفاقية لأنها تصطدم بالدستور، الذي تشير نصوصه بلا التواء إلى أن السودان جمهورية مستقلة وأن هذه الاتفاقية بوضعها هذا، تمسُّ سيادة السودان وتهدِّد استقلاله، وإزاء هذا الرأي القانوني الصريح، صرف مجلس السيادة النظر عن التوقيع عليها، وكان مفروضاً بعد فترة محددة في هذه الحالة أن تعاد ثانية للجمعية، وكنت على ثقة بعد الوعي الذي ساد النواب جميعهم ـ وقد عرفوا الأخطار التي تكمن وراء بنود هذه الاتفاقية ـ أنهم سيهزمونها هزيمة نكراء، ولكن قبل أن يتمَّ ذلك حدث أن سطت جماعة عسكرية ومدنية متآمرة وقضت على الدستور باعتباره أعلى درجة في بنائنا السياسي والديموقراطي، ودخلت البلاد رحلة أخرى ليست هي بأية حال من صنع الشعب ولا من اتجاهه، إنما هي مرحلة غريبة مضطربة. لحمتها وسداها هم الشيوعيون...

ولهذا ذهبت الحكومة الجديدة مدىً بعيداً في شأن هذه الاتفاقية، ففي المؤتمر الذي عقده وزير التجارة بعد ظهر اليوم، أوضح بجلاء وتفصيل أنهم أخذوا في وضع هذه الاتفاقية موضع التنفيذ، قال ذلك حين أخذ في تفصيل وشرح ما تمَّ بينه وبين وفد الجمهورية العربية الاقتصادي الذي يزور السودان هذه الأيام.. وتحدث عن السلع التي نصدرها لمصر والتي تصدرها مصر إلينا، وهي في ايجاز مُجرَّد، حاصلاتنا الزراعية فيما عدا القطن، وزيد عليها شيء جديد أن يبدأ السودان في زراعة القمح ليتم تصديره فيما بعد إلى مصر، على أن نستورد عن مصر كل صناعاتها من أحذية وإطارات داخلية وخارجية وراديوهات و...و...إلخ !!

وها هي الحكومة أخذت تطبق الاتفاقية وتزيد عليها، ولا أطيل فقد بدأ الطوفان ولا أملك الا قول الشاعر :

فَلَمْ يَسْتَبينوا النُّصْحَ إلَّا ضُحَى الغَدِ*** أمرتُهمو أمْري بِمُنعَرَجِ اللِّوى.

والذي أستخلصه من كل ذلك أن وزير الإرشاد الهُمام وهو يهاجم الذين عارضوا الاتفاقية يضع نصب عينيه، بل ويعرف جيداً من الذين وقفوا معها (الشيوعي الوحيد داخل الجمعية) والذين عارضوها وابرزوا مساوئها وأخطارها وعدوانها على استقلالنا.. الوزير يعرف ذلك، لأنه كان رئيس تحرير جريدة ظلت تكتب ردها على ما كتبتُ من مقالات وما تحدثتُ به داخل الجمعية أكثر من عشرة أيام متوالية ، تحت باب (خواطر) الذي يحرره السيد (محمد) بجريدة الأيام.. ووزير الارشاد يعرف أن الذي هاجم الاتفاقية واحد من الإخوان المسلمين، وهو كذلك يعرف الذي هاجم، صاحب قلم لا ينثني أمام أي قلم في هذا البلد، ناهيك أن يكون الذي يكتب هو أحد الشيوعيين الذين يعرفون جيداً أنني حين أقصد أن أكتب في الرد على هجومه بوجه لمحوي، لن أترك رأس ذلك الكاتب بعينه يرتفع بما فيه من عينين يظل مرفوعاً لأكثر ما يرتد طرفه بذلك الرأس!!

إن الوزير حين يتحدث عن العمالة والاستعمار لدى الذين يعنيهم خير له أن يقلِّب صفحات قلائل من تاريخه، ثم من مبدئه الشيوعي الذي يعتنق لينظر إلى كل ذلك فإنه حقيقة ـ ولكنها كبيرة ـ من كيان الإنسان ، وليكن على الأقل فيما بينه وبين نفسه، أميناً في تقييمه و تقديره إن كانت الشيوعية تبقى في نفس معتنقيها شيئاً من الأمانة والمثل والقيم، أو إن كانت الشيوعية كنظام تحمل شيئاً من هذا بين تعاليمها.

إنني حين أتحدث عن اتفاقية الوحدة الاقتصادية التي أقرّها مجلس الوزراء من حيث المبدأ والتي بدأ التطبيق.. وعملياً وزير التجارة في حكومة الإنقلاب تحت تأثير وزير التجارة المصري عباس زكي، الذي كان في وضع أكبر من وزرائنا، وهو يعين على التطبيق ويزيد ما وجد إلى الزيادة سبيلاً، أيدها سكرتير الحزب الشيوعي في الجمعية، وكل الشيوعيين معه...

إنني حين اتحدث إنما أتحدث بوحيٍ من صميم ما تلوت، وبلسان صدق ما لووته عن كلمة الحق مثل ما إلتوت كثير من الألسن في هذا البلد وعلى قمتهم حثالات الشيوعية العالمية في السودان، وأتحدث بل وأدافع بقلمٍ ما عرفت سنانه أن تجري بغير إرادتي وغيرتي على بلدي.. وسأظل كذلك ما حييت مرفوع الرأس، حر الإرادة، نقيُّ الضمير، صادق الوطنية، ولغيري من الأدعياء يحفروا لأنفسهم في أقرب مكان لديهم قبوراً عميقة الغور، صخرية التكوين ليجعلوها لأنفسهم وضمائرهم وأخلاقهم سكناً دائماً ومنزلاً أبدياً.

الأربعاء ١٩٦٩/٩/٣

أنا لازلت أقرر أن هذه السطور التي أكتبها في هذه المذكرات، إنما هي تَثَبُّتٌ للتاريخ ورصدٌ للسياسة بكل ظروفها وأخبارها ومرّها وحلوها، ولهذا فأنا أرويها لتعيد للناس حين ينسى الناس الحقائق والأحداث.

• اليوم سافر اللواء النميري إلى القاهرة سفراً مفاجئاً لحضور آخر اجتماعات رؤساء الدول المواجهة لخط النّار، المنعقد في القاهرة بين مصر والأردن وسوريا والعراق، وكان هذا السفر جدَّد كثير من التكهنات والتعليقات، خاصة وأن السودان ليس من الدول المواجهة لخط النّار مع إسرائيل، ولما كان في استقبال اللواء النميري رؤساء هذه الدول الموجودون في القاهرة، فإن الأمر قد يتعلق بمشاورة السودان في جعله (أرض أمان) يمكن أن تحول إليه الأسلحة التي قد تتعرض لغزو مفاجئ كما حدث لسلاح الجو المصري، مما جعل مصر تطلب أن يكون مطار وحظيرة للطائرات في منطقة وادي سيدنا بشمال أم درمان، وقد تم ذلك بالفعل منذ حرب يونيو حتى الآن، وهناك رأي يقول بأن مصر قد اشترت هذا المطار وقامت بإقامة الطريق الذي يصل بينه وبين المدينة، وأن المصريين أرادوا التوسع في ذلك بمنحهم زيادة في الأرض تكفي لكل الدول المواجهة.

والرأي الثاني يرى أن هذه الزيارة وهي لمدة يوم واحد، تتعلق بالوضع الداخلي في السودان، وأن الأزمات المتلاحقة التي نشأت داخل الوضع الحاكم وبين القيادة السياسية الرسمية، اقتضت أن يؤخذ رأي عبد الناصر في ذلك، حتى يمكن الاستفادة السريعة من تجارب مصر وبقية البلاد العربية، خاصة وأن هذه الازمات بين القيادة العسكرية والمدنية وبصورة أدق بين اللواء النميري وبعض أعضاء مجلس الثورة وبين رئيس الوزراء بابكر عوض الله.

غير أن حقائق هذه الزيارة ستنعكس قريباً على الوضع السياسي ومنه يمكن التحقق من طبيعتها، وحقيقة أهدافها التي ربما كان من بينها الاتفاق على تصفية الشيوعيين .

•حدثت اليوم اتصالات بين كافة السجناء السياسيين داخل السجن على الرغم من وجودهم في أماكن متفرقة بغرض مناقشة اقتراح تقدم به بعض الوزراء للدخول في إضراب مفتوح عن الطعام، ولتحديد موقف ثابت متفق عليه عند مثول أي معتقل أمام المحكمة، وكان الاتفاق حول السياسة التي تتبع أمام المحكمة لتكون تعرية للنظام القائم، وكشفه للرأي العام مهما يكن الثمن، أما الاضراب من الطعام فقد ناقشناه من عدة زوايا وافتراضات ، وقرَّ رأينا على عدم الدخول به، وبعثنا بهذا الرأي للمجموعة كلها وكان رأيهم بعد ذلك الدخول في هذا الاضراب، إلا أن الوزراء عادوا ورأوا رأي الإخوان الذي ربما كان مناسباً لمستوى القيادات الموجودة، وطبيعة تكوينها السياسي حتى لا يكون تحت يد وزارة الداخلية موقف ضعيف من ناحية المعتقلين السياسيين، لتتخذه هي ضدهم ، وجدير بالذكر أن بعض الوزراء يتقدمون للمحاكمة يوم السبت القادم.

الخميس ١٩٦٩/٩/٤م

في هذا اليوم من منتصف الاسبوع الخامس عشر من دخولي السجن، ، تأتي الأنباء المباشرة وهي حلقات تكمل بعضها حين ترتبط بالرصيد الخبري الذي ذكرناه فيما سلف ،وحتى أنني أكتب للتاريخ ، وللأجيال الصاعدة ومستقبل بعيد.

ألان وقد انتهيت من سماع كلمات الاحتفال الذي أقامه حي أبي عنجة لعدد من رجاله وبخاصة العميد خالد حسن عباس من أبناء الحي ، وعضو مجلس الثورة، وحضره كذلك اللواء النميري الذي عاد من مصر بعد حضور اجتماع الدول المواجهة لخط النّار مع ملاحظاتي لهذا الحفل دون سائر الاحتفالات، أنه قد تمَّ حشد كبير من أطفال المدارس الأولية بين

وبنات بأناشيدهم الساذجة، وكان عدد الحضور من الكبار قليل، ويتضح كل ذلك في الهتافات الصادرة من الأطفال، وواضح كذلك أن حضور القوميين هو المهيمن. على كلٍ، فأنه ليس للشيوعيين أي أثرٍ فيه !! ما يعكس الصراع الذي برز للسطح بين الاتجاهات السياسية المتضارب داخل الحكومة، وانعكس على مثل هذه الحفلات، وحتى إن كان فيها اللواء النميري مشاركاً من الاتجاهين العربي والشيوعي.

تحدث العميد (وهو لقبه الجديد الثاني الذي يذاع اليوم) فالرجل ولأول مرة أستمع إليه متحدثاً فهو نادر الظهور في هذه المناسبات، وشعرت لأول وهلة أنه رجل معقول، ولا يبدو عليه شيء من التطرف، غير أني أحسستُ بأنه غير منتمٍ إلى جانبٍ سياسي ، وهذا إحساس عرفت به من خلال الحديث وقد يكون التقدير قد خانني ، إلا أن ذلك رأيي حتى الآن عما سمعته، وهو رغم أنه من القوى المضادة وهذا أمر طبيعي، الا أنني أشعر بانه ينطوي على أمر معقول، واتجاه خالص، وكان مما قاله هذه الليلة بعد أن أشاد بالثورة ، (إننا نعمل في ثورة مؤمنة، مسلمة، واشتراكية وطنية عربية، وهي بالتالي المرجعية من أجل سودان الغد، تحت شعار السيف والقرآن، والدين والحكم ، وقد لاقت كلماته هذه هوىً في قلبي، وأحسست فيها كثيراً من الصدق، أرجو أن تحقق هذه الأيام فيه الرجاء.

تحدث اللواء النميري ولكنه هذه المرة كان يختلف عن ذاته في كل الاحتفالات التي تحدث فيها من قبل، كان واضحاً وغاضباً، وبدأ أن حديثه فيه ما يدل على أن تقديره للآمور لم يكن على ما كان يتوقع، وأنه قد صُدِم بواقع الناس، وبحقيقة السياسة والحكم في السودان.

من أبرز ما ذكره هو هجومه على كل الحكام الذين تسلموا الحكم منذ الاستقلال عام ١٩٥٦م وقيام الثورة (وقال إنهم جميعاً مدانون) وقال إنهم قد ربوا الشعب تربية سياسية خاطئة، جعلت كل النفعيين يهتمون لنيل رزقهم دون أن يلتفتوا للواجبات، وأن هذه التربية جعلت الهتافات بلا معنى ولا حقيقة، ومن مثال ذلك أنكم تعلمون أننا تسلمنا الخزانة فارغة وواجهنا الحقيقة، وبينا لكم سوء الوضع المالي في البلاد، فكان هتافاتكم عند ذلك تتصاعد (بالدم بالدم سنحمي الثورة) وظننت ذلك حقيقة حتى علمت أمس من الصحف ووكالات الإعلام، بأن بعض النقابات العاملة قد اجتمعت واعترضت على إجراءات التخصيص التي أقرَّتها الحكومة في شكل ضريبة للطوارئ!! فأين ترجمة هذا الهتاف؟! إننا لا نريد أن

تحموا الثورة بالدم ولكن ببعض جنيهات تقتطعونها من مرتباتكم، ولكن وجدناً رفضاً وتذمراً، لقد عرض عليكم التلفزيون السوداني قبل أيام قلائل فيلماً سينمائياً للوطنيين في فيتنام يحملون القنابل في أيديهم يرمون بها العدو ، وفي اليد الأخرى بذوراً يزرعونها من أجل بلادهم، هكذا يكون الإنتاج وتكون التضحية... إن زعماء الاحزاب قد عودوا الناس على أربعة عشر عاماً من الهتاف الذي لا يحمل معنىً صادقاً، لقد كنت أحضر كثيراً من الليالي السياسية التي كانت تقيمها الأحزاب السياسية والهيئات مستمعاً بل ساخراً فما وجدت أحداً منهم يتحدث عن التربية السليمة، والمحافظة على مُقدَّرات الشعب، أو تفهيم الناس واجباتهم، فإنهم ما فعلوا بعضاً من ذلك وقيمناهم على هذا الأساس، لكنا أقمنا التماثيل لهم، وعلقنا أسماءهم على الشوارع، لكنهم جميعاً كانوا مدانين، إن الخزينة تحتاج إلى تضحية منكم لأنها فارغة، ولو اردنا أن نملأها في يوم واحد من أموال الاستعمار لفعلنا ذلك ولكن لا تسألونا في ذلك الوقت عن وطنكم واستقلالكم) ثم مضى يقول:(إن سفينة الحكومة بدأت تسير في بحر الاشتراكية العريض، فإن مثل هذه العوائق قد تمنعها من السير، إن كلامي هذا مرٌ عليكم ولكنها الحقيقة أردتُ أن أصارحكم بها) ثم تحدث اللواء النميري عن رحلته التي عاد منها اليوم من مصر وعن ضرورة تلاحم القوى العربية، وقال:(إن جمال العظيم وقد ردَّ عليَّ اليوم في مطار القاهرة: "اننا ننظر إلى نضالكم بعين التقدير"). وعند ذلك أنهى النميري كلمته الغاضبة التي تحمل أكثر من معنى...

نسيت ان أذكر بان اللواء النميري قال (إننا نصف الذين يعارضون الثورة بقولنا (الثورة مضادة، ولما كانت كلمة ثورة تعني أن وراءها فكرةً وفعلاً ومنهجاً ، وأن هؤلاء لا شيء لهم في ذلك ، فإنني أقترح أن نطلق عليهم لفظ : المخربون)!!

وهكذا ، ما ترك اللواء شخصاً إلا وقد نال منه، وشملت كلمته كل قطاعات الشعب، ولا أدري كيف يكون رد فعلها لدى العمال والموظفين الذين كان لهم نصيب موفور من اللذع الشديد في هذه الكلمة المرة.. إنها في نظري كلمة ذات طابع سياسي خاص، وطعم خاص ولون خاص، أريد أن أقول إنها تُعبِّر لديه عن شعور (بالزهج والقرف والطُمام)!!

• في خلال موكب الشهيد ازهري ، أكد بعض الناس أنهم شاهدوا الشيوعي عمر مصطفى يحمل ورقةً وقلماً ويدون أسماء الأسخاص الذين يهتفون أو يتظاهرون.

• تؤكد المصادر أن الشيوعيين منذ قيام الثورة قد كونوا مجموعات في كل وزارة حتى وزارة الداخلية لتسجيل اسماء الأشخاص المعارضين، وكان التنفيذ على هذه الأسماء يتم وفقاً للقائمة التي يرفقها الشيوعيين، مثال ذلك أن الأخ عبد المنعم حسن الهندي قضى في كوبر مدة شهر أو يزيد وهو لا يعرف السبب، وحين سأل عن التهمة الموجهة إليه قال له الضابط المحقق في تردد وضيق، أنا لا أعرف تهمة محددة، ولكن عليك أن تشرح لي عن الثلاثة أيام السابقة للقبض عليك، ماذا تم خلالها؟ وكان واضحاً أن الضابط يعني أن القبض تم ببلاغ غير محدد، وبذلك كان القبض ثم الإفراج، وهكذا تكون حرية المواطن رهناً بما تشير به فرقة المتطوعين الشيوعيين!!

• عند قيام الثورة، وصلت برقية للقضارف بالقبض على السياسيين!! وفعلاً تمَّ ذلك، وكان فيهم عدد من الإخوان، وبعد يوم واحد وكان ضابط البوليس عاقلاً أطلق سراحهم ولولا عقله وحُسن إدراكه وتصرفه ، لكان مصيرهم حتى الآن أعماق السجن .

• الدكتور التجاني الماحي مدَّ الله في أيامه يتحدث هذه الأيام في كل مكان يغشاه عن سوء الوضع السياسي، وضرورة العمل الجاد لإنهائه، وفي خلال حديثه المنفعل كان يقول كلاماً عن أسخاص وبعض المسئولين في الحكومة في مختلف مستوياتها.

• عدد من الإخوان الموظفين بالسفارة السودانية بالخارج تم نقلهم من أماكن عملهم وقد عادوا إلى الخرطوم ، حدث هذا بعد أيام قليلة من قيام الثورة.

• علي عبد الرحمن الوزير السابق ، قيل إنه خرج من السجن ليمكث بمنزله في إقامة محددة والتقى ببعض الناس في مكان العزاء بمنزل الشهيد أزهري، وقيل إنه قد ألقى كلمة امام المُعزِّين.

• وزير الصحة جمع الأطباء وأبلغهم قرار وقف التخصص في الخارج، لأن البلاد في حاجة للخطباء العموميين، ورد عليه بعضهم بقولهم (حين ذهبت أنت للتخصص من قبل ألم تكن البلاد في حاجة للأطباء العموميين؟ واحتدم النقاش الغاضب بينهم، ورفضوا الذهاب لموسكو للتخصص فيها كحل وسط، الذين رفضوا هم الذين درسوا الطب في الاتحاد السوفيتي، غريبة!! أيه اللي حصل؟ الطب جراله أيه في روسيا؟!!

• عند اعتراف حكومة الإنقلاب بألمانيا الشرقية، لامت مصر والسودان على هذا الاعتراف المفاجئ وقالت مصر في معرض اللوم، أنه كان بوسع السودان أن يساوم على هذا الاعتراف بما يعود على السودان بالفائدة، أما والآن فقد جاء الاعتراف بالمجان!!

• علمت أن الاستاذ بشير محمد سعيد رئيس تحرير (الأيام) بدأ رصد النظام القائم، وقال لبعض أصدقائه أنه قد أيده في البداية ثقة منه في أنه سيُصلِح كثيراً مما أفسدته الحكومات السابقة، أما الآن وبعد التغول اليومي فقد أخذ يفقد الثقة فيه نهائياً.

• سُجِنَ اليوم سبعة من الإخوان الأساتذة بمعهد أم درمان الثانوي، وقابلهم الوزير الذي أبدى لهم أسفاً لأن ضرورة الأمن اقتضت اعتقالهم تحفظاً.

• في تشييع جثمان الأزهري قيل إن عدداً من أعضاء مجلس الثورة كانوا موجودين بين البوليس الشمالي بأم درمان، قريباً من مكان الدفن لمواجهة الطوارئ في تلك الليلة التي كانت قاسية على الكثيرين.

• أورد بعضهم أن أربعة من ضباط الجيش حاولوا حمل جثمان الشهيد أزهري قبل خروجه بقليل، ولكن تم منعهم من ذلك !!هذا النبأ أنقله بتحفظ!!.

• بعثت الحكومة بالعميد محمد عبد الحليم إلى ليبيا للتهنئة بالإنقلاب الليبي.

الجمعة ١٩٦٩/٩/٥م

• كان السبعة الطلاب والذين حكم عليهم بالسجن قد وُزِّعوا اليوم على سجون مدني والدامر والأبيض ورُحِّلوا إليها، إن كل ذلك يهون في سبيل الفكرة والعقيدة.

• مازال الموقف السياسي يمرح في صمت، والمحادثات الدائرة تستهدف لقاءً قومياً. وورد أن السيد أحمد المهدي سيسافر قريباً بطائرة حربية إلى بورتسودان، للاجتماع بالسيد الصادق المهدي في سلسلة من اللقاءات السياسية بين الحكومة وبعض الشخصيات، وأبان الاجتماع الذي تم بمنزل السيد محمد عثمان الميرغني مع اللواء النميري، والذي لم يحضره أحد المقربين من السيد الميرغني، كان شديداً، وحدثت فيه ألفاظ قاسية، ولم يكن السيد الميرغني هو الذي يتولى الرد، إنما تولاه الخليفة المقرب، ومما قاله النميري إن الختمية طائفة دينية ولكنها أخذت تميل نحو العمل السياسي!! هذا هو فهم الكنيسة للدين في أوروبا والصليبيين الذين يريدون إقصاء الإسلام عن سياسة الحكم !! قديمة!! شوفوا غيرها!!

• هاشم العطا عضو مجلس الثورة وهو شيوعي طامح، أُرسِل خارج السودان، الأسباب التي ذُكِرتْ لهذا الابعاد كلها أسباب سياسية بحتة، مقرونة بمحاولة الإنقلاب السابقة التي أشرت إليه، على أيَّة حال هاشم العطا الآن في الخارج، وهو أيضاً خارج صورة الحكم.

• سافر اللواء النميري اليوم على رأس وفد لأديس أبابا لحضور مؤتمر رؤساء الدول الأفريقية.. وسافر في هذه الرحلة ثلاثة أسخاص بجانب الآخرين هم : بابكر النور، أبو القاسم هاشم عضو مجلس الثورة ، ويحوم حولهما شك كثيف أنهما شيوعيان، ومحجوب عثمان وزير الارشاد وعضو مركزية الحزب الشيوعي!! وجود هؤلاء الثلاثة في الوفد يلقي ظلالاً على ما يقال في تأكيد احتدام الصراع داخل مجلس الثورة، وبينه وبين مجلس الوزراء من ناحية أخرى.. إنني شخصياً أتوقع أمراً قد يحدث فجأة أو بعد قليل ولكنه في الحالين ضد الوطنية.

السبت /١٩٦٩/٩/٦

كاد اعتراض الدكتور أحمد السيد على تشكيل محكمة الشعب اليوم، يؤدي إلى فتنة، أو في عبارة أخرى هو فتنة مقصودة لذاتها، فقد دفع بعدم شرعية المحكمة بأنها رئيسها هو أصغر رتبة من بقية الضباط وأعضاء المحكمة، وساد سكون حائر وعادت بتعليل هو أقبح من الذنب، عادت تقول: إن مجرد عضوية الضباط في مجلس الثورة تجعله في درجة أعلى من أي ضابط آخر أكبر منه في سلاح آخر!! ولمَّا كان رئيس المحكمة عضواً بمجلس الثورة فهو لهذا السبب يكون في درجة أكبر من أي أعضاء المحكمة رغم أنهم في درجة أعلى منه!!

وبالطبع فإن التفسير الجديد، سيثير اهتمام عدد كبير من الضباط وأكثر من علامة استفهام، ويضع أمام الجمهور تقييماً آخر لعضو مجلس الثورة، وكم كان يريح المجلس لو أنه في غمرة احداث الإنقلاب ونشوته الأولى قد غمَّض عينيه ووزَّع درجة (أميرلاي) أو (عميد) بالتعبير الجديد على أعضائه (ولا حد سمع ولا حد شاف !!) ولكن هكذا تجري المقادير بين الناس ليميز الله الخبيث من الطيب !! ونحيا ونشوف رد الفعل لمثل هذه الاوضاع !!

وبدأت المحكمة بكلمة من رئيسها كانت مشحونة بعقدة الذنب التي تسيطر على الإنقلابيين دائماً، تحدث سيادته عن العدالة والحرية والحق!! وأنها أمور تكفلها الثورة للناس وتكفلها المحاكمة للمتهمين!! وختم هذه الأسطوانة المشروخة بحديث مؤلَّف من عنده ونسبه إلى الله تعالى كذباً فما هو بقرآن وما في دفَّتي المصحف شيئاً مما قال !! اختتم حديثه بما اسماه آية من كتاب الله فقال: والله تعالى يقول (وإذا حكمت بينهم فأحكم بالقسط إن الله لا يحب الظالمين) ولم تكلف هيئة المحكمة نفسها في التحقق مما قاله الله تعالى أو ما ألَّفته المحكمة من عندها، ولعلَّ المحكمة كانت تقصد الآية الكريمة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾

وأتجاوز هذه إلى بقية الإجراءات في تصوير خاطف بلا تفصيل ، فما من شأني أن أفعل ذلك، إنما أنا أكتب مالا يستطيع أن يقرأه مواطن في صحيفة في هذه الأيام، أما التفصيلات فلها في الصحافة متسع ومجال.

ضاق صدر المحكمة في بدايته بصورة واضحة أمام طلب أحد المتهمَيْن وهو السيد عوض الله حسن حين بدأ يشرح اعتراضه على خطأ الإجراء القانوني وقدم له كلمات قليلة قاطعه خلالها ممثل الاتهام اكثر من مرة، وعند ذلك أمرت المحكمة بإحضار أحد الشهود، وكان معنى ذلك في وضوح ألّا يستمر المتهم في شرح وجهة نظره التي بدأها ولم يكملها !!

شاهدا الاتهام اثنان من كبار موظفي وزارة التجارة والتموين، أحدهما السيد نديم وهو رئيس اتحاد الجامعيين بالوزارة ومسؤول عن قسم الشركات، والآخر السيد هارون مساعد وكيل التموين وقضى بالوزارة سنوات عديدة!!.

الادعاءات التي قُدِّمت ضد الدكتور أحمد السيد، الوزير السابق للوزارة، خمسة ادعاءات تدخل في المادة الرابعة من قانون الفساد السياسي واستغلال النفوذ واستثمار بعض أموال الشعب لصالحه ولصالح آخرين، وأنه قد منح رخص استيراد بمعاونة حسن عوض الله وشخص آخر لمنفعة أربعة أسخاص بما قيمته مليون من الجنيهات، نظير فائدة مالية قدرها خمسون ألفاً من الجنيهات!! والحق يقال فقد دار التحقيق وشهادة الشهود حول أي شيء وحول الادعاءات المقامة ضد المتهم الوزير!!

أمَّا الشاهد الأول نديم فقد كان ضعيفاً في شهادته وغير متماسك في أقواله بدرجة جعلته يتلكأ في الرد على أمام الأسئلة التي أمطرها به المتهم ويبدو وكأنه تلميذ صغير أمام أستاذه !!

الشاهد الثاني كان أقوى منطقاً وأكثر تفهُّماً لموضوعه الذي يتحدث فيه، إلا أنه يبدو عليه المكر والدهاء، ويبدو وكأنه يعرف الكثير، ولكنه ينتزع منه بمقدار، بل ولا أعدو الحق أن الدخان الكثيف الذي كان ينبعث من داخل الوزارة، كان في ذات الوقت يلفُّه في طياته، وفي تقديري أن كلا الشاهدين لم يدليا بأقوال يمكن أن تفسَّر بأنها ضد المتهم!!

أمَّا الوزير المتهم فأكاد أجزم بأنه كان قوياً في أسئلته، ثابتاً في موقفه، موفقاً في معظم إجاباته، وقد لا أعدو الحقيقة في تقديري إذا قلت بأنه كان أبرز مَنْ في المحكمة.

أما السيد حسن عوض الله، فيبدو أن هذه ليست كل التهم الموجهة إليه، إذ أنه وزير لوزارة الداخلية، وأنه بهذه الصفة يُقدَّم لمحاكمة أخرى تتعلق بوزارته، وهذه التهمة التي يقف عندها اليوم إنما قضية فرعية ذات جذور مع وزارة التجارة.

ولعلَّ هذا القول ينطبق كذلك على السيد يحيى الفضلي وزير المواصلات الذي أُعْلِن اسمه مع هذين الوزيرين ، إلا أنه تخلَّف بسبب مرضه.

هذه صورة مُحدَّدة مُركَّزة على الجلسة الاولى لمحكمة الشعب، ترى هل ستبقى هذه المحكمة حتى النهاية لتواصل بقية إجراءاتها وفقاً للقانون الجديد الذي وضعه آخرون كان يمكن أن يمثلوا أمام هذه المحكمة؟ ولو أن الأمور في هذا البلد وتحت ظل أية حكومة تسير وفقاً لمنطق العدالة والحق والحرية؟!

سؤالٌ أطرحه تعبيراً عن كثيرٍ مما يضطرم في خاطري ... مجرد سؤال!!

***

في الطريق إلى المحكمة التي عقدت جلساتها بقاعة الجمعية التأسيسية الديموقراطية، تجمَّع عددٌ من الشيوعيين وجعلوا يهتفون هتافاتٍ معادية ضد الوزير السابق وسكرتير حزب الشعب الذي تحالف هو والشيوعيون أكثر من عشرين شهراً، ووصل فيها الحزبان مرحلة الذوبان، ووقف فيها حزب الشعب وسكرتيره هذا موقفاً عنيفاً ضد حل الحزب الشيوعي، وكوَّنوا حزب التجمُّع الاشتراكي، وهيئة الدفاع عن الحريات، ووقفوا معاً ضد الانتخابات الأولى للجمعية التأسيسية، وتعاونوا تعاوناً كاملاً في سرَّاء الحياة وضرَّائها!! ووقف الشيوعيون اليوم رغم كل تلك العلاقات، يهتفون ضد أحمد السيد حمد ، مطالبين بإعدامه!! لو أن الناس يأخذون الدروس والعِبَر من خيانات الشيوعيين ما أكثرها ، لتغيرت كثير من الأوضاع في بلادنا.. دعونا نفكر في المستقبل على ضوء هذه الحقائق الواضحة المُرَّة فما زالت في الطريق بقية.

الأحد ١٩٦٩/٩/٧م

كان لمحاكمة الأمس المتهم فيها الدكتور أحمد السيد حمد كان لها شديد الأثر على الرأي العام السوداني ، وجاءت خلافاً لما كان يتوقعه كثير من المراقبين الوطنيين، خاصة وأن الحكومة قد أعطت أهمية خاصة لهذه المحكمة الجديدة (محكمة الشعب)، نظراً لأهمية الوزارة التي يتقدم وزيرها أمامها في المادة الرابعة من قانون معاقبة الفساد السياسي، فجاءت الجلسة الأولى والتي أُولِيَتْ أهمية خاصة، تحمل صدىً عميقاً لصالح (السيد الوزير)، للأسباب التي ذكرتها بالأمس والمتعلقة بمواقف الشاهدين، وقوة موقف الوزير ، وأزيد عليها الآن الفتور الواضح في طبيعة المحكمة كلها، وكان أثر ذلك أن قابل الجمهور السيد الوزير

بالتصفيق ، في حين أصاب الشيوعيين شعور عميق بالمرارة والهبوط النفسي بسبب الشعور بالخيبة في جلسة الأمس ، وتسللوا لواذاً من الأبواب، وتتبَّعتُ اليوم ما دار في الجلستين اللتين عُقِدتا صباحاً ومساءً، وكان واضحاً فيها أن الشهود يسيرون وفق خطة متسلسلة في الشهادة، وجميعهم حتى الآن أعضاء في اتحاد الجامعيين لوزارة التجارة، الذي يبدو من الصراع الذي دار بينه وبين الوزير قبل الإنقلاب، أنه قد نسَّق طريقة الإدلاء بأقوال الشهود المنتمين إليه، ويحاول الوزير في استجوابه للشهود أن يثبت هذا الانتماء حين كان يسألهم عن عضويتهم بهذا الاتحاد، وقد كان الوزير عنيفاً في استجوابه وفي أسئلته التي تحمل بعض الغمز والاشارة إلى سلوك بعضهم في مهنته، خاصة حين كان استجواب الشاهد الثالث محمد أحمد حمد ، واشتد الوزير أكثر في أسئلة محددة وفي لهجة شديدة حين كان يستجوب الشاهد الرابع حاتم حسين، الذي كانت شهادته في تقديري أقوى شهادة حتى الآن ، إلا أنه عند الاستجواب خانه التوفيق في طريقة الردود التي أدلى بها، مما أضطر المحكمة إلى التدخل ولفت نظره إلى قصر إجابته على الرد على سؤال الوزير المحدد.

والذي يدعو إلى الحيرة والتساؤل هو موقف المحكمة الضعيف المتساهل من الشهود، بعدما كانوا يتحدثون في مسائل لا علاقة لها بالاتهام مثلما حدث من الشاهد الثالث، وكان كثير الكلام لدرجة تبعث على الملل، وكأنه يفترض الأسئلة وهو يؤكد معها بقوله بأن المحكمة لم تسأل عنها، إلا أنه يرى الفائدة تقضي بالإجابة عليها، ورغم ذلك لم يتدخل نائب الأحكام ولا رئيس الجلسة، لوقف مثل هذا الاتجاه الخارج عن القانون، وكان واضحاً أن الشاهد الثالث يحاول أن يتخذ لنفسه موقفاً آمناً في القضية المطروحة، موقف القدِّيس الذي ينهى دائماً عن الفساد!! ويأمر وينسى!!

وظل فيها الشاهد الخامس يوسف محمد عبدالله يسرد عن بعض الوثائق حقائق عن السفنجات والولاية وغيرها في محاولة لإثبات بعض التهم، وقد رفضت المحكمة طلباً تقدم به الوزير المتهم للسماح لأحد اصدقائه من المحامين ليمثل أمام المحكمة متحدثاً نيابةً عنه، ومضى الوزير يُوجِّه كثيراً من الأسئلة للشاهد، وقد ردَّ على كثير منها بأنه لا يعلم!! وأثبت عليه الوزير حين تحدث عن تهم معينة، إلا أن وثائقها لم تكن في الملفات التي سُلِّمتْ للمحكمة!! ورغم أن الوزير يُبدي تساهلاً في ترك الشهود يتحدثون أكثر من الإجابة المطلوبة وتنقل من موضع لآخر عند توجيه أسئلته، إلا أنه كان عنيفاً موفقاً.

الاثنين ١٩٦٩/٩/٨م

عـاودت المحكمـة بـسماع شـهادة الـسيد عبـدالمنعم خليفـة، كـان يتحـدث بالعربيـة الفصحى في معظم شادته، وهو فيما يبدو حلقة في سلسلة شهود الاتهام التي ينظمها اتحـاد الجامعيين بالوزارة. وفيما يبدو فإن الوزير يحـاول أن يركِّـز دفاعـه في النهايـة عـلى أن اتحـاد الجامعيين هو الذي يقود هذه الحملة بدافع شخصي، بسبب ما كان بينه وبين هـذا الـشخص من أزمات متتابعة بسبب مد خدمة وكيل الوزارة السيد عبد الرحيم شداد.

ويبدو كذلك أن الوزير ـ وقد وصل الأمر حد تقديمه للمحاكمة ـ سيقذف بكل ما يملك من حقائق لتجريم عدد كبير من المـسئولين في الـوزارة وفي اتحـاد المـوظفين، ويبـدو أن تلـك المرحلة ستسير وفق القاعدة التي تقول (عـليّ وعـلى أعـدائي يـا رب)!! الـذي عرفتـه الآن أن الجمهور كان يتوقع في قضية الفساد الذي شاع ذكـره عـن هـذه الـوزارة، وبفـضل الـشائعات التي كان يطلقها الشيوعيون عن تلك الوزارة لتحقير الحكم الديموقراطي، كان يتوقع أحـداث مجردة أو معروفـة مـما كـانوا يـسمعون عنـه، أمَّـا الآن فهـم غـير ميـالين لفهـم هـذا (اللّـت والعجن) الذي بدَّد كل ما كانوا ينتظرون.

قد عجبت كثيراً وأنا أستمع لأحد الشهود حـين ردَّ في معـرض سـؤال لـه مـن الـوزير عـن اتصال من الجمعية التأسيسية باتحاد الجامعيين بشأن قضيتهم مع الـوزير، فقـال الـشاهد نعـم إنهم اتصلوا واجتمعوا بنا في دار جمعية المهندسين عـدة مـرات، ولكـنهم ــ أي النـواب ــ كـانوا يريدون أن يستغلوا هذه القضية استغلالاً حزبياً !! عجبت كثيراً، لأنني كنت أحد هؤلاء النـواب بل أن عدداً من أعضاء لجنة الجامعيين التنفيذيين، اتصلوا بي في هـذا الـشأن، بـل أن عـدداً مـن النواب أثناء اجتماعنـا بالجـامعيين في دار المهندسـين، قـد اسـندوا اليَّ نيابـة عـنهم، تبنـي هـذه القضية وأعلنوا ذلك في الاجـتماع، إلا أن اتحـاد الجـامعيين هـو وحـده الـذي قعـد دون قـضيته وسكت عنها ولم يتابع الاتصال بشأنها!! عجبت لقول الشاهد، وها هي الحقيقة كما سقتها آنفـاً، وإن الإنسان بطبعه ـ حين ينعدم الوازع ـ يلجأ لأيَّة وسيلة، تبريراً لموقف خاطئ وقع فيه!!

إنني شخصياً أعتب عتاباً شديداً على الاتحاد، إن كانت شهادة هـذا الـشاهد تُعـبِّر عـن رأيه لا رأي الاتحاد، لأن ما قاله لم يكن هو الدافع لتبني قضيتهم والـدفاع عنهـا في الجمعيـة، والوقوف ضد الوزير حين طرحت بـه الثقـة داخـل الجمعيـة. ولم يكـن دافعـي إزاء مـوقفهم وإزاء كل موقف فيه حق مضاع، هو الكسب الحـزبي أو الشخـصي فـذلك مجـدٌ زائـف وظـلٌ

مائل، إنما أنا رجلٌ أبحث عن الحقيقة، لأرفع الضيم والظلم في حدود طاقتي عمّن حاق ونزل به، ولا أجري وراء مجد أو شهرة، إنَّما أبغي بذلك وجه الله وحده... ولست أملك وقد سمعت ما قد سمعت من هذا الشاهد في مجال الدفاع عن موقفهم، إلا أن اسأل الله أن يجعل أعمالنا خالصة له، وأن لا يحبب إلى أنفسنا المبدأ البغيض القائل بأن (الغاية تبرر الوسيلة)!!

الثلاثاء ١٩٦٩/٩/٩م

نشرت بعض الصحف أمس الخبر التالي: (عاد أمس الأول إلى الخرطوم الرائد فاروق عثمان وزير الداخلية وعضو مجلس الثورة، والعميد خالد حسن عباس رئيس هيئة الأركان، بعد أن قاموا بزيارة تفقدية لمنطقة كوستي، والخبر بهذه الصورة عادي وصغير. ولكنه للباحث السياسي، يبدو بين طياته معنىً سياسي وثيق الصلة بالأحداث السياسية الجارية في البلاد.. فهذه هي المرة الأولى منذ قيام الثورة تتم فيها مثل هذه الزيارة المشتركة بين الوزير ورئيس هيئة الأركان لتفقد الجيش، والمنطقة التي قاما بزيارتها هي منطقة نفوذ للأنصار وتقع في قلبها الجزيرة (أبا) حيث يقيم الإمام الهادي منذ قامت الثورة لم يغادرها حتى للعزاء في فقيد البلاد المرحوم إسماعيل الأزهري، ثم أن هذه الزيارة تمت في غيبة اللواء النميري في أديس أبابا، فماذا إذا وراء هذا الخبر الصغير؟!

الذي تأكد لي أن محاولاتٍ شتَّى قد تمَّت من قِبَل عددٍ من الضباط المسئولين لتخفيف حِدة الموقف مع الإمام الهادي، وكانت المحاولة الأخيرة التي يحملها هذا الخبر بين دفتيه، فقد علمت بأن السيد أحمد عبد الوهاب نائب القائد العام السابق، كان همزة الوصل في هذا الاتصال، فقد عاد فيمن عادوا بعد ذلك في طائرة واحدة مع السيد فاروق وخالد عند عودتهما إلى الخرطوم، وربما كان مصاحباً لهما عند سفرهما إلى منطقة كوستي، وقد تأكد بما لا يدع للشك مجالاً، أن السيد أحمد عبدالوهاب قد اتصل بالإمام الهادي لمعرفة رأيه فيما يمكن أن يعيد العلاقات بينه وبين الوضع الراهن إلى حالة طبيعية، وقد اشترط السيد الهادي لذلك خمسة شروط هي :-

١- اطلاق سراح المعتقلين السياسيين ممن لا علاقة لهم في مسائل الفساد الحكومي.

٢- التخلص من نفوذ الشيوعيين داخل الحكومة بغرض إنهائه وإقصائهم في النهاية.

٣- أن يتجه النظام نحو الاشتراكية المستمدة من واقعنا وديننا وبيئتنا حتى يمكننا أن نطبق نظامنا الإسلامي كاملاً.

٤- أن تمضي فترة انتقال معقوله في الحكومة حتى يتسلَّم الشعب حكمه بالطريقة التي يحددها.

٥- إجراء استفتاء شعبي يقول فيه الشعب رأيه في نوع الحكم ومستقبله .

هذا هو رأي الإمام الهادي الذي حمله السيد أحمد عبد الوهاب ، وهو رأي له اعتبار كبير في التعبير عن رغبة وإرادة الكتلة الوطنية المخلصة في البلاد، وحتى الآن لم أستطع معرفة رد الفعل الحقيقي لهذه الشروط، وربما وضح شيء من ذلك قريباً، وقد اوضحت أكثر من مرة أنني أكتب للتاريخ وأسجل الأحداث كما هي فقد يحدث فيما أوردته اليوم تغيير تقتضيه طبيعة الأشياء، وسأثبت هذا التغيير إن حدث، وحسبي أنني أسرد الوقائع والحقائق حسب علمي وتقييمها بحسب وجهة نظري في مثل الظروف التي أعيشها.

• الدكتور أحمد السيد الوزير المتهم، كان بلا شك نجم المحكمة العسكرية المتألق، رغم كثرة الشهود فقد استطاع بضبط أعصابه، وقوة الأسئلة التي وجهها إلى هؤلاء الشهود، أن يجعل كل واحد فيهم في موقف لا يُحسد عليه، مما عكس في نفس المستمعين والمشاهدين للتلفزيون كل ما كانوا يتوقعونه من هذه المحكمة والشهود من تكشف الفساد، وإدانة واضحة من أول جلسه، ولكن يبدو أن كل ذلك أخذ يتبدد ويذوب وسط شهادة الشهود، والأسلوب الهابط الذي ظهر به كثيرون منهم أثناء تأدية الشهادة، أو خلال ردودهم على الوزير بأسلوب استنكره الكثيرون، بل وزاد في دهشة الناس سكوت المحكمة عن استعمال حقها في كثير من المواقف خلال شهادة الشهود، مما أوحى للناس بأن المحكمة بمثل هذا المسلك ربما تفقد الثقة عند صدور حكمها النهائي في قضية وزارة التجارة .

وقد كان السيد أحمد يضرب ضربته في وقتها المناسب، فيجعل أقوى الشهود يترنح وينهار بعد وقت قصير، مما أكسبه إعجاب الجمهور وثقتهم في سلامة موقفه وسيطرته على الوزارة أثناء توليه لها. وقد وضح كذلك أن اتحاد الجامعيين بالوزارة يمثل طرفاً هاماً في الاتهام، وذلك حين سأل الادعاء أحد الشهود، هل نحن كلفناك بشيء مما تقول؟ فقال الشاهد: كلا إنما كلفت بذلك من اتحاد الجامعيين بالوزارة، وهو الذي أعدَّ لي هذه الوثائق التي أعرضها على المحكمة!!

وكان السيد أحمد بارعاً في ثلاثة أسئلة متوالية وجَّهها لأحد الشهود في محاولة صارمة منه لإبراء ساحته من محاولة إلصاق كثير من التهم به، فقد سأله عن قيمة ثلاث رخص، إحداها كانت قيمتها ٢٥٠ جنيهاً رفعت إلى خمسمائة، وثانية قيمتها مائة وخمسين زيدت إلى مائتين وخمسين جنيهاً، كل ذلك حتى يثبت السيد أحمد أن الكلمة النهائية ليست دائماً له، انما هي كذلك لغيره من الموظفين الكبار والصغار على حدٍّ سواء، وقد تلجلج الشاهد في هذه القضية كغيره من الشهود، غير أن ذلك كله لن يطفئ الحقيقة.

الأربعاء ١٩٦٩/٩/١٠م

حدثت في خلال هذا اليوم ثلاثة أحداث لابدَّ من الاشارة إليها، فكما كنت أُقرِّر دائماً فإن حياة السجن رغم انحصارها بين هذه الجدران العالية إلا أن ما يحدث خارج أسوارها لا يعدم عنصر المفاجأة في أعلى مفهومها.

صباح هذا اليوم وعلى غير المألوف في تاريخ السجون في السودان، قررت إدارة السجن أن يكون معنا في حجراتنا أحد الضباط منذ السابعة صباحاً حتى الثانية بعد الظهر، ثم يعاود في المساء إلى أي وقت يشاء بلا تحديد، ولما كُنَّا في المساء نجنح إلى النوم في نحو العاشرة فربما كان ذهابه قبل ذلك، وعجبنا كثيراً لهذا التصرف ولم نحمله بالطبع محملاً عادياً، إذ لا يعقل أن يتم تصرف كهذا دون أن يثير دهشتنا، خاصةً وأن هؤلاء الضباط وعددهم ستة وُزِّعوا على مختلف الأقسام التي بها معتقلون سياسيون، هؤلاء الضباط هم أبناء السودانيين الذين عاشوا في مصر، وقد جيء بهم للعمل في السودان، بعد أن أمضوا فترة عمل في بوليس السجون لأكثر من عام في مصر، ولا زال هذا الأمر يثير منا كل اهتمام، ويقتضينا واجبنا أن نفكر فيه بحذر ودقة تلائم الوضع السياسي الذي على يديه تمَّ اعتقالنا، خاصةً أن وزير الداخلية كان قد أشار في بيان رسمي أصدره بأن الجمهورية العربية المتحدة ظلت تساعد الحكومة في مجال الأمن منذ قيام الثورة!! ورغم أن هؤلاء الضباط سودانيون، إلا أن ذلك يوجب علينا وضع الصورة في إطارها الصحيح!!

والأمر الثاني هو خروج السيد أحمد البيلي ونحن نتأهب لصلاة الظهر، فهو إمامنا الدائم في كل الصلوات، وكان ذلك ـ رغم الفراغ الذي أحدثه بيننا ـ مبعث سرورنا العظيم، فقد كنا جميعاً على يقين أنه رجلٌ مظلوم وأنه مجنيٌّ عليه فيما حدث له من اعتقال دام

ثمانية وستين يوماً.. ولكن سبق في ذلك أنه احتسب كل ما حدث له، وتركه لله يفعل بالظالمين ما يشاء، أمَّا نحن فسنذكر الأيام التي قضيناها معاً كجزء لا يُنسى حين يذكر الإنسان أطيب ما مرَّ به من ذكريات، وحين يكون اللقاء في مثل هذه الأحوال على الله وحده فتكون هذه الذكرى وثيقة الصلة بما يحفظه الإنسان من أيامه الخالدات.

ثالث ما مرَّ بنا في هذا اليوم لقاؤنا مع المقدم محمد علي مُقْبِل، الذي جاء في نفس الساعة، والمكان شَغِرٌ بخروج الاخ البيلي، وليس مجيء السيد مُقْبِل ألينا هو بداية دخوله السجن.. إن وراء ذلك قصة تُدمي القلب حقاً وتُثير في النفس الكراهية والبغض على أي لونٍ من الظلم ، وعلى أي مظهرٍ للظالمين...

حتى قيام الثورة كان السيد مُقْبِل يعمل في الجيش كمسئول عن العمليات الحربية، مثالاً للضابط الوطني المخلص لبلده والذي يؤمن بأن الجيش ليس للحكم ولا للسياسة، وفجأة أُحيل للمعاش ضمن العدد الكبير من الضباط الذين أُبعِدوا من الجيش في لحظات النشوة الاولى، لما ظنه الإنقلابيون كلهم انتصاراً لحركتهم، وظلَّ السيد مُقْبِل ملازماً منزله لا يفارقه، حتى فوجئ يوماً بتفتيش منزله واعتقاله، وجيء به إلى (كوبر) لا ليبقى مع المعتقلين حيث هم، بل ليوضع في زنزانة لا يوضع فيها وفق نظام السجن، إلا السفَّاكون والقتلة أو الذين تُطبَّق عليهم أقسى العقوبات داخل السجن، وظل البكباشي مُقْبِل ثلاثة وثلاثين يوماً دون أن يعرف أدنى سبب لذلك.. وبعد ان قاسى المرض والإضراب عن الطعام ولقى كثيراً من العنت والإرهاق، سيق إلى وزير الداخلية الذي أفهمه بكل بساطة أن أحد الجنود إدَّعى بأنه شاهده بمنزل السيد عبدالله الأمير إسماعيل الذي اتُهِمَ بمحاولة إنقلاب كُشِف أمرها، وستعقد لها محكمة عسكرية خلال أسبوع من اليوم!! وتبيَّن كذلك أن هذه الدعوة باطلة من أساسها وأن لسيد مُقْبِل لا يعرف هذا المُدَّعى عليه، ولم يكن يعرف أدنى شيء عنه!! واعتذر له الوزير وطلب إليه البقاء يومين أو ثلاثة ريثما تتمَّ إجراءات إطلاق سراحه!! ومن هناك كان لقاؤنا معاً حيث نحن الآن ولن أُعلِّق بشيء على هذه الواقعة فحسبها أنها تتحدث وحدها عن نفسها وكفى!!

***

لم يكن في محكمة الشعب جديد، الموقف كما هو، وقائمة الشهود التي نظمها الشيوعيون ضد الوزير تتابع حلقاتها، وفي النهاية تنفصم عن السلسلة كلها، والسيد أحمد

يوالي هجماته في ثبات ويقين، وما أن يجندِل شاهداً بسؤال حتى ينهار في سرعة مدهشة، والقضية تسير ولكنَّ حقيقة معالمها تتضح يوماً بعد يوم، ويتضح فيها أكثر أنها قضية في أساسها بين الشيوعيين وبين السيد أحمد، والتي يبدو أن نجمهم آخذ في الأفول، وأن هذه بدايته وتلك سُنَّة الحياة والكون، أن لكل شيء بداية وله نهاية، ترى كم من الناس يعي هذه الحقيقة؟ وكم من المسئولين ويؤمن بها ؟ اللهم لا تجعلنا من الغافلين.

الخميس ١٩٦٩/٩/١١م

درجتْ الإذاعة بعد وفاة المرحوم أزهري مباشرة على إذاعة برنامج ثابت قبل الخامسة مساء ويستمر نحو اثنتي عشر دقيقة في المتوسط، والبرنامج كله عن الإخوان المسلمين، تحت عنوان (إخوان الشيطان ،أعداء السودان) وقد تتبَّعتُ هذا البرنامج من بدايته، وهو ينضح بالحقد الأسود، ويرعف بالكيد والكراهية والتشفي بعد أن لقي الشيوعيون فرصتهم كاملة في هذا العهد العسكري، الذي مكَّن للشيوعيين في الأجهزة الرسمية مثلما مكَّن لهم (الختمية) من قبل بموافقة السيد علي الميرغني ومباركته للتحالف والتعاون معهم لأكثر من عامين كاملين، وهاتان مسئوليتان تاريخيتان لن يمحوهما الزمن من تاريخ الختمية والحكم الراهن، مهما كانت العِلل والأسباب والمبررات .

وظل هذا البرنامج الذي يتحدث عن نشأة الإخوان في مصر كما يزعم، وعن تاريخهم الأسود كما تراه عين الشيوعيون التي لا تستطيع أن تصبر على الضوء، ولا ترى إلا في الظلام، وهو في كل ذلك يشير في وضوح إلى الإخوان في السودان، ويسئ إليهم إساءةً لم يجرؤ عليها الشيوعيون إلا في ظل الوضع القائم.. وحقَّروا من شأن الإخوان، ظانين أنهم حين يُرضون قلوبهم المريضة بما يتقيأونه على مسامع الناس!! إنما يؤثرون في قلعة الإخوان التي ظلوا ينطحونها عشرون عاماً، حتى عادوا بعدها بغير قرون!! إن البرنامج قد خدم الإخوان مئات المرات فما اساء إليهم.. وأنه قد كشف للناس عن حقيقة اللسان الذي ظل الشيوعيون يلوونه داخل أفواههم النتنة القذرة، وبذلك أكملوا للناس الطيبين الذين ظلوا مخدوعين في هذه الشرذمة الفاجرة الغادرة الخائنة طوال السنين الماضية، حتى ظهروا أمام الناس بوجههم الكالح الاسود، وحركاتهم الهيستيرية المهووسة، وهم يمارسون أبشع واشأم ألوان الحكم الذي مرَّ على البلاد منذ استقلالها إلى اليوم.

إن الخير كثيراً ما يكمن في الشر ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فهذه التجربة التي يخوضها الشعب في ظل هذا النظام الذي يتحرك أمام أصابع الشيوعيين، هو خيرٌ كبير ساقه الله للناس عامة وللإخوان المسلمين خاصة، الذين أعانهم الله حين وضع الشيوعيين في تجربة الحكم الراهن، وخلّى بينهم وبين الناس ليخوضوا معهم هذه التجربة المريرة التي سيعرفون فيها الشيوعيين على حقيقتهم، بلا رتوش.. بلا مساحيق أو ألوان، تلك التجربة التي وفَّرت على الإخوان عشرات السنين ينفقونها في كشف الشيوعيين وأضاليلهم وخيانتهم وخروجهم على الوطن والعقيدة، والولاء!! على الإخوان أن يستفيدوا من هذه التجربة للمستقبل فهي هدية من الله إليهم فليتقبلونها شاكرين!!

وللإخوان واجبٌ آخر لتأمين مستقبل الدعوة، ذلك الواجب هو: ألَّا يتسامحوا مع الشيوعيين تحت كل الظروف، وأن يكسروا شوكتهم تحت أيَّة صورة نشأت، فما عادت القضية بالنسبة إلينا معهم قضية بقائنا أو بقائهم، والناس كلهم معنا، وليس أمامنا إلا ربط هذه الملايين وتوجيهها إلى الإسلام وضد الشيوعيون في ذلك الوقت.

ولا أريد أن أبعُد كثيراً عن قصة البرنامج الآبق الذي جبُنَتْ الشراذم الشيوعية عن أن تذكر صاحبه، أو أن تملك الشجاعة لتقول أنه مِن وضعها، أو أنه من تعليقاتها اللاهثة المحمومة التي لا تمثل إلا الضمير الخَرِب الذي دفع صاحبه للكتابة.

أما في برنامج (أخوان الشيطان) فإنه لأحد العملاء الشيوعيين ما في ذلك شك وأنه لواحدٍ من المكتسبين الذين قعد بهم سوء الحال أو نكص عنه الشيوعيون في أحلك اوقات الحاجة إليهم، شأنهم في كل أمرٍ يدفعه ضمير أو خُلق، أو تدعو إليه رجولة أو إنسانية، إنني أدرك أن الإذاعة مصدر استرزاق للكثيرين، إنها مرفق مفتوح للذين يطلبون الثراء والمال من أقصر طريق، وهل هناك أقصر من طريق شتم الإخوان دون أن يروي الإنسان حقده من النيل منهم؟! لذلك تكالبوا عليه، وأخلصوا النية في عملية إلقاء هذه الأحاديث السوداء على الناس.

لو علم الإذاعيون كم قدموا للإخوان من خدمات، وكم أعانوا على أن يعكس الناس معاني أحاديثهم إلى غير ما هدفوا هم إليه، لما ظلوا هذه الأيام كلها، يجرون خلف السراب يحسبونه ماء وماهم ببالغيه.

إن حسن الطاهر زروق الشيوعي المحترف وأحمد قباني بالإذاعة، عليهما تقع المسئولية الأولى في هذه الأحاديث، الأول في كتابتها والثاني في تقديمها للناس، ليعرف الإخوان هذه الحقيقة ولا أزيدهم عليها.

واليوم أحسست بان هذا البرنامج قد صبَّ غضبه كله على (فيليب غبوش) ولم يمسَّ الإخوان إلا بالقدر الذي يتعلق بالشتم والسباب الذي وجَّهه البرنامج، والذي هو طابعه المميز، حدث هذا فجأة، ترى ماذا حدث؟ هل أدركوا أن الأيام لا تستقر على حال، وحسبوا أن ما قالوه يكفي، وأنه قد لا يوقعهم تحت طائلة الإدانة؟ أم أن الحكومة قد رأت أن هذا الاتجاه وخيم العواقب، وأنه قد يُعرِّض الأمن إلى الإخلال، وأن أولى الناس بالنقد ما هي الأجهزة السياسية التي حكمت البلاد، واقول أولاها بالنقد لا بالشتم. أما أن تخصص الدولة برنامجاً في إذاعتها رسمياً ضد حزب سياسي عقائدي كالإخوان، دون أن يكون لهم يد في الأسباب التي قادت إلى الإنقلاب، فذلك وضع لا يقره عقل ولا يقبله ذو ضمير.. بل هو يؤكد في المقام الأول بأن الإسلام كعقيدة هو أول ما اتجه الوضع الراهن إلى مقاومته وإعلان الحرب عليه متنكِّراً في ذلك بمحاربة الإخوان كتنظيم له جذور عميقة ضاربة، ولكن هذه الحيلة لن تنطلي على أحد فقد شبَّ الناس كلهم عن الطوق وما عادوا يُخْدَعون.

محكمة الشعب سارت كأيامها السالفات، حتى جاوزت منتصفها، فرجحت كفتها بصورة اكثر وضوحاً، حين اخذ اثنان من الشهود في تغيير شهادتيهما اللتين أدليا بها من قبل أمام لجنة التحقيق، وقالا بأنهما أدليا بها تحت ضغط الحراسة التي أُودِعا بها، وأكَّدا أنهما لم يؤديا اليمين عن أداء أقوالهما في مرحلة التحري الاولى، وقد فوجئت المحكمة بهذه الشهادة واضطرت إلى الحكم عليهما بالحراسة باعتبارهما شاهدين عدائيين!!

ويبدو أن هذا الموقف كان له رد فعل في الرأي العام الذي أخذ يتحدث عن وسائل الضغط التي استُعْمِلتْ ضد الشهود!!

نسيتُ أن أذكر أنه في الجلسة الأولى للمحكمة قد اختفت تذاكر الدخول لحضور الجلسات وقد حُدِّد لتوزيعها الساعة الثامنة حتى التاسعة صباح السبت الجاري، إلا أن الشيوعيين قد استلموا عددا كبيراً منها وسلموها لآخرين على شاكلتهم، وأنهم عرضوا بقية التذاكر التي بأيديهم للبيع حتى بلغت قيمة التذكرة الواحدة جنيهين!! هل توحي هذه الحقيقة بشيء؟ أعرفوا الشيوعيين على حقيقتهم ، تأمنوا الزلل والخديعة والغش والتضليل.. تأمنوا على أنفسكم وعلى مستقبلكم وحاضركم .

الجمعة ١٩٦٩/٩/١٢م

نشرت جريدة الأيام أمس تحقيقاً صحفياً واسعاً مع وزير الداخلية حول المعتقلين ومحاكمتهم، وعن موقف الحكومة من الإخوان المسلمين قالت جريدة (الأيام) :(وتحدث الوزير عن الإخوان المسلمين وقال أن تنظيمهم أبدى معارضة واضحة للثورة عند اندلاعها، وعكس وجهة نظره في منشورات أصدرها، وبغيرها من هذه الوسائل، وقال إن هذا التنظيم تنظيم عقائدي، ولذلك توليه الثورة اهتماماً خاصاً، وقد كان لابدَّ من اعتقال قادته، ولكن هناك عناصر بين الإخوان المسلمين أبدت تفهُّماً للثورة فأُطلِق سراحها، وضرب سيادته لهؤلاء مثلا بالسادة جعفر شيخ إدريس، ومحمد يوسف محمد، ومحمود دفع الله الحاج يوسف، وأوضح سيادته أن المعارضة التي أبداها الإخوان المسلمون تقودهم جميعاً للمحاكمة، وأضاف أن من يثبت أنه لا يشكل خطراً سيُطلَق سراحه.

وتحدث الوزير عن المتفجرات التي كشفت قوات الأمن عن مصادرها منذ وقت قريب، فقال: إن التحقيق في أمرها أدّى لاعتقال اثنين في بورتسودان وبحوزتهما متفجرات، وبهذا يصبح عدد المعتقلين في هذه القضية ثمانية أسخاص، وأن التحقيق معهم شارف نهايته وسيُقدَّمون للمحاكمة عسكرياً عند الفراغ منه، وقال إن هؤلاء المتهمين ينتمون إلى تنظيم جديد لم يعرفه السودان من قبل!!

هذا ما قاله الوزير بالحرف الواحد لجريدة (الأيام) ، أما إننا عارضنا الثورة منذ اندلاعها فهذه أُقِرُّها وأعترف بها، وهذه المعارضة لم يكن هناك مفرٌ أو مندوحةٌ عنها، ولعلَّ السيد الوزير قد أوضح ضرورة هذه المعارضة وأنها واجبٌ يفرضه علينا ديننا وعقيدتنا حين قال بالحرف الواحد (إن هذا التنظيم تنظيم عقائدي) وأضاف قائلاً :(لذلك توليه الثورة اهتماماً خاصاً) هذه الجملة المضغوطة هي خير تفسير لسبب هذه المعارضة، إننا كتنظيم عقائدي تفرض علينا عقيدتنا الإسلامية أن نرفض أي نظام يكون فيه نفوذ يدنِّسه شيوعي واحد، لذلك كان لا بدَّ من رفض هذا النظام الذي يرأسه من ناحية وزارته شخص كبابكر عوض الله، وقد أثبت فيما سلف بأنه رجل لصيق بالشيوعية، لا هي تنكره ولا هو ينكرها، ثم يأتي في قائمة وزارته محجوب عثمان، وفاروق أبو عيسى، وجوزيف قرنق، وثلاثتهم أعضاء في مركزية الحزب الشيوعي!! هذا عدا طائفة من الوزراء اليساريين الذين يشكلون حكومة الثورة، ماذا كان ينتظر منا (الثوار) غير الثورة الضاربة (ونحن تنظيم عقائدي)، على كل هذا

النظام الذي جعل للشيوعيين من أول وهلة أسبقية في الحكم، وجعلهم فوق ذلك عنواناً بارزاً للوضع الجديد.

ماذا كانت الثورة تتوقع منّا ونحن نستمع إلى إعلان قائمة الوزراء لنجد فيهم بجانب الشيوعيين البارزين أسماء (طه بعشر، مكاوي مصطفى، موسى المبارك، محمد عبدالله نور، مرتضى إبراهيم، سيد أحمد الجاك، عبدالكريم ميرغني)؟ ماذا كانوا يتوقعون منّا ونحن نحسُّ منذ الوهلة الأولى (ونحن تنظيم عقائدي) أننا أمام إنقلاب عسكري لا نعرف منه غير اللواء النميري، وأمام حكومة شيوعية سافرة نعرف أفرادها واحداً واحداً؟ ماذا كانوا ينتظرون منَّا؟ ماذا كانوا ينتظرون؟ ألا يكفي أننا وقفنا هذا الموقف الضعيف بمثل هذه المعارضة السلبية أمام وضع هو أعدى أعدائنا وأعدى أعداء هذا الشعب بكل قطاعاته!! هل كانوا يطمعون في تأييدنا لوضع شيوعي فاجر نعرف نحن دون سوانا أبعاده ومراميه؟ فأين إذن التغيير الذي يطمعون في أن نؤيده ونهتف له أو نشدُّ من أزره؟ أم يظنون أن البديل الذي جاء خير من الأصيل الذي ولَّى؟ ألا ساء ما يحكمون!! وحقاً قد أولت الثورة هذا النظام اهتمامها الخاص، التنظيم الذي لم يحكم ولم يكن له وزير أو وكيل في كل الحكومات التي مضت فماذا كانت مظاهر هذا الاهتمام؟؟ أنها قد زجَّت بعدد من قادته بعد أربعة وعشرين ساعة من (اندلاعها)؟؟ في الوقت الذي لم تستطع فيه أن تقبض على كل الوزراء الذين كانوا سبب الاندلاع؟ ثم أخذت الثورة تتعقب أفراد هذا التنظيم في معظم مدن السودان وتزج بهم في السجون، وأولت اهتماماً خاصاً بالعاصمة فقبضت على عشرات منه وأودعتهم سجن (كوبر) بأوامر من الشيوعيين ونحن نعرف ذلك.

وأولتهم الثورة اهتماماً خاصاً حين أخذ قائدها، يكيل التهم لهذه الجماعة المؤمنة، بلا حساب ودون أن يعرف عنهم شيئاً إلا ما يمليه عليه الحاقدون والموتورون والعملاء، فأخذ القائد ـ الذي كان في حاجة لكسب كل فرد في البلاد ــ يسب ويشتم الإخوان ويتهمهم بالعمالة للاستعمار دون أن يعرف واحداً من الإخوان أو يقرأ شيئاً عن تاريخهم النضالي منذ قامت دعوتهم إلى اليوم وإلى الغد ، وزادت الثورة في اهتمامها حين خصصت في إذاعتها الرسمية برنامجاً خاصاً يتولى الإشراف عليه الشيوعيون وحدهم بلا رقيب، ليعلنوا على الإخوان حرباً سيكونون هم أول من يكتوي بها... نعم تلك بعض الاهتمامات التي أبدتها (الثورة المباركة) للإخوان المسلمين، ولكن الله وحده سيوليهم أضعاف مثل هذا الاهتمام. ولئن

سكت الإخوان حتى الآن عن الدفاع عن أنفسهم وهم القادرون على شتَّى الوسائل، فما كان ذلك إلا تقديراً منهم لتوفير أكبر قسط من الاستقرار لهذا البلد المنكوب حتى يندمل الجرح العميق الذي أصابه بسيطرة الشيوعيين عن طريق هذه الثورة على البلاد، وهم كذلك إن سكتوا عن الدفاع الشرعي فما ذلك إلا إيماناً منهم ب (أن الله يدافع عن الذين آمنوا)، ولسوف يرون صدق ما أقول فيما سيؤول إليه أمر الشيوعيين ومن أعانهم ، إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً.

أما ما ألمح إليه الوزير من أن بعض الإخوان أبدوا تفهُّماً للثورة، فذلك محض افتراء وكذب ، فما كان للإخوان في الثورة إلا رأي واحد أعلنوه وساروا عليه، وحتى الذين أشار إليهم الوزير قد قضَّوا مدة طويلة بالسجن، فما طلب أحد منهم من الوزير إفراجاً، وأبدى رأياً جديداً في الثورة المشئومة، أما إن أراد الوزير أن يشير بطرفٍ خفيٍّ إلى أن بعض الإخوان أخذ يؤيد الثورة ـ كذباً ـ لكي يشعر الشيوعيين ـ وقد بدأت الآن العلاقات بينهم تسوء ـ بأنهم يمكن الاستغناء عن تأييدهم، أما كان أحرى بالوزير أن يلتمس إلى ذلك طريقاً غير الذي سلك، أما الإخوان فلم يتغير رأيهم في الثورة إلا إذا غيَّرت الثورة رأيها في الشيوعيين إلى الأبد، وسيظلون على ذلك حتى تُبدي الثورة موقفاً غير الذي وقفت، وحتى تعيد النظر في واقع حكومتها (الكسيحة العرجاء) وتبدى منهجاً واضحاً في عودة الديموقراطية وحكم الشورى في هذه البلاد. وكم كانت الثورة تجد التأييد منذ الوهلة الاولى لو أنها ما فتحت ثغرة ولو يسيرة ينفذ منها الشيوعيون، فما كان أحد في هذه البلاد بأكثر سخطاً وحنقاً ونقداً للحكومة السابقة من الإخوان المسلمين ونحن أول من يرحب بالتغيير وبالثورة، ولكن الثورة أخطأت طريقها من اللحظة الاولى حين أشركت معها الشيوعيين.

أما حديث الوزير عن المتفجرات فماذا اقول فيه ؟! ماذا أقول بعد اتهامات الوزير بنفسه للإخوان ، بأنهم هم المسئولون عنها حتى قبض منهم اثنان هما عبدالمنعم حسن، وشيخ الدين محمد عبدالله، وأُودِعا بالسجن مدة طويلة، ماذا أقول وقد فتح العملاء أفواههم كأفواه المدافع الخائبة، ينسبون كل شيء من ذلك إلى الإخوان المسلمين، وها هو الوزير يعود ليقرر هذه بكلماته (أن هؤلاء المتهمين ينتمون إلى تنظيم جديد لم تعرفه البلاد من قبل) ، فلتخرس الألسنة والنفوس المريضة، ولتعد إلى أجحارها هوام الأرض، وحشراتها السامة، وليسكت إلى الأبد اولئك الذين اتخذوا من الحديث المفترى عن الإخوان تجارة رابحة من خلال الإذاعة والصحافة، وليبحثوا عن مصادر أخرى، لعلها تغنيهم، إن كانت نفوسهم

المريضة تعرف الغنى والشبع أو كانت قلوبهم الحاقدة تعرف الخير، أو كانت وجوههم الداكنة تدرك الخجل والحياء!!

• مضى شهر أو يزيد منذ حددت إدارة السجن الجمعة الثانية من كل شهر لزيارة ذوي القربى، وهاهي الجمعة التي حُدِّدت لهذه الزيارات، وكم أثلج نفسي أن أرى والدتي وبعض من الشقيقات والأطفال، ويقيني أن أقف على بعض أخبار المجتمع في حدود معينة وأن أتلقى من كل الأهل والجيران والأصدقاء تحايا تمدنا بالزاد حتى يتم لقاء آخر بمشيئة الله .

السبت ١٣/٩/١٩٦٩م

• جرت اتصالات بين المسئولين والإخوان في محاولة لمعرفة رأي الإخوان، وأسباب معارضتهم للوضع القائم ، ومقترحاتهم التي يقدمونها تمهيداً لتنقية الجو، والخروج بهم من هذه المعارضة إلى وضع يضمن الاستقرار ، وعلمت بأن الإخوان اشترطوا إبعاد الشيوعيين، وإعادة حكم الشورى المبني على أسس مدروسة، تنأى بالشعب عن كل مساوئ الأوضاع السالفة، وقيام حكومة انتقالية وطنية ـ لا يمثل فيها الشيوعيون ـ تجتاز بالبلاد من المرحلة القائمة إلى المرحلة الجديدة، ثم وضع دستور إسلامي تُحْكَم به البلاد، وحتى الآن لا أعرف رد الحكومة.

• عُقِد خلال الأسبوع الماضي مؤتمر للشيوعيين، ناقشوا خلاله موقفهم من الثورة، هذا وقد حدث انشقاق في صفوف الشيوعيين حول تأييدهم أو معارضتهم للوضع الراهن وكانت جريدة ( ) قد أشارت منذ فترة أنها ستنشر رأياً هاماً لأحد قادة الشيوعيين حول الموقف الراهن، وقد وضح خلال الفترة السابقة أن فتوراً واضحاً قد طرأ على علاقات الشيوعيين بالحكومة.

الأحد ١٤/٩/١٩٦٩م

لازالت الأحداث تجري على نسق رتيب، ولكنها تصعد حيناً بلا توقع منذ قلتُ أن المفاوضات قد بدأت بصورة جادة بين الإمام الهادي ورجال الثورة في كوستي وأبا.. وصلت أنباء أخرى وثيقة الصلة بها تؤكد أن السيد أحمد المهدي قد سافر إلى بورتسودان لمقابلة السيد الصادق بالسجن هناك، ويبدو أن هناك محادثات معه تتضمن موضوع دائرة المهدي والإجراءات التي يتخذها مجلس قيادة الثورة من حيث مصادرة محلج ربك، ومعصرة الزيوت

التابعتين لدائرة المهدي، إلا أن الموضوع الرئيس الذي بحثه السيد الصادق مع السيد أحمد المهدي هو الموقف السياسي الراهن، ومدى التعاون معه، بعد إزالة الأسباب المانعة من هذا التعاون، ويبدو أن هذه الزيارة بموافقة الحكومة، لذلك قد جرى البحث بينهما حول نقل الصادق إلى الخرطوم، وقد كان الرأي السائد من قبل لدى المسئولين أن ينقل إلى منزلٍ بمدينة الدامر، ويبدو ان مجيء السيد الصادق إلى الخرطوم أصبح وشيكاً، ولا شك أن ذلك وثيق الصلة بموضوع المفاوضات الجارية مع السيد الإمام، الذي اشترط أولاً فك أسر السيد الصادق.

ولعلَّ مما يؤكد ذلك أن المفاوضات مع المسئولين والسيد الإمام قد وصلت مرحلة الحد النهائي، على أيَّة حال فإن الأمور حتى الآن تستمر بين الإمام والحكومة في جو من التفاهم بعد انقطاع تام بدأ منذ قيام الثورة، وتخللته اتصالات خاصه قام بها مع السيد الإمام ـ بإيعاز من رجال الثورة ـ بعض أفراد بيت المهدي من المدنيين والعسكريين الذين لهم صلات بالأنصار.

هذا وقد سبق للمسئولين حين كان السيد الصادق في جبيت أن صادروا فيه مذكراته التي قطع فيها شوطاً بعيداً، ويبدو أنهم بعد الاطلاع عليها قد عرفوا فيها كثيراً من الحقائق التي كانت خافية عليهم وهم في غمرة أحداث الإنقلاب الأولى، مما جعل تقديرهم لكثير من الأمور، وقد علمت بأن اللواء النميري قد تتأثر كثيراً حين علم هذه الحقائق، ولعلَّ ذلك من الأسباب التي ساعدت على تلطيف الجو كثيراً بين الثورة والإمام الهادي، وعلى أيَّة حال فإن الأحوال الآن تسير في جو من التفاهم، خاصة وقد بدأ المد الشيوعي في الانحسار في أجهزة الدولة الرسمية، وبعد الهجوم المباشر الذي شنَّه اللواء النميري عليهم في أكثر من مناسبة، ولو أنه سيذكرهم بالاسم، إلا أن الإشارة إليهم كانت أشبه بالتصريح، خاصة في احتفالات توقي بالثورة، انني أتوقع أمراً، فلننتظر فقد لا يطول الانتظار.

الأثنين ١٩٦٩/٩/١٥

ظلت اتصالات اللواء النميري بالسيد محمد عثمان الميرغني رئيس الختمية، وواضح أنها تدور في فلك الاتصالات الجارية الآن مع الإخوان المسلمين ومع طائفة الأنصار. وقد وضح الأن جلياً لرجال الثورة بالذات - ولا أقول الحكومة - بأن الموقف السلبي من هذه الكُتل السياسية إزاء الوضع السياسي الراهن، قد جعل رجال الثورة المسئولين يقومون بهذه الاتصالات الهامة، ومنطق الإنقلابات يقضي دائماً بأن من في يده القوة والسلاح هو الذي

يحكم، وهو الذي يطوِّع كل شيء في اتجاهه، ولكن التجارب دلَّت بوضوح على أن هذه النظرية فاشلة في السودان في شِقها الثاني، فالقوة قد تحكم ولكنها لا تستطيع أن تجعل كل شيء في قبضتها، ولعلَّ ذلك يرجع إلى طبيعة التكوين الجغرافي والتاريخي لهذا الشعب، وتجربة الحكم العسكري السابق، أوضح دليل على ما أقول. فقد ظلت القوة العسكرية بما لها من السلاح أن تحكم هذه البلاد ستة أعوام دون تأييدٍ من الشعب، بل ظلت الحكومة وحدها معزولة عن الناس، تعمل ومن مشيئتها (وحدها) ولكنها كانت تحسُّ بهذه العزلة، وتفقد في ذات الوقت القدرة على معرفة طريق الانفتاح على الشعب، بحكم طبيعة تكوينهم العسكري، حتى إذا اندلعت الثورة في أكتوبر ١٩٦٤م وضح أنه لم يكن مع الحكومة إلا نسبة لا تكاد تذكر من المنتفعين، رغم أن رئيس الحكومة آنذاك أكَّد أن ٨٠% من الشعب يقف مع الحكومة، وبالطبع لم يكن ذلك صحيحاً، فإن الثورة ضد الحكومة كانت تمثل الشعب السوداني مائة بالمائة. وانتهى الحكم العسكري المعزول عن شعبه دون أن يأسف عليه أحد.

ومنذ قامت الثورة الراهنة في مايو من هذه السنة، فقدت من أول يوم لها جماهير الإخوان المسلمين وحزب الأمة والحزب الاتحادي الديموقراطي بما فيه الختمية، رغم البيان السريع الذي أصدره راعي هذه الطائفة بتأييد الثورة، فما لبث أن عاد فوراً لمعارضتها، واستندت الثورة على تأييد الشيوعيين وحدهم، وقاموا بتمثيلية واسعة في مخادعة الوضع وإيهامه بأن مساندتهم وحدهم للثورة تكفي للسير بالحكم حتى نهايته، ولكن تلك التمثيلية سرعان ما انفضح أمرها، واستبان رجال الثورة الأمر على حقيقته، ووضح لهم بلا أدنى ريب بأن مصالحة جماهير هذه الأحزاب ضرورة تقتضيها لاستمرار الثورة، وتأمين مواقعها عن طريق هذا التعاون المشترك لخدمة البلاد في جوٍ من الأمن والاستقرار، ومن هذا المنطلق وحده كان هذا الاتصال الجريء الذي بدأ به العسكريون مع رجال الأحزاب، وهي خطوة يمكن أن يكون لها أبعادها إذا خلصت النيات، وأعاد رجال الثورة تقييمهم للأوضاع من جديد بعيدين من هواجس الأحقاد والتشظِّي، ونظروا للأمور نظرة موضوعية خالية من الحماس العاطفي والاندفاع المشبوب.

الثلاثاء ١٩٦٩/٩/١٦م

• الوضع في جامعة الخرطوم تركَّز في صراعٍ شديدٍ بين الإخوان والشيوعيين، وهو صراع عقائدي قديم، لم تنطفء ناره من قبل.. صراع بين الحق والباطل منذ خلق الله الارض، وأرسل الأنبياء والرسل.. ولكن اشتداد أمر هذا الصراع في هذه الظروف مرجعه إلى العداء الذي واجه به الشيوعيون الإخوان استناداً لمقاصدتهم للوضع الراهن الذي يعارضه الإخوان، وقد صمد الإخوان صموداً مذهلاً، بل قابلوا الشيوعيون بقلوب مفعمة بالأيمان، مستندة إلى تأييد الله وحده، وقد ارتفعت أسهم الإخوان بصورة واضحة بين طلاب الجامعة .

• الصحيفة الحرة التي تصدر اليوم في السودان كله بلا سلطان من الحكومة أو من أحد من البشر هي جريدة (آخر لحظة) التي يُصدِرها الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم، وهي جريدة حائطية صدرت عام ١٩٥٦م وظلت على مدى أربعة عشر عاماً تصدر بلا انقطاع، تحمل لواء الفكر الإسلامي الحر، وتواجه كل التحديات التي تقف أمامها ، تحررها أقلام مؤمنة توارثتها منذ صدورها حتى اليوم، حتى انها أقلقت الحكم العسكري الأول، وحاولوا مصادرتها.. وتُعلِّق في كثير من موضوعاتها عن الوضع العسكري الفاسد وعن ضرورة إنهائه، وخلقت هذه الصحيفة جواً طيباً، استطاعت الجامعة من خلاله أن تؤدي دورها الرائد في الحركة الوطنية، حتى خرجت فيها الصيحة الأولى والتي تفجَّرت بعدها ثورتنا الشعبية، فأطاحت بذلك الحكم الأرعن!!

وظلت آخر لحظة تواصل رسالتها في أحلك الظروف، وتواجه ضغطاً عنيفاً من إدارة الجامعة، ولكنها اجتازت كل مراحل الضغط مرفوعة الرأس، وقد وصلت مقالاتها التي تكتبها مرحلة من القوة والصراحة والتحدي الجريء للوضع الراهن، جعلها في طليعة الأخبار التي يتناقلها الناس في الخارج في شتَّى المجالات، الأمر الذي أقلق وزارة الداخلية، فحاولت إيقافها عن طريق الإدارة رسمياً، ففشلت وظلت حتى الآن تصدر تحت حماية الإخوان الذين يتابعون حركتها يومياً حتى الصباح، إلى أن يقرأها طلاب الجامعة الذين يتوافدون لقراءتها بأعداد كبيرة لما تنقله إليهم من أخبار لا يقرؤونها أو يجدونها في أي صحيفةٍ سودانية أو جامعية، و (آخر لحظة) هذه تصدر ثلاث نسخ طبق الأصل لتعلق في يوم واحد في كلية الزراعة بشمبات، وكلية الطب، وفي دار اتحاد طلاب الجامعة.

إن التاريخ حين يسجل عن الصحافة السودانية ستكون (آخر لحظة) التي يصدرها الإسلاميون بالجامعة في مقدمة صحافتنا السودانية لأنها وحدها كانت في الميدان يوم سكتت كل الأقلام وإلتوت أعناق الصحف... حياكم الله أيها الأبرار، فأنتم الملاذ.. وعليكم الأمل.. وبأيديكم وبأيمانكم خلاص هذه الأمة، التي عاشت في الظلام زمناً طويلاً.

الأربعاء ١٩٦٩/٩/٧م

أذاعت الحكومة اليوم قائمة بعددٍ كبير من الموظفين أُحيلوا إلى المعاش، أو فُصِلوا من الخدمة في عدد من الوزارات، ومازالت هناك وزارات أخرى سيجرى فيها نفس هذا الإجراء على كافة الموظفين فيما دون الدرجة الخامسة.. ويقيني أن هذا إجراء سليم وجرئ، نؤيده ونطلب فيه المزيد، فإن الحكومة المدنية ـ وهي الجهاز الذي تقوم عليه كل مرافق الدولة ومصالح المواطنين ـ تنتظر مثل هذه الثورة منذ وقت طويل، فقد ظل هذا الجهاز الحساس موضع الشكوى والاستياء والتذمُّر من كافة المواطنين، ولم يكن له من قبل علاج، وما كان ينبغي أن يكون، فقد وصلت الأوضاع حينها حدَّاً لا يُجدي معه العلاج، فجاءت هذه الخطوة الموفقة، نذيراً لكل موظف مهما كانت درجته، بأن بقاء الموظف في الخدمة رهنٌ بوفائه بالواجب الذي يتقاضى عليه مرتباً من كدح العاملين وعرقهم، على أن يعود عليهم عملاً وإخلاصاً وشعوراً بالواجب والمسئولية.

وكم يكون هذا العمل مثمراً أكثر لو أن الرقيب الاداري - وشرطه الأول أن يكون له في ذاته رقابة ضمير- قد مُنِح من الصلاحيات ما يستطيع به فصل أي موظف من الخدمة أو إحالته إلى المعاش حين تتجمع لديه الحقائق التي تؤدي إلى هذه الخطوة، دون تعقيد في الإجراءات أو اللجوء إلى المحاكم التي كثيراً ما تُفسِد مثل هذه الخطوات الاصلاحية الواسعة ببطئها وعقم إجراءتها، ومالم تكن في يد الرقيب الإداري مثل هذه السلطة الهامة فإن عجلة الخدمة المدنية سرعان ما تلُفّه لتدور به في الحلقة المفرغة التي لا تنتهي عند غاية، وبذلك تظل الأمور عند النقطة التي بدأت منها!!.

إن مزيداً من مثل هذه الخطوة، أمر تقتضيه مصلحة هذا الشعب المهضوم خاصة في الوزارات التي ادَّعت الحكومة بأن مجلس الوزراء قد نظر في أمرها ولم ير ضرورة لإجراء تطهير فيها!! إنني على ثقة من أنه ما مِن وزارة أو مصلحة أو مؤسسة أو أي مرفق من مرافق

الدولة، يفتقر إلى هذا المبضع البتار ليقصي كل عضو فاسد مفسد، ذلك أن الفساد حلقات ممسكٌ بعضها برقاب بعض، وما لم تقع عليها ضربة قاصمة، فإن الرِّدة لا محالة واقعة، وسيذهب كل هذا الجهد المبذول سراباً بقيعة يحسبه الظمآن ماءً، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً!!.

إن الاصلاح ضرورة وطنية في المقام الأول، والاصرار عليه مع المداومة المخلصة، أمرٌ يفرضه الضمير وتوجيه النظرة السليمة للأمور.

• شاء الله أن يخرج اليوم اثنان من الإخوان هما شيخ الدين ومحمد سعيد سليمان، وكلاهما دخل السجن بإيعاز من الشيوعيين الذين وجدوا فرصتهم خلال الأشهر الماضية، ورغم أن الأول فيهما قد تسوَّر عليه البوليس منزله ليلاً، ليصحو من نومه ويجدهم أمامه وجهاً لوجه، وأن الثاني هو زعيم عمالي موقوف كان يتوقع مثل هذا الموقف وهو يواجه الشيوعيين في مصلحة النقل الميكانيكي، إلا أن ذلك لم يزدهما إلا أيماناً برسالتهما، وصلابةً في موقفهما. إن المستقبل مهما يكن ال ظلام فهو للمؤمنين، وأن الذين كتبوا في تاريخنا سطوراً خالدة لهذه الدعوة الإسلامية حين دخلوا السجن، هم الذين نابوا عن إخوانهم ليلقى الجميع موكبٌ خالدٌ حاشدٌ متجهين معاً إلى الله رافعين بسواعدهم القوية مشاعل الحق واليقين من أجل مستقبلٍ مشرقٍ يقوم على العدل والايمان.

الخميس ١٩٦٩/٩/١٨م

ما ضحكنا منذ دخلنا السجن ضحكاً متواصلاً مثلما فعلنا اليوم، فقد جاء حيث نسكن عدد من عمال (الجمكسين) لينثروا هذا المُطهِّر في حجرتينا، وانتظروا قليلاً في الحوش فخرجنا ليدخلوا وكانوا يقفون صفاً واحداً بمعداتهم، فقلنا (السلام عليكم يا إخوان) فلم يردوا السلام، وتقدم منهم المقدم مُقْبِل، وهو رجل مرِح يميل إلى الدعابة، فاقترب منهم وقال بصوت مسموع (السلام عليكم) فلم يردوا وظلوا صامتين حين كان الجاويش (خير) يقف قريباً منهم، فقال مُقْبِل (الجماعة ديل طرش؟) ولم يردوا، وكررنا أخيراً السلام فلم يتحركوا، وكنا نضحك حتى قعدنا على الأرض من هذا المنظر الغريب، ولم نكن نعرف السبب، وأخيراً عرفنا أنهم قبل دخولهم حذَّرهم المسئولون بأن من يفتح فمه بكلمة واحدة مع السجناء سيدخل السجن، فجاءوا بهذه الحال، وهم مهمومون من هذا التحذير العجيب!!.

وكان أحد هؤلاء وهو صبيٌّ مفتوح الفم بطبيعته، وكانت أسنانه ظاهرة ، فأردنا أن نُكمِل ضحكنا، فقال أحدنا يا جاويش إن هذا ـ وأشار إلى الصبي ـ فمه مفتوح!! فما كان من الصبي إلا أن أسرع ليقفل فمه بطريقة ضاعفت من الضحك، عند خروجهم قلنا (مع السلامة يا جماعة مع السلامة) ولكن ذلك كان كله صرخة في وادٍ، ولم يردُّوا وهم يتراجعون للخروج ومن الباب العريض، كل هذا والحراس معنا يضحكون بصورة تدعو للضحك، وظللنا معهم مدة طويلة نُعلِّق على هذا المنظر الغريب!!

أيها السجناء كم أنتم مظلومون!! لقد كتبوا عليكم أنكم إذا أديتم التحية حرموكم حتى من سماع ردِّها، بل حرموا غيركم من ردِّها وهم كارهون!!.

• غادر اليوم أخ آخر ظل فترة طويلة في السجن متنقلاً بين (كوبر) وسجن (دبك) الذي يقع شمالاً من قرية (قَرِّي) عاصمة العبدلاب أيام السلطنة الزرقاء، ثم بورتسودان ثم جيء به إلى حيث التجمع الكبير للسجناء السياسيين في (كوبر).. إن الطاقات العاملة في الخارج تتقيد كثيراً كلما انضم إليها عامل في سبيل الله.. إن بقائنا في السجن والصبر عليه في رضاء الله، وأن الخروج من السجن والعمل من أجل الله فيه مرضاة لله، سيَّانٌ عندنا السجن والخروج منه، فكلا الحالين عند الله مرضاة وأجر.

• وإلى مستشفى الخرطوم غادرنا السيد أحمد زين العابدين، وزير الصحة السابق، وأحد قادة الحزب الاتحادي الديموقراطي، بعد أن ظلَّ معنا منذ أول يوم دخلنا فيه، وكان خلال هذه الإقامة مثالاً للرجل المخلص، والرجل الثابت العامل من أجل بلاده، وليست هذه مرَّته الأولى التي يدخل فيها المعتقل، ولكن هذا السجن بالذات قد عرفه من قبل معتقلاً أيام الحكم العسكري الأول، عاملاً من أجل بلاده، مستهيناً بكل ما يلاقيه في سبيلها... نسأل الله له العافية حتى يواصل جهاده ليلقى جزاء العاملين الاوفياء.

الجمعة ١٩٦٩/٩/١٩م

منذ كتبت عن البرنامج الحاقد المسموم الذي كان ينفث أحقاد الشيوعيين على الإخوان، ممثلة في كلماته التي تنضح بالضعف، وتسيل بالصديد والحمأ، منذ ذلك اليوم وحتى الآن لم ترتفع لذلك البرنامج المسمى ب (أخوان الشيطان) كلمة، ولعلَّ الحقد الذي يملأ كاتبيه ومن يساندوهم من عملاء موسكو، قد سد عليهم منافذ الحياة، فماتوا وماتت معهم سمومهم، أو

ماتوا هم بفعل هذي السموم، انتهى ذلك الحقد الدافق والقلم المأجور، واللسان المبتور، ولعلَّ الحكومة أدركت بلا ريب عواقب ما تبثه الإذاعة الرسمية من حديثٍ متقيِّح، وكذبٍ وبهتان، فرأت أن يوقف هذا العبث، وهذا الهراء الذي وجد خلاله الشيوعيون مجالاً بلا رقيب، ولساناً بلا ضمير، وقلماً بلا أخلاق.!!

إن واجب الحكومة إقامة ميزان الحق والعدل بين الناس، للحفاظ على الأمن قبل أن ينقلب إلى ﴿ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾، ولعل الحكومة بعد وقت طويل من بدء هذا البرنامج قد أدركت هذه الحقيقة فعملت على وضع الأمور في مكانها السليم، ولربما كان من أسباب ذلك، المفاوضات الجارية اليوم بين الإخوان وبين رجال الثورة.. أيَّاً ما يكون السبب، فإن الحكومة قد أحسنت صنعاً بهذه الخطوة، فإنها بذلك قد وفَّرت على نفسها جهداً عسيراً، وأراحت الناس من غثاء كان يستمعون إليه وهم لاعنون.

إن الذي يتنكب الطريق سرعان ما يهتدي إليه، إن هو ثاب إلى الله لحظةً وإلى الضمير أخرى، وهذه الخطوة من الحكومة هي أول خطوة في طريق الصواب والرشد.

• ذكرت بعض الأنباء أن السيد الصادق المهدي قد نُقِل من بورتسودان إلى مدينة شندي، وربما كان ذلك تمهيداً إما لنقله للخرطوم أو لإطلاق سراحه، وجاء في الأنباء أن اللواء النميري سيسافر إلى الشمالية وستكون شندي ضمن المناطق التي سيزورها، وأغلب الظن عندي أن هذه الزيارة وثيقة الصلة بنقل السيد الصادق إلى شندي.

السبت ١٩٦٩/٩/٢٠م

• تأكد اليوم بأن المفاوضات الجارية بين السيد الهادي والسيد محمد عثمان من جهة وبين الحكومة من جهة أخرى، قد وصلت إلى اتفاق بين الجانبين على كل المسائل التي كانت محل البحث وسبباً للخلاف، وأن أول هذه المسائل هو إقصاء الشيوعيين عن المركز الذي يحتلونه اليوم في الوضع الرسمي الراهن، وأن تنفيذ هذه النقطة سيتم وفق الخطة التي تقوم بها الحكومة مع اطلاع الطرفين على خطواتها.

• نشرت الصحف أمس أن السيد فاروق حمد الله وزير الداخلية، أصدر تصريحاً قال فيه إنه ليست لديهم تُهَمٌ ضد السيد الصادق المهدي!! وواضح من ذلك أن هذا الموضوع مرتبط ببعض بنود المفاوضات السابقة، وأن إطلاق سراح السيد الصادق كان شرطاً سياسياً تقدم به

السيد الإمام الهادي، ويبدو أن الأمور بوجه عام آخذة في الوضوح شيئاً فشيئاً، وربما ظهرت قريباً بوادر تشير إلى تقارب أكثر.

• أذاعت محطة لندن أمس نبأً يقول بأن صحة الرئيس عبد الناصر قد تأخرت وهي آخذة في الهبوط، وكان قد أُذيع من قبل أن كل المواعيد التي حُدِّدت معه من قبل قد أُلغيت .

• دخل السجن اليوم ثلاثة من كبار تجار السودان هم السادة: علي دنقلا، ومحمد أحمد ملاح، والأمين دفع السيد!! وكانوا شهود اتهام في القضية المقامة ضد وزير التجارة السابق، وقد رأت المحكمة وضعهم في الحراسة لأنهم تحولوا إلى شهود عدائيين للاتهام!! وقد حدثت مفاجآت كثيرة خلال المحكمة التي تخللتها بعض الخشونة اللفظية من رئيس المحكمة ومن الشهود عند ردهم على أسئلة نائب الأحكام!! وظلت القضية تُنظر أمام المحكمة حتى الآن مدة أحد عشر يوماً، عُقِدت خلالها أثنتا عشرة جلسة، وجو المحكمة العام واضح فيه اتجاه صريح لتجريم الوزير، رغم ما أعلنته المحكمة من توفير أسباب العدالة للمتهم، خاصة فيما يصدر من رئيسها من أسئلة بطريقةٍ فظَّةٍ بعيدة عن العدل، بل أنها أشاعت جواً من الارهاب الغريب.. إن كثيرين يمكن أن يحاكموا في وزارة التجارة ، فهل تمتد إليهم يد القانون؟!

• وقع أمس الأول صدامٌ عنيف في جامعة القاهرة فرع الخرطوم بين الشيوعيون والقوميون العرب، مما استدعى تدخل البوليس في الأمر واقتحم حرم الجامعة، وهذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها بين المعسكرين صدام من هذا النوع، بل الأمر كان على العكس فقد ظلا يتعاونان طوال السنوات الماضية، خاصةً في الانتخابات وفي كل المسائل التي يكون الإخوان طرفاً فيها، وهذه الظاهرة الجديدة في جامعة القاهرة الفرع ليست من الأحداث التي تمر كغيرها من الأحداث اليومية، ذلك أن جامعة القاهرة الفرع وإدارتها كلها تتجه الوجهة العربية، ويُعتبر معسكر القوميين العرب فيها هو الابن الشرعي للجامعة، ويعتبر الشيوعين فيها الصديق الأوحد لهؤلاء القوميين. وظلت هذه العلاقة بينهما لا يعكِّر صفوها شيء مهما ساءت العلاقات بين المعسكرات الأخرى، وأهمية هذا الصراع الجديد ترجع إلى ارتباط هذين المعسكرين المماثلين في الحكومة القائمة، وذلك يعني أنه يعكس صراعاً مماثلاً داخل الحكومة ومجلس الثورة و بين الشيوعين والقوميين، ولعل ارهاصات هذا الصراع قد بدأت من قبل فيما أشرت إليه في بعض التحليلات السياسية السابقة. إن لم يكن ذلك صراحة فقد جاء قطعاً تلميحاً في أكثر من موضع أو خبر، وقد ابرزتْ جريدة (الأيام) هذا الخبر بصورة واضحة،

ولعلها أيضاً مقصودة، ذلك أن هذه الصحيفة لو كانت على عهدها الأول حيث كان يسيطر عليها الشيوعيون مائة بالمائة، وحيث لم يكن للأستاذ بشير الا صفحة المنوعات التي يكتبها بحرية كاملة، لو كان ذلك لما قُدِّر لخبر هذا الصراع السياسي الجديد أن ينشر أو أن يرى النور!! ولكن جريدة الأيام بالذات ـ وقد لعبت دوراً هاماً في كسب الجولة للشيوعيين وفي الإنقلاب في أجهزة الدولة ـ قد تغير خطها اليوم إلى وطنية خالصة، حين آلت كل مقدرات تحريرها الآن للأستاذ بشير محمد سعيد، وحين أقصى عنها كل الأقلام والمحررين الشيوعيين، وأبدلهم بآخرين ممن لا ولاء لهم بعد الله إلا لهذا الوطن، وبالطبع فإن هذا الاتجاه الجديد لهذه الصحيفة الكبرى من أقضّ مضاجع الشيوعيين، ولكن هيهات ، فقد فاتهم الأوان وستصبح مضاجعهم كلها جمراً متقداً، وستُسد أمامهم المسالك والدروب، فقد عرف الآن الشعب السوداني أعداءه الحقيقيين، الذين ظلوا على خداع هذا الشعب طوال بقائهم يرتدون جلد حمل على هيكل ثعلب غادرٍ لئيم.

الأحد ١٩٦٩/٩/١٢م

• في جامعة الخرطوم جرت بين أساتذتها انتخابات ممثل الأساتذة في مجلس الجامعة، وقد انهزم ممثل الشيوعيين بجدارة بعد ان فاز عليه بأغلبية ساحقة ممثل الأساتذة الوطنيين الأستاذ دسوقي، وتعد هذه النتيجة نقطة تحول كبرى في تاريخ الشيوعيين بالجامعة، فقد ظلت هيئة اساتذة الجامعة لعبة في أيدي الشيوعيين يسخرونها كيف شاءوا، وجاءت هذه النتيجة بدايةً لما بعدها.

• تسلمت وزارة الإرشاد إدارة دار النشر الإسلامي بعد أن تمت مصادرتها بعد قيام الثورة بأيام قلائل، أترى هل سيستمر وضع يد الحكومة عليها دون وجه حق أمداً بعيداً؟؟ إنني أرى بظهر الغيب أن ذلك لن يطول فإن الجهد والإخلاص الذي يبذله العاملون في سبيل الله ومن أجل الحركة الإسلامية لن يضيع، وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

• من الحقائق السياسية الخطيرة التي برزت هذه الأيام ما تأكَّد لي من أن الرئيس جمال عبد الناصر كان قد وجَّه نصحه لرجال الثورة وعتابه لهم في قوله (إنني طوال حكمي لمصر، منذ قيام ثورة يوليو وإلى اليوم لم أُرشِّح في جميع وزاراتي شيوعي واحد، بل أن حكومتي اليوم فيها وزارات من الإخوان المسلمين، وإنني منذ تكونت وزارتكم وهي تضم عدداً من الشيوعيين

لجأتُ إلى اعتقال أكبر عدد من الشيوعيين في مصر، ورغم أن هذا العمل قد أغضب الاتحاد السوفييتي، إلا أنني أكَّدتُ لهم بأن هذا الإجراء فيه مصلحتهم ومصلحتي، لأن الشعب المصري لن يقبل أن تحكمه وزارة تضم شيوعياً واحداً) هذا ما نقله حسن عباس زكي عند مجيئه أخيراً على رأس وفد المفاوضات المصري.

• نشر الأستاذ ميرغني النصر المحامي مقالاً بجريدة (الأيام) هو الأول من نوعه منذ قيام الثورة، فقد شنَّ فيه هجوماً عنيفاً على الشيوعيين وحمَّلهم تبعات كثير من الاهتزاز الذي حدث في البلاد خلال هذه الفترة، والمقال بجانب أنه جرئ ومخلص وأمين، فقد أحدث أثراً بعيداً في مختلف القطاعات لما يحمله من حقائق، بدأ الناس يحسُّونها عملياً منذ أصبح للشيوعيين يدٌ في هذه الحكومة.

• الاستاذ بشير محمد سعيد الكاتب الصحفي المعروف لفت نظر الحكومة في كلمة كتبها بـ (الأيام) إلى أن التطهير الأخير الذي بدأت به الحكومة في بعض الوزارات سيرفع كثير من الظلم عليهم خاصة أنه لفت نظر الحكومة إلى ضرورة التدقيق في كل ما تعرضه لجان التحقيق في هذه الوزارات مخافة أن يكون للشيوعيين ـ وقد مرت فيهم تجارب في هذا الشأن ـ يدٌ ضد خصومهم السياسيين.

• اجتمع اللواء النميري بالسيد محمد الحسن عبدالله رئيس نقابة عمال السكة حديد، وهو من الوطنيين المخلصين، وأكَّد له بأن هذه الثورة ليست ملكاً لهيئة أو جهة، هذا وقد حدثت في مدينة عطبرة قبل أيام أزمة حادة أدت إلى عقد مؤتمر عمالي كبير، وواضح فيه أن صراعاً عنيفاً قد نشب بين الشيوعيين لأن هذه النقابة يسيطر عليها الوطنيون.

• قيل إن اجتماعاً وطنياً قد تم بين اللواء النميري والأستاذ بشير محمد سعيد، دار فيه حديث وطني، بدأت بعده جريدة الأيام تنشر كثيراً من الحقائق والأخبار عن الشيوعيين، وستكون لهذه السياسة ذات أثر بعيد في كشف الحقائق عن طريق تعبير المواطنين عن آرائهم عن طريق النشر، وقد سبق أن قادت هذه الصحيفة تحقيقات واسعة تتعلق بالمعتقلين والمحاكمات، وعن الإخوان وغيرها من الحقائق التي يجب أن يعرفها المواطنون.

• السيد وزير الداخلية استدعى عبدالخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعي (المنحل)، وأفهمه في لهجة حازمة بأن الحزب الشيوعي كغيره من الأحزاب لاوجود له، وأنه يحذر من أن أي خروج عن هذا الاتجاه والمبدأ ستُتخَذ إزاءه إجراءات بالغة الصرامة!!.

وهذا الخبر رغم صغره فإنه يحمل اتجاهاً كبيراً، وبدايةً لتحول عريض في سياسة الثورة، فقد ظل الشيوعيين يتبنون - ولا أقول يؤيدون - هذه الثورة منذ لحظتها الأولى باعتبارها ثمرة غرسهم، ونتاجاً لجهدهم وكفاحهم، وظلوا على هذا الفهم الذي ساعدهم عليه تساهل رجال الثورة أنفسهم، وأعانهم عليه أن وجدوا عدداً من الوزراء وبعضاً من أعضاء مجلس الثورة ينتمون إليهم، إما في مركزية الحزب الشيوعي، أو أعضاء فيه، وانطلقت المعارضة الوطنية المخلصة ترفع عقيرتها منذ أول يوم اندلعت فيه الثورة منادية بضرورة تجنيب البلاد عواقب هذا الحكم، وبأن هذا النظام الجديد نظام شيوعي صارخ، وظلت المعارضة الوطنية لا تكف عن هذا النقد المخلص، وظل عدد كبير من المواطنين يواصلون اتصالاتهم باللواء النميري بالذات، واضعين يده على هذه الحقيقة، وظل اللواء النميري ينفي ذلك الاتهام، وقد يكون ذلك بحسن نية فيه، وظل بابكر عوض الله يدافع عن وزارته بكل ما يملك، وينفي عنها تهمة الشيوعية، ثم هو في ذات الموقف يثني عليهم ثناء عاطراً يعترف بأن الوزارة تضم بعضاً منهم. أليس هو المسئول عن هذه الوزارة؟ وإذا مضى من عمر الثورة أربعة أشهر بدأت الحقيقة تبدو، وأخذ الظلام الذي يلتحف به الشيوعيون و يتسترون ينقشع، وبدأ بعض المخلصين يدركون معنى المعارضة وصدق ما كانت تنادي به وتلفت إليه الأنظار، وإن طاب للمسئولين في غمرة الحوادث أن يطلقوا على المعارضة اسم (الثورة المضادة) وهي في حقيقتها ثورةٌ مضادة للشيوعية التي ظهرت بوجهها الكالح، عنواناً لهذه الثورة من أول ميلادها!! إلا أن المعارضة قد أدت دورها الرائد المخلص من أجل هذا الشعب وسلامته، وأن الإخوان المسلمون يعترفون بأنهم أعلنوا هذا الرأي من أول يوم للثورة على هذا الفهم الذي يستهدف مصلحة الشعب قبل مصلحة الثورة ، ولله الحمد وها هي الثورة اليوم تضع يدها على الحقيقة التي لمسناها من قبل، وها نحن نلتقي على هذا المفهوم الذي يستهدف إقصاء الشيوعيين إقصاءً كاملاً عن هذا الشعب وكسر شوكتهم نهائياً، إذ ذاك هو موطن الخلاف، وهذا هو موطن اللقاء، إن الطريق مازال ممتداً، ومالم تتضافر القوى المخلصة المؤمنة على طول هذا الطريق، ومالم تدرك الثورة أخطاءها وتعرف أعداءها وتستبين أصدقاءها، فإنها ستسقط لا محالة صريعةً وهي في أول الطريق!!.

الأثنين ١٩٦٩/٩/٢٢م

• الضباط الكبار الذين اعتقلوا عشية الثورة ، ظلوا كذلك حتى أمس الأول، حيث أُطلِق سراحهم جميعاً، وهذه الخطوة الجديدة تتجه في نفس الطريق الذي بدأت تسلكه الثورة في محاولة جادة لفتح صفحة جديدة، تستهدف معالجة الأمور على أسس بعيدة عن الحماس، خالية من العاطفة المشبوبة، التي كثيراً ما تصاحب الثورات عند اندلاعها والتي كثيراً ما يجافيها التوفيق والتفكير المتئد، ووضع الموازين القسط بين الناس ، ورغم أن هذه الثورة لم تشذ عن مثيلاتها في العالم العربي، إلا أن ما يدعوها إلى مراجعة مواقفها وتصحيح أخطائها، هو وجود العنصر الشيوعي فيها كعامل رئيسي وهو أمر يرفضه المواطنون بكافة طبقاتهم واتجاهاتهم السياسية، الأمر الذي أحسَّت به الثورة من يومها الأول، فأفقدها سنداً لن تستطيع بدونه حكومة أن تقف على رجليها، ولو كان لها ملء الأرض ذهباً وسلاحاً، لذلك فنحن ننظر إلى هذه الخطوة التي ربما كان لوجود الأميرلاي عمر الحاج موسى وزير الدفاع، أثرٌ بعيدٌ فيها بوصفها اتجاهاً وطنياً حميداً، يمكن على أساسه تجميع القوى الوطنية الحقيقية في طريق واحد من أجل هذا الشعب الصابر، والوطن الذي ما زال بنيانه موشكاً على الانهيار منذ نال الاستقلال، وهو يترقب من خلال الغيب من يؤسسون بنيانه على أساس من الحق والخير والتضحية ونكران الذات، إنني آمل صادقاً أن يكون كل الذي يجري الآن انما هو إعداد لعمل كبير يرضى عنه الله تعالى لأنه يستهدف مصلحة أمة عاشت طويلاً تجري وراء السراب.

• انعقد اليوم في الرباط عاصمة المغرب المؤتمر الإسلامي الأول من نوعه في تاريخ الإسلام منذ سقوط الخلافة في القسطنطينية، وقد تجمَّعت في هذا المؤتمر خمس وعشرون دولة إسلامية، ولعل اشتراك تركيا في هذا المؤتمر الإسلامي التاريخي هو أبرز حدث في تشكيل هذا المؤتمر، ذلك أن تركيا منذ عهد كمال اتاتورك وغروب شمس الخلافة فيها أخذت تتجه اتجاهاً علمانياً، وقد نفضت عنها ثوب الإسلام، وجعلت من أوروبا مثلاً يُحتذى به، وشاركت كعضو بارز في حلف بغداد المشهور، وكان لكل الدول العربية موقف القطيعة منها، وها هي تركيا اليوم تجلس جنباً إلى جنب مع موريتانيا واندونيسيا وباكستان مصر والسودان وبقية البلاد الإسلامية ولا أقول العربية وتجلس بجانبها جميعاً إيران.

ها هي تركيا تعود من جديد إلى مكانها الحقيقي في موكب الدول الإسلامية ليمثلها فيه وزير خارجيتها الذي كان في استقباله في الرباط استقبالاً منقطع النظير، تكريماً لتركيا

المسلمة في شخصه، كما مثلت على مستوى القمة كل من باكستان (يحيى خان) وماليزيا (عبدالرحمن تنقو) والأردن (الملك حسين) ، وأن يمثل فدائيي فلسطين الزعيم المسلم القائد (ياسر عرفات)، إن قلوب المسلمين في كل بقاع الأرض يضرعون إلى الله القوي العزيز، أن يشُدَّ من أزر هذي القوى الإسلامية الجديدة، التي كانت فجيعة حرق المسجد الاقصى سبباً مباشراً لتجمعها الإسلامي التاريخي، إنه التجمع الذي كان حُلماً يراود كل العاملين في ميادين الحركة الإسلامية الصاعدة، فأصبح حقيقةً ماثلة ترمز إلى أقدس عقيدة وأقوى رباط، وأسمى غاية يسعى إليها المسلمين اليوم في هذا العالم المادي المضطرب الذي يفتقر إلى قوة روحية عقائدية إسلامية تهدي السالكين في متاهات هذا العالم، وتلقي على القلوب من الله الطمأنينة والسكينة، إنه عالم الكتلة الإسلامية الثالثة التي تمثل ميزان القوى بين ماديات الشرق الملحد والغرب المضطرب الحائر، إنه عالم الإسلام الجديد الذي يمتد من ماليزيا على جزر اندونيسيا على المحيط الهادي حتى موريتانيا المسلمة في أرض شمال افريقيا الغربي على المحيط الأطلسي، ان هذا العالم الإسلامي الجديد بطاقاته وثرواته المادية المودعة بمقدار ملايين الجنيهات في بنوك أوروبا، وعليها يقوم اقتصادها، وبتروله وأراضيه الزراعية الواسعة، وبالإيمان الدافق الذي يعمر قلوب المسلمين فيه، بكل هذه القوى يستطيع هذا العملاق الجديد أن يمتد على هذه الرقعة الرحيبة على طول القارتين الآسيوية والأفريقية، ليبدأ المسلمون بعدها على هذا المدى نسيج حياة جديدة حرة طاهرة، كريمة، تقوم على مبادئ الإسلام ونظرياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية الاصيلة، بعد أن عشنا جميعاً في هذه الرقعة نفسها على فتات موائد الشرق الملحد والغرب الطامح، إن هذا المؤتمر الإسلامي عمل كبير، ومسئولية تاريخية ، وكم يحدونا الأمل ـ وهو أمل الملايين ـ أن تكون هذه الحقيقة الكبرى هدفاً من أهدافه، وأن تكون فجيعة المسجد الأقصى تفسيراً صحيحاً لقوله تعالى ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾.

الثلاثاء٢٣/٩/١٩٦٩م

• في المقابلة التي تمت بين وزير الداخلية وقيادة الشيوعية المتفرعة والتي أشرت إليه من قبل، أكَّد الوزير لهم بأن الوزارة رجعت إلى ملفاتهم السرية منذ ١٩٥٩م حتى الآن، فتبيَّن أنهم لا يعملون لصالح البلاد، إنما يعملون وفقاً لمخطط خارجي، وبالنسبة لموقفهم من الثورة الآن قد وضح انهم لا يعملون بوجه واحد.. وأضاف الوزير محذراً ومؤكداً بأنهم حزب منحل ومحظور وأن مبدأ الرقابة مطبق عليهم كغيرهم، وأن الحكومة لن تتردد لحظة في اتخاذ إجراءات قاسية، إذا أحسَّت منهم خروجاً عن الطريق... (خطوة لها ما بعدها!!) .

• أكدت مصادر وثيقة بأن بعض كبار المسئولين أكدوا بأن إجراء تعديل وزاري يخرج بمقتضاه نحو عشرة وزراء، أمر وشيك الحدوث إلا أن الذي يؤخره قليلاً، الخطأ الذي صاحب تشكيل هذه الوزارة بسبب التسرع فيها وأنهم رغم اقتناعهم بحتمية هذا التغيير العميق إلا أنهم يفضلون التريُّث الآن.

• تردَّد بأن إقصاء رئيس الوزراء الحالي أصبح حقيقة ماثلة، وهو يمثل السودان الآن لدى هيئة الأمم المتحدة، وقد تحدث خطوة في هذا الشأن بعد عودته، هذا وقد علمت بأن السيد أحمد عبد الوهاب نائب القائد العام للقوات السودانية المسلحة سابقاً قد يتم اختياره كرئيس للوزارة القادمة.

• أصرَّ السيد الإمام الهادي في المفاوضات التي جرت بينه وبين الحكومة على النص على وضع دستور إسلامي لحكم البلاد، ورغم موافقتهم من حيث المبدأ إلا أنهم رأوا أن الانتقال فجأة من مبدأ الاشتراكية إلى الإسلام الصريح، قد يعد طفرة، إلا أنهم أكَّدوا أنهم سيمضون على مبدأ (الاشتراكية المتحدة مع الدين) وقد وافق الإمام في سبيل أن يلتقى الطرفان على أمر يُزيل السحب التي تراكمت في جو العلاقات بين الطرفين.

• حدث خلال هذا الأسبوع في مصر كارثة وطنية أشبه ما تكون في أسبابها بكارثة يونيو عام ١٩٦٧م، كانت الخيانة هنا وهناك هي السبب الأخير فيها.

فقد عبرت إسرائيل القنال في الضفة الغربية في قوة هائلة من الدبابات والمصفحات والمدافع الثقيلة، ولم تجد في طريقها أي مقاومة، وأنها قتلت مائتي جندي مصري!! وقد تبيَّن للرئيس عبد الناصر ان للاتحاد السوفييتي الضلع الكبير فيما حدث، ليتم الضغط على مصر

لقبول الحلول السلمية التي وقعت عليها الدول الأربعة الكبيرة، وأكدها نيكسون في خطابه الأخير الذي كان خيبةً للدول العربية كلها وموضوع لنقدها وهجومها عليه.

ونتيجة لذلك ، فقد أقصى عبدالناصر عدداً كبيراً من ضباطه الذين نالوا تدريبهم في الاتحاد السوفيتي وأجرى تطهيراً كاملاً في الجيش، وأشارت الأنباء المصرية كذلك إلى أن علي صبري، وهو من المقربين لعبد الناصر قد استقال، أو أُقيل حقيقةً على إثر عودته من روسيا محملاً بهدايا وبضائع تهرَّب هو من دفع جماركها وعاد حين عرف أمره ودفع قيمتها. ورغم أن هذا الخبر قد نُفي في الصحف الرسمية، إلا أن الحقائق تشير إلى صحته.

• أحد الضباط في الجيش أكد لبعض الإخوان انهم يسعون سعياً جاداً إلى جعل الإسلام واجهة حقيقية للنظام القائم، إلا أنه طلب إليهم أن يعمل الإخوان بطريقتهم من أجل إسلامية الحكم، وأن يُترك لبعض الضباط الذين يعملون لتحقيق هذا الأمل بل الواجب الديني، الحرية في السعي لتحقيقه بطريقتهم التي يختارونها.

• الأميرلاي عمر الحاج موسى وزير الدفاع يقوم بدور وطني كبير هذه الأيام في سبيل جمع الكلمة وتذويب الخلافات، ورأب الصدع القائم اليوم بين القوى الوطنية والحكومة، وقد كان على اتصال دائم بالإخوان في هذا الشأن، وستكون لمساعيه هذه آثار بعيدة المدى.

الأربعاء ١٩٦٩/٩/٢٤

• أقامت جامعة القاهرة فرع الخرطوم ليلة سياسية أمس تحدَّث فيها العميد خالد حسن عباس رئيس هيئة أركان الجيش، تحدَّث عن الاشتراكية، وعند ذلك حدثت هتافات من جهات مختلفة بين الحاضرين، بعضها ينادي بالاشتراكية الإسلامية، والاخر بالاشتراكية العربية الناصرية، وبعضهم بالاشتراكية العلمية، وعند ذلك قال السيد خالد (نعم إننا ننادي بالاشتراكية الدينية والأفريقية ...إلخ) ولكنه ركز على الاشتراكية الإسلامية، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى غادر المكان وخَّلف وراءه الهتافات تدوي كل ينادي على ليلاه .

• تم قبول أربعمائة طالب للكلية الحربية هذا العام، وهذه المرة الأولى التي يُقْبَل فيها مثل هذا العدد، إذ لم يكن يُقْبَل أكثر من مائة وعشرون طالباً، وقد دلَّت التحريات أن نصف هذا العدد تقريباً ينتمي إلى الشيوعيين، في يقيني أن هذا العدد وبهذه الصورة لن يكتب له الاستمرار، لن يستمر، لن يستمر!! لابدَّ من قوةٍ أخرى أكثر بكثير من إدارة القائمين بالحكم

اليوم لتجري هذا التغيير، إن إسلامية الجيش والبوليس هدف أساسي لبناء هذا الامة وبعثها من جديد، ولإبقاء الذين يجادلون أن يقفوا في وجه التيار. لإبقاء المنحرفين والملحدين والمارقين والفاسقين.

• في تعليق الإذاعة بعد أخبار السابعة مساء اليوم استغاثة وصراخ وعويل وذعر هو آخر ما يودع به الغريق الحياة، ذلك ما كان من الإذاعة حيث نشرت تعليقها هذا منادياً بوحدة الفرق الاشتراكية الغاربة، ويحذر من تحرك القوى الرجعية الحزبية للسيطرة على الثورة، إن وحدة القوى الاشتراكية لم تكن في يوم أكثر ضرورة منها اليوم ، إن القوى الرجعية عارضت الثورة منذ اول يوم بالمنشورات وهاهم قادتها اليوم في أعماق السجون بعض (الإخوان) ثم عارضوها بالمؤامرات والمظاهرات فأحبطت تدبيراتهم بعض (الكتلة السوداء)، وتضافرت ضدها الطائفية واستغلال الدين فأوقفتها الثورة عند حدودها (بالمصادرة)!! ومضت الإذاعة في مثل هذا النواح بصورة تثير الاشفاق على شرذمة الشيوعيين، التي بدأت تودع نفسها بهذه المرثية التي أسموها خداعاً بالتعليق.. إن الشيوعيين ، وهم يتسترون الآن تحت شعار (الاشتراكية) بدأوا يحسُّون القلق يسري في أوصالهم حين علموا بأن الثورة أخذت في الاتصال بالإخوان المسلمين وحزب الأمة في محاولة للوصول إلى اتفاق حول المسائل المختلَف عليها، والشيوعيون قبل غيرهم يعلمون أن الشرط الأول الذي تضعه القوى الوطنية ممثلة في الإخوان وحزب الأمة والأنصار والحزب الاتحادي الديموقراطي، باستثناء طائفة الختمية التي تضع (الإخوان والشيوعيين) في مرتبة واحدة من حيث إقصائهم، هؤلاء الشيوعيون يعلمون أنهم هم الهدف، وأن وجودهم في نظر هذه الاحزاب خيانة لهذا الوطن وجريمة بشعة في حقه، وأنه ليس أمام الثورة إلا خيار واحد، إما أن يظل الوضع الحاضر كما هو يسانده الشيوعيون وتقف ضده كل القوى الوطنية، وإما أن تقف معه هذه القوى ويذهب الشيوعيون إلى الجحيم، يحملون معهم كل أوزارهم وخيانتهم وعمالتهم وخطاياهم!! وقد استبانت الثورة طريقها بعد أربعة أشهر، وعرفت أنه من العبث والتحقير بها أن يظل الشيوعيون هم سندها الوحيد، إنهم كالسراب سرعان ما يتلاشى وينمحي إذا ما تحدرت الشمس قليلاً عند زاويتها عن الأرض، إنهم كالجليد برودة وذوباناً، هذه الثورة تريد أن تبقى، وألّا تجعل سندها أصناماً من جليد !!

لهذا كله طاش صوابهم، وأرتجت الأرض تحت أقدامهم فجعلوا من الإذاعة بموافقة وزيرها بؤرة تعيش فيها الكلمة الفاجرة، وتفوح منها رائحة العهر والتحلل، وأن الشيوعيون حفروا بأيديهم قبورهم، وأوقدوا نّار الفتنة على علم بها، وهم يعلمون سلفاً أن الزحف الوطني الإسلامي لن يُرّد ، فليوطنوا أنفسهم إذن على سعير لافح، وظمأ قاتل، ومعركة يدركون - هم قبل غيرهم - من الخاسر فيها، ومن الذين لهم عقبى الدار. إن المحنة التي يعيشونها اليوم ماحقة ساحقة، ستصيبهم في أنفسهم بالفتنة، وفي واقعهم بالهلاك، وستكون هي (الشاهد) موضوعاً على حافة قبرهم المهجور، فكتبوا عليه بأحرف رديئة شاحبه :(هنا ترقد الخيانة والغدر والحقد والمكر، والفتنة والشر) (فالله أكبر ، الله اكبر على كل من طغى وتكبر ومن بغى وتجبَّر).

الخميس ٢٥/ ١٩٦٩/٩م

بدأت إلى الشمالية اليوم رحلة اللواء النميري، وكنت قد أشرت إلى ذلك من قبل في معرض حديثي عن نقل السيد الصادق المهدي إلى شندي، وبالفعل قَدِم إلى شندي وحتى الآن لا أعلم ما تم فيما يتعلق بلقائهم بالسيد الصادق المهدي، وسنذكر ذلك في حينه، ما يلفت النظر في هذه الزيارة التي تستغرق تسعة أيام وتنتهي الجمعة القادمة، هو ما حدث في مدينة عطبرة، فقد ظلت هذه المدينة في الأسابيع الاخيرة مركز لصراع عميق شديد بين القوى الوطنية والشيوعيين، خاصة بين القوى العاملة، وفي نقابة السكة الحديد بالذات بوصفها أكبر نقابات السودان، وقد عكست الليلة السياسية التي أُقيمت لاستقبال النميري ورفقائه، صورة صحيحة لهذا الصراع، فقد كان المتوقع أن يكون استقبال النميري حافلاً، موحَّد بالهتاف، وطنيُّ المظهر، إلا أن شيئاً من ذلك لم يكن بل العكس هو الصحيح، فقد وضح مما تنقله الإذاعة أن هناك (هرجلة وضوضاء) وعدم نظام، بل كانت هناك بعض المشاجرات الواضحة والشديدة، مما أكد بأن الحفل كان مسرحاً لهذه الأحداث وغيرها، حتى أن النميري توقف مرة أثناء خطابه، وسأل بصوت مسموع، أين البوليس؟ وربما كانت هناك معركة بين الموجودين استدعت هذا التساؤل، وبرزت هذه الحقيقة واضحة في الكلمة التي ألقاها رئيس نقابة عمال السكة الحديد، ومندوب آخر يمثل وجهة الشيوعيين، فقد شنَّ الأول هجوماً على الشيوعيين، وأوضح أن الثورة ليست ملكاً لأحد أو هيئة، وأن العمال لن يُساقوا لفئة

كالقطعان، وعند بداية كلمته حتى نهايتها كانت الإذاعة غير واضحة، وأن فيها تشويشاً صناعياً من أجهزة الإذاعة وبيد العاملين فيها، وانقطع هذا التشويش وزال تماماً لما بدأ مندوب الشيوعيين كلمته، وقد شنَّ بدوره هجوماً على قيادة العمال الوطنية، كما شنَّ هجومه على القوميين العرب الذين قال عنهم إنهم يتسترون خلف هذا الشعار وهم ليسوا كذلك، وفيهم كثير من الأحزاب السابقة، تماماً مثلما رفع غيرهم شعار الإسلام في ثورة أكتوبر وغيرها، وطالب الحكومة بفرض رقابة على الصحف لأنها تعيش في حرب جعلت تهاجم من خلالها القوى الاشتراكية، وتهدد صفها بالانقسام .

وتحدث النميري بعد ذلك وكان غير مستقر في كلمته بادي الإعياء، وكان خطابه مرتجلاً ضعيفاً لا يرقى إلى مستوى الموضوعية في مدينة مختلفة المشارب كعطبرة، ودعا إلى نبذ الخلافات وإلى الوحدة القومية، وانتهى خطابه لتعيش المدينة بعده في دوامة من الصراع والتشاجر، مما يؤكد الضوضاء والهتافات المعارضة التي تُسمع من خلال المذياع.. من يدري فربما تجئ الأنباء غداً تنبئ عن شيء جديد، أليست عطبرة هي عاصمة النّار والحديد ؟!!

الجمعة ١٩٦٩/٩/٢٦م

فجأة.. وفي نشرة الأخبار الأولى، وضعت الإذاعة في صدر أنبائها، حديثاً لوزير الإرشاد (الشيوعي)، حول حرية الصحافة، أدلى به لإحدى وكالات الأنباء، وخلاصة ذلك التقرير المسموم: أنه لابدَّ من فرض رقابة على الصحف ووكالات الأنباء، لأنها أخذت تستغل الحرية الممنوحة لها في نشر مسائل تؤثر على وحدة الفرق الاشتراكية !!وأن الثورة حين رفعت هذه الرقابة التي كانت مفروضة منذ قيام الثورة كان ذلك بما يشبه (الميثاق)!! وأن الصحف قد خرجت عليه، وعليه فإن واجب الحكومة هو فرض هذه الرقابة وإعادتها من جديد، حتى لا يفلت الزمام من يد الحكومة.. وأني أرى أن زميليّ وزيريّ الداخلية والعدل يتفقان معي في وجهة النظر هذه لأن الصحافة إذا استمرت على هذا الحال فيعني ذلك تبديد طاقة القوى الثورية، وبعثرتها وإفساح المجال أمام القوى الأخرى لتأخذ مكانها، فواجب الحكومة هو العمل فوراً على وضع الصحف ووكالات الأنباء تحت المراقبة!!

هذه خلاصة وافية لتصريح وزير الإرشاد الذي ظلت تردِّده الإذاعة طوال اليوم هذا ما وراء الخبر!!؟

من الحقائق الثابتة أن الوزير الحالي كان رئيس لتحرير جريدة الأيام ومنها إلى الوزارة مباشرة، وكانت هذه الحكومة بالذات تحمل لواء الدعوة المستمرة إلى حرية الصحافة وعدم وضع أي قيد أمامها، وحتى إذا أخطأت الصحيفة فإنه يجب ان لا تعطل إدارياً بل لابدَّ من تقديمها للمحاكمة، وأن يصدر عليها الحكم من المحكمة نفسها، وظلت تلك الجريدة برئيس تحريرها تقود الحملة من أجل الحريات الأساسية، وضرورة كفالتها للمواطنين والصحافة، أي إن قانون الصحافة الذي تقدمت به الحكومة إلى الجمعية التأسيسية الأخيرة وسحبته أكثر من مرة قادت هذه الجريدة نفسها حملة شديدة وحرباً شعواء!! وظل رئيس تحريرها أو الوزير الحالي يقف تلك الوقفة الحماسية من أجل كفالة الحريات التي عن طريقها قادت هذه الجريدة هي نفسها حملة لصالح الشيوعيين وضد كل ما يمت إلى اليسار بسبب، حتى قامت الثورة الاخيرة ليجد هذا الصحفي نفسه وزيراً لوزارة الارشاد التي تقع الصحافة ضمن اختصاصها، وكان طبيعياً أن يتوقع كل إنسان أن يترجم هذا الوزير غيرته وعطفه ودموعه الدفاقة على الصحافة ، أن يترجم ذلك إلى عمل ، إلى واقع ، إلى حماية للصحافة ، ولكن الوزير بدلاً من كل ذلك أخذ ينادي بأعلى صوته بخنق الصحافة ، وبعدم منحها الحرية ، وبضرورة أن تخضع كل كلمة فيها للرقيب العتيد!! لماذا كل ذلك!؟ إن العجب ليزداد ، وأن المصيبة لتكبر عن التقدير ،إذا أدركنا أن الصحيفة التي كانت سبباً في أن يدلي الوزير بهذا التصريح ويطلب هذا الطلب ، هي صحيفة (الأيام) نفس الصحيفة التي كان هو رئيساً لتحريرها !! نفس الصحيفة التي رفعت لواء المناداة بحرية الصحافة ، وهو يعود اليوم نفس رئيس تحريرها، وبنفس اليد التي كتبت من قبل، ليطالب بضرورة وضع القيد الثقيل على المهنة التي عاش عليها عدة سنوات، وظل يذرف من أجلها دموع التماسيح ، أو دموع الشيوعيين زماناً طويلاً!! فلماذا كل ذلك؟؟ ما أسبابه التي جعلت وزيراً في مركز التحدث باسم الدولة ، يجزع هذا الجزع الذي لا يليق حتى بالصغار، ولكن هل هذا الصغير فعلاً هو الشخص الصغير عمراً ؟ إن الحقيقة التي تكمن خلف هذه الضجة كلها هي أن الشيوعيون بدأوا يحسون بأنهم بدأوا يفقدون مواقعهم في مجالات شتى.. وأن الصحف أخذت منهم موقفاً واضحاً.. وأن على رأس هذه الصحف جميعها جريدة الأيام التي يرأس تحريرها الآن الأستاذ بشير محمد سعيد ، الذي أفسح صدر صحيفته لكل الأقلام الحرة ، لتناقش موضوع الاشتراكية من كل زواياها ، ولتكشف زيف الدعاوى العريضة الجوفاء التي يقودها

الشيوعيين ، حتى يكون الرأي العام على علم بالحقائق دون رياء أو ملق. وتلك لعمري هي رسالة الصحفي الأمين ، وذلك اتجاه الرسالة الامين، وقد أدى أستاذ بشير رسالته على خير وجه، وهو يعلم أن هذا الصوت النشاز سيرتفع يوماً، ولكنه لن يرتفع من مواطن مخلص متجرد إنما يرتفع بالغرض وبخدمة فئة معينة دون أدنى اعتبار للمصلحة الحقيقية ، أن الحرية حين كان مفهومها للوزير قبل أن يصبح وزيراً هي حرية الشيوعيين وحدهم ، ورفع صوتها عالياً بالمناداة بها وبضرورة كفالتها ، لأن الصحافة لا تستطيع أن تتنفس إلا في جو الحرية العبق الأريج... واليوم وقد أصبحت الحرية في غير مصلحة الشيوعيين لأنها تكشف فكرهم وخداعهم ، وتعريهم أمام الشعب ، وتفسح المجال للمخلصين من أبناء هذا الشعب ليجدوا المجال لخدمة بلادهم ، لاقطين خلفهم كل ما يتصل بالشيوعية بسبب... الآن فقط أصبحت الحرية شيئاً بغيضاً.. شيئاً لا يطاق، ولا يحتمل !!اذن لابد من أن تكون منحة لاحقاً.. تمنحها الدولة سبحانها لمن تشاء وتحرمها ممن تشاء !!

وهكذا ينقلب هذا الوزير الشيوعي الماكر ، أعدى عدو للصحافة الحرة.. وللكلمة الحرة.. ظناً منه أنه يستطيع أن يبقى طويلاً مثل موقفه هذا المخجل المزري.. وهكذا يكشف الشيوعيون عن حقيقتهم يوماً إثر يوم ، ولن يطول بهم الوقت حتى يكونوا أمام الشعب قريباً أطفالاً أقزاماً كما ولدتهم امهاتهم.

لعل أسوا خطاب أُلقي في المؤتمر الإسلامي مظهراً وفكراً وأسلوباً، هو الخطاب الذي ألقاه خلف الله بابكر وزير الحكومة المحلية ، ومندوب السودان، ورغم أنه تقدم باقتراحين أحدهما ينص بمقاطعة الدول التي تعترف بإسرائيل وتعينها، وأن تتبرع (الدول المشتركة في المؤتمر!! بمبالغ معينة تدفع إلى دول المواجهة ، إلا أن روح الخطاب كانت بعيدة عن جو (الإسلامية) الذي كان يتعين منذ البداية أن يكون هو الإطار لخطاب السودان (المسلم!!) ولكن جاء الخطاب كله خلواً من كلمة واحدة تشير إلى الإسلام، فلم يبدأ الخطاب في مؤتمر إسلامي كهذا بالبسملة، ولا كان في محتواه ما يشير إلى رابطة الإخاء الإسلامي وما يمكن أن تقوم عليه ، بل أنه حين أشار إلى المؤتمر لم تطاوعه إرادته التي تعكس مشاعر الحكومة التي ذهب باسمها ليمثلها، لكي يقول (المؤتمر الإسلامي) بل تهرَّب من ذلك إلى قوله الدول المشتركة في المؤتمر!!، ولعل أدهى من ذلك كله ان الوزير مندوب الحكومة لا الشعب ، أدلى

بتصريح هناك قال فيه : أنه يشتمُّ رائحة الحلف الإسلامي في هذا المؤتمر !! لماذا الآن تركيا وباكستان موجودتان في هذا التجمع الذي كان أملاً يراود ملاين المسلمين في العالم!!

فجاء هذا التصريح كأسوأ عنوان لدولة ممثلة في هذا المؤتمر بل أن مصر نفسها وقد قادت من قبل أول حملة ضد التجمع الإسلامي ، وأطلقت عليه هذا الاسم ، لم تستطع الا أن تظهر بمظهر الدولة التي تحترم نفسها امام شعوب العالم الإسلامي ، فكان مظهراً جديراً بمندوب حكومة الثورة أن يأخذ به نفسه، ولكنه أبى إلا أن يكون ملكياً أكثر من الملك !! وناصرياً أكثر من ناصر ، شأن الاقزام دائماً في كل عصر ممن لا يستطيعون السير إلا على أطراف القصر التي تسيطر عليهم .

إن الإذاعة الحكومية حين قالت أن المؤتمر الإسلامي يجب ألا يخرج عن الإطار الذي اجتمع من أجله ، وهو حرية المسجد الأقصى ، قد لخصت بذلك في كلمات خطاب الحكومة في المؤتمر ، لذلك جاء بلا روح .. بل هدف، بل أن الحكومة أن استطاعت حينها أن تعتذر عن الحضور لما ترددت ، لكن التيار العام هو الذي دفع بها إلى أن يمثلها إنسان لم يستطع أن يهزم في نفسه الكبرياء ليبدأ باسم الله تعالى خطاباً ظن انه يمثل وجه السودان المسلم !! إن الذين يظنون ان الوزير سُلطة تباع وتشترى، أو أنه يتم التمرد على الله وعلى إرادة هذا الشعب المسلم واهمون ، مخدوعون ضالون ومضلون، ولتكن هذه البادرة السيئة أول مظهر للخذلان يصيب به هؤلاء الذين خذلوا شعبهم في أول لقاء لهم مع قادة الشعوب الإسلامية ، وسوف نرى قريباً عواقب هذا المنظر المسيء، سقوطاً لهم وهم مازالوا في أول الطريق .

فجأة وبلا مقدمات انعكس الاتجاه الجديد لوزير الداخلية ، أرسلت الإذاعة على الناس حواراً طويلاً بين الوزير وجريدة الأخبار الأسبوعية الشيوعية، ومحور الأسئلة كلها تدور حول علامات استفهام كثيرة. منها اتجاه الحكومة الذي بدأت به في معارضة الأحزاب، واستدعاء الوزير للشيوعيين وتحذيره لهم ، وتسلل الرجعية إلى صفوف الثورة ....إلخ هذه المعاني... والذي يدهش حقاً أن الوزير أجاب على تلك الأسئلة بصورة تثير التأمل. فقد انساق الوزير مع تيار الأسئلة الخبيثة، فهاجم الأحزاب الرجعية، وقال إنها أخذت تتسلل إلى الثورة بعد أن فشل مخططها الأول الذي كانت المواجهة هي العنصر الأول فيه. ولكن الثورة متيقظة لهذا الاتجاه الجديد الذي تحاول به الأحزاب ضرب الثورة من الداخل وقد ركّز الوزير بصورة واضحة على دعوة القوى والفرق الثورية للاتحاد والتلاحم ونبذ الخلافات الثانوية بينها

لمواجهة هذه الفترة لأن القوى المضادة تعمل بجد لضرب الثورة خمس مرات متتالية ، وبصورة واحدة لا تكاد منها واحدة تختلف عن الاخرى، جاء ذلك في تصريح وزير الارشاد. وفي كلمة مندوب الشيوعيين أمس في عطبرة وفي تصريح وزير الداخلية هذا، وفي كلمة بابكر النور عضو مجلس الثورة في أركويت، ثم في مقال اذيع اليوم ونشرته مجلة الأضواء!! (أن الشيوعيين اليوم يقذفون بكل قواهم في المعركة وهم يبدون كأنهم يسيطرون على الوضع في الحكومة ، ولكن إلى أي مدى يستمر هذا الحال ، وإلى أي غاية تمضي هذه السفينة بلا ربان!؟ تلك قضية الأيام القادمة التي يظنها الشيوعيون لهم ولكن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

السبت ١٩٦٩/٩/٢٧

حين تناولت بالتعليق والنقد المرير خطاب السودان في المؤتمر الإسلامي قبل أيام قلائل، كنت أستمد ذلك كله من حروف الخطاب ومن روحه . وأوشكت أن أؤكد بأن الحكومة كانت تتمنى من كل قلبها لو أنه لم يقدر لفكرة هذا المؤتمر أن تكون، وقد وضحت لي الآن هذه الحقيقة بما لا ليس فيه مجال للشك ، فقد أوردت الإذاعة اليوم خبراً موجزاً من الجزائر يعلو فيه نقد هواري بومدين على المؤتمر الإسلامي ، بل مهاجمته، وكان ذلك في أنباء الخامسة مساءً ، وبعد ساعتين فقط أخذت الإذاعة تُعلِّق على المؤتمر الإسلامي وتتهمه بلا تحفظ ، وتقرر في وضوح بأن المؤتمر كان اختباراً لرؤساء الدول التي اشتركت فيه حتى تعرف منهم شعوبهم انهم عملاء الاستعمار !! ودعّمت الإذاعة هذا الهجوم على المؤتمر الإسلامي بتصريح والوزير الشيوعي للإذاعة صبّ فيه احقاده التي تمثل نفسية الشيوعيين في أدنى مستوياتها صبَّها على المؤتمر بل ــ وهذه هي الحقيقة ـ على فكرة المؤتمر نفسه ،إلا أن الفكرة التي تدعو في أبسط مدلولاتها إلى تكتل العالم الإسلامي!! وهل هناك ما يقلق الشيوعيين ويصيب نفوسهم بالهزيمة أكثر من أن يكون للإسلام كلمة أو يرتفع له صوت؟! وظل الوزير الشيوعي يتحدث عن الحلف الإسلامي وعلاقته بهذا المؤتمر، ويتهم بعض الدول التي كانت أعضاء فيه، بأن اشتراكهم هنا يعني أنها تميل للاستعمار!! لأنها كانت يوماً عضواً في حلف بغداد ، ويعني بذلك وبوجه خاص تركيا وإيران وباكستان !! وهكذا انفجرت الحقيقة الكامنة لدى الشيوعيين خاصة ولدى الحكومة التي يمثلها في مؤتمر كهذا خلف الله بابكر وينطق باسمها محجوب عثمان .

وظلت الإذاعة الديموقراطية بالسودان تشير لتحرير فلسطين ، ووضعت لذلك قاعدة جديدة هي الأولى من نوعها حين زعمت أن الحكومات الثورية وحدها هي القادرة على تحرير فلسطين وردّ المقدس المنهوك إلى حظيرة العرب... ومعنى ذلك في وضوح أن يظل الوضع بيننا وبين إسرائيل على ما هو عليه الآن، وإذا اضطررنا لقبول مشروع الدول الكبرى بما فيها الاتحاد السوفييتي ، فلا بأس من ذلك حتى تقوم في كل البلاد العربية الإسلامية حكومات ثورية عسكرية شيوعية !! فقبول الحل السلمي خطوة ضرورية عند حكومة ثورة العسكريين عندنا إلى أن يحين الوقت لقيام حكومات متشابهة في الاتحاد ، بعدها تتحرر فلسطين... (*إما باسم الإسلام ، وباسم الكتلة الإسلامية الثالثة ، وباسم تجمع القوى الإسلامية* ، فلا وألف لا . لماذا؟ لأن بعض دول المؤتمر الإسلامي كانت يوماً بمعزل عن بقية الدول ، حتى ولو رجعت هذه الدول إلى مكانها الطبيعي بين الدول الإسلامية!! إن الإسلام يجُبُّ ما قبله ، وأن المشرك لو عاد إلى الله ودخل الإسلام فهو مقبول عند الله وعند الإسلام ، فكيف بهذه الدول المتهمة إذا أرادت العودة إلى الصف الإسلامي من جديد، ولكن الرجوع إلى الحق عند الشيوعيين رذيلة، وأن التمادي في الباطل والإصرار عليه ضرورة تقتضيها النضال والثورية.

***

قدم الدكتور أحمد السيد مرافعته يوم الخميس الماضي مكتوبة ، وقدمها للمحكمة بعد أن قرأها عليه ، وصباح هذا اليوم قدم الاتهام مرافعته كذلك مكتوبة ، وعند الانتهاء منها نادى رئيس المحكمة على المتهم الثاني السيد حسن عوض الله، ولكن النائب العام السيد عبد الرحيم مصطفى ممثل الاتهام طلب أن يدلي بمرافعته ضده ، واعترضه رئيس المحكمة أبو القاسم محمد إبراهيم ، بأن النائب العام كان يعلم أن المتهم سيلقي مرافعته بعد الاتهام.. فردّ النائب العالم أن المرافعة مكتوبة وموجودة معي الآن، وعند ذلك وفي صوت غاضب قاطعه رئيس المحكمة في غلظة: اتفضل اجلس !! وساد بعد ذلك صمت قطعه المتهم الثاني وهو يبدا الدفاع عن نفسه، والشعور الذي ساورني على إثر ذلك الجو المشحون والموقف الدقيق الذي يمر به النائب العام هو أن يتقدم فور ذلك باستقالته ، لأن المحكمة مهما كان نوعها لها قواعداً وسلوكاً يجب السير بمقتضاها، إن كان واجب المحكمة أن تلفت نظر النائب العام بأسلوب يحفظ له مكانته وكرامته، وأن ترفض طلبه دون جرح أو عدوان، ولكن الأسلوب الذي سار عليه رئيس المحكمة بوجه عام كان يعكس شعوراً بالمرارة لدى الغالبية

الساحقة من المستمعين والمشاهدين للمحاكمة، فهو يجافي منح الفرصة الكافية للرد عليه ، وكثيراً ما كان يصرخ في وجه الشاهد بصورة ترمي إلى إدخال الفزع إليه، وفي ذلك مجافاة لأبسط قواعد العدالة التي تقضي أن يؤدي الشاهد شهادته دون خوف أو محاباة، ولكن ما القول ونحن أمام محكمة عسكرية؟!

وقد أخذت على الدكتور أحمد بعد أن أطنب في مدح المحكمة بما يقتضيه الموقف ، أذ انه قرر أنه رأى وسمع عن كثير من المحاكمات في العالم العربي أمام محاكم الشعب ، فما وجد بينها واحدة توفرت فيها رحابة الصدر والصبر والعدالة ، مثلما وجد في هذه المحكمة . في حين اكتفى المتهم بأن صور المحاكمة كلها بأنها تاريخية ،وستبقى درساً للأجيال القادمة ثم شكر المحكمة على أنها وسعت صدرها إليه ، تلك لحظات قضيناها مع هذه المحاكمة التي كان فيها الشاهد محمود عبد الله الذي يعمل بائعاً بمحلات البرير نجم الدين أدلوا بشهادتهم، فهو قد تبرع بالشهادة ، وحين سأله رئيس المحكمة عن اتجاهه السياسي ، رد عليه الشاهد بقوله أتعني بذلك أنكم ترمون لأحزاب السياسة؟ فرد الرئيس :- طيب اتجاهك السابق !! فقال جبهة الميثاق الإسلامي، فقال الرئيس أما زلت عليها؟ قال نعم وسأظل أتمسك بمبادئها وأؤمن بها ، ووجه سؤال في معرض استجوابه ، أأنت تعمل من أجل الفلوس ؟ قال نعم ،أقبل يعني مش المصلحة الوطنية؟ قال إنني أعمل لأخدم وطني ، وظل هكذا يدلي بكل جواب بشجاعة وثقة وإيمان حتى أن أحد المحاميين أصدقاء المتهم قرر بأن السيد محمود عبدالله أكثر الشهود الذين استرعوا انتباهه ،خاصة وأنه طلب إليهم في آخر لحظة أن يتطوع كشاهد دفاع، وهكذا فقد كانت إجاباته كلها مثار التعليق والاهتمام ، إن التاريخ سيضع أمثال هؤلاء الذين صنعهم الإسلام موضع التقدير والاكبار.

الأحد٢٨/٩/١٩٦٩م

• المعتقلون في تناقص واضح فمنذ أكثر من أسبوعين أطلق سراح عدد من أعضاء حزب الامة ، يبلغون ثلاثة عشر معتقلاً وكذلك أطلق سراح كل الذين كانوا مهتمين بالتجسس ، وبقي الإخوان نحو أربعة عشر بجانب الوزراء الاصحاء، لأن الذين مرضوا منهم ،اما بالمستشفى وأما في منازلهم!! ، وهذه الحقائق بالنسبة للإخوان تعني الكثير ، فالوزراء هم أساس هذا الإنقلاب، هذه حقيقةٌ لا مِراء فيها فهم السلطة الحاكمة التي إليها يرجع السبب في استقامة

الحياة السياسية أو إعوجاجها ، فهم بالتالي المتهمون الأوائل في قضايا اليوم ، ورغم ذلك فالذين بقوا منهم حتى اليوم هم السيد محمود داؤد الخليفة ، وميرغني زاكي الدين ، وقد رُحِّلا إلى القسم المجاور لنا ، ويفصل بيننا وبينهم باب كبير مغلق في معظم اوقاته ، وبقى كذلك الرشيد الطاهر وأحمد السيد ، وعبد الماجد أبو حسبو ، من الاتحادي الديموقراطي ، وقد وضعوا في مكان غير مكانهم السابق ومعهم كلمنت امبورو ، وهلري لوقالي ، هؤلاء هم الوزراء الذين بقوا حتى الآن داخل السجن أما الباقون كما أسلفت فهم بين بيوتهم والمستشفى .

أما المتهمين بالجاسوسية فهم فئة خطيرة بلا شك ، ووجودهم بالسجن من اللحظات الاولى للثورة يعني أن التهمة الموجهة إليهم بالغة الخطورة والأهمية ، وهم الآن طلقاء رغم ما أحاطتهم به الحكومة من أهمية بسبب خطورة الاتهام الموجه إليهم ، ورغم ذلك لم يبق بالمعتقل من السياسيين غير المسؤولين إلا الإخوان المسلمون وعدد محدود من حزب الامة ، انني كما قلت من قبل لا أكترث لمدة بقائنا هنا ، ولكنني على ثقة من أن التعبير الذي ساقه وزير الداخلية من قبل حين قال (إن الإخوان المسلمين تنظيم عقائدي ولذلك أولته الثورة اهتماماً خاصاً) هو الذي ينزل علينا الطمأنينة، ويؤكد لنا في ثقة أننا نسير في طريقنا القويم ، وكم يشرفنا ويملؤنا اعتزازاً وفخراً أن نكون أول من دخل السجن ، وآخر من يخرج منه!!

- السيد أحمد عبد الوهاب نائب القائد العام للجيش سابقاً تحدث مع المسؤولين كثيراً عن الإخوان المسلمين ، واثنى عليهم وأوضح كثيراً من وجهة نظرهم ، وأكد للمسؤولين أن الإخوان أقدر على تحريك الجماهير أضعاف ما يستطيعه الشيوعيون ، ونحن من جانبنا نحفظ هذه الحقيقة للسيد أحمد عبدالوهاب للتاريخ .

- منذ أسبوعين أجريت محاكمات مؤامرة الكتلة السوداء بالجنوب كانت كلها مُدداً متفاوتة بالسجن للعسكريين والمدنيين منهم .

الأثنين١٩٦٩/٩/٢٩م

حين كان آذان الفجر يردد (حيَّ على الصلاة) مؤذناً ببدء حياة جديدة ، كانت المشنقة تؤذّن بنهاية إنسان قالوا إنه مجرم !! مسكين (مقفى) وقد قالوا هذا اسمه، لقد ظل داخل زنزانة المحكوم عليهم بالإعدام أكثر من ثمانية عشر شهراً منذ صدور الحكم عليه وهو مكبل

بالحديد ينتظر التصديق، بل لعله دائماً يكون في انتظار نتيجة استئنافه بإبدال الاعدام إلى تأبيد !!ويظل المسكين طوال هذه الاشهر العميقة يعيش على الأمل ،وعلى حجر الهواجس والأحلام .. حتى إذا ثاب القاضي إلى نفسه ، وفرغ إلى عمله في لحظة من أيام واجبه الكثيرة عدا القليلة عملاً وانتاجاً، واستطاع في تثاقل أن ينظر للاستئناف أو أن يتفضل بمتابعته لدى رأس الدولة أو الجهة المنوط بها ذلك ، يمكن يومذاك أن يعرف مثل هذا المسكين مصيره.. إما أن يحفر لآماله قبراً داخل الزنزانة ، وإما أن يطلقها مع طيور الفجر ، المتناثرة داخل السجن إذا ما تحقق أمله في أن يعيش سنوات التأبيد في أعماق السجن!

إن زنزانة المحكوم عليهم بالإعدام هي في واقعها تجربة سيئة للقبر ، فهناك في القبر انتظار لرحمة الله الذي لا تخيب لديه الآمال ويموت كل رجاء وأن المؤمل فيه بشر يفقد كل معاني الرحمة التي سلبها إياه قانون جائر مبتور، صاغت كلماته وأهدافه فئات استعمارية باغية تسلطت على رقاب هذا الشعب السنين العراض العجاف، وجاء المسئولون عندنا وطبقوها بحروفها ومعانيها المجردة من حفظ إنسانية الإنسان وكرامته ، رغم ذلك فإننا شعب قد منحه الله الحرية والاستقلال منذ ثلاثة عشر عاماً!!

(البحريات) ، هكذا يطلق على زنزانات المحكوم عليهم بالإعدام في سجن كوبر ، حقيقة فوق تصور البشر ، وواقع أقسى من أن يوصف ، ناهيك عن أن يمارسه إنسان هو بلا ريب على حافة القبر طال به المقام أم قصر، انها صفوف ثلاثة متراصة بكل صف منها إحدى عشر زنزانة ، يرحل المحكوم عليه موثق الرجلين حتى يغادرها موثوق اليدين كذلك إلى زنزانة أخرى قريبة من حجرة المشنقة قبل يوم واحد من تنفيذ الاعدام ، ويبقى المحكوم عليه داخل تلك الزنزانة بهذه الحالة مدة مكثه فيها ، لا يخرج منها أبداً إلا في فترات بعيدة ليستحم استحماماً مجازياً على شيء اسمه الحوض ، صيغ من حبات القذارة وجيوش القمل ، تعلوه على ارتفاع قليل قطعة حديد مجوفة اسموها (ماسورة) تلفظ هواء يتخلله رزاز متقطع من شيء يسمى بخاراً أو ما يشبه الماء!! طعامه قطعة من (الجراية) يتجرعها غصاً ، كل اربع وعشرين ساعه ولا يكاد يسيغها!! إنها قطعة سميكة غليظة من مسحوق الذرة المخلوط بالماء ، تشوبه قطع صغيرة من ذرات الحصى والتراب ، تعافها النفس ، وتصطك بها الأسنان ولا تتجاوز الحلقوم الا بالماء، ولكن أين الماء؟ إن مقدار الماء قليل قليل، لا روي ظمأ ولا يبل كبداً محروقة، أو يطفئ الموت الزاحف من شدة العطش..، إن الماء المقرر لا يكفي

لشيء من ذلك ، إنه فقط يحفظ الإنسان في حدود الحياة أو مشارف الموت!! ، حتى إذا ما استطاعت المعدة بعد جهد أن تطحن هذا المزيج من الجراية والماء الشحيح، وصيرته فضلات لابد لها أن تخرج حدد قانون السجن الوسيلة لذلك : أن يمنح المحكوم عليه قطعتين صغيرتين من الورق ليتغوط عليهما داخل زنزانته. يضعها بعد ذلك في إناء صغير موضوع خارج قضبان الحديد السميكة التي يتكون منها ما يسمونه بالباب !!وعلى نفس هذا الإناء الموضوع بالخارج يتبول (الإنسان!) واقفاً داخل زنزانته ، وكثيراً ما يكون إناء الطعام (الجراية) موضوعاً بجانب إناء التبول ، وفي كل الحالات يتناول (إنسان الزنزانة) طعامه من إنائه خارج القضبان بأصبعين، نعم أصبعين لأن قبضة اليد إذا خرجت فارغه لا تستطيع العودة مرة أخرى وهي تحمل شيئاً يسمونه الطعام !!

ذاك جانب واحد من هذا السجن الكبير أصفه في صدق وحق وواقع ، مصوراً به منطقة لا يعرفها ولا يستطيع الوصول إليها إلا القليلون.. لأن ضيوفها والنازلين بها لا يملكون القدرة و لا يملكون الفرصة لكي يشرحوا للناس هذه الحقائق الدامية القاتلة، مساكين أولئك النزلاء لأنهم مهما طال بهم أمد البقاء فإنهم إما ذاهبين إلى المشنقة أو خارجين ليقضوا سنين التأبيد في أعماق السجن الكبير ، وحتى إذا انقضت هذه السنوات وحاول المسكين أن يقصَّ حياته ويصوِّر للناس مأساة السجن في بلادي لما استطاع أن يجد الذهن الذي يتذكر، ولا أن يجد الأذن التي تصغي أو تعي ما تصغي إليه أو تصدقه ، لأنها حقائق لا يرقى إلى فهمها عقل بشر!! إن السجون في السودان وهي نُسَخٌ مكرورة، تعوزها المراجعة الحقيقية الهادفة ، تعوزها عملية هدم واسعة سريعة لتعقبها عملية بناء جديد يتناولها في اخلاص وتجرد في كل أوضاعها الإدارية والداخلية ، ذلك أن مفهوم السجن حتى الآن حتى لدى المسئولين، وفي المجتمع، مفهوم يفتقر إلى المراجعة وإعادة النظر والتصحيح ، فالمجرم إنسان تؤثر البيئة وظروف الأسرة والثقافة والأصدقاء في تكوينه.. والجريمة نفسها تتطور وفق مقتضيات هذه البيئة بكل تطورها ، وبكل ما يستحدث فيها تلاقح فكري واجتماعي وثقافي... فللسجن والحالة هذه رسالة نحو المجرم هي أولاً احترام إنسانيته كإنسان واشعاره بأن الجريمة التي ارتكبها يكفي عقاباً لها الحكم الذي صدر فيها وهو يقضي اولاً بحرمانه من الحرية ، وهذا أمر كبير ، فقدان الإنسان للحرية ، يعني أنه لم يعد إنساناً ، هذا هو المفهوم الأول والأخير للحكم بالسجن لأي كائن آدمي ، وهنا تبدأ رسالة السجن من الداخل ، تبدأ بالمعاملة

والمراقبة والتنفيذ ، وحسن المعاملة لن يأتي بنتائج عكسية ، كلا ، بل العكس هو الصحيح ، ولا يعني هذا أن المجرم حتى لو أحسنت معاملته أنه لا يخطئ، فلتوضع قواعد للعقوبة والتأديب في الداخل ، ولكن إشراف المسؤولين على كل صغيرة في السجن ضرورة ، إذ أن السلطة في يد صغار المسؤولين قد يساء استعمالها ، وتأتي بنتائج خطيرة قد تؤثر في كيان السجن كله بعيداً عن علم المسؤولين الكبار ، بل قد يؤدي سوء استعمال هذه السلطة إلى تطور الجريمة داخل السجن ، وإلى نمو شخصية الإجرام لدى كثير ممن دخلوا السجن بجرائم صغيرة ، لينحرفوا وقد كبروا وكبر معهم الاستعداد والتهيؤ لإجرام أكبر!! فالسجن بيئة صالحة لنمو الشر وترعرع الإجرام ، ولكنه في ذات الوقت مكان صالح لنمو الخير إذا وضعت الأصول والقواعد اللازمة لذلك وأولها إعادة النظر في تاريخ السجون منذ نشأتها الأولى بدراسة تقوم على واقع هذا البلد المستقل ، وعاداته وطبائعه ودينه وقبائله ، ودرجة الثقافة والعلم بين المواطنين ، دراسةٌ يستفاد فيها من كل الثغرات ، وأوجه النقص الموجودة في لوائح ونظام السجون بوجه عام. وأن توضع دراسات الباحثين الاجتماعيين الملحقين بالسجون موضع الاعتبار ، فهم حتى الآن غير مستفاد منهم بالقدر اللازم من وجودهم ، ويمكن كذلك الاستفادة في سبيل هذا الاصلاح بآراء المواطنين المصلحين والأطباء النفسيين ، وبكل من يستطيع الإسهام في هذا المرفق الذي يتم بإصلاحه صلاح كثير ممن تقودهم الجريمة إلى أعماقه ، حتى إذا خرجوا لم يحسوا بأنهم غرباء عن مجتمعهم ، أو أنهم بهذه الجريمة قد أصبحوا منبوذين ، مطرودين من رحمته ، إذ ليس المجتمع كله بريئاً فكثيرون فيه كان يمكن أن يتخذوا من السجن مقراً لهم ، ولكن فوضوية القانون في بلادنا واهتزاز ميزان العدالة فيها، كل ذلك جعل فريقاً منهم داخل السجن وفريقاً آخر خارجه .

إن قاعدة (السجن إصلاح وتهذيب) هي حتى الآن لافتة بلا محتوى .. ولكي توضع موضع التنفيذ ، لابد من أن يبدأ الإصلاح من القاعدة ، ومن الأساس ، حتى يكون السجن في بلادنا قائماً على مفهوم جديد من الاعتراف بإنسانية المجرم مهما كان نوع الجريمة التي ارتكبها .

الثلاثاء ١٩٦٩/٩/٣٠م

صرح وزير الداخلية اليوم بأن مجلس الوزراء قد وافق على فرض الرقابة على الصحافة ووكالات الأنباء من جديد ، وأن هذه الرقابة ليست سيفاً مسلطاً على الصحف والفكر ، وأن الحكومة الان بصدد تعيين كادر خاص لهذه الصحف ووكالات الأنباء، وطرز هذا القيد الجديد بألوان من الحديث المذهب والستائر الحريرية ، ليجيء هذا الخبر على الناس في صورةٍ ملونةٍ جميلة!!

وهذه النتيجة معروفة سلفاً بعد تصريح وزير الارشاد الذي أحسَّ بأن القوى الاشتراكية كما يسمونها تعيش هذه الأيام محنة قاسية ، وهل محنتها في شيء غير الحرية ؟ هل محنتها الا في أن تقول الصحافة كلمتها بلا قيود، وأن تفتح الباب للأقلام المخلصة الموقنة لتقول برأيها في الاشتراكية وفي نقدها والهجوم عليها أو الدفاع عنها ؟ إن هذا القدر من الحرية يزعج الشيوعيين ويقلقهم ، فَهُم قد احسوا بالأرض تميد من تحتهم حين فتحت جريدة (الأيام) صدرها لهذا النقاش الموضوعي الذي شاركت فيه الأقلام المسلمة بنصيب كبير ، وتحرك ممثل الشيوعيين في الحكومة ووزير الارشاد ليقوم بتمثيلية جعلت الحكومة تحس بأن مصيرها في خطر ، لا ينقذها منه غير عبودية الصحافة ، وتكميم الكلمة الحرة فيها ، وقتل الشرف والكرامة في سطورها ، وتحرك مجلس الوزراء من أجل حماية نفسه ، وحماية الاشتراكية من هجوم الثورة المضادة!! الثورة التي تؤمن يقيناً بهذا الوطن وتؤمن بسيادة المبادئ الإسلامية الصحيحة عليه ، الثورة التي تمثل حقيقة ـ لا هتافات ـ هذا الشعب بكل قطاعاته ، فيما عدا الخيانات المتمثلة في ممثل موسكو في السودان ، وهكذا لم تمض الا خمسة أيام فقط منذ نصبت خشبات مسرح هذه التمثيلية ،وصيغت كلماتها وأخرجها للجمهور مجلس وزراء حكومة الثورة الموقر .

إن الذين يعيشون في الظلام باختيارهم وإرادتهم ، يؤذيهم كثيراً أن ينبعث الضوء من أي مكان ، والذين تنبعث مبادئهم من جذور القهر والتسلط والدم والدكتاتورية ، هم أول من يقهر الكلمة الحرة ، ويئد الضوء ساطعاً تحمله سواعد الاحرار، ولكن لن يطول ذلك الوضع المنهزم داخلياً ، لن تبقى الخفافيش طويلاً في الظلام ، لأن ضوء الفجر لا تحجبه الاكف المرتعشة ، ولن تمنع الشمس من أن تنشر الضوء والحياة على كل الكائنات الحية ، حشرجة المهزومين وهم يولون الادبار امام سياط الحق التي ترتع فوق ظهورهم ، أنَّا والله لمنتصرون ، لأننا بالله معتصمون ، وإنَّا إليه راجعون .

الأربعاء أول أكتوبر ١٩٦٩م

كتب الأستاذ بشير محمد سعيد اليوم مقالاً ، لا أشك في أنه قد شفى صدور آلاف عديدة من المواطنين الشرفاء المخلصين الذين ليس لهم ولاء بعد الله إلا لهذا الوطن العزيز ، بعد أن تسلقت حفنة من الخونة المارقين الشيوعيين على بعض مكاسب هذا الشعب الطيب ، في محاولة خبيثة ماكرة دنيئة للسيطرة عليها ، وظنوا حين أسكرتهم هذه الفترة التي تشبه صحوة الموت ، أنهم مانعتهم حصونهم الوهمية الكاذبة من الله ومن الشعب من شيء ، إن الاستاذ بشير بمقاله (إن جماهير الشعب ترفض الشيوعية عن عقيدة ومبدأ) قد أضاف إلى رصيده من أجل هذا الشعب يداً لن تنسى ، فانه قد لمس موطن الجرح من كبد هذا الشعب ، ونبه إلى الحقيقة التي يجهلها الكثيرون من المسئولين والمواطنين عن الشيوعية ، تلك الحقيقة المرة التي بذلنا نحن جهداً فيها لكي يدرك الناس عنها ما يعصمهم من خداع الشيوعية وضلالهم... ولكنّا قد نُتَّهم بأننا نعمل في اطار فكرة محددة لا يجمع بينها وبين الشيوعية جامع ، ولذا فقد يرى البعض أننا من هذا المنطلق قد نتجاوز الحدّ في ثورتنا ضد الشيوعية ، ولكن الأستاذ بشير ، وهو لا ينتمي إلى تنظيم الإخوان ، بل أن له أصدقاء من الشيوعيين ، كان أحرى به أن يجاملهم لو أنه يجامل في الحق احداً، لهذا جاءت كلمته تعبيراً حقيقياً عن رأي كل مخلص لهذا البلد الطيب ، جاءت رداً مدعّماً بالبراهين والادلة على بطلان دعوى الشيوعيين التي يملأون بها الأرض ، بأنهم - سبحانهم - قد خلقوا هذا البلد بإنسه جِنِّه ،وأرضه وسمائه ، ومائه وهوائه ، وبثوا فيه من كل دابة ، وقدروا فيه أقواته ، وقسموا بين الناس معيشتهم وأرزاقهم ، وأنهم فجروا ثوراته ، وحققوا استقلاله ، وأنهم هم أولياء نعمته ، وأنهم هم الوارثون، وأنهم - سبحانهم -إليهم المصير!!!

كان الأستاذ بشير يرد على واحد من آلهة الشيوعية الغاربة هو عمر مصطفى الذي اتخذ هو وأشياعه من جريدة (الأحرار) الحكومية منبراً يرسلون به على النّاس أكاذيبهم ، ويزيدون به على أنفسهم سخطاً وحقداً وانتقاماً، تحدث الأستاذ بشير عن الكذب الفاضح والجهل المركب ، والغرور المزدوج ، الذي جعل كاتب الشيوعيين يقسم العالم إلى ثلاثة أقسام - شيوعيين - استعماريين - رجعيين يساندهم الاستعمار!!! وفي معادلة حسابية بسيطة ، أبرز الأستاذ بشير أمام الشيوعيين حقيقة نسبتهم لهذا الشعب ، حين أبان له أن بالسودان أربعة وعشر مليوناً من البشر ، ولنفترض تجاوزاً أن فيهم خمسون ألفاً من الشيوعيين ، فإن ذلك

يعني أن جماهير هذا الشعب ترفض الشيوعية مبدأً وعقيدة ، وأن عليهم أن يملأوا أفواههم تراباً وحصىً ، وأن ينزووا في ركنٍ قصيٍّ من أطراف هذا البلد الشاسع حتى تحقُّ عليهم كلمة الشعب... وتحدث الأستاذ بشير عن مبادئ الشيوعية ، فأكد من كتابات إلههم ماركس ونبيهم لينين ، أن الشيوعية لا تؤمن بالأديان ، وتكفر بالله وبالأخلاق ، فأصاب بذلك الاستاذ بشير الشيوعيين في كبدهم ، وعرّاهم عن الحقيقة التي كانوا يستترون عليها ، وفضحهم من حيث كانوا يظنون بأنفسهم الأمان والعصمة ، ثم كشف عن مخازيهم وسرقاتهم وعدوانهم على كل من ليس معهم ، وكشف عن خيانتهم في أكتوبر وعن نكوصهم عنها ، وأن وزيرين من وزراء العهد الحاضر ، هما : خلف الله بابكر ، وفاروق أبو عيسى ، دون أن يذكر اسميهما، ولكن الخيانة التي تسير معهما كالظل هي التي حددت شخصيتهما ، وذلك حين أشار إلى البيان الكاذب الذي أذاعه أبو عيسى عن أن قوات من الجيش تحركت لاستلام السلطة من الشعب ، وعلى إثرها تحركت الجماهير للإذاعة ، ونزلت إلى الشوارع ، وحين أشار إلى نداء خلف الله للجماهير للزود عن ثورتها كذباً وبهتانا ، وتحدى الشيوعيون أن يثبتوا أن الثورة تتجه معهم ، في الوقت الذي نادى به زعماء أكتوبر جميعهم باشتراكية السودان العربية الأفريقية الإسلامية ؟!! وأنهى الاستاذ بشير مقاله الوطني الرائع بعد تحديات شتّى ، ساق للشيوعيين بكلماتٍ موجزة من الثورة المضادة ، وقال إن هذا الاصطلاح من صنع الشيوعيين أنفسهم ، وإذا كانت الثورة المضادة هي الثورة ضد الشيوعيين فأنني أعترف أنني على رأس هذه الثورة ، وعلى الشيوعيين ان ارادوا أن يفتحوا بلاغاً ضدي بذلك ، وأن يستعينوا بالرقابة إن شاءوا ، وسيظل هذا المقال الذي قرأه جميع المعتقلين السياسيين عنوان صدقٍ للقلم الحر، وترجمةٌ صحيحة لكل الأقلام الشريفة الحرة التي حالت القضبان بينها وبين الحرية وشرف الجهاد ، إن الأثر الذي أوجده هذا المقال في تصوري ، أثر عميق الغور ، ما كانت لتحدثه عشرات الخطب ، وسنرى قريباً أثره لدى المسئولين والرأي العام على السواء ، وحسبي أن يكون الذي كتبه هو الأستاذ بشير ، وأن الجريدة التي نشرته على صفحاتها هي (الأيام) بعد أن تطهرت ، وزال عنها إلى غير رجعة دنس الشيوعيين الذي ضمخّ وجهها ردحاً من الزمن .

***

حفل هذا الأسبوع بأنباء بالغة الخطورة ، ولم تشر إليها صحيفة سودانية واحدة ، ومن ذلك خبران عن محاولة إنقلاب في السودان ، وأخرى في مصر.

فجأة قطع العميد خالد عباس رحلته التي بدأها مع اللواء النميري للشمالية يوم الخميس الماضي ، وعاد من عطبرة في اليوم الثاني ، صحيح أن بعض التكهنات قد ثارت حول هذه العودة المفاجئة ، ولكن الحقيقة فيها أنه قد تمت محاولة لإحداث إنقلاب ، ولكنها فيما تروى الأنباء الدقيقة التي عرفتها من كشف أمرها ، وعلى رأسها اللواء بالمعاش أحمد الحبيب، وعدد من الضباط الذين تم اعتقالهم ، وكان مفروض أن يقوم به ضباط من المهندسين ومن معسكر وادي سيدنا ، ولا أستطيع التعليق أكثر من هذا ، فما زلت أتوقع مزيداً من الحقائق التي تؤكد أو تنفي هذا الخبر.

- اما في مصر فقد أكدت حقيقة محاولة الإنقلاب مجلة (نيوزويك) الإنجليزية الصادرة في ١٩٦٩/٩/٢٩م، وقالت إن هذه المحاولة تمت بواسطة عدد من الضباط المصريين الموالين للخبراء الروس الذين يعملون بالجيش المصري ، وأنه كان مقرراً أن تتم خلال غيبة عبد الناصر في موسكو ، على أن يكون الفريق علي صبري هو الشخص الذي يحل محل عبدالناصر بعد إقصائه عن الحكم ، وقد أحيل جميع هؤلاء الضباط إلى التقاعد ، بل وقبض عليهم ، واضطر علي صبري إلى تقديم استقالته ، وقد كلف عبد الناصر زكريا محي الدين بتشكيل حكومة عسكرية ، إلا أنه اشترط لقبولها شرطين: (١) أن يعطى كل الصلاحيات والسلطات التي تجعله يمارس حقه بحرية ودون تدخل من أحد. (٢) أن يكون من حقه أن يتخذ إجراءات معينة يكون من شأنها أن تقلل من اعتماد المصريين على الاتحاد السوفييتي وحده. وقد رفض عبدالناصر هذه الشروط ، ومن ناحية أخرى فإن مرض الأنفلونزا الحادة الذي أذيع بأنه قد أصيب به كان من قبيل التهرب من حضور مؤتمر القمة الإسلامي من ناحية ، وعدم السفر إلى موسكو من ناحية أخرى ، خاصة بعد كشف محاولة الإنقلاب الشيوعية التي دبرها ضباطه مع الخبراء ومع علي صبري، فأحبطها عبد الناصر أخيراً. ذلك ما حدث في وقت واحد هنا وهناك ، وربما اتضحت كثير من الحقائق في الغد القريب .

- من أغرب ما سمعت أن السيد وزير الداخلية صرح لأحد خاصته بأن موضوع الرقابة على الصحف القصد منه مراقبة الصحف الشيوعية ، وما يكتبه الشيوعيون في صحف أخرى.

- تناولت جريدة (الأضواء) بالتعليق بدأ انتخابات الأساتذة بجامعة الخرطوم ، وهزيمة الشيوعيين النكراء فيها ، وأكدت بأن هذه ظاهرة لها ما بعدها ، والجدير بالذكر أن

هذه الجريدة لها وزن خاص في ميدان الصحافة ، وأن لمحررها موقفاً وطنياً من الشيوعيين يحفظه الكثيرون بالإكبار والتقدير.

- صرح بعض المسؤولين في مجلس قيادة الثورة كالعميد خالد حسن والعقيد أبو القاسم محمد ، بأن الثورة قد ضاقت ذرعاً بالشيوعيين وأنها قررت التخلص منهم نهائياً ، وصرح أحدهم بأن رؤيته لأحد الشيوعيين صارت تبعث في نفسه الاشمئزاز ، وأنهم ربما بدأوا قريباً في إجراء تعديل وزاري جزئي ، يبدأ بإبعاد طه بعشر واستبداله بمحمد عبدالحليم وزير العمل في حكومة عبود ، في تقديري أن هذا الضابط الأخير يمثل اتجاهاً قومياً عربياً صارخاً، وربما كان تعيينه يرجع لأسباب سياسية غريبة ، ستتضح آثارها فيما بعد .

- وقع في يد رجال الثورة منشور شيوعي يهاجم الثورة و يسيء إلى أعضائها ، ويؤكد بأن خطوة تأييد الشيوعيين للثورة إنما هي عمل مرحلي ستتبعه خطوات أخرى ، وقد كان للسيد بابكر كرار فيما علمت يدٌ كبرى في أن يكون لهذا المنشور أثر مباشر لدى المسؤولين في زعزعة رأيهم في الشيوعيين ، وأن المنشور أوضح لرجال الثورة في صورةٍ ليس بها شك ، حقيقة تأييد الشيوعيين ومراميها وأبعادها ، وسيلقى هذا المنشور ضوءاً ساطعاً على مستقبل العلاقة مع الشيوعيين ، اذ لم يبق أمام الثورة لخطوتها مع الشيوعية رغم هستريا الدعوة لتلاحم القوى الثورية ، سوى اختيار الوقت المناسب الذي تتحكم فيه الآن المساعي القائمة بين الحكومة والقوى الوطنية .

- علمت بأن اللواء النميري قد التقى بالصادق المهدي بشندي واجتمع به فترة من الزمن ، وقد دار الحديث بينهما حول الموقف السياسي برمته ، وتناول بالبحث شروط الإمام الهادي التي قدمها كأساس للالتقاء .

- وضح الآن بأن المسؤولين العسكريين قد تفهموا بصورةٍ قاطعة ، وجهة نظر الإخوان المسلمين وحزب الأمة في وضع الثورة منذ قيامها حتى الآن ، وأدركوا حقيقة معارضتهم التي كان أساسها وجود الشيوعيين كجزء أساسي فيها خاصة تشكيل الوزارة ، ولم يصلني ما يؤكد بأن اتصالاً قد تم مع الاتحادي الديموقراطي ، الا انه تأكد لي بأن لجنة سياسية قد شكلت لتكون اللسان المتحدث باسم الحزب خلال هذه الفترة ، حتى يتم بصورة أو أخرى تشكيل الحزب في صورة خاصة ، تضع الاعتبار للظروف السياسية الراهنة.

- تتجه الحكومة الآن نحو إعادة النظر في تشكيل مرفقي الإذاعة والتلفزيون ، وقد ثبت حتى الآن أنهما تتجهان اتجاهاً يسارياً تحت تأثير وزير الإرشاد الشيوعي الذي تتبعإليه الإذاعة والتلفزيون .

- برز لدى الحكومة اتجاه لحل نقابة السكة الحديد ، أكبر التشكيلات العمالية في السودان ، ولكن الرأي استقر على أنهإذا برزت ضرورة لهذا الحل فيجب أن يشمل كل التنظيمات المتمثلة في بقية النقابات والاتحادات.. ولا يزال هذا الرأي الأخير موضع البحث والتقدير... وصحائف أيام الغد حافلةٌ بالكثير... هكذا تشير قرائن الأحوال والبينات الظرفية. فلنترقبها.

الخميس ١٩٦٩/١٠/٢م

احتفلت الحكومة بمرور قرن من الزمان على ميلاد المهاتما غاندي ، الذي صرعته إحدى الرصاصات في عام ١٩٤٨ ، وهو يدعو إلى السلام بين المسلمين والهندوكسيين ، وشكل وزير الإرشاد (شيوعي) لجنة أشرفت على الحفل الذي أقيم بقاعة الامتحانات بجامعة الخرطوم ، وتحدث فيه مندوب الحكومة ، وشاركت الإذاعة ببرنامج خاص عن الزعيم الهندي.

ولكن مما يؤسف له أنه في الوقت الذي تتهيأ فيه الحكومة لهذا الاحتفال الفريد من نوعه! كان مئات المسلمين في مدينة أحمد أباد بالهند يسقطون صرعى ذبحاً وحرقاً بأيدي الهندوكسيين ، وورد هذا الخبر المفجع في مجلة (الإيكونيميست بتاريخ ١٩٦٩/١٠/٣-٩/٢٧م) وقد عبرت عن هذه المأساة بقولها : أن القيادة السياسية في الهند تشعر بالخجل العميق لهذه المأساة التي تحدث في خلال فترة الاستعداد للاحتفال بمرور مائة عام على ميلاد المهاتما غاندي) وظلت ضحايا العنف تزداد بصورة واضحة ، اذ بدأت بخمسة عشر شهيداً عام ١٩٦٤ ، وظل الرقم يزداد عاماً بعد عام حتى بلغ ثلاثمائة وثمانية وأربعين خلال ١٩٦٨م ، حتى انتهى الأمر بالمأساة الأخيرة التي حدثت قبل أيام قلائل ، والتي قتل فيها من المسلمين مئات تجاوزت الثلاثمائة بكثير ، لسبب تافه صغير فيما تقول الأنباء ، يتلخص في أن عدداً من الابقار قد مرّ جوار أحد المساجد ، ففتك المسلمون ببعض منهم ، واشتعلت بعد ذلك المعركة التي قُتل فيها المسلمون ، وحرقت ديارهم ، ومتاجرهم ، كم تمنيت لو أن متحدثاً واحداً من الذين أشادوا بالزعيم الهندي ، قد تناول مأساة المسلمين في الهند بكلمة صريحة، تجعل الدبلوماسيين الهنود الذين حضروا الحفل، ينقلون إلى حكومتهم أحاسيس ومشاعر أمة

مسلمة في السودان يتقطر قلبها دماً لما يصيب المسلمين من اضطهاد ديني وعنصري في الهند ، ولكنَّ النفاق السياسي ، ومحاولة كسب التأييد الزائف ما ترك للحق مجالاً يرتفع به الظلم ، ويقوم فيه لون من التسامح بين الأديان المختلفة والإسلام ... وحتى يجئ الوقت والرجال الذين يضعون الحق فوق المجاملات الدولية والسياسية ، وينتصرون للحق وحده ، دون أدنى اعتبار لشيء آخر ، دعونا نتبتل إلى الله أن يزيل الغشاوة الكثيفة عن قلوب المسؤولين في العالم العربي والإسلامي ليستبينوا الحق ويسلكوا طريق الحق والعزة والانتصار لهذا الدين العميق المتين .

الجمعة ٣/١٠/١٩٦٩م

تطرَّق الحديث بنا خلال نقاش وطني عام إلى دور الحركة الطلابية وتاريخها في البلاد : متى؟ وكيف نشأت ؟ وما هي التيارات السياسية ، والاتجاهات الفكرية التي مرت بها وكيف تطورت ؟ وما هو الأثر المباشر للحركات الطلابية قبل الاستقلال وبعده ؟ وما الوسائل المختلفة التي سلكها الطلاب خلال ذلك الصراع السياسي الوطني ؟! وما آثار الحركة الإسلامية الطلابية في توجيه وحماية هذا النضال ؟ ودور جامعة الخرطوم في ذلك الكفاح في الماضي والحاضر ؟

برزت كل هذه الأسئلة والحقائق في النقاش عن الطلاب ، وعشرات أخرى من الأسئلة عن الحركة العمالية منذ نشأتها حتى اليوم ، وانتهى بنا النقاش إلى السؤال الطبيعي : ما مبلغ كل هذه الحقائق من التدوين والتاريخ ؟ وهل قامت الحركة الإسلامية بواجباتها نحو هذه الحقبة الهامة من تاريخ الحركة الوطنية في البلاد؟، فبرزت الحقيقة المؤسفة في كلمات إن شيئاً من ذلك لم يتم ، واستبان الآن أن الحركة الإسلامية في السودان مطالبة اليوم قبل الغد بأن تأخذ مواقعها الطبيعية والحقيقية في كل ما يتعلق بالجوانب التي ترتكز أساساً على الامانة والدقة والأصالة، فقد ثبت بالبرهان أنهم أحق بهذا الواجب ، وأنهم دون منازع ـ أهلٌ لحل هذه الامانة ، فقد ألحّت كل الظواهر على ضرورةٍ ايجابية الحركة الإسلامية لأداء دورها الرائد في تاريخ البلاد ، ومالم يحدث ذلك ، فستظل الثغرة الكبيرة في جسم السودان آخذة في الازدياد، لا يملؤها أحد، ولا يقدر على سدها جماعة آخرون مهما تجردوا للحق .

لو أن الجامعات تؤدي دورها الرائد في شتى المسائل الوطنية ، لكان هذا الجانب الهام من تاريخ الحركات الوطنية وأثرها في الجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي للبلاد ، جزءاً

بارزاً من رسالة الجامعات ، ولكان الواجب يقضي عليها بأن تكون امثال هذه الموضوعات الهامة ميداناً لرسالات الماجستير والدكتوراه، ولرصدت لها الأموال في سبيل البحث عن الحقيقة مهما كانت بعيدةً أو غامضة ، ولجنت البلاد من خلال هذا العمل الكبير فوائد يحس بها كل مواطن ويستشعر قيمتها الوطنية والتاريخية لكل مخلص وتجرد للحقيقة .

إن الخطأ الذي ارتكبته الحركة الإسلامية بتركها المجال مفتوحاً للشيوعيين ، ليكتبوا جانباً من تاريخنا ، فيما أسموه (ثورة شعب) مما فتح أمامهم المجال للتضليل وطمس الحقائق عن كل ما يتعلق بثورة أكتوبر، هذا الخطأ لا مفرّ من تصحيحه، والتفرغ له، وإعادة تدوينه على أسسٍ من الحقائق العلمية الصحيحة بعيداً عن الصحف والمكاسب العابرة ، إن الحركة الإسلامية تسدي للبلاد يداً لن تمحى، إن هي أدّت هذا الواجب ، وما أحسبها إلا أنها فاعلة ، أن تاريخ الحركات الداخلية في البلاد هو الذي يصنع تاريخها الكامل ، فلنبدأ من هذا المنطلق الذي أشرت إليه ، ولنرصد تاريخنا القديم الذي طمست حقائقه الأقلام الأجنبية وحرّفته عن مواضع الكلم ، ونعيد صياغته وبناءه من جديد ، ونتائج ذلك في أحقاب تاريخ المتابعة، حتى نصل بها إلى الثورة الأخيرة، محللين أسبابها ودوافعها وأسخاصها وآثارها ومصيرها ، جاعلين من كل ذلك سلسلة متكاملة الحلقات متصلة، ينتظمها جميعاً حبل متين من الأمانة والدقة في سرد الوقائع والحقائق ، أن تاريخنا المندثر - وقد آل كثير منه إلى الغروب - ينتظر الأقلام الأمينة ، والضمائر الحية لتبعثه من جديد ، وليس هناك في نظري غير الأقلام التي عرف في أصحابها خشية الله ، وخلقاً يعصمهم من المزالق ، إن الحركة الإسلامية ليس لها خيار ، فإنها مطالبة باسم الله وحده ، أن تبدأ في تصحيح كثير من أوضاعنا الخاطئة، وعلى قمتها تاريخ حركاتنا الوطنية الداخلية، ومنها تاريخ الحركة الإسلامية نفسها .

السبت ١٩٦٩/١٠/٤م

منذ لاح شبح الرقابة على الصحف من جديد على إثر المقالات الجريئة التي بدأت تكتبها بعض الصحف ، لم أكن أتوقع غير المزيد من القيود والضغط على الكلمة الحرة الصادقة ، فالقيد هو القيد ، والسجن هو السجن ،سواء كان من ذهب أو كان داخل قصر منيف تحيط به الجنان والأنهار من كل مكان ، وعلى الرغم من أن الرقابة قد أعيدت إلى أعناق الصحف من جديد ، وأشهر عليها سيفها الباتر الفتاك ، وأصبح زمام الكلمة رهينة في

الرقباء ليخنقوا كل حرفٍ وفق ما يشاؤون ، إلا أن ذلك لم يكن كافياً في نظر الحكومة!! فقد أصدر وزير الداخلية اليوم بياناً عجيباً كل عزائنا فيه أن الشيوعيين الذين اتخذوا من وزارة الداخلية سكناً لهم ، ومن وزيرها صديقاً وحامياً ، وملجأً وملاذاً ، هم الذين فعلوا هذه الفعلة الشنعاء ، وأجمعوا كيدهم في تهم يتقن الشيوعيون صياغتها وإلباسها ثوب الجريمة التي لابد أن يطالها القانون ، فقد صدر باسم الوزير اليوم بيان يدعو إلى العجب ، ذكرني بالقصة المعروفة بين الذئب الذي أراد أن يأكل الحمل فجعل يتلمس الحيل والأسباب للقضاء عليه ، فكان الذئب جالساً أعلى الجبل على مجرى جدول صغير ينحدر إلى السفح حيث يجلس الحمل الوديع المسكين ليشرب ، فصاح به الذئب لقد عكّرت علينا الماء يا هذا ، فقال الحمل كيف وأنا في السفح وأنت في القمة ؟ والماء يجري من أعلى إلى أسفل ؟ فقال الذئب فلماذا إذاً شتمتني في العام الماضي ؟ فقال الحمل إني ولدت هذا العام ، فرد الذئب قائلاً إذاً فالذي شتمني هو أحد أقربائك!! ونزل على الحمل المسكين مسرعاً فعاجله بضربةٍ قاضية ، وأخذ يأكله أكلاً لماً.

فقد جاء على لسان الإذاعة (أن وزير الداخلية قرر إنذار صحيفة الأيام والأضواء) لخروجهما على الأسس والقواعد التي تم الاتفاق عليها مع الصحفيين في ٦يوليو ١٩٦٩، عند رفع الرقابة عنها ، والسير وفق منهج الاشتراكية الذي تنتهجه الثورة ، أما جريدة الأيام فإنها في التواريخ ٥، ٩ ، ٢٢ سبتمبر نشرت مقالات وتعليقات وأخبار ضد إحدى فرق الثورة واتهمتها بالإلحاد!!.

وهاجمت مجلس الوزراء ونادت بتنحية عدد من الوزراء فيه (الشيوعيين) ، وذكرت بأن العميد خالد حسن قطع رحلته مع النميري ، مما أثار كثيراً من التكهنات (محاولة الإنقلاب) ، وأن جريدة الأضواء قد تحدثت عن (التصويت) في عطبرة ، وناقشت موضوعاً يتعلق بالعاملين في عطبرة ، ونشرت مقالاً بعنوان (انحسار اليسار الماركسي - وانفتاح القوميين العرب) ، مما يثير الفتنة بين فرق الثورة ، ولهذا فإن وزير الداخلية سيتخذ أصرم الإجراءات ضد هاتين الصحيفتين ، إن هما عادتا مرة أخرى وخرجتا عن الخط المتفق عليه ، إن الحكومة بمثل هذا التخبط والوقوع تحت وشايات الشيوعيين وفتنتهم التي يثيرونها حمايةً لأنفسهم ، إنما تثير حول نفسها كثيراً من الشكوك بأنها واقعة تحت تأثير يومي مباشر من الشيوعيين وكان يحسبها أن تتخذ من الإجراءات الرسمية عن طريق الرقابة ما شاء ،

فللناس عقول يدركون بها الحقائق الجارية أما أن تتورط الحكومة لمثل هذا الضغط فهو أمرٌ يدعو إلى التأمل الشديد وإعادة النظر في الموقف كله من جديد.

***

- المذكرة التي تقول الأنباء إنها رفعت من جهات مسؤولة في الجيش تؤكد بأنها تلفت نظر الحكومة إلى النفوذ الشيوعي في الوضع الراهن؛ وأن الجيش حين قام بالإنقلاب لم يقبل بذلك أن يسلم الحكم للشيوعيين، وتكرر المذكرة ضرورة الإسراع بإنهاء النفوذ الشيوعي في الحكم .
- الدعوة إلى تكوين المنظمات الشعبية شعار رفعه الشيوعيون منذ وقت طويل ، ولكن يبدو أنهم الآن قد تخلو عنه لإحساسهم بأن القوى الوطنية الحقيقية ربما سيطرت عليه تماماً ، وقد برزت هذه الأيام على لسان اللواء النميري وخالد حسن الدعوة إلى تنظيم الوطن والوحدة القومية الوطنية!!
- في لقاء بين المسؤولين وأعضاء من الإخوان ، طلب المسئولون إليهم أن تؤيد جبهة الميثاق للوضع الراهن ، بعد سير المفاوضات القائمة الآن على وجه مُرْضٍ، ولكن الإخوان أشاروا بطريقةٍ واضحة أن من العسير أن يتم ذلك وقادة الجبهة لا يزالون أعماق السجون .
- عاد اللواء النميري اليوم ، من رحلةٍ كان لها أثرٌ جديدٌ على شخصه .

الأحد ١٩٦٩/١٠/٥م

التناقضات الكثيرة في مواقف وزير الداخلية ، جعلت الثقة فيه لا تستقر على حال ، ليس هذا رأيي فحسب ، إنما هو قراءة الميزان الشعبي وحصيلته ، فما من أحد ذهب إليه في أمر إلا خرج عنه راضياً، أليس هي صفة يبحث عنها الكثيرون ؟ كلا .. فالذي يحاول أن يرضي الناس جميعاً إنما هو في الواقع يغضب الناس جميعاً، لأنه لن يكون في كل هذه المواقف صادقاً فيما يقول ، فقد تحدث سيادته عن الرقابة الصحفية، وقال إنها قيد الشيوعيين ، فتبين العكس من ذلك ، وذهب في أمر المفاوضات أو جسّ النبض مع الإخوان وحزب الأمة ، فحاول حتى جهازه ورؤساؤه وهو نفسه يصبون جام غضبهم واتهاماتهم وسُبابهم على الأحزاب والهيئات والمنتفعين باسم الدين!!! ألا ساء ما يحكمون ، إن الشعور الذي يساورني أن مثل هذه المواقف إنما تصيب الناس بخيبة أمل عريضة، وتزعزع الثقة في نفوسهم تجاه الوضع القائم ، وحين يصل الحال بالناس إلى مثل هذه المرحلة ، فذلك يومئذ إيذانٌ بالرحيل

والتغيير والتبديل، ترى إلى أي مدىً يصدق هذا الإحساس؟ إحساس نابع من تجارب الحياة عبر التاريخ، فإن من كان له النظام قريناً، فساء قريناً، وكذلك حال من اتخذ الشيوعيين بطانة له من دون الله، وإن ظنت الحكومة أنها اتخذتهم كذلك لتجني من ورائهم ثمرة تعينها على البقاء ، وأن أحد الشعراء قد قرر بطلان هذه الحقيقة حين قال :

ومَنْ يجعلِ الضرغامَ بازاً لِصَيْدِه *** فَصَيْدةُ الضرغام فيما تَصيَّدا

***

منذ قامت ثورة ليبيا (البترولية) لم تفتأ الثورة هنا تؤيدها وتذيع أخبارها ، بل ذهبت إلى أكثر من ذلك فأرسلت بمندوبها للتهنئة والمباركة ، وأشياء أخرى ، وترجمة لهذه الأشياء الأخرى ، وبعد مضي أكثر من شهر سافر وفد اقتصادي مكون من مأمون عوض عضو مجلس الثورة ، ومنصور محجوب وزير الخزانة ، وطه بعشر وزير العمل ، إلى ليبيا ، وواضح أن الجانب الاقتصادي المشار إليه يتعلق بموضوع واحد هو (التمويل) إذ أن ليبيا هي إحدى دول البترول العربية ، ولم تكن بينها وبين السودان علائق اقتصادية بالمعنى المعروف ، وإذ لم يكن الأمر كذلك من قبل ، فلا بدّ من أن تقوم هذه العلائق من جديد بخطوة يبدؤها السودان ، ولكن بمفهوم آخر هو (القروض)، فالمعروف أن الوضع الراهن يعاني كثيراً من سوء الوضع المالي في البلاد وفقاً للتقرير المالي الخطير الذي قدمه وزير الخزانة في الشهر قبل الماضي، والذي أشرت إليه في حينه، حتى أن الحكومة أوشكت ألا تصرف المرتبات لموظفيها بسبب هذا العجز الخطير، ومعروف كذلك أن الحكومة لم تعقد حتى الآن اتفاقاً مالياً بقرض مع أية دوله من الدول الاشتراكية، أما الدول الغربية فقد أعلنت الحكومة في أول أيامها أنها لن تتعاون معها، فأصبح طبيعياً أن يقوم نوع من (التلاحم) المالي بين السودان وليبيا، ولا بأس من أن الخطوة الأولى من السودان، وربما باركت ليبيا هذه البادرة، إن الأيام القادمة وحدها هي التي تبرهن على صحة هذه الحقيقة أو بطلانها ، ولكن الذي لاشك فيه هو أن السودان وصل حداً من الإدقاع المالي في مواجهة المتطلبات العامة، يوشك أن يعصف بالوضع كله، بسبب الإجراءات المالية التي اتخذتها الحكومة لمواجهة هذه الأزمة المالية الخطيرة، وما أحدثته من رد فعل عنيف لدى كل قطاعات القوى العاملة في الدولة ، إن الخروج من هذه الأزمة ضرورة، والسبيل إلى ذلك قد شكل مسألة عصيبة تحتاج إلى وقت حتى يستقيم أمرها، ليتحقق من ورائها الهدف المنشود، فلنرتقب النتائج فقد لا يطول بنا الوقت فالزمن وحده كفيل بتصحيح كثير من الأوضاع.

الأثنين ١٩٦٩/١٠/٦م

منذ غادر اللواء النميري الخرطوم في رحلته للشمالية منذ اثني عشر يوماً، أُعلِنت حالة الطوارئ في الجيش، وأغرب حجة قيلت كسبب لهذا الإعلان هي أنها بمناسبة اليوم السابع والعشرين من رجب، وأغرب من ذلك أن حالة الطوارئ هذه قد رفعت أمس الرابع والعشرين من رجب، السؤال العريض الآن هو العلاقة بين رجب والطوارئ داخل الجيش؟ آه لو أن الأشياء تسمى دائماً بأسمائها، إذن لاستراح الناس فهل حقاً يستريحون؟؟

***

عائد الجمارك من الاستيراد قد ينقص بصورة واضحة، والسبب في ذلك يرجع إلى أن التجار قد قللوا كثيراً من استيراد كثير من السلع المُرخَّص بها، والذي شخصته تعليلاً لهذه الظاهرة التي يبدو فيها عنصر الاتفاق، أن التجار من جانبهم يمارسون لوناً من الضغط على الحكومة، لسبب ما تعرضوا له من ضغوط مختلفة، ومن محاكمات نُصِبتْ لها المحاكم على قارعة الطريق، ومن تقريع أصابهم من خلال تعليقات الإذاعة عنهم، ويبدو أن هذا النطاق آخذ في الاتساع ليشمل عدداً أكبر من تجار الأقاليم، إن الذي أحسّه أن هنالك جفوة بينهم وبين الحكومة، ولما كان كثير من هؤلاء التجار ينتمون سياسياً إلى الحزب الاتحادي الديموقراطي - وقد أحدثت وفاة أزهري واعتقاله آثاراً عميقة الغور لدى هؤلاء التجار - فإن النتيجة الطبيعية لهم هي أن يكون لهم موقف واضح ، أعانت عليه العوامل التي كان فرض الضرائب على الوارد من البضائع، أساساً تقوم عليه الأسباب الأخرى، التي زادت من اتساع الهوة بينهم وبين الحكومة ، ومن يعش يرَ .....وكفى!!

الثلاثاء ١٩٦٩/١٠/٧م

- أشارت الأنباء إلى أن الحكومة ستحيل عدداً كبيراً من الموظفين خاصةً في وزارة التجارة إلى المحاكمة ، وذلك كجزء من خطوة التطهير العامة ، إنني أؤيد كل اتجاه يرمي إلى معاقبة كل متهم شريطة أن يكون ميزان العدل وحده هو الحكم في مثل هذه الأحوال ، أما أن يكون التشفي والبلاغات الكيدية هي الطريق ولا طريق غيره ، فإنني أرفض هذا الاتجاه وأدينه ، لأنه ضد الحق والعدل والإنسانية .

- في نقاش مثمر مع الأخوين الترابي وحمدي ، حول تقصير الحركة الإسلامية في تقديم رأيها في مختلف الشئون، مطبوعاً للرأي العام، أشرت إلى تجربة الإخوان في مصر حيث قاموا بهذا الدور، حيث أنهم كانوا يقومون بطبع المحاضرات والندوات التي يقوم بها الإخوان في كتيبات صغيرة تباع الواحدة منها بعشر مليمات، وتوزع منها كميات كبيرة وسط الجماهير، ونحن في السودان يمكن أن نقوم بشيء كهذا، خاصةً وأن الليالي السياسية الإسلامية التي أقامها الإخوان في مختلف المجالات والجامعات والمعاهد العليا، ما يزال كثير منها مدوَّناً في أشرطة للتسجيل، أو في محاضر هذه الندوات والليالي، وأن من السهل تقديم هذا الجهد المتواضع ريثما تتمكن الحركة الإسلامية من تهيئة الجو لعدد من الإخوان للتفرغ للتأليف ، وعرض الفكرة الإسلامية في إطارها الذي يحدده الإخوان وفق تصورهم الأسلوب بالعمل الإسلامي في المحيط العام والخاص على السواء، وبذلك تكون الحركة الإسلامية قد بدأت فعلاً في أداء دورها الإسلامي الإيجابي، وكان خليقاً بها أن تؤدي هذا العمل في فترات سابقة وهي اليوم قد أكملت العشرين عاماً من عمرها، وقد سرني كثيراً أن علمت من الأخ حمدي أنه سبق له أن قام بدراسة عملية لمشروع كهذا، وقد وجد بالدراسة أنه مربح مادياً وفكرياً، وأنه قد حاول أن يضعه موضع التنفيذ قبيل الإنقلاب، وأنه سوف يرى النور بإذن الله حين نرى نحن النور خارج السجن ريثما تنجاب هذه السحابة الدكناء الكهام!!.

الأربعاء ١٩٦٩/١٠/٨م

- صدر اليوم الحكم في قضية الدكتور السيد أحمد السيد حمد ، وهو يقضي بالسجن مدة ست سنوات، وبالغرامة ثلاثين ألفاً من الجنيهات، وفي حالة عدم الدفع تستبدل بثلاث سنوات سجناً.

وهكذا ينسدل الستار المؤقت على هذه المحاكمة التي ظلت منذ اليوم السادس من الشهر الماضي حتى اليوم.. وقد ظل الشعب السوداني كله يتتبَّع هذه المحاكمة بكل أحاسيسه وانفعالاته، ويزن أقوال الشهود، وأسئلة المتهم، والروح العام الذي كان يسيطر على هيئة المحكمة منذ انعقادها حتى أصدرت هذا الحكم.. وقد تركز الاهتمام كله فيما يقوله القاضي صلاح في خلاصة البينات، فهو الذي يضع الهيكل العام للحكم، وفقاً للروح التي يقدم بها خلاصة بيِّنات الشهود وفقاً لإرشاداته وتوجيهاته للمحكمة في هذه البينات. ولكنَّ طريقة

عرضه لهذه الخلاصات رسخت في الاذهان كلها، ان الاتجاه يشير إلى الإدانة، وكان يمكن ألا يحدث ذلك في تقديرنا حتى أن السيد أحمد حين سئل عن رأيه في نتيجة المحاكمة قال (إن الذي يهمني هو أن الشعب السوداني قد حكم بالبراءة، ولا يهمني بعد ذلك كيف يجئ حكم المحكمة).

وفي التاسعة والنصف مساءً، أذاع الناطق باسم قيادة الثورة حديثاً رسمياً حول الحكم، حاول فيه أن يضع كل المبررات التي أدت إلى هذه النهاية، وتحدث عن عدالة المحكمة، وعن الثورة بوصفها مركز العدل، واستخلاص حقوق الشعب من غاصبيها، ثم تحدث عن الموظفين فقال أن محكمة الثورة ستنعقد قريباً لمحاكمة عدد كبير من الموظفين والتجار الذين اشتركوا في استنزاف أموال الشعب وأثروا على حسابه، وفي تقديري لم يكن هناك مبرر لإصدار هذا البيان، إلا أن يكون مجلس الثورة قد أدرك أبعاد هذا الحكم وآثاره البعيدة في الرأي السوداني العام ، وعلى أيَّة حال فإن للناس حكمهم ورأيهم الخاص في الوضع كله، وفي المحكمة وقضاتها، ولن يُغيِّر من ذلك بيان يصدره الناطق باسم القيادة.

- أذاع راديو أم درمان في الخامسة وفي السابعة من مساء اليوم، الكلمة التي ألقاها رئيس الوزراء بابكر عوض الله أمام الطلبة السودانيين في المانيا الديموقراطية، وكانت كلمه أقل ما توصف به أنها كلمة طائشةٌ رعناء، لا تليق إلا بشخص يستخفَّه التصفيق والثناء، ويطربه المنصب والوظيفة، تحدَّث (الرئيس الجليل) للطلاب، فشكرهم على مجيئهم من أماكن بعيده، وأكد لهم أن مطالبهم مجابة، وشكرهم على تبرعهم بثلاثة ألاف من الجنيهات للثورة، وقال أننا ننتظر قدومكم للسودان لتنضموا جنوداً في موكب الثورة، وقال (إننا أيضاً مشفقون على الثورة مثلما أشفق سكرتيركم، ثم تحمَّس (الرجل المسئول في الحكومة) فقال : (لقد بلغتني وأنا قادم اليكم أنباء مقلقة وقد انزعجت لها، وهي جزء من محاولات الثورة المضادة لتفتيت وحدة القوى الثورية واجهاض شوكة الثورة، ذلك أن أعداء الثورة قد رفعوا شعارات كانوا قد رفعوها بعد أكتوبر، وهي حماية الدين من الإلحاد، وحماية التقاليد والأخلاق والمبادئ العامة.

إن الذين يتحدثون باسم الدين نحن نعرف خباياهم.. (سبحانك)، ثم انفعل الرئيس انفعالاً ترك معه عقله ووقاره، وأطلق عنان الحقيقة التي كان يخفيها حين كان في منصب القضاء، فقال في الحرف الواحد (لا فُضَّ فوه) (أن الثورة لا يمكن أن تسير بغير الشيوعيين، وبدون القوى

الثورية الاشتراكية، أن الشيوعيين هم الطليعة الثورية الأولى التي قاومت الاستعمار، ودخلت السجون، قد كنت وأنا في منصة القضاء أعرف ذلك فيهم... إنني الآن أصارحكم بهذه الحقائق، وحين أعود إلى السودان سأكون أكثر صراحة وأقول كل شيء) انتهى .

لقد كنت استمع إلى هذا الغثاء مرتين، من رئيس الوزارة التي نفت انتماءها للشيوعية يوم الإنقلاب، كنت أستمع إليه في مرارة وغضب عميقين، غضبت لما صارت إليه أمورنا من حضيض ودرك سحيق بإلقاء مقاليدها إلى رجل كهذا!! وغضب للنفاق والكذب اللذين انطبع بهما الحكم منذ أول كلمة نطق بها هذا الأفاك الأثيم في أول بيان أذاعه على هذا الشعب الطيب المسكين ، الذي هانت أموره حتى قبض عليها مثل هذا الزنيم.

وعند ذلك أخذ أحد إخواني يحدثني محاولاً أن يخفف من هذا العبء قائلاً : يا أخي إن من الخير أن تكثر مثل هذه الأخطاء الكبيرة، فهي وحدها الضوء الكاشف الذي يتخلل جزيئات هذا النظام الخائر فيفضحها للناس، ليعرفوا أي نظامٍ تحته يعيشون، وأيُّ صنفٍ من البشر أولئك الذين قذفت بهم الظروف إلى موطن المسئولية والحكم، فتعللت حيناً بهذا القول ، وقلت له أن الله أعدل من أن يترك أمثال هذا المرتد الآبق يتسلطون على رقابنا، فنحن نتركهم لله، وعند ذلك أغفيت قليلاً في محاولة لإسكات الغضب، فإذا بجهاز الراديو الصغير قرب رأسي يعلن في نحو الساعة الحادية عشر إلا ربعاً عن بيان هام يلقيه اللواء النميري بعد قليل...

وكأني والله أحسست بالذي حدث، فأيقظت إخواني ليسمعوا البيان، وقلت لهم أني أكاد أجزم بأن مضمون البيان هو نفي حديث رئيس الوزراء، قلتها في درجةٍ من اليقين، ومكثنا حتى الحادية عشر تماماً، فاذا باللواء النميري في صوت غاضب يبدأ بيانه : (باسم الله الرحمن الرحيم ، بهذا يعلن مجلس قيادة الثورة بأن الخطاب الذي ألقاه رئيس الوزراء في مناسبة أقيمت في خارج السودان، والذي أذاعته الإذاعة مساء اليوم، وجاءت فيه إشارة تعبر عن رأيه الشخصي، إلى أن الثورة لا يمكن أن تسير بغير الشيوعية ....الخ ، فإن مجلس الثورة يعلن أن الثورة قد حلَّتْ جميع الأحزاب السياسية منذ قيامها، لأنها ثورة ضد الفساد والرجعية والاستعمار، إن هذه الثورة هي ثورة الشعب من أجل حماية تقاليده ومعتقداته وعاداته وأخلاقه ومُثُله، هي ثورة الشعب السوداني كله، ثورة الريف المظلوم الذي هدّه الفقر والجوع والمرض، إن هذه الثورة تفتح ذراعيها لكل العناصر الوطنية الاشتراكية النظيفة، فهي ليست ملكاً لأحد انما هي ملك لهذا الشعب ...والله الموفق) .

بمثل هذه الكلمات القاطعة الرادعة، وبعد ساعات قلائل من إذاعة خطاب رئيس الوزراء، وضع اللواء النميري حدّاً لهذا العبث الصبياني، وعدم تقدير المسئولية من رجل يفترض فيه سلفاً أن يزن كل كلمه بمقدار، لأنه محاسب على كل ما يقول، ولولا هذه المبادرة الرادعة من اللواء النميري، لدفعت الثورة الثمن غالياً لقاء هذا الاستهتار الذي أفاض به رئيس الوزراء، حيث جعل للشيوعيين في تقديره مكانة - أمّا كانت هذه المكانة - من شعب هذه البلاد ، وهو يعلم سلفاً أنهم عملاء لدولة أجنبية استعمارية ، شأنها في ذلك شأن أمريكا وروسيا وإنجلترا ، أنهم حثالة الخيانة، ورواد العمالة، وسماسرة للعبودية الفكرية لدولة طامعة مستعمرة، رضوا بأن يكونوا عبيدها وأولادها، وإماءها، فيجئ رئيس الوزراء وهو واحد منهم لينثر مثل هذا الغثاء على شعب يرفض بكل ما يملك من إيمان وعقيدة أن يكون للشيوعيين ـ طال الزمن أم قَصُر ـ يدٌ على هذه البلاد ، وما بغريب على رئيس الوزراء أن يقول اليوم ما قال ، إنما هو تكرار قبيح لما سبق له ان ردَّده بكلماته هذه في حفل الثورة في ودنوباوي، وفي الجزيرة وكان من أقوى الأسباب التي حملت الشعب منذ البداية على أن يحدد موقفه من اتجاهاتها ، وأن يصدق كل ما قاله الإخوان حقاً وعدلاً عن شيوعية هذه الثورة من أول يوم لميلادها.

إن اللواء النميري بتكذيبه لرئيس وزارته، إنما يدفع هذا النظام كله، ويدين اتجاهه، ويبرئ نفسه في ذات الوقت مما أشارت إليه أصابع الاتهام منذ البداية من أنه يؤيد مثل هذا الاتجاه، وقد وضحت الآن براءته، وأطاحت التهمة برئيس الوزراء وطوَّقت حكومته من كل جانب، فلم يبق أمامه غير طريق واحد بعد الموقف الوطني الذي قدَّمه اللواء النميري منه، ذلك أن يقدِّم استقالته فوراً لينهي هذا العهد الحكومي الذي لطَّخ وجه الشعب، وزيَّف إرادته، وجعل الأمة كلها ـ باستثناء حفنة الشيوعيين المرتزقة ـ تعيش في لحظة قاسية، مرغَّت سمعتها في التراب، وأوشكت أن تطمس إشراقة هذا الشعب المسلم أمام أعين الشعوب العربية والإسلامية المكافحة من أجل إرساء قواعد الحق والعدل والسلام والإسلام .

إن اللواء النميري وهو يدين الشيوعية إدانة كاملة في شخص رئيس وزرائه في هذا اليوم السابع والعشرين من شهر رجب الخير، إنما يعيد إلى الأذهان في وضوح وقوة، موقف الشعب السوداني المسلم في ثورته الخالدة منذ الرابع والعشرين من رجب ١٣٨٥، يوم أعلن الشعب حرباً ضاربة ضد الشيوعيين في كل أنحاء البلاد ونبذهم نبذ النواة، وفتك بهم في عقر

دارهم وجعل يتعقبهم حتى استلهم من حرم الجمعية التأسيسية الاولى وقذف بهم إلى قارعة الطريق بعيداً عن شرف تمثيل هذه الامة والثورات باسمها.

إن اللواء النميري قد شفا صدور الملايين من أبناء هذا الشعب بهذا البيان الذي وضع به حدّاً للعبث الشيوعي، مُمثّلاً في شخص رئيس الوزراء، وفتح بذلك صفحة جديدة، ومهّد الطريق أمام الراغبين في الإصلاح والتغيير، لإقصاء كل عنصر شيوعي من مرافق شرف العمل من أجل هذا الشعب المسلم .

إن كل الدلائل تشير إلى ضرورة إجراء هذا التغيير اليوم قبل الغد، فما عاد الشعب يطيق الصبر، أكثر مما صبر، وأولى خطوات هذا التغيير التي تقتضيها إرادة الشعب، هي تنحية الحكومة القائمة وإقصاؤها من الحكم بلا تردد، وما لم يتم ذلك، فليس أمامي من تصوِّر أن يتم التغيير بالنسبة للنظام كله مهما يكن الثمن!!

الخميس ١٩٦٩/١٠/٩م

• رغم أن البيان الثائر الذي أذاعه اللواء نميري أمس، جاء في وقت متأخر من الليل، إلا أن كثيراً من الصحف أشارت إليه صباح هذا اليوم، وكانت (الأيام) أبرز الصحف التي وضعته في صدر صفحاتها الأولى، وأعطته عنواناً مثيراً مأخوذاً من كلمات البيان نفسه، وهي الفقرة المتعلقة بالشيوعيين التي وردت على لسان رئيس الوزراء في خطابه المتهافت في المانيا الشرقية، وقد أصبحت (الأيام) هي الواجهة الحرة الجريئة التي تعكس أمانيَّ وآمال هذا الشعب في التعبير عن ارادته الحقيقية، رغم أن الرقابة التي أُعيدت على الصحف من جديد تقف بالمرصاد لكل كلمة تنال بالحق والعدل من إحدى فرق الثورة!!! صبراً ...أليس الصبح بقريب؟

• البرنامج الشيوعي المسموم الذي أفصحتْ الإذاعة اليوم لأول مرة عن اسم محرره حسن الطاهر زروق، عاد مرة حين أذاعت أول حلقة فيه عن الأحزاب السياسية والهجوم المسعور عليها.. هذا البرنامج الذي كان يحمل عنوان (أخوان الشيطان) .. وتوقف فجأة قبل أسابيع ، عاد من جديد ليصب على أسماع الناس ألواناً من أحقاد الشيوعيين الطافحة بالصديد والدم، عاد عقب هجوم اللواء نميري على رئيس الوزراء وعلى الشيوعيين باعتبارهم شركاء في كل الوان الفساد السياسي الذي أطاحت به الثورة، عاد في حشرجة المخنوق الذي أوشك أن يلفظ انفاسه الأخيرة، عاد أشبه ما يكون بمن يلقي كلمة في حفل تأبين راحل مجهول!! عاد يشتم

ويسب، ويكشف عن الأحزاب الماضية وتاريخها وتمويلها وطائفتيها!! وسكت البرنامج ـ قبل أن يسكت نهائياً ـ سكت عن تاريخه وتمويله ومتفرغيه وعاطليه، وعن علاقته بموسكو وزعمائها، وعن عقيدته، وموقفه من الأديان والأخلاق والقيم والمثل... وعن علاقة اعضائه من الجنسين.. عن التراث السوداني والعادات الوطنية الصحيحة... غير ذلك وعن غيره.. ولكن ذلك كله سيجد طريقه إلى الناس حتى يعرف الشيوعيون حقيقة الحكمة التي قالها سيدنا عيسى عليه السلام حين ألحَّ عليه قومه برجم امرأة زنت ، فقال لهم (من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر).

• نشرت الصحف اليوم خبراً رسمياً نفت فيه الحكومة نبأ استقالة ثلاثة من الوزراء!! وقد انطلقت هذه الاشاعة التي ربما كان لا ظل لها من الحقيقة وانتشرت على نطاق واسع بين الناس، خطوة قد يكون لها ما بعدها، فالجو ممهد لذلك بل إلى أن تقدم الوزارة كلها استقالتها فهل يفعلون؟!

• في داخل السجن وضع غريب أثار اهتمامي وتساؤلي، ذلك أن عدداً يبلغ نحو الستة أسخاص من الشيوعيين الصينيين كانوا محتجزين في وزارة الداخلية بتهمة القاء المتفجرات في العاصمة.. وأشيع عنهم وهم في الحجز بأنهم من أعضاء جبهة الميثاق!! وحين كثر التساؤل عنهم رحلّوا إلى كوبر، ووضعوا في قسم خاص، ومُنِحوا أسِرَّة، وعوملوا بطريقة جيدة، في الوقت الذي وضع فيه أكثر من عشرين شاباً اعتقلوا اثناء مظاهرة جنازة المغفور له إسماعيل الأزهري وفيهم عدد من الإخوان، وضعوا في داخل الزنزانات حتى الآن مدة تزيد عن الأربعين يوماً!! لماذا حدث ذلك وكيف حدث؟ هل لوزير الداخلية صلة بالشيوعيين الصينيين؟ أم أن تهمة المتفجرات أقل خطورة من الخروج في مظاهرة ؟ كثير من الحقائق التي قد تختفي بسرعة حين يكون للشيوعيين الموسكيين أو الصينيين صلةٌ بالأمر، ولكن الحقيقة لا تختفي طويلاً وسيعرف الناس كل شيء .

الجمعة ـ ١٠/١٠/١٩٦٩م

• من أكثر الأنباء التي عرفتها اليوم أن الرئيس عبد الناصر قد أطلق سراح جميع الإخوان المسلمين في مصر، بعد أكثر من خمسة عشر عاماً، لم تخلُ منها سجون مصر ومعتقلاتها من الإخوان المسلمين حتى خلال حرب يونيو، يوم كان العرب في حاجة إلى مجهود كل جندي

يعمل في سبيل الله، من أجل تخليص الأمة العربية والإسلامية من عدوان اليهود ،إن عبد الناصر بعد كل هذه المدة الطويلة المريرة التي مرت بالحركة الإسلامية في مصر، يبدأ صفحة جديدة مع الإخوان المسلمين ، بل أنه ذهب إلى أكثر من ذلك ، فجعل يشيد عليهم من خلال برنامج تلفزيوني خاص... وأخذ في ذات الوقت يلقي القبض على مئات من الشيوعيين، خاصة بعد أن أميط اللثام عن محاولة الإنقلاب الشيوعية التي أوشكت أن تحدث في مصر، إنني انتظر المزيد من وراء هذه الخطوة الجديدة في مصر .

• علمت بأن السيد محمد عثمان الميرغني، قد بعث بالسيد مضوي محمد أحمد ليتصل بالإخوان وينقل إليهم عنه أنه لم يكن يقصد الإخوان المسلمين حين تحدث في جنازة المرحوم إسماعيل الأزهري عن اليمين الرجعي، بل كان يقصد الكنائس العالمية!!، وطلب سيادته مقابلة وفد من الإخوان، وقد حدد لهذه المقابلة يوم غدٍ السبت .

• نشرت الصحف أن مجلس قيادة الثورة قد عقد اجتماعاً طويلاً طارئاً، وتفيد التكهنات أن ذلك الاجتماع يتصل اتصالاً مباشراً بخطاب الرئيس، في المانيا الشرقية، وتعديل وزاري قد يحدث قريباً.

• جاء في الأنباء قبل يومين أن محاولة إنقلاب عسكري قد حدثت في الأردن، ولكنها قد فشلت، وتمت المحاولة عن طريق ضباط ينتمون إلى حزب التحرير الأردني، وهو حزب يرأسه السيد النبهاني، وتأسس منذ نحو خمسة عشر عاماً، ويعمل اعضاؤه على قلتهم في بعض البلدان العربية ، وقد حظرت نشاطه بعض الدول ومنها الجمهورية العربية المتحدة، والأردن نفسها، ولا زال رئيسه محظوراً عليه دخول الأردن إلى اليوم، ويهدف هذا الحزب إلى إعادة الخلافة الإسلامية وبعثها من جديد. ويبدي نشاطاً في بعض مراكز القوى في الجيش والبوليس، ومعظم المنتمين إليه من الشبان، وتبدو على الحزب مظاهر البذخ المادي، خاصةً في دوره ومطبوعاته، ويبدي أعضاؤه عداءً سافراً لكل الحركات الإسلامية مما يثير كثيراً من الشك في صدق الاتجاه الذي يرمون إليه، وأعضاؤه يعرفون بالجدل الذي لا يوصل إلى غاية، بعض الناس يثيرون حوله بعض الشكوك وعلامات الاستفهام، حول طبيعة نشأته ومرماها. ونحن من جانبنا لن نحاول كسر شوكة الهيئات العاملة بصدق من أجل بعث الإسلام من جديد، ولكنّا فقط يجب أن نطمئن إلى طهارة المنشأ والمنبت، وإلى أصالة التكوين، والبعد عن مواطن الشبهات، وحتى تتضح هذه الحقائق، فسنظل نرقب هذا النشاط السياسي الإسلامي، ولكننا في النهاية لن نتوانى في حربه ومواجهته، إذا ما ثبت لنا أدنى انحراف في اتجاهه العام والخاص.

السبت ١٩٦٩/١٠/١١م

• كل الحقائق التي اوردتها من قبل عن وجود (مفاوضات) بين الإخوان والمسئولين لم تكن في حقيقتها سوى نتائج اتصالات قام بها الأخ دفع الله الحاج يوسف، لمعرفة حقيقة اتجاهات بعض المسؤولين، ولكي يعرفوا هم كذلك رأيهم في الثورة وطبيعة تكوينها وفلسفتها، والطريق الذي تسلكه لتحقيق أهدافها. ولم يتم ذلك في الاطار المعروف للمفاوضات. ولا جدال في أن الطرفين قد خرجا بحقائق ليس إلى نكرانها من سبيل!!!

• عقب البيان الذي أذاعه النميري رداً على خطاب رئيس الوزراء ، وصلت إليه آلاف البرقيات تؤيد موقفه وتشد من أزره ، وتطلب منه المزيد من هذه المواقف الواضحة من الشيوعيين .

• السيد الهادي لا يزال عند موقفه السابق لم يتزحزح عنه قيد أنملة. فهو يرفض أي تأييد أو تعاون مع الوضع الراهن إلا إذا أجيبت الشروط التي أملاها من قبل ، ويؤكد سيادته بأن موقفه سليم ومتين، ولا تزال الجزيرة (أبا) هي المنطقة الوحيدة في السودان التي استعصت على الثورة من كل الوجوه .

• من أغرب الأنباء ان وزارة التربية قد أمرت بحل لجان المدارس الأهلية المعانة ، لماذا ؟ بغرض إدخال بعض أفراد القوى العاملة في لجانها، وذلك يعني بطريق آخر ادخال عناصر اشتراكية (شيوعية!) في هذه اللجان حتى تتحكم هذه اللجان بصورتها الجديدة في توجيه نوعية المدرسين، حتى يتم بذلك السيطرة عليها باسم الاشتراكية (العلمية!!).. وهذا الاتجاه بلا ريب سيقود إلى نتائج ليست بحال في مصلحة التعليم الأهلي، منها أن يتخلى أصحابها عنها لأنها لم تعد صالحة للسير وفقاً للهدف الوطني الخاص الذي قامت على أساسه، ومنها أن يحجم كثيراً ممن يرغبون في إنشاء مثل هذه المدارس مستقبلاً خشية وقوعها في هذه الحبائل الجديدة، ومهما قيل عن إشراك الآباء في اللجان بحجة إشعارهم بأنهم جزء من المدرسة، فذلك لا يستقيم عملاً وعقلاً، وإن كانت الوزارة راغبة حقاً في ضم هذه المدارس إليها فلتعلن ذلك صراحة حتى يقرر المسؤولين عن هذه المدارس رأياً محدداً، أما الاستمرار فيها على هذه الخطة الجديدة الغامضة ، وأما التخلي عنها لتقوم للوزارة من جانبها بإدارتها، على الأسس التي تراها، فذلك أدعى إلى محاولة فهم هذه الخطة التي يكمن وراءها اتحاد المعلمين، فالوضوح ضرورة.. ولكن هل تلك إحدى صفات الوضع الراهن؟ مجرد سؤال!!!

الأحد ١٩٦٩/١٠/١٢

• عقب البيان الذي أذاعه اللواء النميري تكذيباً لخطاب بابكر عوض الله في المانيا الشرقية عقد الشيوعيون اجتماعاً بمنزل عزالدين عامر للنظر فيما يمكن اتخاذه، وقد قرّ رأي الشيوعيين على أن يحني السيد رئيس الوزراء رأسه لهذه العاصفة حتى تمرَّ بسلام!! وحتى لا يتأزم الموقف أكثر، فينتهي الأمر إما باستقالته أو بإقالته، وبذلك يفقد الشيوعيين في شخصه سنداً قوياً ظل يحفي حقيقة اتجاهه الماركسي طوال سنوات مضت، حتى جاءت رئاسته للحكومة فكشفت عن تلك الحقيقة، وظل هو يشيد بهم في كل المناسبات حتى جاءت قاصمة الظهر في المانيا الشرقية.. وبمناسبة هذا الاجتماع، أذكر أنه في صباح اليوم التالي لخطاب النميري، أكد الأخ حمدي أن الشيوعيين، سيطلبون من بابكر عوض الله ان (يلحس) حديثه حتى لا يثير مشكلة قد تفقدهم كل مكاسبهم، فجاء هذا التحليل مطابقاً لما حدث من الشيوعيين في اجتماعهم المشار إليه!! دعونا نرقب الغد لنرى نتائج هذه الحقائق.

• تحدث وزير الداخلية ، وأبو القاسم محمد ، المتحدث باسم مجلس الثورة ، عن الاشاعات التي أخذت تملأ الأجواء هذه الأيام حول خلاف قائم بين الحكومة ومجلس الثورة، وبالطبع فأنهما قد نفيا هذه الشائعات وصبّا هجومهما على الأحزاب التي تشيع هذه السموم، وأكدا أن مثل هذه الإشاعات تبعث على الحيرة والقلق، في محاولة لضرب الثورة ، وتفتيت القوى الثورية ، وأخذت الإذاعة في تعليقها المحموم تلهث وراء هذين التصريحين، وتملأ الأثير بالصراخ الحاقد، وتحمّل الالفاظ أكثر من طاقتها، في محاولة لتثبيت حقيقة ما جاء في تصريح الوزيرين.. ولكنَّ الرأي العام السوداني ظل يأخذ بالحقائق من هذا النفي، ويستبين الأمور من وراء هذه المجادلات التي تبذل لتجريد الإشاعة من ظلال الحقيقة التي تكتنفها.

إن الحكومة تخطئ إن ظنت أن في مقدورها أن تكمم أفواه الصحف بالرقابة التي فرضتها، حتى لا تخرج الحقيقة بين سطورها، ثم تتوقع أن تختفي من واقع الناس ومجتمعاتهم واحاديثهم الاشاعة التي تنطلق وتسري سرى البرق بين الناس، إن الحقيقة يجب أن تبدو وبأسرع طريقة ممكنة، والحكومة مسئولة عن إبراز كل الحقائق، وإلا فإن كل حقيقة تُخفى، تقابلها من الطرف الآخر إشاعة أكبر منها، يكون هدفها فضح هذه الحقيقة التي خفت، مع تجاوزها إلى ما بعد الحقيقة، ان كل الناس يعرفون بالدليل، أن الخلاف بين النميري وعوض الله قد وصل مرحلة لا يمكن نكرانها، فالرئيس الذي يكذّب رئيس وزرائه، ويحملّه نتيجة أقواله وتصريحاته في المانيا، وبعد ساعات قلائل من إذاعة الخطاب ، لا يمكن أن يكونا على وئام.

ومجلس الثورة الذي يضم أثنين من الشيوعيين مع أغلبية وطنية، لا يُتصور حسن التفاهم بينهم!!، ومجلس الثورة على رأسه اللواء نميري، الذي يحمل تصوراً خاصاً عن فساد عدد من الوزراء وضعفهم أمام مسؤولياتهم، لا يستطيع شخص أن يتصور الانسجام وحسن التفاهم بينه وبين مجلس الوزراء.

إذن فليست هناك شائعات، انما هنالك حقائق عرفها الناس بطريقتهم المثلى، في حين سكتت عنها الحكومة ظناً منها أن السكوت قد يحجم الحقيقة، وأن النفي قد يصدقه الرأي العام ، أن على الحكومة أن تواجه الناس بما لها وما عليها وبذلك تريح نفسها.. أما المواطنين فإنهم مرتاحون لأنهم على علم بالحقائق لأنها تأتيهم من كل مكان.

الأثنين ١٩٦٩/١٠/١٣

عجباً !! ما أكثر ما يثير العجب في بلادي! لم يمض إلا يوم واحد على الرأي الذي أثبته هنا عن الموقف الذي يمكن أن يتخذه رئيس الوزراء بعد أن مُرّغت كرامته في التراب، بعد البيان الذي نسف خطابه، وزعزع مركزه كرئيس للوزراء ينزل على رأس الشيوعيين ليجعل العاصفة تمرّ فوق رأسه وهو مقوس الظهر خفيض الرأس.. نعم لقد أراد رئيس الوزراء لنفسه موقفاً لا يتمناه امرؤ لنفسه، ولو كان له ملء الأرض ذهباً أو كانت له كنوز سليمان وقارون، ولكن حين تضعف آخر ما يخطر على قلب ذلك الإنسان.. وقد حدث. فإن رئيس الوزراء قد أدلى إلى جريدة (الأحرار الحكومية) في عدد اليوم ضمن مجموعة من الأسئلة أتفق على توجيهها إليه تمويهاً وتغطية ، أدلى سيادته بجواب على سؤال عمّا ورد في خطابه في المانيا؛ فأنكر رئيس الوزراء ما جاء على لسانه ضمن خطابه الذي أذيع بنصه الكامل من الإذاعة السودانية، أنكر أن يكون قد ورد على لسانه شيء عن الشيوعيين!! أرأيتم كيف يكون التراجع عن شرف الكلمة والحقيقة؟ أرأيتم كيف يتضاءل الإنسان.. كيف يضمحل.. وكيف يصبح في لحظات عابرات قزماً أمام نفسه وأمام الناس!! وحين يوهم الإنسان نفسه بمثل هذا القول المتهافت، يُخيَّل إليه أن الناس قد بلغوا من البساطة حداً يصدِّقون فيه حرفاً من محاولة النكران هذه!! إن إنسان بلادي أكبر وأعظم من أن يكون مطيّةً للأباطيل والتضليل.. إنه يدرك الحقيقة ويعرف مواطن الزلل والخداع.. لذلك كله لم ينطل هذا النفي والتراجع والانسحاب على أحد.. لقد ضحك الإنسان في بلادي من هذا الذي حدث، ضحك بملء شدقيه، وهو يعرف

المحاولة الخبيثة من وراء هذا النكران.. إن باستطاعة رئيس الوزراء أن ينفي ولكن باستطاعته أن يدرك ـ وهو القاضي الكبير ـ أبعاد الحكم الذي أصدره الشعب عليه وعلى الشيوعيين من ورائه.. انهم يعرفون أن خطاباً كالذي ألقاه رئيس الوزراء في المانيا، لابدَّ أن ترصده وتسجله سفارة السودان في المانيا الشرقية، وأن تكون الوزارة أمينة في نقله، ثم ان عليها كسفارة أن ترسل هذا الخطاب في حينه عن طريق جهاز (التلكس) حتى يصل في حينه، ويؤدي الغرض السياسي من ورائه ، ولابد أن تكون الإذاعة قد تلقته كما هو من الجهة الرسمية، سواء كانت تلك الجهة هي وزارة الخارجية ، أو كانت وزارة الاعلام ، التي يرأسها أحد الشيوعيين المعروفين، إذ لا يعقل أن يتجرأ المذيع أو أحد موظفي على إضافة فقرة كاملة إلى الخطاب من خياله أو فكره وإن حدث شيء من ذلك فإن أبسط قواعد العدالة والامانة ، أن يطلب رئيس الوزراء التحقيق الفوري فيما ورد على لسانه دون أن يكون قد صدر منه أو تفوَّه به في المانيا.. من السهل أن يثبت التحقيق الحقيقة إما أن يكون رئيس الوزراء كاذباً فيما ادّعى، وإما أن تكون الإذاعة كاذبة فيما أذاعته على الملأ، إذ لا يعقل أن يكون الاثنان كاذبين ، أو أن يكونا معاً صادقين ، إن الحقيقة تختفي في مكانٍ معين ، ويجب أن تظهر الحقيقة بجلاء ، وعلى رئيس الوزراء تقع المسؤولية ومن ورائه الشيوعيين الذين وضعوه في هذا الموضع الحرج الذي لا مفرّ من أن تترتب عليه نتائج سياسية بعيدة المدى.. إن رئيس الوزراء ذهب ضحية الشيوعيين فهم وحدهم الذين قذفوا به في هذا الأتون المتقد، وهم كذلك على استعداد تام لأن يتخلوا عنه في الوقت المناسب!! مسكين رئيس الوزراء... مسكين!!!

***

• منحت جامعة الخرطوم الدكتوراه الفخرية لكل من اللواء النميري والسيد رئيس الوزراء بابكر عوض الله، للتاريخ فقط أثبت هذا الحادث، كعنوانٍ للنفاق في قمئه، في حين يصدر من قمة التعليم في بلادنا!! ورغم أن الإذاعة قد ذكرت بأن الموافقة على اقتراح منح الدكتوراه الذي قدمه مدير الجامعة، كانت بالإجماع، إلا انها لم تحدد، ما إذا كان الاجماع هو اجماع الأساتذة كلهم، أم اجماع الحاضرين فقط!! إن من شروط هذه الدكتوراه هو أن يكون الشخص الذي تمنح له قد قدم أعمالاً جليلة شتى في مدى سنواتٍ طويلةٍ من حياته من أجل بلاده، وأن تقدم هذه المنحة كعرفان بهذا العمل، وكمكافأةٍ وطنيةٍ يكون الشخص الممنوحة له خلالها قد أوشك على أن تقعد به السنون عن مواصلة السعي والعمل المثمر، ولكن

جامعتنا الوحيدة لا بدَّ لها من أن تضع من التقاليد الجديدة ما تستطيع به أن تكون نموذجاً جديداً في خلع رداء العلم والتجرد، لتفتح باباً جديداً لاسترضاء الحكام والتقرب إليهم، فهنيئاً لها، دعونا نكن أمناء ترى إن جاز ذلك الأمر بالنسبة لرئيس الوزراء هل يجوز بالنسبة لرئيس مجلس الثورة؟.. تجردوا من النفاق يا من لم يستطيع واحد منكم أن يتلفح بالشجاعة والرجولة ممن حضروا ذلك الاجماع، ليرفع صوته عن إيمان ويقول عند التصويت: لا .. لا أوافق.. فإن حدث ذلك لظلّت هذه الكلمة ترنُّ في أرجاء التاريخ، ما ارتفعت للتاريخ راية تحمل أنباء هذه الفترة التي تمر بها البلاد.

• الذين رأوا وزير الداخلية يؤكدون أنه يلبس بذلته الرسمية طوال هذه الأيام ، وربما اقتضى واقع الحال ذلك. أليس الشاعر يقول (إلبس لكل حلة لبوسها ، اما نعيمها ، واما بؤسها)!!، وسيادته يقوم بزيارة منازل بعض المعتقلين السياسيين الموجودين الآن بكوبر.

• قيل إن وزير الداخلية قد لفت نظر اللواء النميري إلى خطاب رئيس الوزراء المعروف!!

• الخطاب الجريء الذي أذاعه اللواء نميري باسم مجلس قيادة الثورة رداً وتفنيداً لخطاب بابكر عوض الله ، كتبه سيادته وأذاعه دون أن يعرضه على مجلس الثورة، وقد أكدّ هذه الحقيقة، أن الاعلان عن هذا البيان ثمّ في ساعة متأخرة من الليل في الوقت الذي أُعلِن فيه عن بيان يصدر باسم مجلس الثورة تعليقاً على الحكم الصادر في قضية السيد أحمد السيد حمد ، فلو أن مجلس الثورة في اجتماعه كان قد أقرّ الخطاب الذي أذاعه اللواء النميري في نفس هذا الاجتماع ، لكان لزاماً على الإذاعة أن تعلن عنه كذلك مثلما أعلنت عن البيان الذي أذاعه المتحدث باسم المجلس، وهذا مما يؤكد بأن بيان النميري حول خطاب رئيس الوزراء لم يعرض على مجلس قيادة الثورة مجتمعاً أو منفرداً، ذلك أن نبرات الغضب التي ألقى بها البيان تؤكد صدق هذه الحقيقة ... فماذا هناك ؟؟!

الثلاثاء ١٩٦٩/١٠/١٤

• أجتمع أمس مندوب الإخوان بالسيد محمد عثمان الميرغني، بمنزله بالخرطوم. بناءً على رغبةٍ أبداها سيادته، وفي هذا الاجتماع أوضح مندوب الإخوان في وضوح للسيد محمد عثمان جميع المآخذ التي يأخذونها على مواقف سيادته، وعلى موقف الختمية من الإخوان، وموقفهم السابق من الشيوعيين!! وقد وافق سيادته على بعض هذه المآخذ ونفى بعضها، الا

انه أكدّ تأكيداً قاطعاً لمندوب الإخوان بأنهم يعتبرون الشيوعيين هم الأعداء الحقيقيين للبلاد وللدين بوجهٍ عام، وأنهم لن يتعاونوا معهم مستقبلاً في شأنٍ من شؤون البلاد، بل العكس هو الصحيح، أنهم ينتظرون للشيوعيين في السودان موقفاً كموقف الشعب الاندونيسي منهم، هو موقف معروف، يذكره الشيوعيون جيداً.

• تؤكد الأنباء بأن اللواء النميري قبل سفره إلى كسلا قبل ثلاثة أيام قد أبلغ مجلس الوزراء بأن تعديلاً وزارياً لا محالة واقع، وانه يفضي بإخراج عدد من الوزراء وادخال آخرين من العسكريين، واسناد رئاسة الوزارة إليه شخصياً، خاصة بعد الموقف المعروف الذي وقفه رئيس الوزراء من تصريحه عن الشيوعيين، ولما ثبت من ضعف وفساد عدد من الوزراء الحاليين ولعل الأيام القادمة تكشف عن الإجابة على كثيرٍ من التساؤلات!!

• اتخذ مجلس قيادة الثورة عدة قرارات لم تذع بعد ، وربما كانت تتعلق بالموقف السياسي بوجهٍ عام، وربما كشفت عنها النقاب خلال احتفالات أكتوبر٢١!! .

الأربعاء ١٩٦٩/١٠/١٥

• أُغتيل اليوم فجأة في الإقليم الشمالي للصومال N.F.D)) ، المغفور له عبد الرشيد شارماكي، رئيس جمهورية الصومال على يد أحد رجال البوليس الصومالي يدعى عبد القادر، لقد كان المرحوم رجلاً مسلماً وثيق لصلة بالسودان، وقد زار السودان خلال العام الماضي وألقى خطاباً وطنياً بالجمعية التأسيسية، وقد كانت له مواقف وطنية مشرفة ضد الاستعمار حتى خلَّص بلاده منه ونعمت بأمنها في ظلال الحرية والاستقلال، رحمه الله وعوّض بلاده وشعبه المسلم خيراً مما فقد وأعانه على مستقبله المشرق بإذن الله .

• صودرت صحيفة الأيام صباح أمس الأول من مطابعها لأنها نشرت خبراً هاماً حول (إبعاد الشيوعيين من الوزارة)، وقد عاودت الصدور في الحادية عشر صباحاً .

• أقامت جمعية الصداقة السودانية الصينية حفلاً بمناسبة مهرجانها الذي يستمر أسبوعاً بمناسبة احتفالات أكتوبر، وأضافت إذاعة أم درمان بعد هذا النبأ أن السيد فاروق حمد الله وزير الداخلية أناب عنه السيد زيادة ساتي نائب مدير البوليس لحضور هذا الحفل!! والاشارة إلى وزير الداخلية ، بالذات تعيد إلى الأذهان الرأي القائل بحقيقة انتمائه السياسي إلى الشيوعيين الصينيين... ترى هل تتضح حقيقة المبادئ السياسية والفكرية التي ينطوي عليها

بعض الوزراء؟! لقد حان الوقت لذلك فإن خمسة أشهر من عمر الإنقلاب كافية لوضوح الرؤيا ومعرفة الحقيقة وإزالة الاقنعة الزائفة عن الوجوه.

الخميس ١٩٦٩/١٠/١٦

لا يزال الجو السياسي العام تكتنفه كثير من الغيوم والتكهنات، والشيوعيون بوجه خاص قد بدأوا يحسّون أن الكمّاشة تطبق عليهم شيئاً فشيئاً، خاصةً بعد اعتكار الجو بين رئيس مجلس قيادة الثورة من جهة ورئيس الوزراء من جهةٍ أخرى... وهم الآن يحاولون أن يحتفظوا بأراضيهم كمن يحاول أن يقبض الماء بكلتا يديه وما هو ببالغ منه شيئاً... وتلعب الإذاعة التي تدخل ضمن اختصاص الوزير الشيوعي، (دور المايسترو) إمام العارفين، فما من شاردة ولا واردة تتعلق بالشيوعيين الا تصدرت لإبرازها كأيّ خبر عالمي خطير. فمن ذلك، الاعلان عن ندوة... نعم ندوة أو سمِّها حواراً مفتوحاً، يشترك فيه اثنان من مجلس الثورة، هل يمكن أن يتصور عاقل في الارض أن يتمّ هذا الاعلان عن طريق برنامج خاص تشترك فيه (واحدة وواحد من ناس الإذاعة)، مع موسيقى في الأول وفي الوسط وفي الآخر!! هذا هو ما حدث بالفعل، ويبدو أن هذا الاعلان سيستمر أياماً حتى يحين موعد (هذا الحدث الكبير الخطير) ، في يوم السبت القادم، ليتحدث الرجلان باسمهم بدعوة من (القوى الاشتراكية) في منطقة (بري) عن أعداء الثورة، وأشياء أخرى!! لماذا هذه الهستيريا الشيوعية هذه الأيام؟! وفيم هذا الاضطراب الذي يذكرني بتدافع اسراب النمل المتراكم على نفسه حين يفزعه إنسان بحصاة أو نقطة ماء، أو يحثو على جمعه حفنة من التراب؟ لماذا يا أحفاد ماركس وخُدّام لينين في السودان؟! إن مرجع ذلك كله هو صحوة العملاق.. صحوة الشعب الذي أدرك معها حقيقة الشيوعيين حقاً، خيانةً وتسلطاً، وقهراً وانتقاماً وعمالةً واستغلالاً وارهاباً، نعم بكل هذه المعاني برز الشيوعيون على حقيقتهم أمام عين الشعب وحسّه وادراكه، فكان لابد للشعب إزاء خصومه وأعداءه الحقيقين من الشيوعيين بكل قطاعاتهم، لابد لهم من موقف، وقد تعرّت امامه الحقيقة، وزالت عن عينيه غشاوات أكاذيبهم وأباطيلهم، فأخذ الشعب ينأى ويشيح منهم في صلف وكبرياء، وغضب وازدراء.. أخذ بلفظهم في احتقارات وان حانت إليهم منه إلتفاتة ففي ريبٍ وشك.. وليس ذلك الشعب وحده فحسب، بل أخذ هذا الشعور نفسه يتولد في سرعة من أعضاء الثورة أنفسهم تجاه الشيوعيين... وأخذوا يفكرون عملياً في

التخلص منهم، واقصائهم حتى من شرف التمشدق بتأييد الثورة، وهذا الشعار الماكر الذي وجدوا خلاله أرض صالحة لعملية الاخصاب والتوالد... وإزاء كل ذلك صعق الشيوعيون، وأصيبوا بفجيعة سوء العاقبة والمنقلب. فهرعوا في فزع يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال، يبحثون عن السند، والناس عنهم منصرفون، ويبحثون عن مراكز للقوة علّهم بها يمدون من أيامهم فباؤوا بالفشل والخسران المبين... وهم في هذا النزاع استجاروا بعضوين من المجلس ليحدثانهم عن أعداء الشعب أعداء الثورة، النهاية لا شك واقعة، وان الذين غضبوا حين برز وجه الشيوعية الكالح حين قامت الحكومة الاولى بعد الإنقلاب، عليهم اليوم أن يدركوا أن لكل نهاية بداية، وأن الخير كثيراً ما يكمن في حنايا ما يراه الناس شراً.. ان الشيوعيين اليوم في محنة مالهم منها فكاك، انهم في الصحوة التي تسبق الموت، يتشبث خلالها المحتضر بالحياة، وما هو بمجديه فتيلاً (قل ان الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم) تلك اذن هي النهاية المحتومة، وويل يومئذٍ لهم من حساب الشعب.

الجمعة ١٩٦٩/١٠/١٧

• حين عاد اللواء النميري أمس من رحلة الشرق ،عادت معه كثير من الإجابات على الأسئلة الحائرة في أذهان الناس حول مستقبل الوضع السياسي الراهن، ذلك حين غادر العاصمة في الاسبوع الماضي، ترك وراءه صدىً لما يعتلج في الصدور حول ضرورة التغيير الوزاري، ولم يطل الوقت بالناس، فقد تأكد لها اليوم بصورة قاطعة أن الاتجاه هو أن يجتمع مجلس الثورة ليحمل إليه اللواء النميري نتيجة اتصالاته مع القيادات العسكرية في كل أرجاء المديرية الشمالية وشرق السودان حول الوضع السياسي الراهن، وتقضي آراء هؤلاء القادة العسكريين جميعاً بضرورة إقصاء جميع الوزراء الشيوعيين في الحكومة، وان هذه الآراء تعكس في وضوح رأي الشعب السوداني كله، وقد عبّر عنها منذ أول يوم لميلاد الثورة فيما عدا الشيوعيين انفسهم... وعند ذلك يجتمع المجلسان: الثورة والوزاري، لإبلاغ الأخير برأي الشعب في الحكومة وضرورة إجراء التعديل الحتمي في أسخاص الوزراء، ونحن ما زلنا نتوقع بين يوم وآخر شيئاً يحدث في البلاد، ولتكن هذه هي أول ما نتوقع حدوثه...

• قبل وصول اللواء نميري في رحلة الشرق إلى مدينة القضارف ، كان قد سبقه إلى سجن كوبر خمسة عشر من المواطنين من أعضاء حزب الأمة البارزين بتلك المنطقة، وفي طريقنا إلى

مستشفى السجن - وهم خلف السياج ، سألناهم ما الذي جاء بكم إلى هنا؟ فأجابوا جميعاً بصوت واحد الشيوعيين!!! فقلنا لهم اطمئنوا وثقوا في الله وفي أنفسكم، فإن ساعة نصرنا آتية لا ريب فيها.. فهتف الأنصار من وراء القضبان : الله أكبر والويل للشيوعيين .

• منذ أيام والإذاعة تحمل للناس نبأ تكوين لجان الاحتفالات بالذكرى الخامسة لأعياد أكتوبر، وفجأة علمنا اليوم ـ ولأول مرة في تاريخ احتفالات أكتوبر ـ أن جميع القوات السودانية المسلحة لن تشترك بالوحدات الرمزية التي كانت تشارك بها من قبل في هذه الاحتفالات، وبالطبع وأنا أحلل الأحداث من وراء القضبان لا أستطيع أن ألغي جانباً من عقلي لأعتبر هذا الحدث أمراً عادياً، خاصةً إذا وضعنا في الاعتبار، اهتمام الحكومة ومجلس الثورة بهذا اليوم، باعتباره نقطة التلاحم بين مايو وأكتوبر!! فماذا هناك؟ لماذا لا تشترك القوات المسلحة في يوم كان لها فيه جانب بارز وبعيد الاثر!؟ إن الجواب على هذا التساؤل البسيط هو أن هناك تحرجّاً في الموقف السياسي، وأن الوضع بوجه عام لا يدعو إلى الاطمئنان إذا ما اشتركت هذه القوات بمعداتها العاملة في هذا الحفل، بل ربما أفسح هذا الحفل الطريق أمام آخرين للقيام بحركة عسكرية مضادة ، والمناخ العام يعين على ذلك دون ادنى ريب، وأكثر من ذلك فإن الاوامر قد صدرت بأن تكون القوات المسلحة وقوات البوليس والسجون في حالة استعداد تام للطوارئ!! ان الموكب (المدني) الذي سيتحرك من جامعة الخرطوم لينتهي به المطاف عند ميدان الشهداء حيث يستمع الجميع إلى كلمة من اللواء النميري، ومن اللجنة القومية، إن هذا الموكب يؤكد بأن وراء الأكمة ما ورائها!! أيتها الذكرى الخامسة لثورة شعبنا العملاق، من وراء قضبان (كوبر) العميقة، ترجع بي الذاكرة إلى خمس سنوات مضت بكل تاريخها ونضالها ودور الحركة الإسلامية الرائد فيها ، فلا أملك الا أن اعترف بأن اليد الأمينة التي تكتب تاريخنا لم تمسك بالقلم بعد...!!

السبت ١٩٦٩/١٠/١٨

هم ثلاثة وعشرون مواطناً، منهم الموظف، وفيهم الطالب الجامعي، والصحفي، والسياسي، ظلوا بالسجن منذ اليوم الذي ووري فيه الثرى جثمان فقيد الشعب المرحوم إسماعيل الأزهري.. إنهم متهمون ...نعم متهمون منذ ساروا في موكب نعش الفقيد، متهمون لأنهم لم يستطيعوا أن يتحملوا مع الحزن الذي هدهم في ظلّ الظروف التي تواكبت عليهم

وعلى الشعب كله، حتى صيّرت من منبع الحياة الثرّ الذي كان يتدفق من شخص الفقيد، نبعاً غائضاً مهجوراً.. فانطلقت منهم وهم يرون شمسه تنحدر في عمق نحو المغيب، هتافات عبروا بها عن حقيقة هذا الكيان المنهدّ ، وعن الدموع التي تحجرت في مآقيهم ، وهم يحسّون لسع الألم يشوي منهم الوجوه والقلوب... نعم هتفوا ضد الظالمين القاتلين وحق لهم أن يهتفوا، هتفوا ضد النظام الذي اغتال الرجل الطيب حين أودعه السجن في حجرته المظلمة القاتلة، نعم هتفوا: هكذا يقول الاتهام، الذي كان يترصد الناس في المواكب، ويتعقبهم أيّان ساروا خلال المشيعين... نعم ان الرقباء كانوا صنفين: الشيوعيين ، ورجال البوليس السري، كلاهما كانت لهم مهمة واحدة مشتركة هي أن يتجسسوا على المشيعين، وعلى تجمعات الشباب والطلاب بوجه خاص، فهم دائماً مشعلو الحركات الثورية، هم موقدو النّار التي ما كانت يوماً برداً أو سلاما على الذين وقعوا فيها!! نعم لقد قدم الشيوعيين ورجال البوليس السري تقاريرهم بأسماء هؤلاء الشرفاء من الشباب في وزارة الداخلية، بل أن غالبيتهم قد قبض عليهم في موكب الدفن، وجيء بهم إلى السجن!! وظلوا كذلك حتى عقدت لهم محكمة عسكرية قبل أيام... ولم تستطيع البيِّنات التي قُدِّمت أن تثبت عليهم الادانة، بل أن الذين حضروا تلك المحاكمة قد وضح لهم من رحابة صدر المحكمة ومن اضطراب الشهود، ومن ضعف أقوالهم ما أكدّ بأن البراءة للجميع كانت حتماً مقضياً... وأنفضّت المحكمة، وعاد السجناء إلى سجنهم ليمكثوا عدة أيام في انتظار صدور الحكم... وخلال ذلك انطلقت عدة أقاويل عن فترة الاعتقال هذه التي ثير الشكوك. واستقر الرأي على أن المحكمة قد رأت وفقاً للأدلة والبينات التي أمامها، أن البراءة هي الحكم، وأن ليس للمحكمة رأي في ذلك.. وأن الحكم حين رفع إلى مجلس الثورة حدث ازاءه اعتراض يقضي بضرورة الادانة!! وبالفعل جاء الحكم اليوم إلى ادارة السجن لإبلاغه لهم وهو يقضي بإدانة ثمانية وعشرين منهم بالسجن مدداً تتراوح بين عام وشهرين وبراءة سبعة منهم فقط!! وتقبَّل هؤلاء المواطنين الحكم بنفس راضية وشجاعة وثبات.. لهم منّا التحية والاكبار، فإن جهادهم هذا سيذكره لهم هذا الشعب الوفيّ، ولن يذهب هدراً، لأن الرجل الذي مضى سيظل حياً في ضمير الشعب ما بقي الوفاء للعاملين من أجل بلادهم، رحم الله أزهري وأثابه على ما قدم للبلاد، وهنيئاً لكم أيها الشرفاء بما تلقونه من أجل حريتكم وبلادكم...

***

اليوم كان موعد الندوة المفتوحة التي دعا لها الشيوعيون اثنين من مجلس الثورة!! اذيعت الكلمتان .. ولو كان لي أن أخرج بشيء مما سمعت، فإن على الذين يتقلدون الحكم في هذا البلد، أن يثقفوا أنفسهم، وأن يوسعوا مداركهم الفكرية، وأن يكونوا على ثقة من أنفسهم، وأن لا يستخفهم الهتاف والتصفيق، خاصة من الشيوعيين.

إن الطريق امام العسكريين في الحكم، إن ظلوا فيه شاق وطويل، وهم مطالبون بلا تردد أن يعدّوا لهذا الطريق زاداً كافياً من الخلق والمعرفة والعلم وسعة الأفق والتدين العملي، وإلا فإن السقوط في أول الطريق أمر لا مفرَّ منه .

الأحد /١٩/١٠/١٩٦٩

لأول مرة يحضر احتفال أكتوبر ممثل رسمي لمصر، فقد وصل اليوم السيد صبري الخولي الممثل الشخصي للرئيس عبد الناصر.. ورغم أن الاحتفال قاصر على الموكب الوطني فقط، إلا أن البرنامج الذي وُضِع له يهدف إلى حضوره عرضاً خاصاً لبعض الاسلحة السودانية، منها سلاح الطيران السوداني! ورغم ان المناسبة كبيرة ، وليس غريباً أن يحضرها ممثلون للبلدان العربية، إلا أن بعض التكهنات تقول أن حضور السيد صبري، يحمل معنى فوق ذلك ، انما اختيرت هذه المناسبة لتكون غطاءً خاصاً، فقد عرف السيد صبري أنه يقوم دائماً بدور الوسيط في العلاقات العربية ، وسبق له أن قام بهذا الدور في النزاع بين سوريا والعراق ولبنان... فالتكهنات تقول أن الممثل الشخصي يحمل للحكومة السودانية من الرئيس عبدالناصر آراء معينه، في هيئة نصائح أخوية حول الوضع السياسي الراهن، وضرورة اقصاء الشيوعيين عن المسرح نهائياً!! وحول المعتقلين السياسيين والوزراء وغيرهم، ومصر بهذا تُقدِّم للسودان خلاصة تجاربها خلال سبعة عشر عاماً، مضت من حكم عبد الناصر للشعب المصري، مرّ خلالها بكل ما يمكن أن يخطر على بال حاكم في دولة عربية... وبعد سبعة عشر عاماً من تجارب عبدالناصر مع كل التنظيمات السياسية هجوماً ودفاعاً، خاصةً مع الإخوان والشيوعيين ، أثنى عبد الناصر على الإخوان وأشاد بهم وأطلق سراحهم أجمعين، بعد معركة ظلت نحو خمسة عشر عاماً ، ذاق فيها الإخوان على يد الحكم الناصري وعلى يد دولة المخابرات مالم يحدث مثله في أشد عهود التاريخ ظلاماً وظلماً!! في الوقت الذي وجد فيه الشيوعيين من التدليل وسعة العيش والتمكين من أن يعملوا ما يشاءون، ما انتهى بهم أخيراً

إلى أن يتآمروا ضد شعب مصر في محاولةٍ لإحداث إنقلاب شيوعي لصالح الاتحاد السوفيتي!! نعم هذه هي النتيجة الاخيرة التي وصل إليها عبدالناصر بعد تجربة متواصلة ممتدة ، ما أتيحت لحاكم في بلد عربي من قبل، وما أحسبها تتاح لحاكم آخر طالما أصبحت الإنقلابات العسكرية هي أقصر طريق للحكم!!

مصر بهذا تكون قد قدمت لنظام الحكم القائم عندنا أثمن ما لديها من تجارب دفع فيها شعبها من الشهداء والسجناء والمعتقلين، مالا يقع تحت حصر، ولا يقبله عقل وعدل!! ترى هل يعي السودان حقيقة ما ترجوه مصر حين محضته النصح وأبرأت ذمتها حين قامت نحو السودان وحكومته بواجب الوفاء والاخاء؟!

• من الأنباء القوية ما يؤكد أن الحكومة ستقدم عدداً من موظفي وزارة التجارة إلى المحاكمة، بسبب ما وضح خلال محاكمة وزير التجارة السابق ما يؤكد بأن ثمة تلاعباً قد حدث خلال تلك الفترة، وأن بعض الموظفين منهم تحوم حولهم الشبهة في ذلك .

• مجلس الوزراء طلب من وزير الداخلية قائمة بالمعتقلين السياسيين في كوبر ، ودرجات اعتقالهم، وأسباب هذا الاعتقال!! إن الامر كله لله ، ومن يدري فقد يتغير الحال قبل أن يمنوا علينا أفراجهم ، فذلك الفضل لا أريد أن أطوقهم به.

الأثنين ١٩٦٩/١٠/٢٠

لا يزال السجن يستقبل عدداً من الأحرار الذين مازالوا يعارضون في عنفوان ، ويرفضون ويقاومون في شمم وإباء، أن يكون للشيوعيين إصبع واحد في النظام القائم، ناهيك عن أن يكون لهم بموافقة الثورة، وبتدبير من رئيس الوزراء الماكر المخادع، ثلاثة وزراء هم أعضاء في مركزية الحزب الشيوعي، وثمانية آخرون من الوزراء يرتبطون على تفاوت بينهم بالحزب الشيوعي المنحل اسماً والقائم بالمشاركة فعلاً في النظام القائم... نعم السجن ما يزال مفتوح الأبواب رحب الجناب.. فها هو اليوم يضم اثنين من قيادة الحزب الاتحادي الديموقراطي العاملة هما، السيد زين العابدين الهندي ، والسيد حسن حامد مهدي، وكلاهما عضوان بالجمعية التأسيسية السابقة!! لماذا أدخلا السجن والحكومة تحتفل بأكتوبر الثورة ، انهما بلا ريب مع عدد آخر من إخوانهم كانوا يؤيدون واجب الوطن عليهم في هذه الظروف التي وجد فيها الشيوعيين مناخاً مهيأً للعمل بفضل الوضع المريح الذي أرادته لهم الحكومة أو

الإنقلاب على وجه أصح... اننا نتوقع المزيد، لأن القبضة الوطنية أخذت تضغط على المسؤولين على قيادة الثورة ، ولكن المجلس لازال متعدد الوجوه، متشعب الآراء... يلين ساعة يرن في آذان بعضهم هتاف الخداع الذي يقوم به الشيوعيون، ويقسو حين يصل إليهم ما تقوم به المقاومة الوطنية ضد التسلل الشيوعي في الحكم!! وهنا يستعيد الناس إلى ذاكرتهم موقف اللواء النميري من هذه الخيانات التي تجري داخل المجلس الذي يرأسه هو، وداخل الحكومة التي يرأسها الثعلب الماكر رئيس وزرائه المتدثر برداء الوطنية، وفي جبينه ينبض بالحقد قلبٌ ملحدٌ خوانٌ كفورٌ ... فاللواء النميري لديه الميل لإبعاد الشيوعيين، وله من شجاعة الرأي ما أستطاع به أن يجهر بما يعتقد... ولكن يبدو أن التناقض أصبح هو الطابع الغالب على هذا النظام... فالانسجام فيه مفقود في مختلف الوحدات المسئولة... ففي مجلس قيادة الثورة تناقض وتباين في الرأي والعقيدة، وفي مجلس الوزراء لا يختلف الامر عن سابقه، بل أن بعض الوزراء يعيشون هذا التناقض في تصرفاتهم الشخصية و الرسمية على السواء... صحيح أن شخصية اللواء النميري طاغية من عدة وجوه ولأسباب شتى ، ولكنَّ ذلك لم يمنع الاخرين أن يلعبوا الدور الذي يريدونه.. بل أني أذهب إلى التأكيد بأن بعض الشكوك بدأت تطل برأسها بين بعض الضباط أنفسهم داخل مجلس الثورة. من ذلك أن وزير الداخلية قد انشأ جهازاً خاصاً بالأمن وأسنده على غير المألوف إلى الرائد مأمون عوض أبو زيد، عضو مجلس الثورة الامر الذي أثار الشكوك لدى اللواء نميري في طبيعة هذا التصرف والهدف الذي يكمن خلفه ، خاصةً وأن هذا الجهاز يدخل في صميم أعمال وزارة الداخلية!! وبالطبع فإن تصرفاً كهذا في النظم العسكرية كفيل بإجراء تعديل وتغيير سريع في النظام القائم؛ وطبيعي كذلك أن يحدث رد فعل لمثل هذا الإجراء.

أنني أتوقع أمراً!!... لا يخامرني في ذلك شك ، رغم الستائر الرقيقة المسدلة على المسرح كله، والتي يظن الممثلون من خلفها أنها تحجب عن المشاهدين ـ وهم ملايين ـ حقيقة الصراع الناشب بينهم... أن المشاهدين لن يلبثوا حتى يقتحموا المسرح من أركانه ليشعلوا فيه ناراً حامية ، تأتي عليه ، وعلى كل الممثلين فيه ، فتجعله أنقاضاً وركاماً .. وتجعلهم كالرميم .

***

• لأول مره منذ دخلنا السجن ونحن على مشارف نهاية الشهر الخامس ، يسمح بأن نجتاز الحائط الذي يفصل بيننا وبين (حوش الطوارئ) بالسجن ، وذلك حين أحسَّ الكثيرون منّا

بأثر الأمراض الناتجة عن عدم الحركة والمشي أو الرياضة، اذ لم يكن مسموحاً لأحد منّا بمغادرة (الكرنتينة) ، وهي الاسم الحقيقي للقسم الذي احتجزنا فيه، اللهم الا في حالات نادرة يذهب فيها بعضنا لمقابلة طبيب السجن!! وبخروجنا من حوش الطوارئ في السابعة والنصف صباحاً لمدة ساعة واحدة، أحسسنا بشيء من الحرية ـ داخل السجن ـ !! فقضينا هذه الساعة بين تداول كرة القدم فيما بيننا، وبين الجري حول الميدان الواسع الذي يقع وسط هذا الحوش!! وعدنا إلى المقر الدائم لنا، لنتحدث معاً في أمر بلادنا ، حاضرها ومستقبلها ، وهو حديث لا نجد السلوى إلا فيه، ولا عزاء إلا في التجرد الحقيقي لهذا الحال التي تعيشها بلادنا.

• فاتني يوم الجمعة الماضية أن أذكر شيئاً عن وفاة الفنان المرحوم ابراهيم عبدالجليل، الذي تعلن عنه الإذاعة نعياً وتعليقاً يستحقه الفقيد ، ولكنني لم أسمع مثله أو قليلاً منه في فقيد الأمة الشهيد المرحوم إسماعيل الازهري!!

إن المرحوم ابراهيم عبدالجليل يحكي قصة مأساة هذا البلد.. في قصة حياته حتى مات، نعم، لقد أقترن بالفن منذ نشأته الاولى ـ أيام شعراء الحقيبة وفنانيها ـ إلى يومنا هذا ، اقترن في بعض جوانبه بالبعد عن السمو الروحي، والالتصاق بماديات الحياة القريبة المنال، وأقربها التصاقاً بحياة الناس وهي الخمر!! وأصبحت الخمر صفة لازمة للفن والفنانين إلا من رحم ربك وقليل ما هم.. وكان ابراهيم وقد نشأ منذ طفولته فناناً ضحية لهذا المرض الخبيث الذي سرت عدواه إليه من خلال بيئة الفن التي احتضنته وهو في هذه السن المبكرة من عمره، وظل ابراهيم يشجي الناس بأغانٍ لم يستطع الدهر أن يقتلها أو يمحوها من صدور الناس، ولا زال صوته حين يرن ، يشد إليه الناس كأنه يعود بهم لأكثر من أربعين عاماً مضت... فينتظم في عقده المتين ملايين البشر ممن عاشوا معه في طفولته وإلى اليوم، حيث عاش فنه في عالم يعيش هو فيه مع الناس ولا يعيش!!

إن ابراهيم عبد الجليل كإنسان لم يمت يوم الجمعة الماضية، ولكنه مات منذ أكثر من عشرين عاماً رغم أن فنه لايزال حياً وسيظل.. إنه مات قتيلاً بيد الظروف الكالحة التي فرضت عليه فرضاً وعاش تحت وطأتها.

إنه كفنان لم يعش حتى ينتج نتاجاً يرقى لمستوى فنه، لأنه مات وهو صغير رغم أنه عاش حتى السابع عشر من أكتوبر عام ١٩٦٩، وأنه لم يُترك لكي يُكيّف حياته وفق ارادته ، ولذا فانه قد عاش الحياة التي أرادها له الآخرون!!

لقد كنت أرى هذا الفنان الكبير في شوارع الموردة هائماً على وجهه وعلى جسمه أسمالٌ معلقة عليه ، وعلى وجهه الشاحب المعروق وفي نظراته الساهمة، خلال شيب رأسه الذي تناثر بلا انتظام، تنبعث ألف لعنة، وألف شكوى وألف حسرة، وألف غصة ، وألف دمعة ، فقد نبذوه حين غاضت عنه نضارة الصبا، وبعد أن سقوه أول كأس وهو لا يعرف عنها حتى اسمها ، رحم الله ابراهيم ففي حياته عظةٌ بالغة، ودرسٌ كبير للذين يريدون عن صدق أن يشقوا طريقاً قاصداً، وأن يؤدوا عن يقين دوراً هاماً نحو بلادهم رغم المعوقين ورغم الجحود، رحم الله ابراهيم عبدالجليل الذي خلَّف ورائه نبعاً من الفنّ ثرّاً، مثلما خلف الفنان الخالد المرحوم خليل فرح، نموذجاً من أصالة الفن والأداء في قصيدتيّ (عزة) (وعبدة).

الثلاثاء ١٩٦٩/١٠/٢١

حين بدأ الصبح بعد اليوم يتنفس ، نادى عليّ من وراء الباب الغليظ المغلق، الذي يفصل بين محبسنا، وبعض الإخوة الأحرار في المحبس الآخر، نادى عليّ الأخ عطيه محمد سعيد ، وابتدرني بكلمات تغلفها رنَّة عميقة مشوبة بالألم المر و التصميم القادر، والسخرية اللاذعة ، فقال (في ٢١ أكتوبر صناع أكتوبر في كوبر؟؟!) قالها، قبل أن أردّ عليه.. فابتسمت بكل ما أملك من مختلف المعاني، ومكثت حيال الباب لحظة ثم انصرفت... ولا أريد أن أتحدث عن هذا اليوم بشيء، حتى يفرغ الأفاكون واللصوص ما عندهم من أكاذيب... ويومها ـ وما هو ببعيد ـ نلقي بكل ما نملك من حقائق لتكون كعصا موسى تلقف ما يأفكون!! ومضى اليوم ، وصورة شائهة ممسوخة، أناشيد ، وأكاذيب ، ومواكب.. جهدت فيها الإذاعة لتبرزها بأضعاف ماهي عليه من شحوب، لتنقل للناس شيئاً غير مرتبط الحلقات... وموكب أفرغ فيه الشيوعيون كل ما في قاموس هوس الشعارات والهتافات، سار من الجامعة وانتهى كنفس الطفل سريعاً، عند ميدان الشهداء، ليستمع الناس إلى سيّد الحاقدين الموتورين، رئيس وزراء الحكومة الحمراء العجفاء، فألقى على المسامع فيضاً من ركام الأذى والحقد اللذين يغمران نفسه، في كلمات جافة مهتزة، بدأت بغير اسم الله، وترددت خلالها كلمات قاموس هذا الزمان: (ضمن التاريخ، والاستعمار، والرجعيه ، والاحزاب البائدة ، والعروبة، والأحرار والثوار.... إلى آخر القائمة التي ضجَّ سماعها الشرفاء الذين غذّتهم أرض هذا البلد حلالاً طيباً، وسقتهم فيوضاً من العزة والكرامة والإباء والكبرياء.. وأعقبه اللواء نميري، الذي بدأت أحسُّ

بأنه مغلوبٌ على أمره رغم كل ما بيده من سلطات.. وتحدث عن منجزات ثورته خلال الأشهر الخمسة التي مضت على مولد الثورة التي استهدفت أمراً، وانحرفت عنه فأسلمت الحكم للشيوعيين الذين مكّن لهم بابكر عوض الله، وهو شيوعي المخبأ، عربي المظهر، حين جعلت الغالبية الساحقة من الوزراء الشيوعيين واليساريين!! ونسي اللواء النميري في غمرة الموقف الذي يملأ المتحدث كبرياءً وغروراً، وهو بين الهتاف والتصفيق، نسي أن يذكر الحقيقة المرة التي ثبت بأن كل منجزاته قد ذهبت برداً في نظر الشعب الذي وضع هذه المنجزات في كفة، وطبيعة الوضع الحكومي المنحرف في كفةٍ أخرى، فرجحت الثانية على الأولى، وذهبت بكل أفراح الشعب وبكل أمانيه، وكيف لا ييأس الشعب وهو يرى أن الإنقلاب كان مطيّة ركبها واستغلها رئيس الوزراء في خيانةٍ ماكرة ، حين انكشف الستار وبانت للشعب حقيقة الوزراء الذين ضمتهم حكومته العرجاء الكسيحة. إن إطار الحكم أمر أساسي بالنسبة للشعب، فالشعب ليس قطيعاً من الاغنام يعيش في حدود (الزريبة) التي تُبنى من أجله لأنه فقط يجري وراء العلف، كلا فإن نظام الحكم الشوري الديموقراطي هو الاطار الذي ينشده الشعب ..هو ضالته، وهو حياته... فإن صحى الشعب صبيحة الإنقلاب على نغمات الموسيقى العسكرية، ليجد نفسه أسيراً لحكم شيوعي قاهر حقير، فإن من العبث أن يتحدث إليه النميري عن المنجزات، وخيرٌ للواء النميري ألف مرة أن يبذل جهده وسلطانه، لتصحيح اطار الحكم من أن يتحدث ألف مرة عن ألف انجاز قام به نظامه الواهن المتداعي!! إن اللواء النميري إن فعل ذلك، انما ينقذ سمعته وشرفه من أن يلوثهما باستغفاله واستثمار الإنقلاب الذي بذل فيه جانباً من جهده وهو في ذات الوقت انما يستجيب لإرادة هذا الشعب الذي سيعطي الفرصة للمسئولين لتصحيح الوضع لمصلحته هو، وإلّا فإن الشعب وحده قادر على وضع الامور في مكانها الصحيح، وسوف نرى أي الفريقين أضعف ناصراً وأقلُ عدداً...

***

وجاء المساء ، وظلت حالة الطوارئ التي فرضت مائة بالمائة في كل انحاء العاصمة قائمة على أشدها، وهو إجراء غريب لم يحدث له مثيل خلال كل الاحتفالات الماضية !!

وفي مثل هذا اليوم الذي كانت القوات المسلحة فيه تعيش مع الشعب في شوارع العاصمة، يتم اليوم حصر القوات بين جدران أربعة في دار الرياضة، ليجئ الشعب وهي في هذا المحبس الضيق ليشهد العرض الذي تقوم به هذه القوات احتفالاً بتخريج طلاب الكليه الحربية !! لماذا ؟؟

أيهما أدعى لتمكين الشعب من استعراض جيشه في الشارع ، أم دار الرياضة ؟ آهٍ !! ولكن الشارع هذه الأيام غير مضمون العواقب... ان الشارع فسيح ولكن الدار مهما يكن اتساعها فهي موغلة في الضيق ، هيهات أن تسع الناس بكل مشاعرهم وكل أحاسيسهم... ولكن ماذا أقول غير أن الشارع في هذه الأيام - وبمنطق اليوم فقط - هو المكان الضيق ، هو الوادي العميق ، الذي لا يتسع لمرور القوات المسلحة!! هل عرفتم منطق اليوم؟ هل سمعتم بالمنطق المعكوس؟ أم هل جربتم الحكم المنحوس؟ أم هل رأيتم لواءه المنكوس؟! ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ صدق الله العظيم .

الأربعاء ١٩٦٩/١٠/٢٢

أقيمت بجامعة الخرطوم وفي الميدان الغربي منها ندوة سياسية كجزء من برنامج الاحتفالات الرسمية ، اشترك فيها بعض المتحدثين الرسميين وغيرهم من مندوبي الاتحادات بالجامعات والمعاهد... وكل هذا أمر طبيعي، ولكن وسط هذا الجمع الرجالي من المتحدثين، حُشِرَتْ الشيوعية المعروفة القديمة فاطمة ابراهيم حشراً في هذه الندوة، وتحدثت.. ويا تعسها حين تتحدث، خاصة عن الإخوان المسلمين.. قالت الشيوعية القديمة (قالوا أن الجامعة فيها أخوان مسلمين كثيرين ولهم صوت مسموع، فلازم تنتقموا منهم، هل نسيتم موقفهم منكم في بيت المال، وما حدث من تحطيم وتدمير لدار الحزب الشيوعي؟) ، ثم مضت الأفّاكة الأثيمة القديمة تقول (لقد اتصل بي الدكتور حسن الترابي عقب حلّ الحزب الشيوعي في حكومة الصادق المهدي، وقال لي أننا سنقوم بإنقلاب عسكري، ونطلب مساعدة الشيوعيين) مسكينة هذه (العجوزة القديمة) مسكينة هذه المتصابية!! مسكينة لأنها تمثل حال الشيوعيين ولسانهم ، فقد والله أصبح الإخوان شجىً في حلوق كل أعداء الله.. أصبحوا هم العملاق الذي يراه الشيوعيون أيّان اتجهوا، وأينما ساروا في صحوهم أو منامهم.. نعم ان الإخوان بالجامعة كُثر والحمد لله ، وتلك حقيقة يعرفها الشيوعيون والعسكريون، وادارة الجامعة، ويعرفها حتى طوب الأرض في السودان كله، وهم آخذون في الزيادة، عدداً وعدةً ومبادئ.. ولتجرب أية فئة من تلك الفئات أن تدخل مع الإخوان في تجربة العنف، وأنا على ثقة من أن التجربة لن تتكرر ، لأن الدرس الذي يلقنه الإخوان لخصومهم سيظل أبد الدهر عظة وعبرة لأجيال وأجيال... ولو كان الشيوعيون حقاً يملكون قلامة ظفر من الرجولة

والشجاعة والقدرة على مواجهة الإخوان في الجامعة أو في غيرها، لكانت الدعوة الصريحة التي وجهها لهم زعيمهم من قبل من منبر الجامعة لاستعمال العنف ضد الإخوان، كافية لأن تجعل أرجلهم المرتخية وأيديهم الرخوة، أن تجد من القدرة شيئاً يمكّنها من الحركة في مواجهة خصم عنيد عنيف كالإخوان ، مهما بدا على مظهرهم من الوقار والسكون، ولكنَّ الأيدي والأرجل لا تتحرك من غير قلب.. لا تتحرك من غير عقيدة عيا لا تنبع من الأرض وحدها، فإن الإخوان يضعون أمامهم دائماً الحقيقة الخالدة في قول الله تعالى ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾، نعم هذا هو شعار الإخوان .

حين يحتدم الصراع ويحمى وطيس القتال بكل معانيه ، وبينهم وبين خصومهم ، فليجرب الشيوعيون، أو من على شاكلتهم هذا الطريق مرة واحدة ، فانهم لذائقون وبال أمرهم ، وستصبح عاقبة أمرهم خسراً... فكاذبٌ من يظن أن الإخوان المسلمين هم تلك الآلاف التي ينتظمها أو يضمها هذا التنظيم.. كلا فإن المعركة حين تصبح مع الشيوعيين، فهي معركةٌ بلا شك بين الإسلام والكفر، بين اليقين والفزع.. بين الله والشيطان، ويومذاك سيصبح كل من ينطق بالشهادتين أخاً مسلماً، يدفع عن حياضه، ويزود عن دينه وعقيدته، وسيجد الشيوعيون أنفسهم وقتذاك في قبضةٍ لن يفلت منها مجرمٌ أفّاك، أو ملحدٌ أثيم، أو كذابٌ أشر... اننا واثقون من أنفسنا لأننا نثق في الله ونؤمن به... وشتان في نتيجة المعركة بين من قلبه متعلق بالسماء، ومن قلبه لاصق بالأرض لا ينفك عنها ولا عنها يريم.. إن المعركة قادمة ما في ذلك شك، وعلى جنودها المؤمنين أن يتخيروا مواقعهم منذ الآن، وأن يعدوا لها ما استطاعوا من قوة... فإن النصر آتٍ قريب، إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً .

أما ما ادّعته الأفاكة المعروفة من أن أحد قادة الإخوان قد اتصل بها طالباً عدداً من الشيوعيين في إنقلاب عسكري ينظم له الإخوان، فالذي أعنيه هو أن أنفي مثل هذا الهراء الذي أصبح طابعاً خاصاً بالشيوعيين والشيوعيات بعد أن خلا لهم - إلى حين - الجو الذي تهيأ لهم على حين غفلةٍ عابرة... فإن الإخوان هم وحدهم الذين يعرفون حقيقة الشيوعيين منذ نشأت فكرتهم والى اليوم.. وهم قبل غيرهم يعرفون أنه ما من طريق في الأرض يجمع بينهم وبين الإخوان.. وان التفكير في العمل للإنقلاب أمر يقتضي الأمانة والثقة والثبات.. وهي صفات يفتقدها الشيوعيون في أنفسهم وفي الفكرة التي يعتنقونها.. واذا بحث عنها الإخوان فإنهم يبحثون عنها في كل هيئة أو جماعة أو حزب، إلا أنه لن يرد على خواطرهم لحظةً من

زمان، أن يبحثوا عنها لدى الشيوعيين وحتى ان أراد الإخوان أن يتصلوا بالشيوعيين فلن يكون ذلك على أية حال عن طريق (فاطمة) إيّاها .

ولكن يبدو أن (وسام) الشجاعة ، الذي قلّده إيّاها مجلس الثورة، حينما لم يجد من الشيوعيين من يستحقه، وقد بدت في نفس (فاطمة إياها) من الشجاعة ما يجعلها تقف موقف المحرض القائد، الي أن تدعو الشيوعيين لكي يواجهوا الإخوان بالعنف، وجعلها في ذات الوقت في موقف الشخص الذي يمكن أن يتصل بها أحد قادة الإخوان طالباً منها مساعدة الشيوعيين!! .

إن (قولدا مايير) السودان، أو (فاطمة إياها!!) قد وجدت في نفسها الآن أصلح من يقود الشيوعيين، ويتحدث باسمهم حتى بعد أن أصبحت امرأة ذات رجلٍ وبيت واحد!! وما بغريب أن يقبل الشيوعيين وضعاً كهذا، فإن الغاية عندهم تبرر الوسيلة، وأنهم تحت كل الظروف يقبلون عن طواعية وعن رضىً أن ينطبق عليهم المثل السوداني القائل (راجل أمك ، أبوك)!!

الخميس ١٩٦٩/١٠/٢٣

... يبدو أن حلقات سلسلة المهازل وثيقة الاتصال ببعضها البعض ، فقد بلغني أن شقيق المذكورة سابقاً ـ (فاطمة إياها) ـ وهو وزير بإحدى وزارات العهد الشيوعي الحاضر الذي لا مستقبل له، انه قد عقد ندوة في منطقة الخرطوم (٣)، ونقلت بعد ذلك عن طريق التلفزيون... وكان طبيعياً أن يرد حديثٌ عن الإخوان، ذلك المارد الذي استعصى واستطال ، حتى أصبحوا من امره في حيرة وقلق وفزع... وتحدث شقيق المذكورة سابقاً عن الإخوان فقال : (لقد أشيع أن الحكومة دخلت في تفاوض مع الإخوان المسلمين، ولكن فيم تفاوضهم؟ ، أنهم الآن في قبضتنا ونستطيع أن نفعل فيهم ما نريد)!!، وأثنى الوزير في ذات الوقت على الشيوعيين!! إننا حين كنا أول من اتهم النظام القائم بأنه نظام شيوعي، وأن الإنقلاب الذي قاده اللواء النميري، إنما كان هو فيه ضحية لمؤامرة دبرها بابكر عوض الله مع الشيوعيين حين وثق فيه النميري وبعض الضباط ، وتركوا له حرية اختيار الوزراء، فاختارهم شيوعيين ملتزمين، وآخرين رضعوا لِبان الشيوعية من مركزية الحزب، رغم أنهم اليوم ظاهراً يبدو عليهم ارتخاء قبضتهم عنها، وانحيازهم نفاقاً إلى جانب الحكومة مصداقاً للقولةِ المأثورة (قلوبهم مع عليّ، وسيوفهم مع معاوية) ، إننا حين بادرنا بإبداء رأينا في طبيعة النظام الذي غرسه الإنقلاب ،انما لأننا وحدنا

الذين نعرف الشيوعيين واحداً واحداً ، الظاهرين منهم والمستترين ، الواضحين منهم والذين يعملون خلف الستار ويتحركون عند اللزوم!! نقولها عن ثقة منّا بأننا نعرف الشيوعيين ومصادر تمويلهم، وكوادرهم المتفرعة في كل مديرية، نقولها عن يقين لأن كثيراً من الناس كانوا مخدوعين في هؤلاء الشيوعيين، بل أن منهم قد كان ينتظر على يديهم الخير، حتى فجعوا فيهم حين تلقّوا منهم الصفعة القاصمة، وهم على قمة جهاز الحكم في البلاد.. وهذا الوزير الذي وجد الآن في نفسه الشجاعة ليهاجم الإخوان ، هو واحد من أولئك الذين يدخرهم الشيوعيون لمثل هذه المواقف، إن اللواء النميري مالم يبادر باتخاذ موقف جرئ ،فانه سوف يدفع الثمن غالياً على يد هؤلاء المخادعين المنافقين.. إن هذا الوزير الذي يدعي بأن الإخوان في قبضته كحكومة ويستطيع أن يفعل ما يشاء (سبحانه!) هذا الوزير يدرك قبل غيره أنه كاذب فيما يدّعي، فليحاول أن يجرب هذا الذي يقوله، وليمدد هو أو حكومته يداً نحو الإخوان.. وليرتقب ، فربما كان سكوت الإخوان قصداً، تقديراً منهم للجرح الذي يعاني منه شعبنا، قد أغرى مثل هذا القزم ، ليسلم على نفسه مثل هذا القول الذي ينطبق عليه المثل السوداني القائل (الحدَّاث ، ما سوَّاي) وحسبي أن أذكر هنا أن هذا الفزع الذي أصاب الشيوعيين في الحكومة أو خارجها ، تفسِّر تلك القولة التي أفصح عنها بحق وصدق وزير الداخلية حين قال (ان الإخوان تنظيم عقائدي ولذلك فإن الثورة أولته اهتماماً خاصاً).

فعلى الذين يريدون أن ينالوا من الإخوان ألّا يغرهم ما تذرع به الإخوان من صبر وأناة وصمت، وعليهم كذلك أن يدركوا في يقين أن الإخوان لا يفسرون خوض أي معركة ضد الوضع الشيوعي الراهن، إلا على أساس أنها معركة من اجل العقيدة وفي سبيل الله والإسلام، وأنهم في النهاية لابدَّ بالغون إحدى الحسنيين ، إما النصر وإما الشهادة ، وفي كلتا الحالتين نحن الفائزون... نحن الإخوان المسلمون...

الجمعة ٢٤//١٠/١٩٦٩

كشف عن نفسه النقاب لأول مرة ، فقد ظل يلقي على نفسه ستاراً رقيقاً يسلط في كل مرة ، وحسبما تقتضيه الظروف أضواء ملونة تحمل في مجموعها ألوان الطيف أو قوس قزح ، ذلك هو وزير الداخلية ، فقد تحدث للإذاعة والتلفزيون بمناسبة أكتوبر الذي أصبح كالطفل المتنازع عليه.. تحدث الوزير وهو يجيب على سؤالٍ حول ما يسمى بتنظيم الضباط الأحرار

الذي ظلت تلوكه الألسن، حتى أصبح لبانة في كل فم ، ورغم كل ذلك فهو حتى الآن في ظن بعض الضباط تنظيم سرّي ، أنعم وأكرم !!

وقد تحدث الوزير وأسند إلى نفسه الكثير ، وحين أجاب على سؤال له عن مجلة الضباط الأحرار التي ظلت تصدر (سرّاً) ، وسلط الوزير على نفسه الضوء الذي ما شككت بعده، أن هذا الوزير شيوعي مائة بالمائة ، وأنه يظن حتى الآن أنه يخفي هذه الحقيقة عن الناس، رغم أنه تحدث عنها خلال كل أجهزة الإعلام الرسمية!! فقد ذكر الوزير أنه كان يقوم وحده بتوزيع هذه المجلة.. كان وحده يضعها في مظاريف مختلفة الألوان حتى لا ينكشف سرها.. وكان يرمي بها في صناديق البريد وحده على دفعات مختلفة وفي مكاتب للبريد مختلفة حتى لا يشك أحد فيها، وأنه كان يقوم بطباعتها وتحريرها وجمع موادها!!

والذي نعرفه نحن كذلك بتجربتنا الخاصة، أن هذه المجلة تطبع في مكنات الشيوعيين، وأن بعضهم يقوم بتحريرها وبتوزيعها، وأن تحرياتنا تؤكد بأن الشيوعيين لا يتعاونون إلا مع بعضهم خاصةً في مسائل بعيدة الأثر، كهذه المجلة التي تعمل وسط الجيش، جنوداً وضباطاً!!

إن وزير الداخلية بهذا الحديث المذاع ، قد وفرّ عليه مشقة الجري وراء حقيقة مذهبه الفكري بعد أن أجهد نفسه طويلاً ليظل بعيداً عن مواطن الشكوك والتهم، خاصةً وهو في مثل هذا المركز الحساس.

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ *** وان خالها تخفى على الناس تُعْلَم

***

• في الندوة السياسية التي أشرت إليه من قبل، وحشد فيها عدد من جنود الجيش لحضورها، كان مفروضاً لها أن يحضرها رئيس مجلس الثورة، ولكن حضوره قد عدل عنه بعد أن ثبت أن الإخوان بالجامعة كانوا قد أعدوا برنامجهم الخاص لاستقبال سيادته!!

• يعتبر المعرض المصوَّر الذي أقامه الإخوان بالجامعة بمناسبة احتفالات أكتوبر أروع ما شهدت الاحتفالات الوطنية... كان عرضاً صامتاً يصور الأحداث منذ قيام الثورة... وكان كل حدث لثورة مندلعة صاخبة، كان معرضاً بعيداً عن الصخب والدعايات الشخصية... بعيداً عن أيدي اللصوص الذين سرقوا أكتوبر، أو حاولوا بعيداً عن الدعاوى الفارغة والبطولات الزائفة، التي بدأ يضفيها على أنفسهم الشيوعيون وأمثالهم من سارقي جهود الآخرين وعرق

الكادحين وغيرهم من دعاوي بعض العسكريين!! لقد كان معرض الإخوان حديث العاصمة.. حديث الشرفاء... وحتى المؤمنين لم يستطيعوا أن يكتموا غيظهم وغضبهم وسخطهم وذمّهم...

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ*** فهي الشهادة لي بأني كامل

فهنيئاً للإخوان رواد الشعب وطلائع جيل الغد المسلم، وأمل الوطن كله في إرساء الحياة الفضلى التي تقوم على العدل والحق والعقيدة.

• أحداث إنقلاب الصومال الذي حدث عقب دفن الرئيس شارماركي يوم ٢٠ الجاري، رواها من زاويته الخاصة وزير الإرشاد الذي حضر الدفن.. سترقب ما تكشفه الأيام .

السبت ١٩٦٩/١٠/٢٥

حملت أنباء مصر أخباراً غريبة ، وما أكثر ما تحمل مصر من أنباء!! وما أفجع ما تكون الأخبار!! فمصر لا تعيش يومها كأمسها، ولا تعيش غدها كيومها.. وما أكثر ما تكون هذه التناقضات المتنوعة ، والأحوال المتبدلة المتغيرة ، سبباً في هذا الشحوب القاتل الذي يعيش في شعب مصر، فمنذ أيام كتبت عن أنباء اطلاق سراح الإخوان في مصر، وأعود اليوم لأكتب عن خبرٍ مفجع آخر.. عن اعتقال أربعمائة من الإخوان، منهم من عاد إلى السجن بعد خروجه منه من قبل ومنهم من يطرق أبوابه للمرة الأولى!! لم أعرف السبب المفاجئ لهذه المأساة المتجددة في مصر، ولكنها على أية حال حدثت، ونكأت الجرح من جديد!! والإخوان الذين ظلوا لأكثر من خمسة عشر عاماً يلقون على يد عبد الناصر ما يلقون من ألوان العذاب، والضنك والموت ، مالم يشهد مثله التاريخ الحديث القريب ، يحتسبون لله ما يلقونه صابرين مؤمنين ، واثقين من النصر ، وإرساء قواعد الإسلام على أسس قويمه ، روتها دماؤهم ، وغذتها جهودهم وجهادهم ، ودمهم وعرقهم ، وبكاؤهم في جنح الليل، لله ساجدين ، ومن نصره واثقين ، فيا إخوتي في غياهب كل سجن، وفي أركان كل معتقل، لا أملك على البعد الا أن أسأل الله لكم الصبر والنصر في النهاية القريبة بإذن الله،﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

• ومن أنبائنا دفاعاً عن العقيدة وذوداً عن حياض كلمة الله حملت كذلك أنباء مدينة الدويم أن الإخوان نظموا حشداً تحدثوا فيه خلال احتفال أكتوبر، تناولوا فيه ما يوجبه عليهم دينهم وعقيدتهم من دفاع عن الإسلام، وهجوم على أعدائه، ومطالبة بالحرية وافساح الطريق

لكلمة الله... وقد ألقت السلطات على عدد منهم... وهكذا، ورغم الليل الحالك هنا وهناك، فإن كلمة الله سوف تنتصر وتعلو، ومتابعة العمل الجاد المتواصل هو أقل ما يفرضه الواقع على العاملين في مجال الحركة الإسلامية حتى يتم لهم بإذن الله ما يبتغون.

الأحد ١٩٦٩/١٠/٢٦

قبل خمسة أشهر من هذا التاريخ ،وطئت أقدامنا أرض (كوبر) فجراً ، عنواناً لاتجاه ثورةٍ قامت قبل أربعة وعشرين ساعة من دخولنا.. وأدرك الناس كلهم الحقيقة التي تكمن خلف هذا الاعتقال ، والاتجاه الفكري الذي تحمله الثورة الجديدة في طياتها.. فإن الثورة تستهدف الإخوان أول ما تستهدف لن يكون لها مع الله اتجاه ، ولا مع العقيدة ولا مع الإسلام وشيجة.. وقد صدقت الأيام هذا الحدس، وأكدته الأشهر الخمسة التي انقضت ، وأصبح الشك يقيناً ، ورأى الناس بأعينهم أن الأكذوبة الكبرى التي عاشوا فيها باسم الثورة أو الإنقلاب ، وباسم التقدمية والثورية ان هي في حقيقتها الا ستار خادع ، سراب لامع ، يخفي وراءه حقيقة الاتجاه الذي تحمله الثورة الجديدة الغريبة في طياتها ، ، وكان أول ضحايا أمام الرأي العام كله هو اللواء النميري الذي وجد نفسه في النهاية أنه كان مخلب قط، في هذه المسرحية التي أصبح مشاهدوها ومقيمو مسرحها ، وصانعو أقنعتها، هم الشيوعيون، ممثلين الشخصية المتعددة الوجوه المسماة (بابكر عوض الله) الذي وضح من حديثه عن نفسه ومن أحاديث قادة الثورة أنه المسؤول عن اختيار الوزراء ذوي الوجوه الشيوعية الكالحة ، التي دفعت الثورة منذ أول أيامها بأنها ثورة غريبة عنا، مذهباً واتجاهاً وأسخاصاً.. ولن يطول هذا الخداع بكل أسخاصه، لأن الشعب يرفضه مهما تذرع بالقوة، ومهما بذل للناس من أمانٍ ووعود.. وحين ينقلب الشعب على الذين اعتدوا على حريته وكرامته بليل ، عندما يدرك الناس مصداق قول الله تعالى ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ صدق الله العظيم.

***

تحرك الإسلاميون بجامعة الخرطوم ، متجهين نحو القبلة التي ما تحولت جباههم يوماً عنها، وواصلوا جهدهم وجهادهم في سبيل الوقوف - مهما كان الثمن - في وجه العمل

الشيوع، الذي أعانت عليه ثورة الضباط الذين سلموا الحكم للشيوعيين يوم الإنقلاب.. وأخذ الإخوان يتحركون في اتجاه قبلتهم في الاتجاه المضاد للتخريب الذي بدأه الشيوعيون بمعاونة وتدبير الإنقلابيين من بعض العسكريين.. وليس هذا بأول تحرك لهم ، فهم منذ اليوم الأول أدركوا حقيقة ما يُراد لهذا الشعب ، وما يُدبر ضد عقيدته واتجاهه، فهم انما يواصلون تحركهم ويزدادون كل يوم قوة من عند الله ، بفضل ما أبداه الشعب من تعاطف نحوهم، وانخراطٍ في سلك المعارضة الايجابية التي بدأوا يرتادون سبيلها، ويقودون جنودها.. فقد أعلن الإخوان عن ندوة بالجامعة بعنوان (الشيوعيون ..وسرقة الثورات)، فجنّ جنون الشيوعيين في داخل الحكومة وخارجها، لأنهم أحسّوا بأن هذا العملاق الإسلامي إذا تحرك، فإنه يدمر كل شيء أمامه، ولهم سوالف في اشعال الثورة الشعبية ضد النظم العسكرية القهرية، ولهم في الجامعة بالذات سابقة لايزال الشيوعيون حين يذكرونها يدفنون رؤوسهم في التراب.. لهم سابقة في الندوة الإسلامية المشهورة التي أقيمت بالجامعة في السابع من سبتمبر ١٩٦٤م، والتي تحدث فيها الدكتور حسن الترابي، والحكم العسكري وقتذاك يشهر على كل رأسٍ سيفاً.. فكانت تلك الندوة بدايةٌ كبرى لنهاية الوضع القهري العسكري، وجاء الاعلان عن هذه الندوة الجديدة، وسرعان ما ارتسمت تلك الصورة عن ندوات الإخوان في اذهان الشيوعيين، وعاد شريطها واضحاً إلى ذاكرتهم، فقاموا بإبلاغ وزارة الداخلية التي طلبت من المشرفين على الندوة أن يكتبوا ضماناً بعدم الاخلال بالأمن، فرفض أي منهما ذلك، فرفعت الداخلية الأمر إلى القضاء الذي لم ير ما يوجب الضمان، وهنا طار صواب الشيوعيين مرةً أخرى، وبطرقٍ ملتوية وفي خلال ساعتين فقط استؤنف الحكم السابق، وأمر القاضي بالقبض على الأخوين الطالبين، محمد جار النبي، وقطبي المهدي، وأودعا السجن مدة شهرين لكل منهما!! نعم هذا ما حدث تماماً! كل ذلك والندوة لم تعقد بعد، وحين جاء موعدها، تجمع الناس ولم يكونوا قد علموا بهذه المهزلة التي حدثت.. وكان رد الفعل فيها عنيفاً وأثرها بعيداً، هتف على إثر سماع النبأ أحد الطلاب فدوت أرجاء المكان بالهتاف المعادي، مما كان له أثر قد لا تُحْدِثُه الندوة إن سمح الجبناء بإقامتها!! ولكن الإخوان لن يقفوا عند هذا، فقد أُعلِن عن هذه الندوة نفسها لتقام في معهد المعلمين العالي، وتكررت نفس المهزلة هناك ولكن في هذه المرة قد حُكِم على اثنين من الذين سيتحدثون فيها بيومين سجناً هما عبد الرحمن الزومة، وأحمد المأمون ، هل رأيتم ؟؟ هل أدركتم القضاء والعدل في العهد الجديد؟ هل أحسستم

بأثر القوى الإسلامية حين تتحرك؟؟ هل فهمتم لماذا قال وزير الداخلية من قبل (إن الإخوان تنظيم عقائدي ، ولذلك فإن الثورة أولته اهتماماً خاصاً)؟!

إن قيادة هذه الأمة في مستقبلها القريب رهينة بيد القوى الإسلامية ، تلك حقيقة ليس إلى نكرانها من سبيبل، فلتدرك هذه القوى الإسلامية عمق هذه الحقيقة ولنعمل على هدفها، فإن دورها في تحمل العبء كاملاً قد حان وقته ، وان كل الأوضاع السائدة في بلادنا تؤكد حتمية هذا الأمر بإذن الله وحده ، ولتبق هذه القوى أن الظلم وحده لا يدفع إلى العمل ولكن الاحساس العميق بهذا الظلم هو القوة الدافعة المدمرة لكل وضعٍ شاذ غريب ، ان بلادنا قد جربت مرارة كل ألوان الحكم.. جربت الحكم الحزبي الصارخ على أكثر مراحل الحكم في البلاد ، وجربت الحكم العسكري الاول، ثم الحكم العسكري (الشيوعي) الثاني.. وخرجت بلادنا من كل ذلك بالخسران المبين.. ولابدّ أن يتغير مجرى الحكم على أيديكم على أسس جديدة لن تتوافر في حكم على الأرض إلا في الإسلام ، فليكن هذا شعاركم مهما تكن التضحيات ، لأن ذلك المسعى واجبٌ يفرضه الدين والعقيدة (أفحكم الجأهلية يبغون، ومن أحسن من الله حكماً لقومٍ يؤمنون).

الأثنين١٩٦٩/١٠/٢٧

• اعلنت الإذاعة اليوم أكثر من مرة أن بياناً هاماً سيذاع غداً في الحادية عشر صباحاً.. البيان يلقيه اللواء النميري ، وسبق لي أن ذكرت أن اشاعة قوية منطلقة في انحاء البلاد تؤكد أن إجراء وزارياً سيتم، وأن اللواء النميري قد اجتمع مع قادة الوحدات العسكرية المختلفة، وأكد لهم هذه الحقيقة، وأن هؤلاء الضباط سبق لهم أن أبدوا رأيهم في الوضع الوزاري الراهن وطلبوا إبعاد الشيوعيين من الحكم، وأن اللواء نميري استجاب لهذه الرغبة التي لمسها منذ قيام الثورة عند كل المواطنين الذين اتصلوا به، فإلى غدٍ فربما تتكشف الحقيقة على غير ما يريد الشعب، وقد لا يكون من ذلك شيء ، لقد صبرنا طويلاً فلا ضير ان نرقب الغد، إن غداً لناظره قريب.

• الجو الطلابي بجامعة الخرطوم أخذ يتحول لصالح الإخوان بشكل واضح ، بسبب المواقف الوطنية الجريئة التي وقفها الإخوان منذ افتتاح الجامعة في يوليو الماضي وحتى اليوم، فقد عارضوا الوضع الراهن داخل لجنة الاتحاد بلا أدنى تحفظ، مما أذهل الشيوعيين، بل مما أكد الحقيقة التي يعرفونها عن الإخوان في معارضتهم للأنظمة القهرية، واستعدادهم للجهاد

والاستشهاد، إذا كان في حكم بلادنا بصيص من العنصر الشيوعي المتسلق، ناهيك عن أن يكون الوضع الوزاري القائم هو في وضعه الغالب من الشيوعيين!! وكان من جراء موقف الإخوان هنا، أن مكر الشيوعيين برعونتهم المعهودة، في فصل الإخوان من لجنة الاتحاد بطريقةٍ خرقاء لم يسبق لها مثيل في تقاليد الجامعة!! وكان هذا الموقف الخائن هو النقطة التي تجمع حولها سخط الطلاب على مختلف اتجاهاتهم على الشيوعيين... ورغم ذلك القرار، ظل ممثلو الإخوان يحضرون كل اجتماعٍ تدعو إليه لجنة الاتحاد، فينفض الاجتماع دون انعقاد... حتى أصبحت اللجنة في نظر الطلاب كمّاً مهملاً، لا يؤدي واجباً ولا يقدم عملاً مثمراً منذ افتتاح الجامعة ، حتى حان الآن وقت إجراء الانتخابات الجديدة، والجو كله في صالح الإخوان ، واندحار الشيوعيين فيها حقيقة يصنعها كل الطلاب الشرفاء.. وحين برزت الحقيقة الماردة، وبدأت الفكرة المندحرة والتفكير الانهزامي يراود الشيوعيين... والتفكير في تأجيل الانتخابات!! يا للفضيحة ويا للانكسار!! نعم هكذا كلما استطال عملاق الإخوان تقاعس في خزيٍ قزم الشيوعيين، يهذي بما يشبه الجنون والهوس والهذيان!! فلتؤجل الانتخابات أو لتجرِ هذه الانتخابات، فإن الإخوان في كلا الحالين هم المنصورون... هم الفائزون... هم الغالبون.

ومثل هذا الذي حدث لانتخابات الجامعة حدث مثله لانتخابات مجلس اساتذة الجامعة ، وحدث مثل هذا من قبل حين تأجيل انتخابات كتبة جمهورية السودان إلى أجلٍ غير مسمى!! وهكذا كلما زحفت الجنود الوطنية المخلصة في ميدان، انحسر المدُّ الشيوعي في انكسارٍ وخزي وسيعلمون غداً لِمَنْ تكون عقبى الدار.

• اليوم هو السابع عشر من شعبان، وليلة السابع عشر منه... انتبهت الإذاعة فجأة في نحو الثامنة والنصف مساءً، وانطلق الشيخ عبدالباسط يرتل آياتٍ من كتاب الله،أعقبه المذيع ليعلن عن احتفال الإذاعة بليلة (النصف) من شعبان!! صحّ النوم يا إذاعة جمهورية السودان (الديموقراطية!!) إن ليلة النصف من شعبان قد مضى عليها يومان كاملان، والحديث الذي أذيع في هذه المناسبة قد هجر صاحبه الشيخ محمد المبارك عبدالله السودان منذ سنوات!! مسكينة إذاعة جمهورية الخرتيت، انها معذورة ،لأنها مشغولةٌ بكل ما هو اشتراكي واشتراكية!! فضيحةٌ والله أن أسمي ما قدمته الإذاعة احتفالاً، أو أن نسمي ليلة السابع عشر هي ليلة النصف من شعبان!! إن المذيع نفسه كان يحسُّ بالخجل واضحاً في نبرات صوته، وكان يحسُّ بأن الإذاعة تغشُّ وتكذب على مستمعيها، فضيحة يا إذاعة ، وعارٌ يا إذاعيون!!.

الثلاثاء ١٩٦٩/١٠/٢٨

... وأخيراً تمخض الجمل فولد فأراً!! فالبيان الذي أذاعه النميري اليوم جاء مخيباً لآمال كل المواطنين المخلصين، الذين كانوا يظنون الخير فيما يمكن أن يقدمه مجلس قيادة الثورة من تعديل في الوضع الوزاري القائم، نعم، لقد كان البيان صورةً حيةً للضغوط التي وقع تحتها اللواء... فالبيان كان مفروضاً أن يذاع في الحادية عشرة من صباح اليوم، فأذيع في الثانية والنصف مساءً، واللواء مسافر إلى الاتحاد السوفيتي بعد أيام لحضور احتفالات نوفمبر هناك، والتعديل الوزاري يستهدف أساساً الوزراء الشيوعيين!! فماذا هناك ؟؟ والوزير الشيوعي الجديد كان يعمل سفيراً في موسكو!! فما صلة وجوده هناك باختياره وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية! بالذات؟! اسئلة تحمل الاجابة معها!!

ولأعد لتقييم هذا البيان في جوهره.. فالسمات الواضحة لهذا البيان هي:

١- إن عدد الوزراء الشيوعيين ازداد بمقدار وزيرين هما : هاشم العطا ، وعلي التوم ، وأن وزير الارشاد الشيوعي محجوب عثمان قد أزيح ليحل محله أحمد سليمان وزير الخارجية والاقتصاد .

٢- ازدياد عدد الوزراء العسكريين ، فبعد أن كان عددهم أربعه هم : نميري ،وفاروق حمد الله ، وحسيب ، وعمر الحاج موسى ، زاد عليهم هاشم العطا وأبو القاسم محمد ابراهيم، وخالد حسن ، ومحمد عبالحليم ، والثلاثة الأول أعضاء في مجلس الثورة .

٣- إن القوميين العرب فقدوا أبرز وزيرين هما : بابكر عوض الله ، وخلف الله بابكر ، وعوِّضا بمحمد عبد الحليم الذي شغل منصب مدير بنك مصر بأم درمان كوزير للدولة .

٤- اللواء النميري ركز السلطة العليا في يده فهو رئيساً للوزراء ، ورئيس مجلس قيادة الثورة .

٥- استحدثت وظيفة نائب رئيس مجلس الثورة ارضاءً لرئيس الوزراء الذي استقال، فيما زعم البيان ، وأسندت إليه بجانب الخارجية وزارة العدل!!

٦- زيدت وزارة الانتاج والاصلاح الزراعي ، ووزير دولة آخر هو محمد عبدالحليم .

٧- هذا التكوين الجديد للوزارة هو بلا أدنى شك أسوأ بكثير من الوزارة السابقة لكل الملاحظات السابقة.

وواضح أن التعديل استهدف كل هذه الملاحظات قصداً ولعلها خضعت لكثيرٍ من التعديل والتحوير حتى تجئ على الصورة التي جاءت عليها!! فمن وجهة التعديل في نسبة الشيوعيين، فإنها قد ازدادت على وجهٍ ثابت واضح ، أنها جاءت على غير رغبة الشعب وضباط الوحدات العسكرية.. وهذا أمرٌ بلا شك بعيد الأثر والخطر، إنه ينسف هذه الرغبة الشعبية من أساسها، ويحتقر هذه الارادة احتقاراً لا حاجة لإقامة الدليل عليه، ورغم أن التعديل جاء في مصلحة الشيوعيين، فإن المقدمة الطويلة التي بدأ بها اللواء النميري بيان التعديل هذا كانت كلها كذلك لصالحهم، حتى أنه ليبدو واضحاً أن البيان ذو شقين، لم يكن لنميري يدٌ إلا في الجزء المتعلق بالتعديل، أما المقدمة، فهي بلا شك ليست من وضعه إلا في مواضع صغيرة للغاية، فجوهر المقدمة وروحها كلاهما يسيران في الخط الشيوعي مائة بالمائة... فقد كان اللواء النميري في رحلتين إلى الشمالية والشرق، يرفع لواء الدعوة إلى الوحدة الوطنية القومية، وجاء هنا ليعيد إلى الذاكرة هجومه المحموم على الاحزاب والطائفية، ويتهم بلا حساب هذه القوى الوطنية التي لا يمكن أن تستقر البلاد أو تسير بدونها، جاء النميري ليدعو لوحدة القوى الثورية ، وليؤكد كما يؤكد الشيوعيين حين أصابهم الفزع من تحرك القوى الوطنية المخلصة ، بأن وحدة هذه القوى لم تكن في يومٍ واجب مما هي عليه الآن!! .

وتحدث نميري عن دوافع التغيير، بأنها تستهدف مواكبة الثورة، ووضع الرجل المناسب في موقع مناسب، حتى تكون مواقع الثورة كلها متمشية مع التطور وضرورة الانتاج... وجاءت هذه الاسباب كلها تحمل ادانةً واضحةً قاسيةً لكل الوزراء الذين ابعدهم التعديل عن مواقعهم ، وهم أمين البيلي ، مكاوي مصطفى ، وخلف الله بابكر ، وبابكر عوض الله ، ومحجوب عثمان!! إنهم في نظر اللواء نميري مدانون لانهم بعد خمسة أشهر فقط من عمر الثورة أصبحوا في وضع لا يستطيعون معه مواكبة تطلعات وأهداف الثورة!! وهؤلاء الوزراء انفسهم هم الذين ملأ بهم بكفاءتهم وأخلاقهم ووطنيتهم ، رئيس الوزراء السابق بابكر عوض الله ، ملأ بهم الأرض والسماء طوعاً وكرهاً!! وبعد خمسة أشهر فقط إذا بتلك النعوت والأوصاف تصبح سراباً لامعاً يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.. وذهب في لجة السراب رئيس الوزراء نفسه، وسبحان الذي يؤتي الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء، سبحان

المعز المذل!! لقد انتهى خمستهم كأن لم يغنوا بالأمس شيئاً!! وقنع رئيس الوزراء السابق نصير الشيوعيين واللادينية، بأن يبقى بعد تلك الصفعة القاسية المريرة، وزيراً في الحكومة التي يتمتع فيها حلفاؤه من الشيوعيين (الذين لا يملكون أن تسير الثورة بدونهم!!) بنصيبٍ موفور من النفوذ والكراسي!!، ومن يدري لعلها تميد من جديد، وهل الملك إلا ظلٌّ حائل، وعرض زائل (وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض؟!)

أما زيادة عدد الوزراء العسكريين إلى الضعف ، حتى أصبحوا ثلث الوزراء في مجموعهم ، فيبدو أنها خطوةٌ (لعسكرة الوزارة)، يبدو أنها خطةٌ مرحلية، تنهي بأن تصبح الوزارة كلها عسكرية في نهاية الأمر، ويصبح التعديل الوزاري هو في حقيقته إدانة صريحة للوزراء المدنيين بسبب فشلهم، وعدم كفاءتهم، ومقدرتهم على ادارة الحكم!! وهذا هو عين ما حدث في هذا التعديل.

أما التعديل في موقف القوميين العرب فهو بلا شك سيزيد في اتساع الشقة بينهم وبين الشيوعيين، وربما انعكس ذلك جلياً في موقف مصر من الوضع الراهن في صورةٍ ايجابية على وجهٍ أو آخر. وقد أحسَّ مجلس الثورة بما يمكن أن يترتب على هذا التعديل من آثار بعيدة المدى في مصر ، فبعث بوفدٍ على رأسه العميد خالد حسن عباس، قبل اعلان التعديل بيومين ، في محاولة لشرح أسباب التعديل، أو للتخفيف من عميق آثاره!! وعلى أية حال فإن المعركة على الصعيد العرفي الشيوعي ستجد ما بينهما ميداناً رحيباً خلال هذه الفترة التي ربما شهدت صراعاً يشتد لأمدٍ طويل .

وقد لا تكون مصر على أية حال آسفةً على ذهاب بابكر عوض الله رغم اتجاهاته القريبة، ذلك أنه لم يستطيع خلال رئاسته للوزارة أن يقدم عملاً محسوساً في سبيل العروبة ، في حين كانت مواقفه من الشيوعيين ودفاعه عنهم، بل واختياره لغالبية الوزراء من العناصر الشيوعية، جعل مصر تميل إلى الاعتقاد بانتمائه حقيقةً للشيوعيين، وظاهراً للقوميين العرب.

وتأكيداً للحقيقة التي أوردتها من قبل عن (عسكرة الوزارة) كلها مرحلياً، أن اللواء النميري سحب رئاسة الوزارة من بابكر عوض الله وأضافها لذاته، حتى إذا قدر لهذه الوزارة أن تسقط ـ إذا استمر هذا الوضع ـ أسند أمر اختيار الوزارة الجديدة لرئيس الوزراء، ويكون لرئيس الوزارة في هذه الحالة اختيار الوزراء الذين يمكن التعاون معهم، أو أن يكونوا ممن يثق هو فيهم، وبالطبع فإن العناصر العسكرية ستكون أفضل لهم ممن سواهم، وكان في

حسبان العسكريين أن يرفض السيد بابكر عوض الله منصبه الجديد كوزير، ولكنَّ السيد بابكر ما كان له أن يرفض، لأن ذلك كان اتفاقه مع الشيوعيين: أن يبقى في الحكومة بأيِّ ثمن، وعلى نحو ما أشرت إليه من قبل حين اجتمع الشيوعيون وأقرّوا أن يحني بابكر عوض الله رأسه للعاصفة بعد خطابه المعروف في المانيا وقد كان!!

هذا الوضع كله في تصوري وتصور إخواني معي؛ ونحن في كل ذلك انما نعيش الاحداث يوماً فيوماً، لا ننفصل عنها فإنها تعيش فينا ونعيش فيها، ولن نتركها تدهمنا فذلك أمرٌ لا ينفع مع الذين يحسّون مع الذين أن بلادهم تمرّ بمرحلةٍ بالغة الخطورة ، شديدة الحساسية ، وأن أصحاب المبادئ والأيديولوجيات عليهم أن يجعلوا من أنفسهم حراساً ساهرين في مثل هذه المعابر التي تجتازها بلادنا ، فذلك واجب تفرضه علينا الفكرة الإسلامية التي نحملها وندافع عنها، والتي نحسُّ بأنها تلقى في هذا العصر حرباً قاسيةً شنها عليها بلا انقطاع عناصر حاقدة تحركها من الخلف أصابع أجنبية تنتمي إلى كل المعسكرات الاستعمارية سواءً في الغرب المسيحي أو الشرق الشيوعي .

الأربعاء١٩٦٩/١٠/٢٩

ومضى على بيان التعديل الوزاري يومٌ واحد، كما لم يلبث خلاله رد الفعل لحظة واحدة، حتى شمل كل قطاعات الشعب؛ وكان عنيفاً.. كان خيبة أملٍ عريضٍ كانوا يعتقدونه على هذا التعديل المرتقب؛ وأدرك المواطنون أن الثورة أو مجلس قيادة الثورة بصورةٍ أدق ، أصبح هو والشيوعيين بوجهٍ عام ، تنظيمين لا فكاك لأحدهما عن الآخر، وأن التخلص من الشيوعيين لم يعد ممكناً الا بالقضاء عليهما معاً! نعم، هذا هو منطق الشارع اليوم ، بل تلك هي الحقيقة التي تسربت إلى قلب كل مخلص، بعد أن فجع المواطنون في بيان التعديل ، ويقيني أن التحليل الذي وصلنا إليه من قبل هذا البيان المنكس، وهو عين الحقيقة التي وصل إليها الشعب من الوهلة الاولى لسماع البيان... ويقيني كذلك أن هذا البيان قد أطلق القوى الوطنية المعارضة للنفوذ الشيوعي في نظامنا السياسي من عقالها، وافسح الطريق أمام العمل الوطني الجاد لوضع الامور في نصابها الصحيح ، وتصحيح كل وضع خاطئ ، وقد لا يطول بنا الوقت حتى نذوق ثمار هذا التلاحم الوطني الحقيقي الذي دعت إليه ضرورة

الواقع الأليم الذي وضعت فيه الثورة المواطنين ولم تترك لهم طريقاً واحداً هم سالكوه لا محالة.. هو طريق المعارضة الايجابية مهما يكن الثمن!!

• بدأت العاصمة تهمس همساً مسموعاً حول فضيحةٍ قيل أن وزير الداخلية طرفٌ أساسي فيها، فيقول الهمس أن سيدةً معروفة تدير معرضاً معروفاً تدعى (ليلى المغربي) قد غادرت الخرطوم إلى بيروت وهي تحمل مبالغ كبيرةً من النقود بطريقٍ غير مشروع، تخص الوزير، وأنه أشار إلى السيدة بإمكان نزولها على نفقة الحكومة هناك في أحد الفنادق، وحين ذهبت إلى سفير السودان في بيروت طالبةً منه أن يسدد قيمة اقامتها بالفندق الفاخر، دُهِش من ذلك ، واتصل بوزارة الخارجية يستفسرها في ذلك، فسكتت الخارجية، لأن الداخلية بدورها قد لاذت بالصمت، ولا يزال الهمس آخذٌ في الصعود !! هذا ولم يمضِ على عمر الثورة خمسة أشهر.

• وحدث آخر عند منزل اللواء نميري. فقد الأخبار أنه قد ضُمّ إليه منزل وآخر بجواره وأجلت عليها إصلاحات بلغت آلاف الجنيهات!! هذا ولا يزال عدد من المواطنين بحسن النية يتبرعون بقوت أولادهم دعماً لخزينة الدولة العامة!! مساكين!!

• قبل احتفال أكتوبر بيوم أو يومين توقف مرة أخرى برنامج (لكي لا ننسى) الذي يكتبه الشيوعي المعروف حسن الطاهر زروق ، بعد أن أخذ يسكب على آذان المستمعين قصديراً ذائباً من الحقد والأكاذيب عن الحركة الوطنية منذ نشأتها، ويبدو أن البرنامج مربحٌ لصاحبه، إذا أخذنا في الاعتبار أن قيمة الحلقة الواحدة تزيد أحياناً على خمسة جنيهات، ولكن كان مجلبةً للخسارة الادبية والأخلاقية للإذاعة، بسبب ما يحتويه هذا البرنامج من تحليل غير أمين، وتزييف للحقائق التاريخية ضد كل الشرفاء المخلصين الذين وضعوا أساس هذا الوطن ، وبنوا تاريخه. كان الذين يتحدثون اليوم عن هؤلاء الرواد ، اطفالاً لم تستقم بعد أرجلهم ولا ألسنتهم ولا عقولهم!! إن فناء هذا البرنامج وزوايته في داخل أحقاده وأكاذيبه أمرٌ قد يؤكد بأن الإذاعة التي فقدتُ الأمل فيها رغم وقوفي بجانبها في كثير من المواقف من قبل ، ربما كان فيها رجل رشيد ، وحسبها من الرصيد أن يكون لها من أمثالها مزيد!!

الخميس ١٩٦٩/١٠/٣٠

• المتفجرات التي دوّت في أرجاء الخرطوم منذ عدة أسابيع مضت ، والتي تطوع الشيوعيون فيها ، وقدموا بلاغات كاذبة ضد بعض الإخوان الذين قبض عليهم وزجوا في سجن (كوبر) ثم أطلق سراحهم حين ثبت كيد البلاغات وكذب الشيوعيين فيها... هذه المتفجرات صدر الحكم اليوم فيها ضد ستة من الثمانية أسخاص الذين قبض عليهم كلهم من الشيوعيين الصينيين ، وكانت أحكامهم بالسجن عشر سنوات لأثنين منهم ، وثمانية لآخرين، وأربع سنوات لاثنين منهم وبرئ اثنان... وللتاريخ أذكر أن هؤلاء الشبان قد عُذِّبوا كثيراً عند التحقيق معهم ، وأن الحقائق تؤكد أن بعضهم كان يصلي فبال عليه بعض من رجال الأمن ، وأن أحدهم قد ضُرب حتى لزم المستشفى العسكري، ولم يستطع حضور المحاكمة بسبب ما أصابه من تعذيب!! وأن هؤلاء الشبان المتهمين قد دافعوا عن انفسهم دفاعاً قوياً فنّد كل التهم التي وجهت إليهم، ولكنهم رغم ذلك كانوا في نظر المحكمة العسكرية مذنبين .

• لا تزال صحيفة الإخوان (آخر لحظة) بالجامعة معقد الأمل في الصحافة الحرة التي لا رقيب عليها سوى ضمائر محرريها ، وإحساسهم بثقل الأمانة التي يحملونها في مثل هذه الظروف التي أخذت فيها الكلمة الحرة تميل نحو المغيب!! فالزحام حولها لا يكاد ينقشع الا ليعود من جديد... والتعليق على ما تكتبه أصبح حديث الناس في العاصمة.. فالناس حين تخنق الكلمة ، وتتنفس من الرئة الصناعية التي أرادوها لها، إنما يلجأون دائماً إلى المظان التي لا تختفي فيها الحقيقة، ولا يموت فيها الضمير، يلجأون إلى الذين يستمدون معينهم وقوتهم من العقيدة، ويتخذون من ايمانهم وثقتهم بأنفسهم وبالله، درعاً يواجهون به الصعاب... لأنهم من النصر واثقون ، وبالله معتصمون، وأن اعدائهم هم المنهزمون .

• الشيوعيون لا يزالون يجتمعون بانتظام بمنزل (ع .ع. ع) في الساعات الأولى من الصباح في أيام متعددة، خاصةً في الأيام القليلة السابقة التي مروا فيها بأزمات قاتلة، خلال تصريحات بابكر عوض الله ، وتقارير الأمن العسكري الداخلي ترفع كل هذه الحقائق عن نشاط الشيوعيين إلى مجلس قيادة الثورة.. ورغم خطورة هذه الأمور ، يبدوا أن كل هذه الحقائق قد لا تجد طريقاً خاصة إلى اللواء نميري ، فماذا هناك؟!

• إقصاء وزير الإرشاد الشيوعي محجوب عثمان عن الوزارة أحدث بين الشيوعيين هزةً شديدة، فقد كانت أجهزة الإعلام مسخرةً للشيوعيين بصورةٍ أثارت استياء كل المخلصين ، بل

أثارت شكوكهم حول أمانة استخدام هذه الأجهزة، وليس هذا فحسب بل ان اللواء النميري، كانت خطبه لا تجد أمانةً في النقل ولا في العرض على الجمهور، وكان قد أشار إلى ذلك في احتفال "جزيرة توتي" بالثورة، وكان يعني بإشارته الصحافة والاعلام معاً؟ فماذا يكون الحال مع الاخرين ؟ وكثيرون يجدون في شخص السيد عمر الحاج موسى الوزير الجديد لهذه الوزارة رجلاً أكثر أمانة وأشد حرصاً مما كان عليه سلفه.. إن هذه الوزارة بالغة الحساسية لما يتبعها من وسائل الإعلام، فإن أحسّ الشيوعيين بخسارةٍ فادحة في وزيرهم لهذا السبب، فإنما هو المِعْوَل الأول على رؤوسهم، وستتبعه الضربة القاضية قريباً بيد الشعب.

الجمعة ١٩٦٩/١٠/٣١

تحدَّث في بلدة (كبويته) التي سافر إليها وفدٌ برئاسة اللواء النميري، احتفالاً بالثورة، تحدَّث وزير الداخلية.. وأشار إلى ان الثورة تكفل الحرية الاجتماعية، وأن هناك من يتهمون الثورة بأنها شيوعية، إلى آخر هذه الاسطوانة!! ورغم أن هذه البلدة هي بلدة الوزير وفيها أهله، الا انه بمثل هذا الحديث إليهم ، انما يخدعهم ويغشهم وهو يعلم ذلك، وأنه في ذات الوقت لا يعطي اعتباراً لآرائهم التي كونوها، أو الحقائق التي توصلوا إليها بمحض ارادتهم عن الوضع السياسي الراهن ، ذلك ان الوزير يذيع هذا الرأي على السودانيين كلهم، ولم يمض على التعديل الوزاري غير أيام ثلاثة، والتعديل الوزاري الذي ينفي الوزير (شيوعية) الثورة، هو الذي جاء بوزيرين جديدين شيوعيين، زيادة على الوزراء الشيوعيين اليساريين فيها!! والشيوعيين الذين هم سند الثورة وحدهم، بعد أن أرادت الثورة لنفسها هذا المصير، حين جلب اللواء النميري عداء الوطنيين الحقيقيين للثورة، حين أخذه الحماس في الناس، وانطلق يقول (ان حزب الأمة والاتحادي الديموقراطي ، وتوابعهم من الإخوان المسلمين وغيرهم، قد أكدت مسيرتنا، ودللت تجاربنا انهم أعداء شعبنا)!! نعم، هكذا وفي لحظات أصبح هؤلاء الناس كلهم أعداء الثورة وأعداء الشعب، فماذا بقى بعد ذلك من تنظيمات وهيئات، ترتكز عليها الثورة سوى الشيوعيين؟ وهل يمكن لذي عقل أن يتصور تأييد الشيوعيين للثورة دون أن تكون لهم وراء هذا التأييد كسب سياسي أو ماديّ؟ هل يمكن أن يؤيد الشيوعيين لله وهم به كافرون ؟ ألا ينتهزون الفرصة السانحة التي منحهم إيّاها قائد الثورة وهي لم تزل في مهدها ؟ ألا يؤيد الشيوعيون الثورة وقد أصبحوا فجر يوم الثورة ليجدوا ـ محض الصدفة، أو

عن علمٍ وتدبير *سابق من بابكر عوض الله ـ أن لهم في الوضع الجديد ثلاثة وزراء هم أعضاء* في مركزية الحزب الشيوعي، ولا يقل عن ثمانية وزراء من اليساريين الذين لا يحول بينهم وبين عضوية الحزب سوى ستار رقيق شفاف، ربما انسدل بينهم وبين الحزب لأسباب اجتماعية أو ظروف خاصة!!

إن محاولة التملص من (شيوعية) الثورة، أصبحت خدعة لا تنطلي حتى على ضعاف العقول، فإن الحقائق فيها أصبحت اكبر من محاولة الكذب والخداع والتضليل التي يقوم بها كبار المسؤولين؛ ومن الخير لهم أن يتدرعوا بالشجاعة وأن يواجهوا الناس بالحقيقة، فإن الناس قد وعوا كل شيء، وأصبحوا أكبر بكثير من أن تجوز عليهم مثل هذه الترهات والأباطيل، بل أنهم قد بدأوا يفكرون في صدقٍ وعزم في مواجهة مثل هذه الخيانات بما تستحقه من ردعٍ حاسم، وموقفٍ صارم، وهذا هو المنطق الطبيعي السليم لمواجهة مثل هذه التحديات الماكرة التي يقوم بها بعض المسؤولين قصداً لصرف الأنظار عن هذا الخطر المحدق بقصد تمكين الشيوعيين في هذا البلد، وهذا ما لن يسمح بها مهما كانت التضحيات ، اما حديث الوزير عن الحرية الاجتماعية فيبدو انه يجهل ما يقول أو أنه جرياً وراء التضليل الذي قصد إليه وأراد أن يكذب على نفسه وعلى الناس.

إن الحرية الاجتماعية التي أشار إليها الوزير، إن كان يعني بها حرية المواطنين فهو كاذب فيما يدعيه، وإن كان يعني بها حرية العسكريين وحدهم فهو في ذلك محق كل الحق، ذلك أن المواطنين الذين زفرت حتى فاضت بهم السجون، ورصدت عليهم الحكومة في ميزانيتها الجديدة عشرة ملايين من الجنيهات للأمن الداخلي، وأرسلت وراء كل حرٌ مخلص واحداً أو اثنين من رجال البوليس السري والمخابرات، ليحصوا عليهم تحركاتهم وسكناتهم، ومجيئهم وذهابهم.. هؤلاء المواطنين ليسوا أحراراً في بلادهم.. إنهم ماشيةٌ ترعى الاعشاب في حظيرة الحكم الجديد.. إنهم محرومون من الحرية.. والحرية تعني الحياه كلها، والذي يحرمني من حريتي هو إنسان مجرم سفاح مجرم ولو كان في أرفع درجات الحكم والمسئولية... إن الذين يتحدثون اليوم عن كفالة الحريات هم أجبن من أن يروا الأحرار ينعمون بالحرية، لأنهم يعرفون أنهم سالبوها وأنهم الذين اعتدوا عليها يوم داسوا الدستور والقانون، وهما ارادة شعب، وثمار كفاح طويل خاضه الشعب، ليقيموا باسم المنطق المِعوّج حكماً أسواره السامقة من حديد، وأبوابه من فولاذ ، والحرية فيه ليست لأحدٍ سوى الجبناء،

إن الذين يتحدثون باسم الحرية الموءودة في بلدٍ، ما عرف اهله غير الحرية معنىً للحياة الحقيقية، انما يكذبون على أنفسهم، أما هذا الشعب فانه ما عاد يؤمن بمنطق (العُقد) النفسية، أو الأحقاد الخفية، أو الفضائح المستورة، لبعض الشخصيات المهتزة الحاكمة!! إنهم يحيكون التهم والمؤامرات باسم الحرية التي منحوها لأنفسهم، ضد الشرفاء المجاهدين في صدقٍ وأمانة من أجل بلادهم ، وهم يظنون أن ذلك ينجيهم من العذاب الواقع بهم. إن الذين يسكنون بيوتاً من الزجاج خير لهم ألا يقذفوا الناس بالحجارة، فإن بيت الزجاج لا يستر أحداً، ولا يثبت حتى أمام الحصى، سيان في ذلك أن يسكنه محكوم فقير، أو أن يحتمي من وراءه حاكم أو وزير.

السبت أول نوفمبر ١٩٦٩

تحضرني هذه القصة الصغيرة التي أرويها، وأنا أستمع إلى التعليل الغريب الذي ساقه أحد المسؤولين في الوزارة تبريراً لإدخال شيوعيين جدد في الوزارة، أنهم استبعدوا من الوزارة جناح عبدالخالق محجوب، سكرتير الحزب الشيوعي (الذي لم يحل حتى الآن) حين أبقوا في الوزارة فاروق أبو عيسى، وأحمد سليمان الشيوعيين من الجناح المناوئ، ففي خلال محنة الإخوان المسلمين في مصر ١٩٥٤م، التقى أحد رجال البوليس بشاب يخرج من دار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، فقبض عليه بتهمة انتمائه للإخوان، فقال الشاب والله يا شاويش أنا مش من الإخوان المسلمين، فصاح العسكري رجل البوليس: (أنا ما يهمنيش، كلكم مسلمين أولاد كلب!!).

إن الشيوعيين في نظرنا مثل الكفر ملةً واحدة؛ ويستوي في نظرنا أن يكون الشيوعي من هذا الجناح أو ذاك ، (فكلهم شيوعين أولاد كلب) انما الذي يُسأل عنه مجلس قيادة الثورة هو: هل زاد عدد الشيوعيين في التعديل الجديد أم نقص؟! هل جاء ضد ارادة الشعب أم وفق ارادته؟ الواقع الذي تثبته البراهين والارقام أن التعديل استهدف زيادة الشيوعيين، وان التعديل قد تم باختيار وموافقة مجلس قيادة الثورة الذي يرأسه اللواء نميري!!، فأية محاولة لتبرير هذا الاختيار لن تجد الاحترام؛ ولن تأتي إلا بنتيجة ليست في صالح الثورة، ولعل الشعب حتى الآن، وبمحض تقييمه للوضع الجديد، قد وصل إلى الرأي القاطع في كل هذه المهزلة التي تحدث أمام عينيه، وفيما يشبه التحدي لإرادته.. وقد أثبتت تجارب شعبنا من

قبل فشل السلاح امام الإرادة، وتقهقر القوى المادية أمام القوى السياسية ، ومن هنا كانت معجزة شعبنا في أكتوبر.. ترى هل تتكرر؟!!

• بعض الصحف التي صدرت بعد التعديل الوزاري الأخير، لم تحترم نفسها ولا رسالتها.. كانت تطبل وتحرق البخور. إن هذا البعض من الصحف ينسى أن الصحافة ناقدة وليست ناقلة فحسب، أنها توجِّه حيثما يكون التوجه والبناء، وتُبدي رأيها مهما تكن العوائق في جرأة، إنني استثني صحيفة (الأيام) فهي ليست مكان هذا الحديث، وقد يكون بجانبها مع التحفظ الشديد صحيفةٌ أخرى، ولكني كنت أحس أن المحررين الذين بددوا دخان بخورهم على أعتاب المعبد الفارغ، هم أكثر فراغاً ووهماً من القبس!! إن اللواء نميري لو أجَّل هذا التعديل عاماً آخر أو دون ذلك لوجب من هذا (البعض) التأييد والترحيب مثل ما فعل بعض المحررين الآن. كنت أتوقع من هذا البعض صوتاً يرفض أو يبدي ملاحظة على الوزراء، أو يسلط الضوء على الاتجاهات الفكرية الحقيقية لدى لوزراء الجدد والسابقين واللاحقين.. أن يقيِّم الموقف كله وأن يعكس رأي رجل الشارع والمثقف على السواء، لتكون الصحافة بذلك عوناً حقيقياً للحكومة سواءٌ بقيت أو زالت، طالما أنها أبلغت رسالتها بالأمانة والتجرد، وبذلك تقف الصحافة دون طغيان الحاكم، أما الآن فقد ارادت بعض الصحف لنفسها هذا المصير، وهو بلا ريب لا يجد التأييد من مخلص، وعزاؤنا في الاقلام الحرة القليلة الباقية.

الأحد ١٩٦٩/١١/٢

(وفي أثناء حضوري للمؤتمر بالكويت علمت أن مندوبين من حزب الأمة والحزب الاتحادي الديموقراطي وجبهة الميثاق يقومون بدعاية شديدة ضد حكومة الثورة ، ويتهمونها بالإلحاد، وان دعايتهم هذه شملت أفريقيا و أوروبا وبعض الدول العربية، وأنهم يجمعون التبرعات لهذا الغرض، وقد قمت بجهد لكي أمحو أثر هذه الدعاية المغرضة)، هذا ملخص لما أذاعه اليوم وزير التربية والتعليم ، وعلى سبيل الذكرى ان السيد الوزير كان عضواً بارزاً في الحزب الاتحادي الديموقراطي، وعضو بالجمعية التأسيسية التي خاض انتخاباتها باسم الحزب الاتحادي الديموقراطي الذي يهاجمه الآن في الحديث .

والسيد الوزير من حقه أن يدافع عن حكومته وأن يدافع عنها بالطريقة التي يشاءؤها... ولكن لا يستطيع أن يحجر على الآخرين حريتهم في أن يبدوا رأيهم في حكومته..

وقد لا يعجب السيد الوزير أن يعرّي هؤلاء المواطنين الذين أشار إليهم، في حكومته حين وصفهم لها بالإلحاد، ولكن ما الحيلة وهذه هي الحقيقة النكراء والوصمة الدامغة التي تتلفح بها الحكومة، دثاراً سميكاً منذ أول ميلادها؟ نعم إنها حكومة ملحدة بكل معاني هذه الكلمة، وهل الحكومة الا وزراء؟ وهل الوزراء إلا أفراد يخضعون للمؤثرات الفكرية التي تكيف حياتهم واتجاهاتهم؟ ومن هؤلاء الوزراء أهم جماعةٌ تعيش على سطح القمر؟ أم هم أفراد نعرفهم بسيماهم، ونعرفهم كذلك في لحن القول؟ إن المجموعة الشيوعية من هؤلاء الوزراء لا مشاحة ولا ريب في إلحادهم وهم وزراءها!! والذين ليسوا منهم فهم حسب معرفتنا الشخصية لهم، يرون في الدين وصلة بالعروبة ، مثلما يرى الشيوعيون الدين وصلته بالحياة!! وقليلون منهم ممن رحم الله، نسأل الله أن يديم عليهم نعمة العقيدة لنراها واقعاً، حكمهم وسياستهم!! نعم، انها حكومة ملحدة ، لأنها فوق كل ذلك عمدت في أول أسابيعها إلى المواقع الدينية والإسلامية، فوجهت عليها قواها المدمرة، فبدأت بالجامعة الإسلامية التي أذاع عنها وزير التربية بنفسه بياناً هو أشبه بالنعي أو بحيثيات حكم الاعدام ، وظل بها حتى أصبحت مسخاً، أو مخلوقاً شائهاً لن يقوى طويلاً على الحياة!! وظلت وزارة التربية ووزيرها بالذات يشن هجوماً عنيفاً على مقررات الدين حتى أمر أخيراً بتغييرها، وحذف جزءاً كبيراً منها، وتقليل حصص الدين في مختلف معاهد العلم، وذلك مخطط استهدفه الشيوعيون منذ وقت طويل حتى تحقق أخيراً على يد السيد الوزير!! وليس ذلك فحسب، بل أن مؤسسة احياء نّار القرآن قد حولت إلى دار صغيرة، تتبع لمصلحة الشؤون الدينية التي غيرت طبيعتها، وضمت لوزارة التربية، وليس هذا كل شيء، بل وزارة التربية قد أوعزت إلى نظّار المدارس الثانوية والوسطى للحد من نشاط الطلاب الإسلاميين، وافساح المجال للاتجاهات الطلابية الاشتراكية (الشيوعية) لكي تتغلغل بين الناشئة، وأن الاساتذة الإسلاميين يجدون في ظل هذه الوزارة حرباً سافرة، تتمركز في مراقبة نشاطهم ونقلهم وتلفيق التهم ضدهم، في الوقت الذي أرخت فيه العنان لاتحاد المعلمين الشيوعي ليمارس نشاطاً سافراً باسم الاشتراكية وليكون عوناً للوزارة في حرب كل الاتجاهات الدينية بين المعلمين!! هذه هي الحكومة التي يحاول فيها وزير التربية أن ينفي عنها صفة الالحاد ووصمة الشيوعية، ان هؤلاء الذين يهاجمهم وزير التربية لأنهم ضد الوضع الشيوعي الراهن، انما يصبحون خائنين لبلادهم لو انهم لم يؤدوا هذا الواجب عليهم، فإن مصلحة الشعب أولى بالرعاية والحماية من مصلحة حكومة

عابرة أشبه ما يكون وزراؤها بقطع الشطرنج حجماً وأداءً وتحريكاً، ان هؤلاء الرواد الذين هاجمهم وزير التربية، انما هم بذلك يخدمون أمتهم وشعبهم ، لأنهم يقفون ضد النظام الراهن المهتز الذي يحمل كل عوامل الفناء في تركيبته وأسخاصه!!

ان الجهد الذي قام به الوزير لمحو هؤلاء الرواد، هو بلا ريب جهدٌ ضئيل محدود بمكان محدود، إذا قيس بالمجهود الذي قام به مندبو هذه الاحزاب.. ولكن حقيقةً أخرى غابت عن الوزير، هي أن خبر هذه الحكومة الجديدة ، ونبأ الإنقلاب، لم يك سراً، إن كان في السودان سر، وإن العالم كله بما فيه الدول العربية قد فهموا الحقيقة، وأدركوا عن طريق سفاراتهم منذ اللحظات الاولى القيمة الحقيقية للوضع الجديد، والاتجاه الفكري لوزرائه، فوزير التربية في مثل هذا الموقف يحتاج إلى وفود لا تنقطع، لا إلى جهد فردٍ واحد، لكي يقوموا بعملية (غسيل المخ) لانتزاع هذا الواقع من أذهان الناس، وهو جهدٌ لا يحتاج لمثله هؤلاء الرواد الذين يمكن أن تنحصر كل منهم (التشطيبات) ووضع اللمسات الأخيرة للمفهوم الذي قرّ في أذهانهم عن حقيقة وضع الحكومة الشيوعية الجديدة في السودان، والتي ولدت مع مولد الإنقلاب الذي قام به بعض الضباط ليكونوا مطيةً ذلولاً للشيوعيين!! هذه هي الحقيقة التي ليس إلى نكرانها من سبيل، مهما حاولوا أن يدثروها بألقاب الاشتراكية أو التقدمية، فعلى الحكومة أن تعمل وفق ما تريد، ولكنها تحت كل الظروف لا تستطيع بحالٍ أن تجعل الناس يسبحون بحمدها من دون الله.

الاثنين ١٩٦٩/١١/٣

زارني ظهر اليوم ابن اختي وصديقي في آنٍ واحد معاً حيدر محمد كبسون، وبدأته بالسؤال عن دنيا الحرية ماذا بها وماذا عليها، وهو سؤال يلحُ علينا كلما زارنا قريبٌ أو صديق، ولكن أخي حيدر فاجئني بالجابة قائلا (أني قادمٌ إليك الآن من وزير الداخلية، وهو من أبناء دفعتي بالمدرسة وصديقٌ لي، وقد ذهبت إليه أحدثه في أمرك، بعد ان عرّفته بدرجة القرابة بيني وبينك) فقاطعته جئت من فاروق حمد الله ؟ قلتها في شيءٍ من التعجب والمرارة، فقال أريد أن أحدثك عمّا دار، ورجائي ان اتمّ قولي حتى النهاية، ولك عند ذلك أن تقول ما تريد، فأجبته لطلبه، فأخذ يقول: (حين أشرتُ إليه باسمك، أبدى الوزير أسفهُ لهذا الاعتقال وأكدّ انه لا يجد سبباً له... وأن الوزير أكدّ لي حُسن شخصيتك، ومواقفك الوطنية المشرفة

داخل الجمعية التأسيسية، وكتاباتك الوطنية الهادفة في صحيفة الإخوان، والميثاق ، وانه يأسف كذلك للأوان الستة المعتقلين معك، وأنه لا مانع لديه من اطلاق سراحك لو أنك التزمت أو أبديت أي شعور بعدم معارضة الوضع!!) هذه هي خلاصة وافية للجانب السياسي الذي نقله صديقي حيدر عن لسان الوزير.

وحاولت جهدي أن أضبط أعصابي وأنا أحاول الرد على ما نقله لي.. قلت : أن ما يثير العجب والغضب معاً أن يصدر مثل هذا القول من وزير، هو في واقع الأمر سجاننا.. إننا هنا في (كوبر) منذ أكثر من خمسة أشهر معتقلون بأمر صادر منه، فكيف يعتدي هو على حريتنا ولا يعرف في ذات الوقت سبباً لاعتقالنا، انني أكاد أصدق هذا القول إلا من رجلٍ متعدد الأوجه، يخفي غير ما يظهر.. انني أكون في ذات الوقت خائناً لله والرسول، ولعقيدتي وفكرتي، لو انني فعلت شيئاً مما طلبه الوزير.﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ .إنني أرى أن أعلّق على حبل المشنقة دون ان أؤيد وضعاً أو إنقلاباً قام ليكون (بردعةً) للشيوعيين.. انني أشعر بالخيانة والخسّة تملأ كل ذرات كياني، لو أنني أقبل على نفسي أن أؤيد حكومةً تضمُ وزيراً واحداً من الشيوعيين، ناهيك عن الحكومة المحتضرة الراهنة. لن ادفع تاريخي وسمعتي ثمناً لخروجي من السجن، فالسجن على يد هؤلاء العسكريين الذين اتخذ منهم الشيوعيون دابةً ذلولاً أكرم عندي ألف مرة من أن أسمح لنفسي لحظة واحدة، أن تفكر في عدم رفض هذا الوضع الذي مكّن الشيوعيين من أن يحكموا هذا الشعب المسلم ﴿ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ ﴾ .

لقد دخلت هذا السجن واعتقلت في حجرتي هذه بعينها مرتين: أولاهما في عهد الاستعمار وعلى يد قاضي إنجليزي أجنبي، وثانيهما على يد عسكري شيوعي غريب عن هذا الشعب الذي عاش على الحرية، ويعشق الديموقراطية والشورى، وارتضى الإسلام منهجاً للحكم والحياة!! إن اعتقال الإخوان المسلمين في هذا العهد هو إدانةٌ صريحةٌ لهذا النظام بكل مقوماته.. وفيه إتهام أوضح من الشمس بطبيعة هذا النظام اليسارية المنحرفة عن اتجاه الشعب الحقيقي.. انني سأخرج من السجن طال الزمن أم قصر، ولئن قدّر لي ألا أغادره حيّاً لسبب من الأسباب، فإنني على ثقةٍ من أن موتي سيؤدي لبلادي خدمة قد لا أستطيعها بهذا القدر وأنا على قيد الحياة.. إنني لست الخاسر في هذه المعركة، وليست بلادي والحمد

لله بخاسرةٍ شيئاً، وهذا هو ما يجعلني مطمئن الخاطر، مرتاح الضمير، إنني أحسُّ وأستشعر في كل لحظةٍ أن عليَّ واجباً ودِيناً نحو بلادي وأمتي، لابدّ لي من أداءهما، فإن لم تسعني الحياة لذلك فإنني على ثقة من أن موتي أقدر على ذلك من حياتي.

وهنا ودّعت أخيُ، وان ما زلت أكتّم في نفسي مزيداً من الخواطر الملتهبة في قلبٍ لا يعرف الخور والضعف، ولن يهدأ أو يستقر، حتى تتحقق أمانيه من أجل بلاده في بناء مجتمع يقوم على الحق والطهر والخير والعدالة.

***

أحاط بي فجأة كل الاخوة الابرار الذين حُوكِموا في مظاهرة الشهيد أزهري، وأنا في طريقي لمقابلة بعض الزوار بأحد مكاتب السجن، وكان فيهم أربعةٌ آخرون حوكموا بمُددٍ تتراوحُ بين عامين وستة أشهر، وجريمتهم أنهم عشية وفاة الشهيد أزهري والجثمان بالمنزل، وهول الفجيعة قد أخذ بالألباب، تحدثوا من داخل منزل الشهيد، وعبروا عن مشاعرهم في مثل هذا الموقف الحزين.. كانوا جميعاً في طريقهم من سجن (كوبر) إلى اصلاحية (الجريف)، وكانت معنوياتهم عالية للدرجة التي خيّل إليَّ معها حين رأيت متاعهم بجانبهم، أنهم خارجون في رحلةٍ قصيرة، ولعلها كذلك، إن شاء الله ، تحيةً لهم جميعاً فقد أدوا واجباً وطنياً سيذكره لهم تاريخ هذا الشعب ونضاله من أجل حرية التعبير وحرية الحكم وحرية الإنسان.

الثلاثاء ١٩٦٩/١١/٤م

جامعة الخرطوم !! هل تعرفونها؟ أم هل تنسونها؟ جامعة الخرطوم أصبحت غضاً يرمى، وحِمىً يستباح!! وسبحان الله المعز المذل.. وإليكم هذه الحقيقة المفجعة فقد أصدر أمس اللواء النميري بياناً عنها استمعت إليه اليوم من الإذاعة عقب التعليق المشهور الذي انفردت به إذاعة الجمهورية الديموقراطية، والذي تناولت فيه البيان بالتعليق الذي ما شككت لحظة من خلال تحليلاته الفجّة، ومراميها السوداء، في أنه من وضع أحد الشيوعيين الذين تكتظ بهم الإذاعة هذه الأيام!! فقد تحدث اللواء بصفته راعياً للجامعة، عن ضرورة مواكبة الجامعة للثورة الاشتراكية، وعن أنها كانت رائدة في كل المواقف الوطنية السابقة التي مرت على البلاد، وأن (استقلال) الجامعة يجب أن يفهم على أنه استقلال علمي فحسب، بمعنى أن تكفل للجامعة الحرية الأكاديمية في البحث العلمي!! ولتحقيق هذه الغاية فقد

أصدر امراً بتكوين لجنة وزارية من الوزراء: محي الدين صابر(التربية) ، وموريس سري (الصحة)، وطه بعشر (العمل)، ومرتضى أحمد ابراهيم (الري) ، وسيد أحمد الجاك (الاشغال) ، وموسى مبارك (الصناعة) ، والقاضي صلاح حسن، وعمر عثمان مدير الجامعة!! وجميع هؤلاء يساريون ، وليس فيهم أحد من اساتذة الجامعة .

ولأعد إلى الفلسفة التي اشتمل عليها البيان والظروف المحيطة به، فمن البديهيات أن رئيس مجلس قيادة الثورة، لا يفكر في هذه السياسات العليا أو يخطط لها، ولكنها مسائل قد يبحثها مجلس الوزراء، أو تكون مقترحات تعرض عليه من تشكيلات خاصة أو افراد، أو من وزير الدولة لشؤون الرئاسة (شيوعي) الذي يتلقى آراء المواطنين ويعرضها في صيغة محددة.. وتكون للواء النميري بعد ذلك الصفة الشرعية لإعطاء مثل هذه المسائل صفتها الرسمية، وعرضها كسياسة مقررة... والشيوعيون اليوم هم مستشارون (وفلاسفة!!) الحكومة، يوجهونها وفق مخططهم لتنفيذ معظم المشروعات التي يستهدفونها ويجدون السبيل ممهداً، ويدخلون من ابواب متفرقة، ويسلكون اساليب شتى. ومجلس الوزراء بتركيبه الحالي تتمتع فيه (اليسارية) بالأغلبية ، وتجد مخططاتها المرتبطة بواقع الشيوعية خارج المجلس كل الموافقة والمباركة بناءً على خطة لا تخفى على من يدرك أسلوب الشيوعيين في العمل... ويجئ موضوع استقلال الجامعة في هذه الظرف بالذات لأسباب شتى سأحددها بعد قليل، ويصاغ الأمر برمّته في صورة تبدو للوهلة الاولى بغير تعمق على أنها مسالة طبيعية، تستهدف المصلحة العامة، دون غرض يكمن وراءها، ولكن المتتبع لموقف جامعة الخرطوم منذ قيام هذه الثورة، ويجد انها حتى الآن لم تؤيد الوضع السياسي الراهن، وان الجهة الوحيدة التي أيدت وبذلت جهداً لانتزاع هذا التأييد في صورة أو اخرى، هي الواجهات الشيوعية بالجامعة، وقد احست بالفشل يصيبها اصابات مباشرة ، ولما كان لموقف الجامعة من الاحداث التي تجري في البلاد أثر عميق لدى المواطنين، لما لها من مكانة وطنية عميقة لديهم، فإن عدم تأييدها الواضح الصريح للنظام الراهن، يؤثر تأثيراً مباشراً في الثقة وفي النظام الذي يسنده الشيوعيين الذين بذلوا لإخضاع الجامعة كل جهودهم، ولكن هذه الجهود كلها ذهبت بدداً، واستعصى هذا المعقل الحصين امام كل المحاولات الشيوعية، وأصبح واضحاً ان الجامعة ليست مع النظام الراهن رغم كل ما يبدو في الظاهر من تأييد ادبي يظهر في الاتجاه الرامي لمنح الدكتوراة الجامعية الفخرية للواء النميري وبابكر عوض الله.

وأصبح لزاماً بعد كل هذا الفشل الذي مُني به الشيوعيون، أن تطوَّع الجامعة قهراً حتى تواكب الثورة، وأن يُذوَّب هذا الحصن الوطني المنيع لكي يصبح شيئاً آخر غير جامعة الخرطوم!! هذا هو الخيار الذي وضعه الشيوعيون أمام المسؤولين في الوضع الجديد الراهن !! إما أن تأتي الجامعة طوعاً لتؤدي فروض الولاء والتسليم، وإما أن تمحى من الوجود. فمهما تكن نتائج هذا العمل الخطير!! ومثل هذا الآراء البعيدة الأثر ليست غريبة عن تفكير الشيوعيين، وهم في سبيل الوصول إلى اغراضهم يرتكبون حماقات كبرى تؤدي في النهاية إلى نتائج هي بلا ادنى ريب ليست في مصلحتهم. وهذا الذي يحدث الآن بالنسبة لجامعة الخرطوم مثالٌ حيٌّ ملموس لمثل هذه الحماقات الشيوعية!! فماذا إذاً يُراد بجامعة الخرطوم بعد ان فقد الشيوعيون الأمل فيها؟؟ وكيف وقد فقد الشيوعيون هذا الامل؟ وهل انساق اللواء النميري وراء هذا السراب الخادع دون أن يدرك حقيقة أبعاد هذا الاتجاه الخطير، ونتائجه ، ومنعطفاته؟؟!!

انني أقرر منذ البداية ان اللواء نميري لم يسبر غور هذا الاتجاه الخطير، فهو الآن في وضع لا يمكِّنه من أن يتدبر كل ما يُعرض عليه ويتعمّق فيه، والثعالب الذين يحيطون به، لا يعرضون عليه الامر من كافة وجوهه واحتمالاته انما يكتفون بالجانب المشرق منه حتى لا تفوت عليهم الفرصة في تنفيذه.. يضاف إلى كل ذلك ثقة للواء النميري فيمن حوله ، ثقةً تجعل كل ما يُعرض عليه مكان تصديقه واهتمامه وتنفيذه، وهذا هو ما حدث في موضوع الجامعة.. حتى البيان الذي صيغ في هذا الصدد، وتلاه اللواء النميري تفوح منه الحقيقة المغلّفة التي تؤكد ان السمَّ في الدسم.

اما عن أسباب فقدان الشيوعيين الأمل في الجامعة مما حدا بهم لعرض هذه الفكرة الانتحارية على الحكومة، فإنها بدأت بخذلان الشيوعيين في انتخابات ممثل الاساتذة التي جرت منذ عدة اسابيع، وانهزام الشيوعية في هذه الانتخابات بالذات وما واكبها من توتر واضح ضدهم، يعني أن المعارك الانتخابية القادمة داخل الجامعة ستكون لامحالة لغير صالحهم : انتخابات مجلس الجامعة والاساتذة وهيئة التدريس واتحاد طلاب الجامعة ومجلس العمداء!! كل هذه المواقع ستفلت من بين أصابعهم دون أن يحسوا بها، واذا ما تمّ ذلك فلا سلام عليهم ولاهم ينصرون، فاذا ما نسفت هذه المعاقل التي تحصنوا بها على حين غفلة من المخلصين، فذلك يعني بالضرورة أن الجامعة ستتجه وفق إرادة المخلصين من أبنائها، وهم العناصر التي تشكل الإرادة الحقيقية لهذه القلعة الوطنية التي لها في كل عنق

سالفة ، واطواق من الفخار والمجد؛ فليس أمام الشيوعيين إلا أن يتخذوا من المسؤولين مطية لطمس معالم هذه الجامعة باسم الاشتراكية الثورية، أو باسم الثورة الاشتراكية، ظنّاً منهم أن الطريق إلى ذلك مأمون العواقب وما يشعرون !!

ووزارة التربية والتعليم من جانبها تسعى جاهدة لتوسيع دائرة اختصاصها، وقد فعلت ذلك حين ضمت إليها المعاهد العلمية، ومصلحة الشئون الدينية، ومؤسسة احياء نّار القرآن، فماذا عليها لو أنها ظفرت بأثمن صيد وأغلى جوهرة؟ ماذا عليها لو ضمت إليها جامعة الخرطوم؟ ألم تكن تلك أمنية العهد العسكري السابق؟؟ أن تضم الجامعة إلى وزارة التربية والتعليم آنذاك؟ وحين تخضع الجامعة لوزارة التربية ماذا تنتظر منها غير طمس معالم وحقيقة هذه القلعة التي ظلت طوال تاريخها شامخة سامقة، تعلو فوق كل غرض، وتتحدى كل سيطرة أو تدخل ونفوذ، أليس (استقلال) الجامعة هو السد العالي الذي ظل عشرات السنين يكسو هذه الجامعة بميزة الاستقلال الحقيقي، ويبعدها عن الاهواء والمؤثرات المنحرفة، ويصون كرامة أساتذتها وطلابها ومناهجها من أن تتعرَّض لأيِّ هزَّة أو اتجاه؟! فماذا إذن ينع من تدمير هذا السد ونسفه هذا حتى تسقط الجامعة أسيرة في يد وزارة التربية والتعليم لتصبح ضيفة لوزراء التربية واتجاهاتهم الخفية والظاهرة، فليضمحل إذن مفهوم استقلال الجامعة في عهد الثورة ليصبح ضامراً هزيلاً تافهاً لا يعني سوى الاستقلال في مجال البحث العلمي فحسب، لا يتعداه إلى أي معنىً أو تفسير آخر حتى يسهل بذلك ذبحها وسلخها وبيعها في سوق الحريم لكل شاردة أو واردة، ذلك هو المفهوم الصريح (لاستقلال) الجامعة الذي ورد في البيان الذي كُتِب، واذاعه اللواء النميري!! القضية كلها تتمركز لا في (استقلال) الجامعة بل في (استغلالها)، تماماً كما كان ينطقها بحروفها اللواء نميري!! إنه (استغلال) بكل ما تحوي هذه الكلمة من مفهوم وتفسير... فالأمر كله ينصبّ على الطريقة التي (تُسْتَغلُّ) بها الجامعة في هذه المرحلة الاشتراكية،!! والاستغلال هو استثمار وضع الجامعة وتاريخها ودورها الرائد في كل مجالات العمل الوطني، واخضاعه بكل محتواه وآثاره لخدمة الاشتراكية الحمراء... هذا الاستغلال يعني في المفهوم (الأحمر) للاشتراكية الجديدة: أن تنهدم كل القيم والمُثُل الوطنية والخُلقية والسودانية التي أرست قواعدها هذه الجامعة الوطنية الخالدة... أن ينحسر عنها في المفهوم الحديث للاشتراكية والمدُّ الإسلامي الزاحف الذي ضربت جذوره في أعماقها منذ عشرين عاماً!! وأن يُقيّد الدخول إليها إلا للذين يرفرف عليهم

العَلَمُ الأحمر للاشتراكية الحمراء!! وأن ينفتح الباب المؤصد أمام المناهجْ الاشتراكية العلمية الحمراء، لتصبح الجامعة مولوداً غريباً على بلادنا، منفصم العرى، مقطوع الوشائج عن هذه الأمة وتاريخها!! أن تصبح الجامعة بكل محتواها الاكاديمي والفكري، وبكل طاقاتها البشرية، أداة طيّعة في يد (الدّفة) الجديدة التي تحركها من الخارج طاقات اجنبية ، لتصنع من بلادنا أمةً غريبة على أرضها ، متنكرة لتاريخها ، خارجة على دينها وعقيدتها!!

إن الذي يراد الآن بالجامعة باسم (الكيمياء) الاشتراكية، الرامية إلى تغيير عناصر بناء هذه الأمة إلى خَلْق مجتمع مفصوم العُرى عن تراثه وعقيدته وتاريخه، وهو الاتجاه الحقيقي (للبوصلة) الشيوعية التي يتدثر عملاؤها اليوم بدثار الاشتراكية المتعدد الألوان والمفاهيم، تلك إذن هي غاياتهم، وتلك حقيقة نهاية المطاف، فهل يكتب لهذا الاتجاه الماحق الماكر أن ينتصر على إرادة ووعي هذا الشعب على مستوى السودان كله؟ أو على المستوى الجامعي على السواء؟ إن الذي أراه رأي العين من وراء بصيرتي، أن كل هذا الذي يجري اليوم على مسرح الأحداث في بلادي، إن هو الا غثاء كغثاء السيل لا يلبث أن يذهب جُفاءً، ولا يلبث المجداف (الأحمر) حتى ينكسر، وتضطرب السفينة بربانها، ثم لا تلبث في النهاية أن يبتلعها اليمُ الزاخرُ الهائج، وينتهي بذلك كل شيء، وتختفي من أرضنا الاشباح الباهتة، ويعود إلى الأرض بهاؤها واخضرارها حين تهبط عليها من السماء رحمة الله، داءً ثجاجاً يغسل أدرانها، ويُزكي نباتها، ويروي ظمأها وتجري غدرانها!!

إن الذين يريدون السوء لبلادنا ويزرعون الشوك في طريق الخلصاء من ابناءها، إنما يمكرون آناء الليل وأطراف النهار، والله خير الماكرين؛ ولا يحيق المكر السيء إلّا بأهله.. والطريق الذي يحسبونه ممهداً وقصيراً، هو بلا ريب محفوف بالعوائق والمهالك، فليتربصوا إنا متربصون، ولينتظروا إنا منتظرون، والعاقبة للمتّقين.

الأربعاء ١٩٦٩/١١/٥م

على طائرة روسيه خاصة !! غادر إلى موسكو صباح اليوم اللواء نميري لحضور احتفالات الذكرى الثانية والخمسين للثورة الروسية عام ١٩١٧م، ومعه وفد وزاري وعسكري!! ولاريب أنه سيجد اهتماماً خاصاً خلال زيارته للاتحاد السوفييتي... وقد لعب الشيوعيين دورهم في الدعوة والزيارة معاً، خاصة وأن الشيوعيين اليوم قد أصبحوا في فوهة المدفع، بعد أن شنَّ عليهم المواطنون حرباً عنيفة، بسبب مركزهم الذي مهّدته الثورة العسكرية لهم في الحكم.

فليس أمامهم غير هذه الفرصة يذهب فيها قائد الثورة إلى روسيا، ليتم التلاحم بينه وبين القادة الشيوعيين في بلادهم، خاصةً والثورة ما تزال في عمر الخمسة أشهر، غضّةً.. بضّة ، طيّعة.. ليِّنة، قابلة للتحوير والتأثير!!

وتأكد لي أن الوفد ـ فيما قيل ـ يحمل مطالب محددة من روسيا، وهي أن تعامِل روسيا السودان تماماً كما تُعامِل الجمهورية العربية المتحدة، وواضح أن الأمر يتعلق بالتسليح والقروض والتصنيع!! وذلك يعني أن استجابة الاتحاد السوفيتي لهذا الطلب، أن يظل الشيوعيون هنا في تأمين وألا يمسوا بسوء أو بتغيير في مواقعهم الراهنة سواء في الحكم أو في نشاطهم العام!! ومعنى ذلك أن يظل الصراع القائم ضد الشيوعيين ملتهب الأوار، بل أن المعركة ستمتد إلى غير الشيوعيين... وستحتد بلا محالة إلى الوضع الراهن، فهو المسئول أولاً وأخيراً عن تزييف إرادة هذه الأمة بتمكينه للشيوعيين في الحكم؛ وليس ذلك فحسب، بل أنه قد ثبت لنا بكل ثقة أن الشيوعيون قد ساهموا في التحضير للإنقلاب منذ بدايته، وأن الذين اشتركا في هذا الأمر مع بقية الضباط والمدنيين هما : أحمد سليمان ، وفاروق ابو عيسى!! وقد ذاعت هذه الحقيقة خلال هذه الأيام حتى أن الحزب الشيوعي (المنحل نظرياً) قد دعا خلال الأيام القادمة لعقد مؤتمر استثنائي للنظر في موقفه من الثورة بوجه عام، ذلك أن العضوين السابقين رغم أنهما من المؤسسين للفكرة الشيوعية هنا، إلا انهما في خلاف دائم مع سكرتير الحزب الشيوعي... ولعل الاجتماع الذي سينعقد، يُبعد السكرتير الحالي من منصبه، مع الاستمرار في الخط المؤيد للثورة، هذه الحقيقة التي برزت الآن، وظلت في الخفاء مدى الخمسة اشهر الماضية، ثم أكدت الحقيقة التي لصقت بالإنقلاب منذ بدايته وتعلقت بالحكومة لحظة ميلادها، وهي أن الشيوعيين كانوا يخططون لهذا الإنقلاب منذ وقت طويل، مستعينين في ذلك ببعض العناصر العسكرية والمدنية ذات التعاطف الشديد منهم، بعد أن ثبت للشيوعيين أنهم عن طريق المؤسسات الديموقراطية القائمة لا يستطيعون الوثوب إلى السلطة، وهذا يُفسِّر التعديل الوزاري الأخير الذي، أدخل إلى الوزارة أحمد سليمان وقد كان سفيراً للسودان بموسكو، كما أبقى على وزير الدولة فاروق أبو عيسى!! يحدث هذا في الوقت الذي ينادي فيه الشعب السوداني كله بإقصاء الشيوعيين وينتظر القادة العسكريون في مختلف الوحدات أن يحقق اللواء النميري ما وعدهم به من الحد من الوجود الشيوعي في الوزارة!!

إن الاتحاد السوفييتي بلا ريب سيستجيب لكافة مطالب قائد الثورة (الاشتراكية!!) طالما أن المقابل هو أن يجد الشيوعيون الحرية في العمل لتغيير وجهة السودان نحو الشيوعية في صورتها الحقيقية... ورغم أن السودان ليس هو الجمهورية المتحدة ، ولا هو في أهميتها بالمقارنة بها.. ورغم أن النميري ليس هو عبد الناصر، ورغم أن عمر الثورة هنا أشهر معدودات، وأنه جاوز السبعة عشر عاماً هناك، رغم كل هذه الفوارق الاساسية، إلا أن الاتحاد السوفيتي لن يجعل هذه الفرصة التي بين يديه أن تذهب هدراً، وأن تفلت لسببٍ أو آخر.. وأنه سيوافق من حيث الوعد على كل مطالب الوفد (الاشتراكي الاخضر!!) الذي ستكسوه استجابة هذه المطالب (اللون الدموي) الذي يسعى لتحقيقه الشيوعيون استناداً إلى هذه الفرصة التي بين أيديهم إذا افلتت لن تعود، ومن يدري لربما كانت هذه (الحمرة القانية) ذات دلالة أخرى في مفهوم شعبنا، بعد أن أوشك اليأس من إصلاح الوضع بإبعاد الشيوعيين يستحوذ عليه.

إنني إزاء هذه التناقضات الخطيرة ، والتردد في حسم الامور من جانب المسئولين، قد أصبحت أوقن بأن الامور لن تستمر طويلاً على هذا الحال... وأية حكومة تبطرها القوة وتظن أنها قادرة على استعمال قوتها هذه ضد إرادة شعبها، مثل هذه الحكومة لن تبقى طويلاً بل أنها بمثل هذا المسلك المعوج، إنما تستنفر كل القوى ضدها، ولن يُجْدِيها يومذاك أن تستند على هتاف الشيوعيين، ولا على حمايتهم لها بالدم!! فكل ذلك حين يشتد الأمر وتضيق المسالك سيصبح هباءً منثوراً، ذلك أن الشيوعيين لن يستطيعوا الصمود أمام زحف الشعب عليهم، فهم أوهى يومذاك من خيط العنكبوت.. بل أنهم من موقفهم من الحكومة حين ذاك سيجدون أنفسهم أشبه ما يكونون بموقف المنافقين من يهود مكة، وقد عرّاهم القرآن الكريم على حقيقتهم الماكرة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ صدق الله العظيم.

الخميس ١٩٦٩/١١/٦

رد الفعل الذي أحدثه التعديل الوزاري في صفوف الجيش كان شديد الوقع أليم الأثر... فقد أحسَّ فيه الضباط بأن اللواء النميري لم يصدقهم الوعد، ولم يكن بالمستوى الذي كانوا يضعونه فيه.. الانعكاس الحقيقي لهذا الشعور لدى كثير من الضباط، هو هبوط مستوى التقدير والثقة اللذيَّن كان هؤلاء الضباط يضعونهما فيه!! هذه هي الحقيقة التي برزت في الخفاء، وقد يكبر الاحساس بها لتصبح أمراً آخر يعرفه العسكريون في مثل هذه الظروف!!

ولم يكن من قبيل المصادفة أن تصدر خلال الأيام السابقة نشرة دورية سرية تحمل اسم (الوطن)، وُزِّعت بين رجال الجيش سراً!! وقد كشفت هذه المجلة السرية عن اتجاه بعض الضباط وعملهم لحساب مصر!! وذكرت اسم محمد عبدالحليم، وأحمد عبد الحليم!! وقد أحدث صدور هذه النشرة السرية أثراً خطيراً وبعيداً لدى المسئولين!! فهي إلى حدٍّ كبير تعيد إلى الذاكرة صورة المجلة السرية التي كانت تصدر لفترة طويلة وتُوزَّع سراً بين ضباط الجيش وتحمل اسم (الأحرار)، وقد كشف النقاب عن كثير من أسرارها الرائد فاروق حمد الله، وزير الداخلية في الكلمة التي أذاعها بمناسبة احتفال أكتوبر، وبيّن انه كان مسئولاً عنها وعن توزيعها حتى قيام الإنقلاب الاخير!! واليوم تصدر هذه الصحيفة الأخرى ولا يدري أحد ما سوف تتمخض عنه من آثار عملية في صفوف الجيش، إلا أن ما جاء بها من أخبار حول بعض الضباط وانتمائهم لمصر قد أُخِذت مأخذ الجد، رغم أن الاتجاه العام لهذه الجريدة في أول أعدادها لم يجد القبول التام من بعض الضباط، ويبدو أن (الوطن) تستهدف كشف كثير من الخفايا التي يعرفها الضباط عن واقعهم، وعن أسخاص ضباط مجلس الثورة، فقد أشارت الوطن إلى أن عددها القادم سيتناول بالتحليل عضوي مجلس الثورة: بابكر النور، ومأمون عوض!! تلك نتوءات جديدة برزت في طريق الوضع الراهن، أسجلها ـ وهي ماتزال في البداية ـ للتاريخ والمستقبل، ذلك أن المستقبل كثيراً ما تنعكس صورته وتبدأ إرهاصاته في الحاضر، وإننا بقليل من التأمل والتدبر فيما يجري الآن ـ فهو لا يزال يبدو صغيراً ـ يمكننا أن نرى صورة المستقبل رغم الضباب الذي يزحم الافق!!

***

رغم أن الخبر لازال غضّاً، فهو خطير بالغ الخطورة، بعيد النتائج والآثار، لم يعرفه حتى لحظة هذه السطور إلا قِلَّة من الناس، ولكنه سرعان ما يلتهب بين اليوم والغد ليملأ مساحة

واسعة بين المواطنين!! يقول الخبر إن الحكومة قررت الاستيلاء بالقوة على الجزيرة (أبا) حيث يقيم الآن السيد الإمام الهادي قبل الإنقلاب... وأن التحرش سيبدأ سلمياً بأن يطلب محافظ مديرية النيل الأزرق من الإمام الهادي الدخول في الجزيرة لعمل بعض الخدمات، فإن رفض دخلت قوات الجيش التي تعسكر في مناطق كوستي إلى الجزيرة عنوة، وتتألف القوة من فرقتين من سلاح المدرعات وفرقة من الطيران الحربي!! وأن هذه العملية ستتم في الفترة ما بين يوم غدٍ الجمعة ويوم الاثنين القادم، ولعله أول يوم في رمضان!! وتكمن الخطورة في أن الجزيرة (أبا) هي مركز تجمع الأنصار الذين يدينون بالولاء حتى الموت للسيد الإمام الهادي، وتاريخ الأنصار مرتبط بها منذ صرح الإمام المهدي بدعوته حتى اليوم، ومعنى هذه الخطوة من الحكومة، أنها تتحمل نتائج هذه المحاولة التي تحمل لون الدم وطعمه في وضوح، خاصة وهي تحمل بلا أدنى ريب محاولة اعتقال السيد الهادي الذي تمنَّع بهذه الجزيرة قبل قيام الثورة وبعدها، ولعلَّ الحكومة ترى أن بالجزيرة سلاحاً يمكن استخدامه ضدها إذا واتت الأنصار الفرصة لذلك!! هذه الخطوة الغريب من الحكومة تؤكد أن بعض الأفراد فيها لا ينظرون أبعد من مواضع أقدامهم وإلا فإن إشعال نّار الفتنة في هذه المنطقة بالذات، أمرٌ قد يُضارّ منه أحد أو يدفع ثمنه باهظاً سوى الحكومة نفسها..

الجمعة ١٩٦٩/١١/٧

لم أشأ أن أقف طويلاً عند الخطوة الغريبة التي اختارت لها الحكومة هذا الوقت بالذات ، والتي تتعلق بأمر الجزيرة (أبا)، فقد قلّبت الامر على كل وجوهه، وأمعنت النظر طويلاً في كل النتائج التي يمكن أن تتمخض عن هذه الخطوة، فما وجدت فيها ما يطمئن على سلامة العواقب، وسألت نفسي لماذا يتم هذا الموقف بهذه الصورة، وقد هدأ كل شيء بالنسبة للحكومة واطمأنت بهذا الحال، وهل وافق اللواء النميري قبل سفره إلى موسكو على هذا التصرف؟ وإن كان قد حدث ذلك فلماذا اختير له هذا الوقت الذي يغيب فيه عن البلاد؟ كل هذه الأسئلة قفزت إلى الذهن، ولم أجد جواباً، فإن بين الأمور ما لا يملك المرء إلا أن يقف إزاءها حائراً ويترك لله الذي بيده الأمر من قبل ومن بعد ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾.

***

ولم أفق من التفكير في هذا الوضع الداخلي ، حتى فوجئت بخبرٍ يقول أن اجتماعاً على مستوى القمة سيتم بين السودان والجمهورية العربية المتحدة وليبيا، للنظر في تكوين وحدةٍ على أيَّة صورة بين هذه الدول، وقد روت الخبر وكالات أنباء الشرق الأوسط.

وقد دُهِشتُ حقاً، وقلَّبتُ الأمر على كل وجوهه، وتساءلتُ عن الدوافع والضرورات التي جعلت مثل هذا التفكير يبرز في هذا الوقت الذي يتطلب مزيداً من الاستقرار والهدوء السياسي، ورأي الشعوب في مثل هذه المسائل الخطرة، خاصةً والموقف الملتهب بين إسرائيل والبلاد العربية كلها، ينذر باحتدام الصراع، ويحتم على مصر بالذات ألا ينصرف تفكيرها عن هذه المعركة المصيرية، التي لابد أن تعرف نتائج نهايتها، حتى يمكن وقتذاك النظر في مثل هذه المسائل الخلافية.

إن تجربة الوحدة بين مصر وسوريا، وتجربة الهلال الخصيب، ومحاولة الوحدة بين الأردن والعراق وسوريا والعراق، وبين العراق والجمهورية العربية المتحدة ، التي باءت كلها بالفشل، كان حقاً عليها أن تلوي كل عنق يريد في هذا الوقت أن يعيد هذه التجارب المريرة القاسية، التي ما عادت على الشعوب العربية، وحكوماتها حقيقة إلا وهماً، أو خيالاً ، فالوحدة المادية بكل فروعها ومقوماتها أمرٌ يمكن الوصول إليه بلا عناء، فقط يجب أن تتمّ وحدة هذا الرباط الروحي وحده المعين الثرّ الذي يصوغ حياتنا على نسق متكامل، وحدة القِبلة الحقيقية المرتبطة بالسماء، بالله ، بالعقيدة إيماناً وصدقاً وجهاداً.

ولا أريد هنا ان أدخل في تفسير طبيعة الثورات الثلاث في مصر وليبيا والسودان، لا أريد، وأكره أن أريد، فذلك أمر يمكن بحثه عندما تحين ظروفه، وقد يساعد ذلك البحث في تقويم الوضع كله في مثل محاولة هذه الوحدة الغير متكافئة، فكراً وتاريخاً ونهجاً، وهذا يقيني ، فليكن الذين يديرون مثل هذه الاسطوانة التي بليت من الشرخ وجهها، وحسبهم اليوم أنهم في معركة ضارية مقدسة، لن نستطيع أن نفعل بجانبها أمراً ذا بال، مالم يكن النصر المؤزر فيها للعرب ضد اسرائيل وكل الدول التي تقف معها في السر والعلن، ولنثق في انفسنا ثقة لا تُحد، ولنثق بجانب كل ذلك في الحقيقة التي تصرخ في وجوهنا صباح مساء، أن ليس هناك أدنى أمل في المؤسسات الدولية أو الدول الكبرى!! فلنبحث في انفسنا مجردين عن هذه الحقيقة، وقتذاك فقط سننتصر ولن نعود إلى الوراء.

السبت ١٩٦٩/١١/٨

لازلت أُحسُّ بحرج الموقف الخطير في الجزيرة (أبا)، ولا زلت أتوقع شيئاً، وقد يكون خطيراً... ولا زلت أرى أن الحكومة قد اختارت لنفسها هذا الموقف بكل نتائجه... فقد تأكد لي بأن حشوداً من الأنصار تُقدَّر بعشرات الآلاف زحمت أركان الجزيرة (أبا) يحملون السلاح بكل انواعه: االبنادق ، السيوف، الحراب، والفؤوس، وظلت جموعهم تفِد إلى الجزيرة من عدة أجزاء وهم في حالة ثورة عارمة وهياج شديد!! ووسط هذا الجو الداكن، الذي تنبعث من كل جهاته رائحة الدم، اجتمع لوقتٍ قصير فيه محافظ مديرية النيل الأزرق بالإمام الهادي وعرض عليه المحافظ امر الخدمات الحكومية!!، فردَّ عليه السيد الإمام أنه ما من أحد تعرّض في الماضي لشيء من هذا بل العكس هو الصحيح!! أن بعض عرباتنا هنا قد حدث أن مُنِع منها الوقود في منطقة الجزيرة، ووسط الهتاف العاصف للأنصار، انفضّ الاجتماع القصير، وعاد المسئولون إلى منطقتهم، ليتركوا الجزيرة التي في كل دقيقة من يومها تستقبل جموع الأنصار وهم يهللون ويكبرون.. ويُلوِّحون بأسلحتهم، ويتخذون مواقعهم في كل ركن من أرجاء الجزيرة (أبا)، وما زلت حتى الآن أُسائل نفسي لماذا اختارت الحكومة هذا الوقت لعملٍ يُعدّ اخطر ما مرّت به منذ قيامها حتى الآن!!

ولكن لكل بدايةٍ نهاية ، ولكل أمرٍ سبب، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون.

***

انفتح اليوم باب السجن عريضاً ليغادره عدد من المعتقلين وفيهم المجموعة الأخيرة من أعضاء حزب الأمة بالقضارف، وسبق ذلك بأيام خروج سبعة آخرين فيهم السيد حامد (وطني)، والسيد محمود ادريس (أمة)، ودخله قبل أسبوع من الإخوان الأخ حسين آدم بمعهد شمبات الزراعي، الذي هاجم الحكومة صراحةً خلال ندوة سياسية أقامها الإخوان بالمعهد.. وهكذا يظل السجن بين مدٍ وجزر، يلفظ قوماً ويبتلع آخرين.. وأود أن أشير إلى خروج المقدَّم بالمعاش محمد علي مُقْبِل بوجه خاص، لما لهذا الصديق من ظروف غريبة أحاطت به منذ أُحيل إلى المعاش حتى تم اعتقاله.. وهكذا في ظروف الثورات تنتحر العدالة عشرات المرات بلا انقطاع ، ويموت الحق دون بحث وراء موته ، طالما أن مصلحة الثورة قد اقتضت ذلك!! فالأخ مُقْبِل اتُهِمَ ظلماً على يد جاويش بالجيش قال بأنه رآه في منزل الأميرلاي بالمعاش عبدالله الأمير، الذي حيكت حوله كذلك تهمة تدبيره لقلب نظام الحكم، ولهذا

السبب اقتيد المقدم مُقْبِل إلى السجن ليبقى مع المحكوم عليهم بالإعدام، في زنازينهم التي يعجز الإنسان عن وصف الحياة والمعاملة بها، وهو الذي كان ما بعد قيام الثورة من أكثر الضباط إيماناً برسالة الجيش، والتي ظل يعمل بها بكل إيمان وإخلاص، حتى خرج على عدد من الضباط الذين يحتلون القيادة اليوم في مجلس الثورة، ولكن أمثال هؤلاء الضباط الذين يؤمنون بالمثل والقيم والضبط والربط، هم الذين نخشى عليهم من مثل هذه الثورات والمتسلقين فيها، وسرعان ما أُحيل إلى المعاش وسرعان ما دُبِّرت الخطة الجديدة ليدخل بمقتضاها أمثال هؤلاء المخلصين إلى السجن، ليقضي في الزنزانات التي اسلفت وصفها ثلاثين يوماً أو يزيد، ولكن ظل المؤمن المحتسب الصابر، كان يرى في كل ذلك حباً وقربى إلى الله وجاء ليقضي معنا بحجرتنا ستون يوماً أخرى.

لم يكن يعرف عن كل ما حدث شيئاً، إلا أنه كان يوقن بأمرٍ واحد، هو أنه بريءٌ من كل ما أثاروه حوله، لم يدُر بخلده تفكيرٌ في إنقلاب، لم يكن يعرف الأمير عبدالله، ولا أين يسكن، والمرة الوحيدة التي رآه فيها، كانت بوزارة الداخلية لحظة القبض عليهما، حتى أنه أوشك أن يسأل الأمير عن سبب اعتقاله، وظل الأخ مُقبِل يثور لكرامته، ولحريته الشخصية التي انتُهِكت على يد أفرادٍ هو أقدر الناس على تقييمهم وتعريتهم على حقيقتهم، وكنّا دائماً نحاول التخفيف عليه، وسرعان ما كان الرجل يستجيب ويرى الخير كل الخير فيما حدث، وإذ نحن كذلك خرجت أحدى الصحف تحمل تصريحاً للواء النميري حول المؤامرة المزعومة يقول فيها: (وأنه اشترك في هذه المؤامرة أحد الضباط غير الأكفاء) وكان لهذا التصريح وقع الخنجر على نفسه، لأن اللواء النميري يعرف حقيقة جنديه، وكفاءة هذا الرجل القائد الكبير يعرفها جميع ضباط القوات المسلحة، ويعرفون بجانب كل ذلك مدى استقامته واستمساكه بدينه، وكان رد الفعل لهذا التصريح قوياً في نفوس كل الضباط الذين يعرفون شخص المقدم مُقبِل، وعبّروا له وهو في السجن عن استيائهم وامتعاضهم لهذا الوصف الظالم الذي ساقه اللواء النميري، وخلال كل ذلك، وبجانب الوعود الكاذبة الممطوطة من وزير الداخلية بإطلاق سراحه، جاء ما يؤكد بأن التحقيق السري لم يثبت عليه شيئاً، إلا أن اللواء النميري بعد تصريحه السابق عن وجود مؤامرة إنقلاب بقيادة الأمير عبدالله، ومحمد علي مُقبِل، قد وضعه في موقفٍ حرج لا فكاك منه إلا باستمرار بقاءه في السجن، رغم ثبوت عدم الإدانة في أي اتهام، فالمسألة إذن ليست في ثبوت الحق أو بطلانه ، إنما هي كرامة اللواء الذي كذب

على نفسه وعلى الناس، ولم يجد من الشجاعة ما يدفعه إلى الاعتراف بالخطأ الذي وأد به حرية إنسان كريمٌ على نفسه وبلاده وجيشه، حتى إذا سافر اللواء إلى موسكو وظن حواريوه أن رنين تصريحه الكاذب قد خفّ عن الأذهان والأسماع، جاء نبأ الإفراج عن الصديق المقدم مُقبِل.. كأن تسعين يوماً في عبودية القيد بلا سبب ودون جريرةٍ أو ذنب ،لا تعني شيئاً في حساب اللواء الذي كثيراً ما تحدث عن كفالة الحرية الفردية والاجتماعية لكل المواطنين. رغم كل العناء الذي ذاقه الصديق مُقبِل، إلا أن الفترة التي قضاها معنا كان حقاً فيها لوناً فريداً من الناس، فقد أشاع فينا جواً من المرح والضحك لم أعهده في حياتي، غايته أن يدخل السعادة إلى قلوب جلسائه حتى على حسابه، كان يقُصُّ علينا القصص المرحة ليُسرّي عنّا، ويمزح حتى نظن أنه لا يعرف الجد، حتى إذا تحدث إلينا عن شئونٍ عسكريةٍ ووطنية، ظننا الرجل لا يعرف قلبه مكاناً للمزاح والمرح، وظل اسمه داخل السجن معروفاً لكل من تضمّه جدرانه من موظفين ونزلاء، وحاول جهده مع المسؤولين أن يضع أُسساً للمعاملة مع كل النزلاء، وأن يرفع عنهم كثيراً مما يعانون بسبب اللوائح الداخلية للسجن. إن الصديق مُقبِل رجلٌ ألوفٌ مألوف، ومن العسير على من تجمعه به فرصة ـ مهما تكن قصيرة ـ أن ينساه فقد جمع إلى عفة الكلمة صفاء القلب، وشفافية النفس المستمدة من تمسكه بدينه وعبادته وأوراده، وحتى في اللحظات الأخيرة وهو خارج من السجن لم ييأس أن يؤذن لصلاة الظهر، فكان آذانه آخر كلماته التي سوف تبقى بيننا حتى نلقاه في أيّة لحظةٍ يريدها الله تعالى.

إن السجن ليس شراً محضاً، ومهما يحسُّ المرء فيه بمرارة القيد وذبح الحرية عند أول عتباته، إلا أن ومضات الخير المشعّة فيه دون أن يحدد الإنسان مصادرها، كثيراً ما تطغي على الضيق الذي يراود الإنسان فتراتٍ متعاقبة... ورغم كل ذلك فكم بالسجن من مظلومٍ ومحروم، وكم فيه من إنسانيةٍ ضائعة وقلوبٍ بضّة، لو ظفرت بالإنسان الذي يُدرك قيمة الإنسان لتحول السجن حقاً إلى طريقٍ للحياة .

***

بعد مائة وسبعة وسبعين يوماً من الاعتقال، استدعت اللجنة الأخوين عبدالرحيم حمدي، ويس عمر، تحت قانون الفساد، حول ما نشر بجريدة الميثاق، فكان ردهما:(إنهما لا يعرفان بهذا القانون الذي فُصِّل في عهد الثورة ولن يقبلا أن يحقَّق معهما تحت ما يُسمى بالفساد، ولم يزيدا على ما قالا كل منهما منفرداً، وخرجا.

إن بعض الموتورين في هذا النظام الجديد يريدون أن يحاسبوا ويعاتبوا على تعديل (الدستور)، لطرد الشيوعيين من الجمعية التأسيسية الأولى، هذا السخف غثاء تصبُّه هذه الحكومة أمام الناس، إن الذين يتباكون لتعديل الدستور وبعض مواده ، هم الذين انتهكوا الدستور كله، وداسوا عليه بنعالهم وخوذاتهم واسلحتهم، واعتدوا على حرمات هذه الأمة كلها حين سرقوا حريتها وديموقراطيتها، وأصبحت الحرية في يدهم، والقانون كلمةً تصدر عنهم، وبذلوا فوق ما يستطيعون ـ وماهم يستطيعون ـ جهداً لتحويل كيان هذه الأمة إلى مضمون شعاراتٍ جوفاءٍ مسروقة، ليتحول مجتمعنا إلى مفهومهم، إلى مجتمع اشتراكي لا يدرك مفهوم الاشتراكية فيه على وجهها المقصود سوى الشيوعيون الذين تُحرِّك اصابعهم كل هذا العبث والغثاء الذي تفرغه الحكومة الخاوية كل يوم على الناس.

الشعب السوداني هو الذي طرد الشيوعيين من الجمعية الأولى، وتلك إرادة شعب لا تُرد، ولن تُرد، وبمثل تلك القوة والإرادة والقسوة سيطرد الشعب الشيوعيين من الحكم، بل ومن الانتماء إلى هذه الأمة، وحين تتحرك هذه الارادة العاتية فإنها لن تتوقف عند الحدود التي يتعارف عليها الناس، إنها تمضي في طريقها عنيفة رهيبة، وقد لا يقف بها العنف والارهاب إلا عند الدماء والاشلاء. إن الحكومة تسير في طريق مسدود وتتحرك وفق إرادة مشلولة مهيضة الجناح، بلا هدف غير السراب، بلا قلب سوى الرهبة والخوف، وبلا عقل سوى الحقد والضغينة والهوى، وأقسم أن الطريق بها لن يطول، وأن الأيام بها لن تمتد. سينتهي كل شيء في لمح البصر، وستبقى من خلفها آثار أقدامهم المهتزة المرتجة، وقد علت عليها الرياح، وأمحلتها ضراوة المعركة، فإن هي اليوم قد رفعت شعار التأييد للشيوعيين، فإن الشعب كيِّسٌ فطن، وقد يرفع عليها راية العصيان، وأن يثيرها معركة لا يستطيع سلاحها معها إلا أن يرتد في صدرها، وأن تنتهي المعركة سريعاً سريعاً، لتكون الغلبة والنصر فيها لهذا الشعب المصابر، وأن تكون سبباً لانتكاسة الراية الحمراء التي ترفعها في نفاقٍ ووجلٍ ورعب، أيدٍ في الحكومة والقيادة ما رفعت من قبل غير الكأس وأوراق الميسر، وما أمسكت عن يقين قرآناً أو سُنَّة ، وسيجيئ اليوم الذي يكتب فيه التاريخ أن عصابة من المنحلين والحاقدين سخَّرتها أصابع الشيوعيين وأحقادهم وأطماعهم، كانت تحكم هنا بلا وازع أو خلق أو ضمير أو عقيدة، وانتهى أمرها إلى مصير الطغاة المارقين حين ظنت بنفسها الخلود وألبسها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يكفرون.

الأحد ١٩٦٩/١١/٩م

على مقربة من الحائط الذي يفصل بيننا وبين (نزلاء) الدرجة الثالثة، كان الحفل الذي أقيم بالسجن احتفالاً بأكتوبر!! وحضره الوزراء وأعضاء المجلس (إيّاه) وأقيم بعد ذلك عشاءٌ كبير، دارت فيه الكؤوس، ولعبت فيه الخمر بالرؤوس، على حساب الخزينة الخاوية، التي اقتصَّت أخيراً من عرق الكادحين، واقتطفت من مرتبات الموظفين، وزادت على الناس الاوجاع والطين!!

وفي ذلك اليوم كان لابد أن تعزَّز القوى، وأن تُشدّد المراقبة، لأن السجانين الحقيقين كانوا ـ وهم على تلك الحال ـ على مقربة من المعتقلين والمسجونين، وفي ذات البقعة، كانت واجهة السجن مزدانةٌ بالثريات، أشبه ما تكون بالمقبرة التي لم تجف بداخلها جثث الموتى القدامى منهم والمحدثين، وتحدث في الحفل السجان الأكبر، وزير الداخلية وقذف بين الحاضرين حديثاً مكانه الليالي السياسية وأماكن اكتساب الجماهير، لا بين مجموعة من الناس، قضى عليهم البقاء في السجن قانون وقاضٍ، يجب أن يكون على أقل تقدير مكان احترام الوزير الكبير الخطير!! إلا أنه وقف يخاطب السجناء قائلاً: كأنكم لستم بمجرمين، إنما المجرم الحقيقي هو المجتمع الذي جاء بكم إلى السجن، وأن هناك مجرمين كباراً كانوا هم أحق بأن يكونوا مكانكم، ثم زاد الوزير فيما يشبه الهدير، دون تشاور مع المسؤولين في السجن، فقال : لن تكون هناك عقوبات داخلية، ولا قيد في الأيدي والأرجل، ولن تكون هناك عقوبة جلد!! وظل الوزير يهدم اللائحة الداخلية للسجون دون أن يدرك الحرج الذي أوقع فيه ضباط السجن على مختلف مستوياتهم، وهكذا بلا دراسةٍ أو عمق تفكير، وبمثل هذا الارتجال الذي توحي به المناسبة، تعالج المشاكل في ظل الحكومة الحرباء!! وأنهى الوزير حديثه بين النظرات الحائرة المتبادلة بين الضباط، ولا يكاد المسجونين وسط هذا الفيض من الوعود يصدقون ما يسمعون، بل أنهم في صباح الغد جاءونا لينقلوا إلينا دهشتهم لما سمعوه بالأمس، وماهم بمؤمنين... إنني لا أعترض على إصلاح السجون، بل قد دعوت من قبل إلى هذا، وأنا على ثقة أنه ما مِن شيء أحقُّ بالإصلاح مثل السجون، إلا أنني أقف في وجه الأسلوب المرتجل الذي لا يوصل إلى غاية، كالذي أفاض به الوزير، وهو لما يتناول بعد وجبة العشاء الشهية المقامة من عرق المواطنين، فالسجون لها إدارة عامة تتألف من كبار الضباط الذين عاشوا كل تجارب السجون خلال خدماتهم الطويلة فيها، وكان بإمكان الوزير إن أراد الاصلاح عملاً لا قولاً، أن يبدأ بهؤلاء الكبار، وأن يتلقى منهم المشورة وله بعد ذلك أن يصدح

بينهم بما يرى فيه الاصلاح؟ ويمكن عند ذلك أن توضع القواعد والأُسس التي يقوم عليها هذا الإصلاح المنشود في كل سجون السودان وإصلاحياته!! أما ما قيل في حفل هذا السجن فلا يعدو أن يكون حديثاً أملتهُ الصُدفة العابرة، فهو لا يقوم على أساسٍ سليم وكل ما يهدف الوزير من ورائه أن يهتف السجناء بحياة الثورة، إن كان الهتاف يُحيي ميتاً أو يُميت حيَّاً، فإن كان ذلك هدفاً فقد فاز الوزير بمبتغاه، إلا أن المشكلة الحقيقية ستظل قائمة حتى يسلك إليها المسئولين طريقها الصحيح.

***

لم يكن هذا الصباح في توقّعنا كغيره ، فقد أمسينا على أن يكون صبح هذا الشعب على غير ما أمسى عليه، والحال التي وصل إليها الناس، كل الناس - ماعدا حفنة الشيوعيين المارقة على الله والوطن والحق - تصرخ في عنف ، وتُلِحُّ بالتغيير!! ومحاولة التغيير تجربة تخضع للظروف والمؤثرات والعوامل الخارجة عن التقدير والطاقة والإرادة، لذلك لم أدهش كثيراً رغم الأمل الذي راودنا مساء الأمس، ماذا نملك إزاء الأسباب التي ليست بأيدينا؟ إن على المرء أن يضع كل الاحتمالات، وهو يخطط لأمر قد يرى فيه الخير العام، حتى إذا جاءت النتائج على غير ما يبغي فلا تثريب عليه فيما آل إليه الامر.. إنني على ثقة من أمرٍ واحد هو النصر، لست في هذا أقبل جدلاً أو شكاً، فالنصر آتٍ قريب لا محالة.. إني أراه رأي العين، ألمسه مُجسَّداً، وأشعر به في قرارة نفسي حين تغرق في شفافيتها، وحين يُمضيها الأسى على سوء المصير، الذي تردَّى إليه كل شيء في بلادي.. إن الله معنا، وإن الفجر لا محالة سوف يعقب هذا الظلام المعتكر.. إن الثمن قد يكون غالياً، إلا أن النصر كذلك غال الثمن.. وإن الفساد الذي يضرب بجذوره على أرضنا الطيبة، يتطلب قوىً ذات فاعلية وأثر.. متى كان الحق صنعناه؟.. ومتى كانت هذه الأسباب المتصلة بالله لا تقوى على التغيير؟ ليكن الثمن فادحاً، وليكن الدم هو العملة المتداولة في هذا المعترك المضطرب. ولكن لابدّ أن تستقيم الحياة بعد ذلك على الجادة وعلى الطريق القاصد.. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.. ألا إن نصر الله آتٍ قريب...

الأثنين ١٠/١١/١٩٦٩م

أربعة عشر الفاً من الشبان!! وحين أصفهم بالشباب، فإنما أعني بهم الثورة العارمة ضد كل ما يقف أمامهم، وإذا تعلق الامر بمصيرهم، ومستقبل أسرهم، فإن الثورة والعنفوان يكادان ألّا يقفا عند غاية!! هذه الآلاف حددت يوم نفرة ليكون حداً فاصلاً بينهم وبين النظام القائم، وقرروا أن يبدأوا خطواتهم بمظاهرة تتخذ من الخرطوم مسرحاً، ومن الحكومة ومجلس الثورة هدفاً، تلك هي الحقيقة في إيجاز، فمنذ قيام الإنقلاب كانوا هدفاً له ونالهم قسط وافر من الهجوم على أنهم ثمرة لفساد العهد الحزبي، أنهم المعنيّون على (بند العطالة)!! وكان أول ما واجهتهم به الثورة، أن يختاروا بين العمل في البوليس والعسكرية، وبين العطالة!! وظلت الأيام تمضي وآرائهم تزداد قرباً وتصميماً على الرفض وعلى الثورة وضد النظام ولما اقتربت ساعتهم من (الصفر) وهو يوم غد، واستوثقت الحكومة من أن واحداً منهم لم يشذ عن هذا التصميم، وكان لابد لها من إ التراجع المخزي، وبإيجاد أسباب واهية ضعيفة لتحفظ بها كرامتها أمام هذا التقهقر الذي لم تجد منه بُدّاً، وإلا فإن الكراسي سرعان ما تهتز في عنف تحت الجالسين عليها من المسؤولين.

قد رأت الحكومة منذ البداية، أن هؤلاء الشبان عُيِّنوا دون اعتبار الحاجة إليهم من مكاتب الحكومة، وأن تعيينهم قد تمَّ على أُسس حزبية صارخة، فلا بُدَّ إذا من الاستغناء عنهم، وتوفير مرتباتهم، وحددت الحكومة يوم غدٍ نهاية لإنذارها وفي ذات الوقت حدد هؤلاء الشباب يوم غدٍ بدايةً لإنذارهم للحكومة، وفجأة، ودون توقع من حكومة تظن بنفسها القوة التي تُسكِت بها ـ في نظرها ـ كل صوت يرتفع، أصدر مجلس قيادة الثورة اليوم بياناً متهالكاً يدور حول المبررات محاولاً انتزاعها من لا شيء، فلا يستطيع أي منها أن يقف على قدميه، جاء البيان ليقول: أنه بعد دراسة الموقف، رأى مجلس الثورة أن الخبرة التي اكتسبها هؤلاء المعنيون خلال مدة خدمتهم، توجب الإبقاء على من تثبت خبرته، وللاستفادة منهم في مختلف المؤسسات التي كانوا يعملون بها، على أن يترك تقدير كل ذلك إلى المسئول في كل مرفق كان يعمل به هؤلاء الموظفون.

وهكذا وبمعنى اوضح وافق مجلس الثورة دون أن يقنع نفسه على الإبقاء على هؤلاء الشبان، الذين كانوا في نظر مجلس الثورة أبلغ دليل على دمغ الوضع السابق بالفساد، لماذا؟ لأنه استطاع أن يحل مشكلة أربعة عشر الف أسرة سودانية، هي جزء أساسي من مسؤولية

الدولة!! وهكذا، وفي لحظات، ابتلع مجلس القيادة كل حيثيات إدانته للوضع السابق في هذه الجزئية الهامة، التي كانت بلا ريب ـ إذا استمر الحال في موقفه إزائهم ـ ستؤدي إلى موقف لن يُضارَّ منه أحد سوى الحكومة وحدها، وقد لا يكون لهذا الضرر حدود مرئية، وأبعاد ثابتة.

مزيداً من مثل هذا الإسراع في إصدار الأحكام وتحديد المواقف التي لا تلبث الحكومة أن تنأى عنها بجانبها، فإن النهايات كثيراً ما ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمثل هذه المواقف، أليست النّار من مستصغر الشرر؟!!

إن النضج سمةٌ من سمات الحكم الراشد، وما كان عبثاً أن تجيء الرسالات السماوية على هذا النسق المتفرد، فالحكم أمانة وقوة، وهيهات ألا تكون الحكمة والرشد هي القاعدة الاساسية للحكم، ترى... ما منع النظام القائم من ذلك الشرط القاهر الذي يحكم تصرفات الحاكم؟ يقيني أن الأشهر القليلة القادمة وحدها هي التي ستجيب على هذا السؤال البسيط.. أليس لدينا من الصبر ما نستقبل به هذه الاشهر القلائل وقد صبرنا عليهم من عمرنا وحريتنا وكرامتنا ستة أشهر إلا قليلاً؟!!

الثلاثاء - أول رمضان ١٣٩٨هـ - ١٩٦٩/١١/١١م

- فجأة أُخلي القسم الذي يجاورنا من جهة الشرق، كان به خمسة عشر من المعتقلين، وزعوا على اقسام أخرى، ولم يعرف أحد حتى الآن سبباً لهذا التغيير المفاجئ، وكانت فرصة طيبة ونحن نستقبل شهر رمضان الكريم، أن ينضم إلينا الاخوة: عثمان جاد الله، وسليمان مصطفى أبكر، والأميرلاي بالمعاش عبدالله الامير إسماعيل، الذي دُبِّرت ضده في هذا العهد تهمة تدبير إنقلاب ضد الوضع الراهن، وكلهم كانوا بالقسم الذي تم إخلاؤه... وصحبة هؤلاء الاخوة الابرار داخل السجن هي امتداد كريم لإخائهم ولقائهم خارج السجن خاصة بالنسبة للأولَيَّن منهم؛ واللقاء بالسجن والرباط الذي نشأ فيه ـ وخاصة في شهرٍ عظيمٍ كهذا الشهر، بكل طهره وروحانيته وصفائه ـ رباط لا يسهل فصمه ولا قطع مداه، فكيف به إذا كان اللقاء وليد السنين.. وليد العقيدة.

- مع تأثير هذا الشهر الكريم سُمِح لنا بأمرين هما من المقومات الضرورية فيه : أولهما المصحف المرتل للشيخ الحُصَري، والثاني إمكان استخدام (الراديو) شريطة أن يكون ذا موجة واحدة بُغية الاستماع فيه إلى الإذاعة المحلية، في الأول منهما غذاء روحي دسم، ما أشدَّ

حاجتنا إليه، وهو ضرورة في هذا الشهر الكريم ، فالقرآن تلاوةً واستماعاً جزء هام في حياة الصائمين، فالشهر كله للقرآن ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ ، أما في الأمر الثاني الذي شرطته إدارة السجن فهو غريب في ذاته، فكيف يكون الجهاز ذا موجة واحدة ؟ حتى لا تفلت من خلاله إحدى المحطات الأخرى؟ أو من قال أن ذلك أمر ممكن هنا؟ وهل يعني ذلك بالضرورة أن الموجة الواحدة لا تعطي الإذاعة محلية وداخلية؟ وفيما هذا التضييق الذي لا يقوم على منطق أو أساس؟ وماذا في إذاعتنا المحلية حتى يكتفي بها مستمع كريم داخل السودان؟ لم تكن في الماضي تروي غليلاً ثم أصبحت إذاعة (ديموقراطية) ، فأضحت سبباً في الغليل!!

كم نحن في حاجة إلى المنطق الذي يسند كثيراً من تصرفات المسئولين ، اذن لاستقامت أمورٌ بعد اعوجاج، ولصلُحت أحوالٌ بعد فساد، ولكن.. كلٌ ينفق مما عنده!!

الاربعاء ٢/رمضان ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩/١١/١٢م

لم يحدث في السجن أمر ظل طيّ الكتمان مثلما حدث (للشخصية الغامضة) التي جيء بها في المكان الذي أخلي قبل يومين، وظللنا مع بقية الاخوة نُقلّب الأمر على أوجهه، فتارة نقترب من الحقيقة، وأخرى نبعد عنها... قيل أنه شخصٌ جيء به من لندن.. أبيض اللون.. مربوع القامة وكفى. ثم انتهى المطاف بالحقيقة إلى القول بأنه أحد ضباط الجيش السوداني، من هو؟ لماذا جيء به؟ لم يستطع أحد أن يعرف، وبذلنا كل الوسائل التي نعلمها في مثل هذه الأحوال، فلم نقترب من الحقيقة إلى نقطةٍ فاصلة، ولكن عزاؤنا أن بلادنا ليس بها سرٌّ والحمد لله، ومهما يكن الامر (فللحيطان آذان) كما يقول المثل، في غدٍ سينكشف كل شيء وتتعرّى الحقيقة فهي على أيّة حال ليست ضد البلاد بقدر ما هي ضد النظام الراهن.

الخميس٣رمضان ١٣٨٩هـ ـ/١٩٦٩/١١/١٣م

منذ كتبت عن الموقف في الجزيرة (أبا) ظل كل شيء ساكناً رغم تأزم الموقف، لم ترد أخبار سالبة أو موجبة، ولم يختلطا معاً حتى نُحسَّ بالتيار الجارف يسري في أوصال الموقف كله، وفجأة وفي المساء أعلن المذيع ضمن نشرته الاخبارية عن بيانٍ لوزير الداخلية، وإني كشخص أرقب الأحداث من وراء القضبان، ومن أعلى أسوار السجن الصاعدة، علمت ألاّ أثق

في بيانات الحكومة، فتجربة الاشهر التي قضيتها هنا أستمع إلى مثل هذه البيانات علمتني أن الحقيقة دائماً ضائعة بين ألفاظه، مكتومة الانفاس.. وعلى ضوء هذه الحقيقة استمعت إلى بيان وزير الداخلية، والذي جعلني أولي اهتماماً هذه المرة، أن الأخبار حملت إلينا نبأ سفر وزير الداخلية، وأبي القاسم محمد ابراهيم أمس إلى منطقة كوستي، قريباً من الجزيرة (أبا)، قال الوزير:(... فإني أؤكد بأن الموقف هناك هادئ ومطمئن، وقد ذهبت بنفسي، وأشرفت على طريقة تحقيق بعض الخدمات للأهالي، وقد كان استقبال الأهالي لنا كبيراً ورائعاً، وسيتم تنفيذ الخدمات تحت اشراف رجال الأمن، خاصة وأن هذه المناطق كانت محرومة من الخدمات في أيام الحكومات الحزبية السابقة)، وأقسم أني لم أستطع ان أفهم الموقف على ضوء هذه الكلمات المهتزة من وزير الداخلية، وكيف أفهمه ؟ وإذا فهمته فكيف أصدقه؟ إن الحقائق تؤكد الآتي: أن السيد الإمام الهادي منذ أعلن معارضته للوضع الراهن، ظل مقيماً بالجزيرة (أبا) معتصماً - بعد الله ـ بها، يستقبل رجاله وأنصاره في الصلوات وفي الاجتماعات الخاصة والعامة، ويستقبل الوطنيين الذين يعارضون هذا النظام حتى أصبحت الجزيرة جزءاً مستقلاً عن نفوذ الحكومة وهي تُحسُّ بهذا الجرح في كرامتها كما تظن، ولما لم تجد منفذاً لإرادتها، أنفذت جيشاً كاملاً بكل معداته ليرابط حول الجزيرة، وليتخذ من هذه الخدمات سبباً ينفذ به إلى داخل الجزيرة، وعرف هذه الحقيقة القاصي منها والداني، وتأزم الموقف، وتحركت جموع الأنصار من الغرب ومن المناطق حول الجزيرة، وأصبح كل شيء ينبئ عن وقوع معركة حقيقية بين سكان الجزيرة، وبين جيش الحكومة، وأصبح العداء هو الطابع الذي يسيطر على كل شيء، وصار الناس يتوقعون بين لحظةٍ وأخرى أن يسمعوا نبأً لمعركة أو نتائجها، ويعرف هذه الحقائق كل شخص ويعرفها كذلك وزير الداخلية، الذي أرادنا بعد كل هذه الصورة الواضحة للموقف العدائي المتأزم، ان نصدقه حين يقول أن استقباله بالجزيرة (أبا)، كان استقبالاً حاراً!! وأن ما يقال عن الموقف في الجزيرة (أبا) إن هو إلا شائعات يطلقها المغرضون!؟ فعمّن يقال مثل هذا؟ إنني على ثقة من أن الحقيقة لا تكمن في بيان الوزير، إنها تكمن هناك في الوقع الذي شاهده ولمسه الوزير بنفسه فأذهله وأطار فيه اللب والصواب، فجاء ليلقي على الناس بياناً لا يُصدِّقه حتى الاطفال!! دعونا إذا نرتقب الغد المأمول، ففيه وحده - لا في بيان الوزير- تنكشف الحقيقة المذهلة التي يظن الوزير أن

مجرد طمسها من خلال اجهزة الإعلام لأن يجعل الناس يكذبون أنفسهم ويكذبون الواقع، لأن الوزير فقط أراد أن يكذب على نفسه.

الجمعة١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩/١١/١٤م

رغم يقيني أن الواقع كان يُكذِّب وزير الداخلية في دعواه عن الموقف بالجزيرة، إلا أنني لم أكن أُصدِّق بأنه قد بلغ هذا المدى الذي جعل كرامة الحكومة وهيبتها تداسان بأقدام الثائرين... وصل محافظ الجزيرة من مدينة ود مدني إلى الجزيرة (أبا) دون استئذان أو إخطار، إستناداً على السلطة التي يمارسها في مناطق أخرى.. لم يكن للسيد الإمام الهادي خبر عن الضيف القادم، ولما كانت الجزيرة (أبا) أشبه ما تكون بميدان معركة موشِكة على الوقوع، فقد تصدى الأنصار للمحافظ، وكاد أن يقضى عليه، لولا تدخل بعض الوسطاء في أمره، حتى غادر الجزيرة (ابا) لينقل للخرطوم حرج الموقف وخطورته... وخلال ثلاث ساعات وصل بالطائرة إلى كوستي وزير الداخلية والحكومة المحلية.. وطلبا إذناً من السيد الإمام بمقابلته... وهنا ترتسم الصورة الحقيقية للموقف المتأزم، ولتصميم الأنصار بالزود عن الجزيرة مهما غلا الثمن، ومهما تكن التضحيات... وعلى أربع دبابات وعربات مصفحة دخل الوزيران وحاشيتهما الجزيرة (أبا)، تساندهما في الجو قوة من سلاح الطيران الحربي؛ وما كاد ركب الوزير يصل منطقة النفوذ الأنصاري حتى أحاط بكل دبابة وعربة ألفٌ من الأنصار مسلحين بالمدافع الرشاشة والبنادق ومدافع الاستيرلنج وغيرها من الأسلحة، وهم يرددون الهتاف بحياة الإمام الهادي وبالتكبير والتهليل، حيث استقبلهم الإمام في اجتماع قصير، كان يمكن أن يحدث خلاله ـ لولا الخلق السوداني الاصيل ـ ما يجعلهم رهائن حتى يطلق سراح السجناء السياسيين!! وانتهى الاجتماع القصير الذي حدد فيه الإمام ثلاثة أمور:

١. إن الخدمات التي تود الحكومة تقديمها للمواطنين بالجزيرة (ابا) لم يقف أحد في وجهها.

٢. إن نقطة البوليس التي ترغب الحكومة في إقامتها لن نسمح بإقامتها. فحراسة الجزيرة وكل ما يتعلق بالأمن فيها فهو مسئوليتي ومسئولية الأنصار بالجزيرة (أبا)

٣. إنه لا يمكن أن أفتح باباً لأيَّة محادثات مع الحكومة ما لم تطلق الحكومة سراح السجناء السياسيين دون قيد أو شرط!!.

وهكذا ألقى السيد الإمام هذه الشروط الثلاثة التي أكد فيها أنه لن يتراجع عنها قيد أنملة، ثم أنهى الاجتماع الذي كانت تحيط بمكانه من الخارج آلاف من الأنصار ينتظرون إشارة من السيد الأمام ليخوضوا بعدها النّار استشهاداً في سبيل الله والوطن.

وهكذا كان الاستقبال الحقيقي ذو المغزى السياسي الكبير، الذي فهم منه الوزير أنه كان استقبالاً (حاراً) لشخصيهما!!

إن الامام الهادي يمثل في هذه اللحظات مركزاً هاماً في المقاومة ضد هذا الوضع المنهار، ولا يمكن لعاقل أن يفسِّر طبيعة أي استقبال في هذه الظروف التي اعجزت المسئولين أن يجدوا فيها امثالهم من أقطاب المعارضة وقادتها على أنه استقبال ترحاب أو شوق أو تقدير، اللهم ألا أن يأتي هذا التفسير من رجل يصوّر الامور دائماً على غير حقيقتها، ويقلبها على أكثر من وجه واحد مثل وزير الداخلية.

إن بيان الوزير الذي انكشف الآن زيفه واستبان خطأه وتقييمه للأمور والاحداث، قد أغفل - ومن واجبه أن يغفِل - حدثاً خطيراً وهاماً، ولعلي أشرت إليه منذ اشهر مضت في هذه اليوميات، حين تحدثت عن تطور ولاء الجنديَّ في الجيش السوداني، وأنه سيصبح ولاءً ليس للقائد ولا لقاعدة الضبط والربط، انما سينتهي - بسبب التفكك في طبيعة القيادة والضبط والربط - إلى ولاء حزبي وطائفي وقبلي، لأن الجنديَّ السوداني مازال وسيظل ملتصقاً بهذا الولاء الذي ربما أضعف من قوة قاعدة النظام في الجيش حين يكون اتجاهه وطنياً خالصاً، وقد تحققت الآن تلك النبوءة التي أشرت إليها من قبل، والتي أغفلها الآن قاصداً بيان الوزير.. فحين صدرت التعليمات بعودة بعض القوات إلى الخرطوم، وكانت قد صدرت إليها من قبل أوامر بالاستعدادي للضرب، بدأ النقاش حامياً بين الجنود بعضهم لبعض، وبينهم وبين الضباط انفسهم.. لماذا نضرب ونقتل؟ ماهي الأسباب والدوافع ؟ ولماذا نعود الآن؟ وماهي نتيجة وأسباب هذه العودة؟ حتى أوشك عقد النظام أن ينفرط ولعله قد وضعت بذلك بداية قوية للانفراط مستقبلاً، وتلك خطوة ذات مغزىً في مستقبل الحكم في هذه البلاد.!

وبهذا تكون الحكومة قد رفعت يديها لتسدل الستار على هذه الهزيمة النكراء التي مُنيتْ بها، ولكنَّ يديها خانتاها، فلم ينسدل الستار لأن يداً اقوى وأعتى قد حالت بينها وبين محاولة التستر على هذا الانكسار، تلك هي يد الشعب.. يد القوة الوطنية الحقيقية في هذه البلاد.. وما يزال المسرح مكشوفاً، والممثلون جامدون فيه بلا حراك، عيونهم مشدوهة شاردة،

وقواهم خائرة واهية، وأفواههم فاغرة ماحلة، واكتظت ساحة المسرح بألوف عديدة من المشاهدين، ليروا على الطبيعة، كيف تتصرف الحكومة السارفة برعونة في قضايا ليست في مستوى قدراتها، كيف تتهدد وتتوعد.. ، وكيف تكذب وتلوي لسانها بالحقيقة، ثم كيف تضعف وتتراجع.. ثم كيف تحاول في استخفاء أن تحيل الموقف في يدها ولصالحها.. ثم كيف يقبض عليها الشعب متلبسة بالجريمة النكراء!!

وهكذا تسقط الحكومات بأيدي شعوبها لتبدأ من جديد صفحة جديدة بإرادة الشعب، وتنتهي إلى الأبد ارادة الحكومة المتسلقة الرعناء الجاهلة.

• منذ أيام خلت، اوضحت المخطط الشيوعي الذي يهدف إلى محاولة عرقلة مسيرة جامعة الخرطوم، بإلغاء انتخابات الطلاب، والاساتذة، ثم إلغاء استقلالها تمهيداً لضمها لوزارة التربية والتعليم، ولم يكن يخامرني شك في أن مفتاح هذه القضية بيد الطلاب، وهم حماتها، وهم الذائدون عن تراث هذه الجامعة الوطنية العريقة، وإن هم أرخوا العنان للشيوعيين ليمرغّوا كرامة هذه الجامعة، فإن الشيوعيون في سبيل ذواتهم لا يتورعون من ارتكاب أخسّ الوسائل وأكثرها إلتواءً، ولم يطل الوقت حتى تحرك الطلاب الوطنيين للزود بأغلى ثمن عن هذه المؤسسة الوطنية العالية، ووقفوا في وجه كل محاولة ترمي إلى أدنى تغيير في تقليد الجامعة، وأصروا منذ البداية على إجراء انتخابات اتحاد الطلاب في مواعيدها المتعارف عليها وتحدد لها يوم السبت غداً، وأن يكون للطلاب مطلق الحرية في الدعاية لاتجاهاتهم السياسية..

وتحت هذا الضغط الوطني الصارم من الطلاب الوطنيين، رضخ الشيوعيين في انكسار لهذا الأمر الواقع لا محالة!! واتجه كل معسكر ـ منذ أيام ـ لِبَث الدعاية لمرشحيه، وهنا نعود إلى الذاكرة ذكرى عام مضى، حين أخذ الشيوعيين الطلاب يدعون لمرشحيهم بإقامة ليلة راقصة اشتركت فيها بعض الطالبات السودانيات، برقصة (العجكو). وقرر الإخوان فضّ هذه الليلة، وحين وقف أحد الإخوان (عبدالرحيم علي) يعلن رفض الإخوان لهذا العهر الفاجر الذي لا يتفق وشرف الطالبة الجامعية السودانية، بادر أحد الشيوعيين بقذف أحد المقاعد عليهم، وألتهب الموقف فجأة وبصورة عنيفة، سيَّر بعده الشيوعيون مظاهرة مسلحة بالسيخ والعصي!! والتقت بأحد الطلاب يحمل كتبه عائداً من الاستذكار، فاستفزه بعضهم ساعة الهياج، وبادره آخر بضربة قاضية على رأسه لزم بها سرير المستشفى حتى اختاره الله إليه، وثبت بالدليل والشهود أن القاتل هو احد الشيوعيين!! وقُبِض عليه ولا يزال بيد البوليس ريثما يقدم للقضاء!!

وعاد هذا العام وشعور الشيوعيين بعقدة الذنب يزحم على واقعهم المرير، وعادت بالطلاب ذكرى أليمه افتقدوا فيها زميل الكفاح والدرس المرحوم (سيد عبدالرحمن) فلم يجدوه بينهم لأن يداً شيوعية آثمة لا تعرف الزمالة، ولا تُقدِّر العلم أو ترعى حرماته، قد امتدت خلسة فاغتالت وحيد والديه الكبيرين، وشهيد وطنه، وفقيد الجامعة والجامعيين!!

عاد هذا العام وهذه الصورة الدامية، مرتسمة في مخيلات الطلاب جميعهم، ولكنَّ الشيوعيين وقد أعمى الله بصائرهم، عادوا هذه المرة ليؤدوا دورهم الدامي مرة أخرى تحت سخرية الطلاب، واحتقارهم ، فأعلنوا عن ليلة راقصة حشدوا فيها (فتّوات) من جامعة القاهرة، استعداداً لملاقاة الإخوان!! ولكنَّ الإخوان في تلك اللحظة ذاتها التي أقام فيها الشيوعيون ليلة غنائية راقصة، كانوا يقيمون حفل تأبين لفقيد الجامعة الذي صرعه الشيوعيون بأسلحتهم، كانت الجامعة كلها في حفل الإخوان.. حفل الجامعة.. وتعبير الجامعة.. وأحزان الجامعة!! وشتان.. شتان بين الحفلين!! هذا تقيمه حفنة منبوذة، ويكون الدخول إليها بالتذاكر، وتحرسه عصابة مسلحة.. وذاك يقيمه الإخوان باسم الجامعة والعلم تعبيراً عن الأسى في فقدان زميل كريم، ويباح الدخول فيه لكل طالب منسوب إلى الجامعة، ويحرسه اليقين والايمان والرجولة، وترف عليه من الله أجنحة الملائكة والشهداء، هل يستويان؟!

تلك صورة واضحة لفكرتين تحمل إحداهما اليقين والإيمان بالله، وتصدّ أخراهما عن سبيل الله، كل واحدة فيهما تعرض نفسها أمام الطلاب بسلوكها وأخلاقها، وتقديرها للأمور ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ صدق الله العظيم .

فإلى غدٍ أو بعد غدٍ ، لنرى من تكون له عقبى الدار.

السبت ٥ رمضان ١٣٨٩هـ - /١٩٦٩/١١/١٥م

_ بدأت اليوم معركة المصير والاستفتاء بالجامعة ليقود الطلاب الأحرار بمحض إرادتهم اتجاه الأمة السودانية وهي تمر بأخطر مراحل الانزلاق والنفاق السياسي! فكلمة الجامعة هي اليوم كالأمس كلمة هذا الشعب، هي التعبير القاطع عن رأيها في اللحظات الراهنة الداكنة التي يمر بها شعبنا الصبور القوي الشكيمة ، فالجامعة بكل تاريخها الوطني الحافل المشرق، هي قلب شعبنا الخفوق، هي ضميره ولسانه واحساسه ، هي مشاعره الخفية والظاهرة، هي

عواطفه الجياشة، وكل صرامته الحازمة، وكل ضرباته الباطشة، هي ساحة العدل وكلمة الفصل، ومركز الشورى ومنبع الحرية.. هي أمة عريقة التاريخ، ثابتة الاصول، تحيا بكل معاني الأمة ومثلها وقيمها في جامعة الخرطوم!! لهذا فإن كلمتها الصادعة، في نتائج انتخاباتها غداً ستضع حداً فاصلاً واضح المعالم، بين الشك واليقين.. بين الباطل والحق ، بين الاتجاه الذي أراده الشيوعيون وساندوا بمقتضاه الثورة بكل كيانها المهتز، وبين الاتجاه الوطني السليم الذي يعبر عن ارادة هذه الأمة في حياة كريمة تقوم على الحرية والأيمان والعقيدة ، والرفض التام للشيوعية ومشتقاتها، والذي يمثله بحقٍ وصدق، الإخوان المسلمون بالجامعة!!

إذن هي معركة استفتاء حقيقيٌ في الوضع السياسيٌ الراهن: إما معه وإما عليه ،ولا شيء بينهما.

ولهذه الأسباب ذاتها كان اهتمام الرأي العام السوداني لهذه الانتخابات على الصعيدين الرسمي والشعبي على السواء، اهتماماً فاق حد التصور، ورصدت له إذاعة ركن السودان برنامجاً خاصاً عرضت فيه برامج الجبهة الديموقراطية، أما الإذاعة الرسمية للجمهورية (الديموقراطية!!) السودانية فإنها أعلنت صباح اليوم عن أهمية هذه الانتخابات الجامعية ، وأنها الاستفتاء الحقيقي لاتجاهات الثورة الاشتراكية!! وأكّدت الإذاعة أن مندوبها الرسمي سيظل هناك بالجامعة يتابع سير الانتخابات ويسجلها لحظة بعد أخرى لينقل للمستمعين صورة حية للموقف بكل ملابساته.. ولا نملك بعد كل هذا وقد بدأ التصويت بالفعل إلّا أن ننتظر إلى غدٍ، داعين الله من كل قلوبنا أن يكلأ جنوده برعايته وتوفيقه، وان يجعل النصر حليفهم، والهزيمة الساحقة لأعدائه، أعداء الشعب.

الأحد ٦رمضان ١٩٦٩/١١/١٦م

الله أكبر ..الله أكبر ..الله أكبر ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ صدق الله العظيم، كان ذاك هتافي وهتاف أخواني معي من وراء القضبان، حيث أنطلق بيننا صوت البشير بانتصار جنود الله في معركة انتخابات الجامعة، انتصاراً ساحقاً ماحقاً لم تشهده جامعة الخرطوم منذ أجريت فيها أول انتخابات في تاريخها وحتى اليوم!! وهكذا شاءت إرادة الله أن يعلو الحق علواً كبيراً، وسط ركام الزيف والضلال والتهريج السياسي، الذي لطّخ وجه بلادنا في الفترة الاخيرة.. نعم قد انتصر الإخوان.. انتصر الشعب كله باسم الإخوان في معركة الجامعة.. وتحقق بذلك النصر الأول، فجاءت نتيجة

الاستفتاء وفقاً لكل الشعارات التي رفعها الإخوان: رفضاً تاماً للشيوعية وأدواتها، وإرساء قواعد الحكم على الشورى والحرية والعقيدة، نعم قد انتصر الإخوان رغم أنف كل مكابر في معركة العقيدة وارتفعت رايتهم وكلمتهم، وازدادت هيبتهم ونفوذهم، وأسكتوا كل صوت نشاز، ودحروا كل عميل، باسم الله واسم الحق الذي يحملونه، كل جبار يريد بالجامعة أو بالإخوان سوءاً وشراً، وأصبحوا وإذا بميدان المعركة يتناثر بالباطل، ويمتلئ بالقعاديد الرعاديد، ووضع الإخوان بهذا النصر المؤزر، حداً فاصلاً بينهم وبين خصومهم إلى سنوات عديدة قادمة، فإن هذا الانتصار لم يسبق لأحد أن حققه على مدى السنين التي مضت.. وهكذا أصبحت الجامعة بفضل التأييد المطلق الذي منحه الطلاب للإخوان، قلعة عزيزة الجانب ، عسيرة المرتقى على الطامعين!! وأقسم انه لم يخامرني أدنى ريب في أن يقف الجامعيون هذه الوقفة الوطنية المشرِّفة في هذه الظروف الحاسمة بالذات، وحققوا بذلك كل الرجاء الذي ظل يعقده على هذا الشعب فيهم منذ قيام هذه الانتخابات وما تحمله في طياتها من دلائل، وما يكمن في نتائجها من آثار بعيدة في حياة هذه الأمة السودانية التي ترفض التسلط والقهر، وتؤمن بالحرية والشورى والعدالة الاجتماعية الإسلامية نظاماً لحكمها وأساساً لمجتمعها.

وما كان انتصار الإخوان حديثاً يفترى، إنما هو أرقام تنطق بالحق المبين؛ هي في حقيقتها شفاءٌ لما في صدور المؤمنين، وقذىً في عيون الحاقدين والموتورين والعملاء والشيوعيين، فالتحريات تجري على أساس التمثيل النسبي لمعسكرات الطلاب السياسية، لاختيار أربعين طالباً يمثلون المجلس الأربعيني الذي يختار من بين أعضاءه عشرة يمثلون اللجنة التنفيذية.. ولا يسمح لأيّة قائمة أن تضم اكثر من عشرين مرشحاً.. وعلى هذا الأساس نضمن حرية طلابنا الجامعيين وهم طليعة هذه الأمة، تجرى الانتخابات بالاقتراع السري ، وما أن أصبح على الشعب هذا الصباح حتى كانت قائمة الإخوان تحتل مكان الصدارة بين كل الاتجاهات السياسية بالجامعة، فقائمتهم تضم عشرين مرشحاً، فاز منهم تسعة عشر مرشحاً بنسبة خمسة وتسعين بالمائة!! وهذا رقم مذهل في تاريخ انتخابات الطلاب بالجامعة الأمر الذي استرعى انتباه كل الاتجاهات السياسية، بما في ذلك القواعد الحكومية والجيش، والسؤال الذي يقفز إلى الاذهان هو: لماذا يحقق الإخوان بالجامعة في هذا الوقت بالذات هذه النتيجة التي لم يسبق لهم ولا لغيرهم ان حققوها من قبل؟! وبدت أن المعركة كلها معركة سياسية في

المكان الأول.. وأن الصراع القائم اليوم يمثل الأهداف الحقيقية لهذه المعركة.. أما أن يبقى الوضع السياسي الراهن بتاريخه واتجاهاته وأسخاصه ومبادئه الشيوعية المستقرة خلف شعارات الاشتراكية والتقدمية، والتي يمثلها الآن في وضوح الاتجاه الشيوعي الذي يخوض المعركة بالجامعة، وإما أن يفوز الاتجاه المضاد الذي أعلن معارضته من اليوم الأول للثورة بسبب سيطرة المد الشيوعي فيها ، ما يؤكد التضامن المستتر بين الشيوعيين وقيادة الإنقلاب منذ اللحظات الاولى للثورة ، ولهذا فإن نتائج انتخابات الجامعة التي أكدت الفوز الساحق للإخوان، تحمل في وضوح حقيقة الاتجاه الشعبي الحقيقي، وانعطافه بعيداً بعيداً عن مركز المبادئ التي تحملها الثورة.. وفوز الإخوان يشير إلى هذه الحقيقة إشارة لا تحمل إلا وجهاً واحداً واتجاهاً واحداً، هو أن الثورة ومهما علت من حولها الهتافات وارتفعت الشعارات لا تجد التأييد من الشعب، ولم يكن حصيلتها خلال الاشهر الستة من عمرها إلا مزيداً من السخط والمعارضة والمقاومة، والسعي الجاد لتغييرها ، لإرساء الحياة الطبيعية التي ينشدها هذا الشعب، والتي تقوم أساساً على كل المبادئ والشعارات التي رفعها الإخوان في معركة العصر التي قادوا لواءها، وكانوا بحقٍّ رجالها وأبطالها، تلك إذن هي الحقيقة الصارخة التي تكمن في هذا الانتصار الساحق للإخوان، وهي نفس الحقيقة المستنبطة من سقوط الشيوعيين وترديهم في مهاوي الانكسار والهزيمة.. وليت فوز الإخوان عليهم كان في ازدياد الاصوات التي اكتسبوها لهانت الفجيعة إذن على الشيوعيين، ولكن في الوقت الذي قفز فيه الإخوان من أربعة عشر ممثلاً العام الماضي إلى ثلاثة عشر ممثلاً هذا العام ، فسقوطهم إذا سقوط مزدوج .

الأثنين ٧ رمضان ١٣٨٩هـ ـ ١٧نوفمبر١٩٦٩م

ذاع خبر نتائج انتخابات الجامعة كالنار في الهشيم، فلم يكن ضحى الأمس يولد حتى كانت العاصمة كلها تتحدث عن الفوز الساحق الذي أحرزه الإخوان ..الوزارات .. المركبات العامة ..التلفونات ، الشارع ..الجيش بكل قطاعاته .. الوزراء والمسؤولين ..وزارة الداخلية.. كلها تتناقل الخبر في حركة وسرعةٍ دائبين، إلا جهة واحدة ، خمدت فيها الحركة وسكنت فيها الانفاس، عقدت الدهشة فيها كل لسان كان يمتد بالنيل من الإخوان في الجامعة أو خارجها.. تلك هي أوكار الشيوعية ومناطقهم الملوثة بهم!! وانتقل الخبر في سرعة إلى الأقاليم، فإن

النتيجة تعنيها بنفس القدر الذي تتوقعها به العاصمة، أليست الإذاعة الحكومية هي التي نقلت إليهم تعليقاً مطولاً عن أهمية الانتخابات الجامعية، التي ستترتب عليها نتائجٌ ذات أثر بالغ في معرفة الاتجاهات الحقيقية للشعب، وموقفه من النظام القائم؟؟! وهتف المعتقلون داخل السجن من كل الاتجاهات السياسية، ففي مثل هذه اللحظات تذوب الفوارق، وتنهدم الحواجز، ويتحد الطريق، وتتفرد الغاية، فانتصار الإخوان هو انتصار فكرة، واستعلاء مبدأ، وسيادة عقيدة، والاتجاهات السياسية الوطنية مهما اختلفت فإنها لن تختلف ـ إلا في الفروع ـ حول هذه المسائل الأساسية بالنسبة للشعب، وكم كان صمت الإذاعة عن هذا النبأ مخجلاً ومعيباً!! كان فضيحةً أخلاقيةً تاريخية، تكشف عن انحدار بعض العناصر المختفية خلف جدرانها المبطنة بعوازل الصوت والحركة!! نعم والله لقد صمتت الإذاعة عن هذا النبأ الذي تقضِ أولى مبادئ الأمانة والأخلاق وشرف الكلمة التي ألتزمت بها أمام مستمعيها، أن تذكر الحقيقة المجردة بلا زيادةٍ أو تحريف!! لقد صمتت الإذاعة حين ظنت أن صوت الحقيقة أضعف من قوة بثّها، وأن ما لا تذيعه أجهزتها، لا تسمعه آذان مستمعيها!! لقد صمتت الإذاعة (الأمينة) عن النتيجة المذهلة المفجعة، وهي التي ترسل إلى الناس كل يوم من الغثاء والهراء والعواء، ما لو قُسّم على إذاعات العالم لهجرها مستمعوها إلى غير رجعة!! ولن يعفى المسئولين فيها عن المسئولية، أن الإذاعة خاضعة للحكومة، وأن الحكومة بهذه النتيجة قد أصيبت في كبدها اصابةً قاتلة.. فالذي يخون أو يكذب تنفيذاً لرغبة خائنٍ كاذبٍ ، إنما هو خائنٌ مثله وكذابُ أشِر!! فلتصمت الإذاعة ما شاءت، فرغم الحذر، تفشى الخبر، "وذاع" ، وعمّ القرى والحضر!!

وأما الصحافة ، فقد تحرك في كل واحدةٍ (رقيبها!)، فقد يتغاضى الرقيب عن الكثير أما هذه فلا!! وبرزت الصحف، فمنها مالم يشير من قريب أو بعيد إلى نتائج الجامعة، والتي نشرته جعلت له مكاناً خفيّاً قصيّاً!؟ ولم تذكر الاتجاهات السياسية بالجامعة، ما كتبت ـ تحت أمر الرقيب ـ بذكر القوائم مسماةً باسم الذين نالوا أكثر الأصوات في معسكراتهم السياسية، وأشارت إلى القائمة التي محقت أكباد الكثيرين بقولها (قائمة أحمد إبراهيم الطاهر) وقد نال من مجموع أصوات الطلاب ألفاً وسبعمائةً وأربع وتسعين صوتاً!! وأشارت هذه الصحف إلى نتائج العام الماضي مقارنة بنتائج هذا !! وقد أدت هذه لصحف رغم التضييق المفروض عليها من الرقيب دورها وواجبها في أمانة، وقد عرف الناس الحقيقة،

وعاشوا فيها من خلال احصائيات هذه الصحف القليلة التي أشارت إلى الجامعة، وسعدوا بما قرأوا، فإن الحقيقة كلما حاولوا اخفاءها، أو التضيق عليها، تفجرت في عنفٍ قاتل، فأصابت أول ما أصابت كل الذين يحاولون خنقها فمزقتهم كل ممزق وتركتهم حطاماً متناثراً.. وظلت وحدها سافرةً مشرقةً وضاءة ، تعلوا كالمنارة السامقة أكبر من كل ما حولها.. وأقوى من كل قوىً ظالمةٍ طاغية، لأنها موصولةٌ بحبل متين بالله رب العالمين.

***

لأول مره أكتب عن ذكرى ٧ نوفمبر المشؤومة، لأنني اليوم في موقف الذي (يكتب) بعد أن كنت بالأمس في موقف الذي (يعمل) على محو عارها من تاريخ بلادي!! فهذه الذكرى الحالكة تمرُّ وأنا في السجن أتجرع غُصص السنوات الست في الحكم العسكري الأول، وغُصص الأشهر الستة من الحكم العسكري الثاني!! وكأن مرحلةً من العمر بين الحكمين بلغت خمسةً وخمسين شهراً كاملة، كانت أشبه بالحُلُم الريّان في ليلة شاتيةٍ قارسة، حتى إذا ما صحا الشعب أخذ يُقلِّب كفيه على ما آل إليه من واقعٍ أليمٍ مرير!!

لقد كانت غايتي دائماً أن تستقيم أوضاعنا الاجتماعية والسياسية على الجادة، وأن تكون الطهارة عنواناً بارزاً لهما، وظللت أعمل جاهداً لإبراز هذه الحقيقة والعمل بها، كان ذلك في الجمعية التأسيسية التي شرفني مواطنو دائرة الخرطوم الغربية بنيابتهم فيها، أم كان في الصحافة التي أسهمت فيها بجهدٍ متواضع عن الموضوعات العامة، أم كان ذلك في مخاطبة المواطنين في الليالي السياسية أو من خلال المذياع، وما أحسست في نفسي خلال كل ذلك بميلٍ نفسيٍّ لغرضٍ من أغراض الحياة الدنيا.. ولم يكن بنفسي غرض أو هوىً لشيء من ذلك، فقد تعلمت دائماً أن أقنع بالقليل إلا من المعرفة والاستزادة من العلم والتجربة، لذلك كنتُ استهدف الاستقامة، خاصةً في الحكم، والطهارة في المعاملات، وأن تكون الحرية سياجاً يحمي هذه القِيَم والمُثُل العُليا في نظامنا السياسي والاجتماعي.

وحين قام الحكم العسكري الأول، أحسست من كل قلبي أنه عدوان على إنسانية الإنسان في بلادي لأنه كان عدواناً على الحرية والاستقامة والطهر!! ولذا فقد نذرت نفسي منذ يوم الثورة الأول عام ١٩٥٨م، للعمل لتقويض كيانها وهدم بنيانها، وبدأت بذلك في صحيفة (الإخوان المسلمون) التي قمت بتحريرها، حتى عطّلتها القوى العسكرية وقتذاك، وواصلت الكفاح من أجل انهاء هذا الحكم الغريب البغيض بقيام الجبهة الوطنية التي كانت تضم

الإخوان والأمة والوطني الاتحادي، والمستقلين، والشيوعية الذين تعاونوا في فتور، ثم انسحبوا منها حين قرروا التعاون مع مؤسسات ذلك الحكم، وقرروا الترشيح في انتخابات المجلس المركزي!! وظللت طوال تلك السنوات أعمل ممثلاً للإخوان في المجلس الأعلى للجبهة الوطنية، الذي كان يضم السيد الإمام الهادي، والمرحوم السيد إسماعيل الأزهري، والسيد الصادق المهدي، وتأتي بعده المجالس الأخرى المختلفة التي تتألف منها الجبهة الوطنية، والتي كانت تضم كافة العاملين في الأحزاب المشتركة في الجبهة، ماعدا حزب الشعب الديموقراطي، الذي بذل العاملون في الجبهة جهداً كبيراً لإشراكه معهم حتى تصبح الجبهة ممثلةً حقيقية للشعب بكافة اتجاهاته، وقد حدث أن أصدر السيد علي الميرغني بياناً لاحت فيه بارقةً من معارضة الحكم العسكري، فانتهزت الجبهة هذه الفرصة، وقررت تكوين وفد لزيارة السيد علي الميرغني ولتكون هذه الزيارة فاتحة لقاء على الصعيد الوطني، ولإزالة بعض سوء التفاهم بين السيد علي وبعض القادة السياسيين، وبالفعل ، تم تكوين الوفد من السادة : السيد إسماعيل الأزهري ، والسيد عبدالله الفاضل ، والسيد ميرغني حمزة ، وصادق عبدالله عبد الماجد، وقبل الموعد المضروب بنصف ساعه، اعتذر السيد إسماعيل الازهري عن الذهاب، وذهب الثلاثة الباقون لسراي السيد علي بالخرطوم بحري، وقد كان للسيد أحمد السيد أحمد، ومحمد زيادة، اليد الطولى في اقناع السيد علي بأمر هذه الزيارة والعمل على انجاحها، وقد أعدَّ لها السيد علي حشداً من كبار الخلفاء ورجال حزب الشعب، وكان لهذه الزيارة أن تؤدي دورا هاماً وبارزاً في تقريب وجهات النظر السياسية وقتذاك، لولا العذر الطارئ الذي حال بين السيد إسماعيل الأزهري وحضور الزيارة. وللتاريخ أذكر أن إقناع السيد الأزهري بقبول عضوية الوفد قد أخذ وقتاً طويلاً من الذين حضروا تلك الجلسة وفيهم الشريف حسين الهندي، واجتمع الهندي والصادق المهدي وآخرون!!ومردُّ ذلك إلى أن الجفوة بين السيد علي والسيد اسماعيل الأزهري، كانت واسعة بينهما، وكان من العسير على السيد إسماعيل أن يقبل ـ من ناحية الكرامة وحدها ـ دعوةً مفاجئةً كهذه بلا مقدمات! ولعلَّ هذا هو السبب الواضح في اعتذار السيد إسماعيل في اللحظات الاخيرة عن الذهاب، وقد مررنا عليه بمنزله في نحو التاسعة مساءً بعد زيارة السيد علي، فوجدناه في منزله أشبه ما يكون بمن هو مصاب بالحمى، ولكن آثار العافية بدأت عليه ، حين أخذنا نقصُّ عليه الزيارة منذ وصولنا حتى مغادرتنا!! .

وردّاً على تلك الزيارة فقد أوفد السيد علي ابنه السيد محمد عثمان للاجتماع بأعضاء الجبهة الوطنية، وتم ذلك اللقاء بمنزل السيد عبدالله الفاضل بالخرطوم ، ولا ريب في أن تلك الزيارة الاولى التي قد قرّبت الشُّقة كثيراً بين الجبهة الوطنية وحزب الشعب.

وظلت الجبهة الوطنية بلا انقطاع تواصل الاجتماع وتضع الخطط لتقويض الحكم العسكري القائم ، حتى كانت أحداث الجامعة ، التي كانت بمثابة جهاز التفجير العنيف لثورة أكتوبر الخالدة .

تلك حقيقة عابرةً ألمسها في ذكرى هذا اليوم الكالح في حياة أمتنا الصابرة، وقد انطوت بنهاية ذلك الوضع الفاسد الهزيل، صفحةً ما كنّا نحسب أنها سوف تتكرر تحت أي اسم آخر أو عنوان، بل ما كنّا نحسب أننا سوف نفجع في النظام الذي سيعقبها.. بل وما كان لنظامٍ يعقب ذلك الوضع العسكري وبالصورة المعجزة التي تمت بها إزالته واقتلاع جذوره إلا أن يسلك الطريق القويم، حكماً.. وسياسةً.. وسلوكاً ، وأن يعمل جاهداً على تجنُّب كل الأخطاء التي وقع فيها، وأن يبدأ عملية بناءٍ جديدةٍ في كيان هذه الأمة تستهدف غرس معاني الخير والطهر والتجرد وإنكار الذات في نفوس القادة والساسة قبل الأفراد، وأن يكون الإصلاح وردم الحفر، ووضع مخطط اجتماعي واقتصادي ينبثق عن هذه الأمة، هدفاً سريعاً وعاجلاً تعمل له الحكومات التي أعقبت الحكم العسكري، ولكنّ شيئاً من هذا لم يحدث، لأن الخلل في نفوس الناس قديم، وعدم وضوح الرؤيا أمامهم غلّق عليهم كل المسالك فما استطاعوا إلا أن يسلكوا على آرائهم السابقة التي يعرفونها في تجربتهم الأولى والثانية للحكم بعد الاستقلال، وأخذوا يدورون حول أنفسهم كما يدور ثور الساقية وهم يحسبون أنهم يسلكون طريقاً أخضراً، ويخطئون ..ويتخبطون، وينزلقون ..وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، حتى إذا أظلم الليل أمامهم، وتشعبت المسالك، وانسدت الدروب، وأصبح الشعب حَمَلاً بلا راعٍ، وصار الطريق أمام الطامحين والمتربصين، وأمام كل مستخفٍ بالليل وساربٍ بالنهار، مفتّح المسارب، عطلاً عن الرقباء والحرس، حتى هنت الامور أمام عصبةٌ حمراء تسربلت بالليل، فجر مايو، وأطبقت على يد الشعب كما يطبق الهمّ القاتل على قلب والهةٍ ثكلى فقدت وحيدها ، كمن رعى غنماً في أرض مسبعةً ..ونام عنها وتولى رعيها السبع .

الثلاثاء ٨رمضان /١٩٦٩/١١/١٨

من جامعة القاهرة الفرع يأتي رد الفعل عنيفاً قاتلاً، لفوز الإخوان الساحق في جامعة الخرطوم، فقد أصاب الوجوم فيها كل المعسكرات المناوئة خاصةً معسكرات العرب والشيوعيين، وانقطع ذلك اللسان المتبجح الذي يشنه هؤلاء على الإخوان، وارتفع صوتٌ واحد هو صوت الحق والنصر الذي ملأ الله به جنوده في جامعة الخرطوم، والمعهد الفني، ومعهد المعلمين الذي هرب فيه الشيوعيين من مواجهة ميدان المعركة الفاصلة بينهم وبين الإخوان!! واحتلت صحف الإخوان بجامعة القاهرة مكان الصدارة في جميع الصحف، وأبرزت عناوينها حقائق الانتصار وابعاده وآثاره، وأصبحت الحقيقة وحدها هي التي تنطق، وعلت كلمة الحق واسخنت جاثية تحتها، كلمة الذين ألحدوا في آيات الله، وهكذا سُنَّة الحياة في الناس، يظل الباطل بكل قواه ..جنوده ...أسلحته ..معوناته، مسيطراً ردحاً من الزمن، حتى يستيقن الذين كفروا بأن الغلبة والنصر في أيديهم ، وحتى يصل الأمر بأصحاب دعوة الله مرتبة اليأس من فرط ما أصابهم القرح واستبدت بهم الظنون، وفجر عليهم المبطلون، وعند ذلك، تتنزل رحمة الله وسكينته على المؤمنين ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ ،﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾ وجاءت هذه الحقيقة أبرز ما تكون في هذه الانتخابات التي تحمل في طياتها شتى الآثار والنتائج حاضراً ومستقبلاً، والجماعة المسلحة العاملة تدرك صدق هذه الحقيقة السماوية، وتدرك إنها قد لا تنتصر دائماً في الجولة الأولى أو الثانية، أو أنها لا تنهزم في معركة، وإلا ما كانت هزيمة المسلمين في حُنَيْنٍ وأُحد، ولما كانت شقوة الناس بالمشركين والمنافقين والمبطلين... تلك إذن سُنَّة الله في عباده وخلقه، والجماعة المسلمة في كل هذه المعارك المستمرة مطالبةٌ بأمرٌ واحد هو (العمل) وإخلاص النية فيه، ولا عليها بعد ذلك من النتائج من شيء، وحسب الإخوان أن تتجسد هذه الحقيقة أمامهم في هذه النتائج التي يعيشونها اليوم، حقيقة أكبر من الحدود الضيقة، وأكبر من لحظات اليأس والضيق، فليتدبروها جيداً، فإن طعم الحلو مهما نقى في مذاق أعدائهم، فإنه سرعان ما ينقلب مرُ المذاق ثم تصيبهم حشرجةٌ في الحلق.

الأربعاء ٩رمضان رمضان ١٣٨٩هـ -/١٩٦٩/١١/١٩م

• للأخ عبدالرحيم حمدي، صندوقٌ صغيرٌ من الورق المقوّى ، يحمله إليه أهله منذ بدأ شهر رمضان ، مملوءً ببعض المأكولات من الحلوى، وجاءه صندوق هذا اليوم يحمل قطعة مكتوباً عليها (كل سنة وانت طيب) ، فطلب الينا أن نحدد مناسبة تستحق هذا الدعاء المكتوب.. وبعد قليل من الحيرة والتفكير ، قلت : تحتفل برقم (١٩)، ولم يَفُتْ عليهم ما عنيت، فقد فهموا ما أردت، الرقم الذي يشير إلى الفائزين من الإخوان في انتخابات الجامعة، رغم أن هذا اليوم هو التاسع عشر من نوفمبر، وكانت مناسبة (طيبة) استعدنا فيها جانباً من تلك الحقيقة (الطيبة) دعونا فيها الله أن يعيد الله علينا وعليهم السنين القوادم ، ونحن وهم (طيبون)!!وتداعت إلى الذهن فيما يجب عليه فهمنا (للطيبة) مدلولات ما ورد في القرآن والسنة من قوله تعالى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ ﴿ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ ﴾ (الكلمة الطيبة صدقة) (إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً)، ذاك هو منطقنا في فهم معاني الكلمات التي زاغت عنها حقيقة معانيها (الطيبة) ، فانقلبت إلى معاني الأضداد.

• للمرة الثانية تتحقق معجزة الإنسان على الكوكب الثاني ، ففي هذا الصباح هبط روّاد الفضاء الامريكيون الثلاثة على الكوكب المهجور بعد أن صعد إليه قبل أربعة أشهر مضت أول ثلاثة من بني الإنسان يُطِلّون على وجهه المشرق ، بعد أن ظل هو يطل على البشرية كلها بوجهه المنير منذ خلق الله الإنسان حتى اليوم، ولكن كلما كشف العلم عن خبيئة من خبايا هذا الكون والحياة والإنسان، زاد يقيننا بأن العالم الماديّ الملحد الماثل، لابدَّ له من أن يفئ يوماً إلى ظلال الله والايمان، بعد أن عاش وما زال حياة ممحلةٍ قاحلة، تفتقر إلى العقيدة، وتبحث عن حقيقة الله لتؤمن به، حتى جاءت قفزات العلم الحديث لتشدّ الناس كلهم في أنحاء الارض إلى السماء، يرفعون رؤوسهم إلى القمر.. إلى الزهرة ..الى المريخ ..الى السماء ...الى الله ، الذي ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾،

وهكذا يقترب الإنسان يوماً بعد يوم من الله عن طريق العلم ، ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ ، فكل انتصارٍ للبشرية في هذا المجال هو انتصارٌ للعقيدة في نفس الإنسان.

• منذ أيام أعلن متحدث رسمي بأن عدداً من موظفي وزارة التجارة سيقدمون إلى المحاكمة، بعد أن ثبت اشتراكهم الفعلي في عملية الفساد التي أثارتها الحكومة باعتبارها طابعاً مميزاً

للعهد السابق!! وفجأة أعلنت الحكومة أنه لن يقدم أحد للمحاكمة، وأن اثنين ممن أشار إليهما إتهام لجنة التحقيق التي شكلت لهذا الغرض، ستُشَكَّل لهما لجنةٌ أخرى لإعادة النظر في أمر الاتهام الموجه إليهما... معظم هؤلاء الموظفين أعضاء في اتحاد الجامعيين بالوزارة الذي أشرف على (توضيب) التهم التي وجهت من قبل للسيد أحمد السيد حمد وزير التجارة .
حقاً لا يُفِلُّ (الفساد) إلا الفساد!!!

الخميس ١٠رمضان ١٣٨٩هـ - /١٩٦٩/١١/٢٠م

- من أطرف المعاني السياسية اللاذعة العميقة، روي عن السيد الشريف زين العابدين الهندي، حين طلب إليه أن يحدد أسماء ثلاثة أسخاص يرغب في زيارتهم بالسجن في يوم الزيارة الشهرية التي حددت لها إدارة السجن الجمعة الثانية من كل شهر ، فقال أني أرغب في زيارة سيدة واحدة، قيل له وما أسمها ؟ قال (اسمها الحقيقة) الكامنة في ضمير القلب السوداني!!
- وفي ذات مرة سأل أحدنا وكنّا نشرب الشاي ذات صباح ، هل تريدون قرقوش ؟ فرد الأخ حمدي : مش كفايه أن (قرقوش هو اللي جابنا هنا) ؟؟!!
- وزع الأنصار إمساكية لشهر رمضان المبارك بها صورة للإمام الهادي والصادق المهدي كما وزع الاتحادي الديموقراطي إمساكيةً بها صور المرحومين إسماعيل الأزهري، ومبارك زروق، ومحمد أحمد المرضي!! وما تزال عيون الحكومة وخدامها يبحثون عن هذه الإمساكيات ويجمعونها من أيدي الناس أو من حيث ما وجدوها!! إيه دا يا حكومة يسندها الشعب والجيش؟!!
• من أول يومٍ في هذا الشهر الكريم، والإذاعة الديموقراطية الحمراء تذيع كل يوم مسلسلة باسم (النّار والرماد) تحمل فكرةً وألفاظاً ومعاني منحلة، وقيماً هابطة ليست هي إلا دعوة صريحة للتحلل والتفسخ المكشوف الذي بدأ يدخل قسراً على يد الاشتراكية الجديدة التي جاءت مع الثورة الداهنة، وتبدو المسلسلة حتى الأن أنها (تهدف) إلى معالجة قضية اجتماعية على نحو من يريد أن يمنع الناس عن شرب الخمر والزنا وارتكاب المحرمات، فيقدم للناس مسرحية تطفح بالخمر والنساء والمجون والاستهتار ليدغدغ الغرائز، وتثير الكوامن الجنسية الهابطة، وتشيع جواً من الانحلال والميوعة، ثم تنتهي المرحلة بكلمةٍ خاويةٍ بلا روح، تطرق الآذان ولا تنزل قلباً، أو تخاطب ضميراً ، يقصد من ورائها أن يفهم المشاهدون (أن كل اللي شافوه شيء بطّال ولازم ما يعملوهوش)! ثم ينسدل الستار معلناً نهاية المسرحية!!

- من أغرب ما سمعت أنه قبل حلول رمضان بيوم واحد أُعلن عن تخفيضٍ كبير بلغ تسعة قروش في سعر زجاجة (البيرة) التي تصنع محلياً، والسبب هو أن الإقبال قد قلّ عليها، لاحِظوا التوقيت ، رمضان على الابواب !! في ظل الحكومة الاشتراكية النميرية (المسلمة طبعاً) تخفض أسعار الخمر: من لم يكن يشربها فهي الآن في متناول يده، ومن كان يشربها وأراد الاقلاع عنها احتراماً وتكريماً لهذا الشهر المبارك، فواضح أن الدعوة موجهة إليه للإقلاع عن هذا التفكير الرجعي!! وعاشت تقدمية الإلحاد والنفاق !!

- خضع الاخ حسن يس وآخرون من الإخوان لإجراءات جمركية مشددة عند عودتهم من لندن خلال هذا الاسبوع ، كانوا في بعثة دراسية ، حيثيات الحكم بالتفتيش : أنهم من الإخوان المسلمين وبس !! يا سلام يا اشتراكية يا نميرية فهلوية !!

الجمعة ١١ رمضان ١٣٨٩/١١/٢١/١٩٦٩

بعد عودة اللواء النميري من رحلته إلى روسيا وليبيا ومصر، في الأسبوع الماضي، كان الرأي العام يتوقع أن يعرف الكثير من نتائج هذه الرحلات التي تمت باسم الشعب كله ماعدا (حزب الأمة والاتحادي الديموقراطي ، وتوابعهم من الإخوان المسلمين وغيرهم!! فقد أثبتت مسيرتنا ودللت تجاربنا على أنهم أعداء شعبنا) كما جاء ذات يوم على لسان اللواء!! ومن حق الشعب أن يعرف، فإن قضايا كثيرة قد طرحت في هذه البلاد، منها ما فشل فشلاً ذريعاً خاصةً فيما يتعلق بالمعونات المادية من الاتحاد السوفيتي، ومنها ما يثور حوله التردد الرهيب، مثل قضية (الوحدة) التي أشارت إليها الاذاعات المختلفة نقلاً عن وكالة أنباء الشرق الاوسط التي تصدرها الجمهورية العربية المتحدة، تلك الوحدة التي قيل إنها سوف تتم بين هذه الجمهوريات الثلاث، وسارت دعوة إلى هذه الوحدة شوطاً محدداً ومرسوماً مدبراً تدبيراً عميقاً في مصر ، فقد نشر الكاتب المصري أحمد بهاء الدين، مشروع اتفاقية مشروع هذه الوحدة ، بالصحف المصرية ، كما تراها مصر على لسان أحد كُتَّابها الرسميين البارزين، فقد وضع هذا الكاتب الرسمي الخطوط المستقيمة للمشروع، على قاعدة الروافد النهرية التي تتجمع في النهاية لتفرغ حمولتها ونتيجة كدّها وسيرها، في مصبٍّ يمكن الاصطلاح على تسميته بالجمهورية العربية المتحدة، فقد شرَّح الكاتب المجموعة الثلاثية على الوجه التالي:
ليبيا : بها فائض من البترول ، ومساحتها صغيرة ، وسكانها لا يتجاوزون المليونين من البشر.

السودان : بلد شاسع مترامي الأطراف، به ملايين الأفدنة من الاراضي الزراعية البكر، وليس به إمكانيات بشرية للعمل بها، ولا إمكانيات مادية لتشغيلها.

مصر: وبها فائض من السكان ، وعدد كبير من العلماء والمهندسين والمفكرين في مختلف النواحي الصناعية والزراعية والتجارية والعلمية!! فلا بدَّ إذن من تجميع وتذويب هذه الطاقات في الرقعة الليبية المصرية السودانية، لينشأ في من مجموع سكان ليبيا (مليونان) والسودان (اثنا عشر مليوناً) ومصر (خمسة وثلاثون مليوناً) وحدة سكانية جغرافية عربية واحدة!!

والنظام العسكري مطالبٌ تحت عنوان (نميري) بأن يطرح للرأي العام الحقيقة في هذا الموضوع الخطير، فالشعب السوداني لا يزال يتجرع مرارة الخطأ التاريخي والخيانة الوطنية التي ارتكبها الحكم العسكري الاول، حين اقتلع مدينة (حلفا) بتاريخها وسكانها ونخيلها وقبورها ليبتلعها النيل لقاء بضعة ملايين من الجنيهات تدفعها مصر من أجل أن يتحول جزء عزيز في بلادنا ليصبح فيما نعده بحيرة شاسعه داخل بلادنا تعرف ببحيرة (ناصر)!! وظلت الحكومة وقتذاك في شغل بأكبر عملية تهجير تقوم بها حكومة ضد ارادة شعبها!! واليوم تلوح خيوط من حركةٍ مشابهة تكمن في المناداة بالوحدة الجديدة!! والشعب السوداني لن يسمح ـ مهما كان الثمن ـ بالدخول في مساومات جديدة على حساب البلاد وفي ظل حكومةٍ تسعى وراء السند، حتى لو كان ثمنه أن تذيب البلاد في وحدة ليس للشعب فيها كلمة ، فالمهم هو أن تبقى الحكومة ولا بأس في أن يذهب الشعب!!

أحد المسئولين قد حاول أن ينفي هذه الحقائق، حين ذكر بأن ما أثير حول هذه الوحدة ، إنما هو في الواقع محاولة لاتفاقية اقتصادية!!

إن النظام الراهن يمر بتجربةٍ قاسية في هذا الشأن وليس ما يجلو حقيقة ما يجري حول هذا الموضوع إلا أن يكشف اللواء النميري الحقائق كما هي... فالأمر لا يقوم إلا على الحقيقة وحدها، وأية محاولة لتمويه الحقيقة أو إلباسها ثوباً آخر إنما هي دعوةٌ صريحة للشعب ليقاوم أي اتجاه لا تكون الكلمة فيه للشعب، إما بالرفض أو القبول.

السبت ١٢رمضان ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩/١١/٢٢م

الموقف بالجزيرة (أبا) لا يزال عند النقطة التي بدأ فيها، قبل أيام والقوات السودانية تقف حول الجزيرة على أبعاد شاسعة، وخلف هذه القوات تقف قوات الأنصار الشعبية بأسلحتها استعداداً لأيٍّ هجوم يحدث على الجزيرة ليقوموا بهجوم خلفي على ظهر القوات السودانية، وقد أكدَّ قائد القوات السودانية أن بإمكانهم في أية لحظة الاستيلاء على الجزيرة (أبا)، ولكن ذلك يعني موت أعداد كبيرة من الطرفين.

ورغم أن كل هذه الخطوات التي اتخذت كانت بعلم وأمر اللواء النميري قبل أن يغادر إلى موسكو، إلا أن شيئاً لم يتغير في الموقف، رغم مُضيِّ تسعة أيام على وصوله من رحلته إلى ليبيا، والحكومة في هذه المعركة خاسرة لا محالة في كلتا الحالتين: فاقتحام القوات العسكرية للجزيرة، هو بمثابة إشعال نّار لن تنطفئ في جهاتٍ شتى من السودان، ولا يعني الاستيلاء على الجزيرة انتصار الحكومة، كلا؟ فالأثر المباشر لعملٍ كهذا هو خلق فتنة لن يكون الخاسر فيها إلا الحكومة وحدها، وهي التي سوف تفقد أراضيها ثم تفقد وجودها!! وإذا لم تنفذ الحكومة خطوتها العنيفة باقتحام الجزيرة، فإن ذلك يعني ضعفها وتراجعها في وضح النهار؛ وهو أمرٌ يؤثر في نفسية القوات نفسها، ويضعف من هيبة الحكومة في نظرهم، ناهيك عن رد الفعل المباشر لهذا التراجع في نفس الجماهير، وأثر ذلك في تقييم الحكومة.

إن الأنصار يمثلون اليوم قوةً ضاربةً مهيبة لا تستطيع الحكومة إعفائها ولا تستطيع كذلك الاصطدام بها، والمخرج في الحالتين عسير... دعونا نأمل أن تفعل الحكومة شيئاً.. أي شيء!!

- (آخر لحظة) هي أقوى الصحف السودانية اليوم بلا منازع!! يصدرها الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم وقد قفز عدد قراءها بعد النتائج الساحقة التي أحرزها الإخوان بالجامعة، إلى الدرجة التي أصبح معها قراءها يقفون صفوفاً متراصة لتلتهم عيونهم وعقولهم وبصائرهم، سطورها الجريئة الملتهبة، حتى أصبح الناس يتناقلون أخبارها في مجالسهم الخاصة والعامة، وقد نشرت هذه الصحيفة (الحائطية) الجامعية اليومية تعليقاً على الاتجاه الرامي لمنح اللواء النميري الدكتوراة الفخرية الجامعية، قالت فيه: (أن المغنية عائشة الفلاتية أحق بمنح هذه الدكتوراة، فقد غنت لقوات دفاع السودان في ميادين القتال وفي الحرب العالمية الثانية، وما زالت تؤدي في حدود مقدرتها وواجبها الغنائي حتى بترت يدها ، وأصبحت قعيدة الفراش)!!

هذا التعليق السياسي العميق الذي أصبح حديث المجالس، بلغ بالطبع مسامع اللواء النميري عن طريق عيون وزارة الداخلية التي تلتقط محتويات هذه الصحيفة يوماً بعد يوم، وقد استشاط اللواء غضباً ثورياً واشتراكياً، واهتزت وزارة الداخلية كاللواء غضباً لهذا الجسارة الإسلامية، ومن يدري فربما يأمر اللواء بإخضاع هذه الصحيفة للمراقبة المفروضة على بقية الصحف (وما فيش حد أحسن من حد)!!

تذكرني هذه الواقعة بما حدث في صحيفة الإخوان ، في عهد الفريق عبود ، فقد كتبت في مايو ١٩٥٨م، مقالاً بعنوان (إلى أين نتجه؟؟)، اعتبره الفريق ماساً بشرف الحكومة ومجلس الثورة، فأصدر أوامره في الحال بفرض رقابة على الصحيفة بأن تعرض موادها التي ستنشر على وزارة الداخلية قبل نشرها، فرفضت ذلك القرار، وكان ذلك العدد آخر ما أصدر من الجريدة ، أذكر أنه فيما عدا هذا القرار الخاص بمراقبة صحيفة الإخوان لم تكن هناك رقابة على الصحف في أية صورة، على نحو ما حدث الآن في عهد الاشتراكية النميرية الحمراء، إن الحكومة قد تفكر في عمل شيء ما ضد (آخر لحظة)، ومن حقها أن تفكر، ولكن الحكومة بلا أدنى ريب إذا أقدمت على محاولة أيَّة خطوة تنفيذية ستتعرض إلى (مرمطة) لن تقف بعدها على قدمين، اللهم إلا أن تشترط وزارة الداخلية ، في هذا العهد الثوري (الهائج) الحصول على تصديق منها لإصدار أي صحيفة حائطية، وحين ترتطم الحكومة بمثل هذه الصخرة ستتأكد ثوريتها التي عناها الشاعر بقوله :

كناطحُ صخرةٍ يوماً ليوهنها*** ولم يضرها وأوهى قوته الوعل

الأحد ١٣ رمضان ١٣٨٩هـ ـ ١١/٢٣/م١٩٦٩م

أفرجت سلطات الداخلية اليوم عن خمسةٍ من الشيوعيين الصينين !! هم كل الرصيد (الأحمر) الذي ضمته جدران السجن في الأيام الأخيرة !! وأفرج كذلك عن آخرين منهم السيد عبدون محمد أحمد عضو حزب الأمة.. ويبدو أن اتصالات قد تمت مع وزير الداخلية كان على أثرها هذا الافراج (المُشكَّل) ، وكان الوزير قد استدعى بعضهم، (هو الذي استدعى) وحين مثلوا أمامه ، أفهمهم بأنه قد تمَّ علم برغبتهم في مقابلته!! وفي الفترة ما بين نفي مزاعمه، ومحاولة اثباتها من ناحيته، يدير الوزير اسطوانته المشروخة التي تتحدث عن الافراج تحت شرط (السلبية) المطلقة التي يعيشها المفرج عنه!!، أو عن ضرورة تأييد الثورة كشرطٍ للإفراج!!

وهكذا تفصح الثورة كل يوم عن هوانٍ وضعفٍ ما سمعت لهما مثيلاً من قبل، فالثورة الحقة لا تستجدي التأييد أو تشتريه بمقابل الافراج عن المعتقل.. إنما هي تنتزع هذا التأييد من الأفراد بما تقدمه للشعب من إنجازات ثورية يحسُّها الناس قبل أن يتحدث عنها المسئولون، وتنتزعه بسمو أهدافها النابعة من كيان هذه الأمة وعقيدتها، لا بتلك الشعارات المستجلبة من وراء الحدود، خادعةٌ خاويةٌ كالسراب، "يسندها" عملاء معروفون متفرغون هم كل الرصيد البشري الذي تستند عليه الثورة المخدوعة في رصيدها الخاوي العميل، وهي تنتزع التأييد بشخصيات قيادتها، بتاريخهم الماضي، القريب والبعيد ، وبتجاربهم الناضجة في الحياة، أو في ميادين القتال، وهل أنا في حاجةٍ إلى أن أدلل أن معظم قادة ثورة اليوم من ذوي الشخصيات المهزوزة بكل معاني هذه الكلمة، في الماضي والحاضر، مما ظلت تلوكه عنهم الألسن منذ قامت الثورة حتى اليوم، والثورة تجد التأييد بالتروّي والتفكير الراشد، والتصرف المتزن ، قبل أن تشترك هي مع المهرجين والموتورين في توزيع التهم على الناس، ورميهم بالخيانة والعمالة، مما لا يتفق مع سمو الهدف الذي يعتقد قادتها أنهم قاموا لتحقيقه، مما أفقدها يوماً بعد يوم رصيداً وطنياً كبيراً من المواطنين المخلصين الشرفاء.. والثورة تجد التأييد لا بالتألّه، والغرور والكبرياء، بقدر ما تجده في التواضع والعلم والثقة بالنفس، مما يتفق مع طبيعة واخلاقيات هذا الشعب، والثورة تجد التأييد بالعمل الجاد القائم على الحقائق أنّى كانت: لها أو عليها، لا بأن تمس لنفي الشائعات لتصبح الشائعات شائعات أكبر، والشائعة بنت الحقيقية، فهي لها بمثابة الدخان إلى النار، لا ينطلق إلا بها ومنها!! والثورة التي تغادر الشائعات صباحها ومساءها إنما مثلها كمثل من يجري خلف ظله يريد اللحاق به، وما هو ببالغٍ منه شيئاً، إلا أن يسقط فيسقط ظله معه.

والثورة التي تزج بالأطهار الشرفاء في غيابة السجن، إرضاءً لسادتها وكبرائها، لتجد التأييد بالهتاف والعواء من الحاقدين عليهم، إنما هي ثورة عميلةٌ جبانةٌ خائرة، تقف على أرضٍ رخوةٍ سِبخة، سرعان ما تميد تحتها، فتسيح فيها أقدامها حتى يختفي وجودها.

إن مصيبة هذه الأمة في أنها لم تختر لنفسها هذا الواقع الغريب عليها، إنها تعيش ظروفاً شاذة، ولكنها ليست عميقة الجذور، ومثل هذا النبت الطفيلي، لن يعيش، لأنه مبتوت الصلة بالحياة، سيذهب سريعاً مثلما يذهب الزبدُ جفاءً، ليبقى في الأرض ما ينفع الناس.

الاثنين ١٤رمضان ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩/١١/٢٤م

في أوقات العسرة والضيق، تظهر معادن الرجال، وأكثر ما تتضح هذه الحقيقة في الصحفيين والصحافة بوجهٍ خاص، لأن طبيعتها أن تتحدث كل يوم للناس، وأن تواجههم بالعناوين الكبيرة الحمراء، وبالخطوط الصغيرة التي لا تُرى بالعين المجرّدة، وبالسطور الواضحة حيناً، والغامضة حيناً، وبما بين السطور حيناً ثالثاً!! وحين يجبن الصحفي عن الحقيقة وينكفئ عنها، أو حين يجرؤ عليها ويواجهها في بسالةٍ وقوة، فهو في الحالين إنما يعرض نفسه على حقيقتها ليحكم الناس له أو عليه!! وفي تقييمي لصحافتنا في هذه الفترة التي يمر بها السودان والتي تتضاعف فيها مسئولية الصحافة في التوجيه والنقد، ونقل الصورة الحقيقية لسير الأحداث والأمور بين الحكومة والشعب، أستطيع أن أقرر بأن الأستاذ بشير محمد سعيد (الأيام)، كان بلا منازع عملاقاً لا يطوله صحفيٌّ آخر، بمواقفه الجريئة منذ قامت هذه الثورة، جعلته في نظري يصل قمّة السموّ الوطني، والجرأة في مواجهة الحقائق، والوقوف بجانب الحق والشعب، ففي الوقت الذي تمرُّ فيه الأحداث الجِسام بصحافتنا وكبار صحفيينا، وهم يطوون عنها كشحاً، ويصُمّون عنها آذاناً، ويغُضون عنها أبصارهم والعيون، يتقدم الأستاذ بشير ليكتب اليوم كلمة (الأيام) عن المعتقلين السياسيين!! أولئك النفر من الشرفاء الذين سكتت عن ذكرهم طوال هذه الفترة صحافتنا (النافذة البصيرة!!)، لئلا تجلب على نفسها المتاعب والمسئوليات ببحثها عن مثل هذه الأمور الشائكة المعتكرة، (والباب البجيب الريح، سدو واستريح)، كما يقول مثلنا السودانيُّ المُعبِّر، ففي مثل هذه الظروف الباطشة في رأي كثيرٍ من كبار الصحفيين، خيرٌ للصحافة أن تنحصر مهمتها في النقل بدلاً من النقد!! وبإمكانها أن تؤدي هذه المهمة المأمونة الجوانب والعواقب على قاعدة (احنا خدامك يا سيدي، أُأمر و إحنا نطيع) ويا أسفاً على صحافتنا التي فاتها أن تجد المدلول العلمي، أو أن تفهم المعنى العميق في قولة سيدنا علي رضي الله عنه (احرص على الموت، وتوهبْ لك الحياة) .

فقد كتب الاستاذ بشير يلفت نظر الحكومة في جرأة، عن اولئك النفر الذين اعتقلتهم الثورة منذ قيامها وما زالوا بالاعتقال حتى اليوم، وأن على الحكومة أن تتخذ حيالهم موقفاً محدداً سواءً منهم الموجودون اليوم في (كوبر)، أم أولئك المحددة إقامتهم بمنازلهم من الوزراء، على الحكومة أن تتقدم بخطوةٍ جديدة إزاءهم، فجميعهم مسئولون مسئوليات عائلية، ليس لها من فكاك، واعتقالهم على هذا الوجه حتى الآن لا يعفي الحكومة من

المسئولية، فإما أن يطلق سراحهم فوراً، أو أن يقدَّم إلى المحاكمة منهم من ثبتت عليه التهمة، ذلك أن آثار هذا الاعتقال قد قيدت بالفعل إلى أسرهم وذويهم وأُضيروا جميعهم منها، فالمسئولية التي ترتبها الحكومة عليهم يجب ألا يتعدى أثرها إلى غيرهم.

هذا المعنى الذي احتوى عليه مقال الاستاذ بشير هو الحقيقة عينها، ولم نشأ أن نقولها نحن ولن نقولها حتى ولو ظل هذا الاعتقال حتى الموت، ولكنها نتيجة منطقية كان للحكومة أن تصل إليها لو أن للمنطق أو للحق عندهم من سبيل!! ومن أين للحكومة وحدها أن تصل إلى تلك الحقيقة، وهي التي تأخذ بالرأي في هذه المسائل العليا، من حفنةٍ من الشيوعيين اتخذوا من مكاتب وزارة الداخلية مقاماً وملجأً، واتخذ منهم وزير الداخلية (فلاسفة!!) يشيرون عليه بالرأي قبولاً ورفضاً، ولا يملك ـ هو الآمر الناهي ـ إلا السمع والطاعة!!

إن معالم الحق في بلادنا هذه الأيام قد عفى عليها مثار النقع، أغطش ليلها، وغطَّى ضحاها، وصارت الحقيقة جزءاً من الباطل العريض الممتد في تثاقل فوق البلاد.. ومهما يكن من أمر فإن الوضع لن يطول على هذا الحال، ولا مفرّ من أن يحدث انكسارٌ وانشقاقٌ عميق فوق هذا السطح المتجمد.. وقد يحدث زلزالٌ عاصفٌ رهيب، بل وقد تحدث الفتنة التي لا تصيبنّ الذين ظلموا خاصة، ولكن لابدَّ كذلك من أن يهدأ كل شيء بعد ذلك، وتعود الحياة سيرتها الأولى في الطمأنينة والسلام، ويعود الناس أكثر إيماناً بالله، وكفراناً بما دونه من النظم والأوضاع والقوانين وتزول من أرضنا - أرض الطهر والسلام - بقايا آثار الثعابين والثعالب، ويسكت عنها النهيق والنعيق والعواء.. ويصبح الآذان فيها جزءاً من حياة الإنسان!!

انني أرقب هذا الغد المأمول، وأراه في خاطري رأي العين، واستبشر كثيراً بهذا الذي نحسبه شراً في واقعنا، وفي نوع الحكم الوافد الغريب علينا مهما طال أمده، فإن الفجر لا محالة آتٍ قريب..

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ صدق الله العظيم .

الثلاثاء ١٥رمضان ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩/١١/٢٥م

- وقع مساءً بجامعة القاهرة الفرع، صدامٌ عنيف بين الإخوان والشيوعيين، لقَّن فيه الإخوان الشيوعين درساً لن ينسوه، وألبسوهم عاراً لن يستطيعوا الفكاك منه على مرِّ الزمن، وواضح للوهلة الأولى أن رد فعل انتصار الإخوان في جامعة الخرطوم أحدث لدى الشيوعيين نوعاً من الهيستريا واللوثة العقلية، وأخذوا يتصرفون بعصبيةٍ واضحةٍ للعيان، وقد اختاروا هم لأنفسهم هذا المصير المخزي، فقد طلب الاتحاد - وللشيوعيين فيه الغلبة - من الإخوان ألَّا يعلقّوا صحيفتهم الحائطية، على اللوحة، مالم يُكتَب على كل مقال بها اسم كاتبه!! (ورفض الإخوان بالطبع هذا المطلب الصبياني)، وحان موعد صدور الجريدة، وجاء معها الإخوان على استعداد للدفاع عنها، وتصدى للجريدة عدد من الشيوعين يريدون انتزاعها، بعد أن تجمَّع قريباً منها عدد كبيرٌ منهم، فما كان من الإخوان، وكانوا قلةً في العدد، إلا أن كرّوا عليهم كرّةً واحدة، وأوسعوهم ضرباً ولكماً، حتى فرَّ الشيوعيون - وسط سخرية وضحك الطلاب والطالبات - فرار القطيع المفزوع عند رؤية الأسد الكاسر!! واستمرت الهتافات العدائية بينهما فترةً من الليل، وظلَّ الجو متوتراً حتى انفض الجميع، وقد خلَّف الشيوعيون وراءهم آثار الهزيمة والانكسار، على أعتاب جامعة القاهرة الفرع، مثلما لطخ الشيوعيون بجامعة الخرطوم أرض الجامعة أبعاد انكسارهم في معركة الانتخابات.

***

وصفته الإذاعة منذ الصباح بأنه بيان من اللواء حول انجازات الثورة، وقالت عنه (الاحرار) الجريدة الشيوعية الناطقة باسم الحكومة، أنه تصريحٌ بمناسبة مرور ستة أشهر على عمر الثورة، وألقاه أحد المذيعين بحماسٍ بالغ فاق حماس اللواء لو قُدِّر له أن يذيعه على الناس، وأثار انتباهي في البيان فقرةٌ وقفت عندها طويلاً، ولا شك أن كثيرين غيري في عالم الحرية خارج السجن قد وقفوا أمامها مشدوهين حائرين من هذا التغيُّر المفاجئ في تفكير اللواء صاحب الاشتراكية الجديدة!!.

قالها اللواء بالحرف الواحد: (أقولها بكل صراحة وشجاعة أننا فرَّطنا مع الرجعية في الأيام الأولى للثورة، معتمدين على سماحة وأخلاق الشعب، ولكن الرجعية وصلت حداً من الانحطاط، يتقزز منه كل من له ذرة من وفاء لهذا لبلد، فنكبة البرامكة (والقياصرة) ــ لم تسمع به في التاريخ- كانت أجدر بهم فنحن نسمع في بلادٍ قريبةٍ منّا بالذبح والسحل والقتل والتعذيب،

ولكن يبدو أن الاستعمار قد استغل هذا الصفاء لاستغلال هذا التسامح!!). نعم هكذا، بعد مضي ستة أشهر يتحدث اللواء عن الدم والسحل والتعذيب!! وهم الذين كانوا طوال الأسابيع الأولى يتوقعون الموت والهجوم المفاجئ في كل ساعة، حتى اتخذوا من رئاسة القوات المسلحة سكناً دائماً لهم، وأحاطوا أنفسهم بالحراس والمتاريس كيلا تمتد إليهم يد، أو يصيبهم أذى، ولو كان ما يقوله اللواء نميري اليوم بعد ستة أشهر، قد حدَّثته به نفسه في الأيام الأولى للثورة، لما بقى اللواء حتى اليوم ليقول مثل هذا الهراء، فالدول العربية التي عرفت السحل والتعذيب، لم تعرفه على مستوى السياسيين وأفراد الشعب وحدهم، بل عرفته كذلك على مستوى رؤساء الدول ورؤساء الوزراء، شربوا جميعهم من كأس الموت سحلاً وتعذيباً بأيدي أفراد الشعب!! ورغم ذلك فإن المجال واسع أمام اللواء، فليبدأ بهذه التجربة (الرائدة)، التي فُتِنْ بها في بعض البلاد العربية، وأراد ـ دون تقديرٍ لظروف و تاريخ وأخلاق وعادات كل بلد ـ أن ينقلها إلى بلادنا، ولينظر بعد ذلك إلى نتائج هذه الرعونة والغطرسة التي يغرسها بهرج السلطة الخادع، وسطوتها الزائفة، إن كان يقف بمنحاةٍ منها، دون أن يكون هو ونظامه من أول ضحاياها.

وتحركت في اللواء كوامن الأحقاد، والشعور بالمرارة التي غرسها انتصار الإخوان بالجامعة، فقال:(لقد تهاونا حتى مدَّت الرجعية أياديها القذرة (كذا) إلى دور العلم، وبدأت تستغل بعض الطلاب مُمنَّيةً نفسها باستعادة كراسي الحكم، بطريق المظاهرات والاضطرابات، كما حدث في أكتوبر، ولكن هذه ثورة شعب، ومن يستغل الشعب يُقتل خائناً)!! لقد خيَّل له الغرور والجهل أنه من يوم قيام الثورة، انتهت الاحزاب والمنظمات التي يطلق عليها لفظ الرجعية، لمجرد صدور بيان من الموتور السابق بابكر عوض الله!! والرجعية التي يعنيها اللواء هنا هي (الإخوان) بلا أدنى شك، أليسوا هم الذين اكتسحوا انتخابات جامعة الخرطوم بمبادئهم وشعارتهم المناهضة لهذا النظام بكل أوحاله وأدرانه، أليسوا هم كذلك الذين اكتسحوا انتخابات المدارس الثانوية والمعاهد في مدينة الفاشر، والحصاحيصا، وفي الكلية المهنية العليا، والمعهد الفني، ومعهد المعلمين ؟؟ ثم هل صحيح أن يد الإخوان (القذرة) قد امتدت ؟ ومتى هي انقبضت حتى تمتد من جديد؟ أ يد الإخوان أم يد الثورة (القذرة) السارقة المتلصصة هي التي امتدت خلسة وفي الظلام فسرقت حرية ودستور هذا الشعب؟؟؟

إن دور العلم حين عرفت الإخوان قبل عشرين عاماً كان اللواء وقتذاك لا يُحسِن من الحياة غير لعب الكرة، وكانوا هم بمثلهم وأخلاقهم وعقيدتهم يزخفون في كل دار للعلم، ولم تعد في البلاد من أقصاها إلى أقصاها من مدرسة أو معهد أو جامعة، إلا والإخوان هم روادها

وحُداتها وحملة مشاعل العلم والاخلاق والفضيلة فيها... أن يد الإخوان من يد الله موصولة بالسماء، بالقيم العليا، ومن كانت صلته بالسماء فلن ينقطع ولن يزول، إنما تنقطع يد اللصوص لتكون عِبرة للآخرين!!.

والحكم في هذا البلد ليس وصايةً أو ميراثاً، وإن كان كذلك لكان اللواء آخر الوارثين، وإذا كان الإخوان يمنّون أنفسهم بالحكم، فهم أهله، وهم رجاله، خلقاً، وسلوكاً، وامانةً ، وكفاءةً. وسيحكمون بإرادة هذه الأمة، لأنها هي التي ستختارهم طائعة وبإرادتها، وحتى إذا اخذوا الحكم قسراً من الأيدي القابضة عليه، فإنما يستردون بذلك حقاً مسلوباً من حقوق الشعب، ليقول الشعب كلمته فيمن يُسلِّمهم أمانة الحكم، فما الحكم الا لله، وإلّا للقويِّ الأمين من أبناء هذا الشعب؟! إن اللواء النميري إنما يخدع نفسه إن ظنَّ أنه يحكم بإرادة هذه الأمة أو بتفويضٍ منها، وإن قرَّت في نفسه هذه الحقيقة وأدرك أبعادها، لاستطاع أن يفهم بعد عناء، أنه لن يبقى طويلاً في الحكم، وأنه سيُقْتَلَع منه، مثلما يُقْتَلَع جذع النخلة الخاوية من أرضٍ فقدت كل عناصر الحياة!!.

وهناك ظلت سياط الحقد والجهل تطارد اللواء وهو يقذف بهذا الهراء:(وليست أماكن العبادة والعلم صروحاً تحمي الخونة والمهرجين!! فالذي يطلب العلم نحن أولياؤه، ومن يرفع لواء الخيانة للثورة، فالثورة له بالمرصاد، فالطلاب الذين يفعلون ذلك انما يبرهنون على أنهم (أطفال في أرقى معاهد العلم). وأوشك اللواء أن يقول أن أيادي الرجعية امتدت كذلك إلى دور العبادة، إذاً لاكتملت عند ذلك الصورة الحقيقية لهذا الجهل الحاكم الفاضح، الذي تسربل بالسلاح من أعلى قمة للحكم في البلاد، ولست بحاجة إلى القول بأن (الإخوان) الذين بادرهم هو بالعداء والشتم والاتهام في اول أيام الثورة قد أصبحوا اليوم يمثلون الخطر الحقيقي على نظامه، حين ظنّ باعتماده المتهالك على الشيوعيين يُمكِّن لنظامه أن يستتب أو أن يقف على ساقيه!!.

إن الذين يكتبون للواء النميري مثل هذه البيانات التي ليس له منها إلا امضاؤها، إنما يقودونه معهم إلى مصير مظلم محتوم، فهم بذلك إنما يعزلونه شيئاً فشيئاً عن كل فئات الشعب، حتى إذا بقوا وحدهم معه انفضّوا عنه وهم يستهزئون، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون!!.

فاللواء يتحدث عن دور العبادة، فما شأنها في هذا المقام، إلا أن يكون الذين يُملون عليه انما يشيرون بطرف واضح إلى الإخوان ، وإلى أنهم هم الذين يُمسِكون بناصية المساجد هذه الأيام، تماماً مثلما أنهم يمسكون بناصية دور العلم في مختلف مراحلها حتى الجامعة!! ومن هم اولئك الخونة والمهرجون الذين يتخذون منها جيوباً وقواعد منها ينطلقون؟ ومن هم أيها اللواء؟ أحقاً هم الإخوان؟ وهل في تصور قائد حديث العهد باللقاء بالجماهير، ويرمي إلى التلاحم بينها لإيجاد السند الحقيقي له أن يملي عليه تصوره وخياله، والذين يدفعونه من الخلف، أن يرمي بجماعة ذات أثر عميق في كيان هذه الأمة، بمثل هذه الألفاظ النابية التي لا يطلقها إلا السكارى والمحششون!!؟.

إن الوطنية وحدها والغيرة على هذا الوطن، والواجب الديني الذي يفرض على الإنسان أن يقاوم الظلم بكل صوره، هي التي تُملي علينا أن نقاوم هذا النظام الأحمر الفاجر الذي اتخذ من اللواء ستاراً، ومن ضحالة تفكيره سُلَّماً يرقى به الشيوعيون إلى مركز التسلط على هذا الشعب.. وهيهات.. فلواء المقاومة الذي نرفعه، ويرفعه كل مخلص ينتسب إلى هذا الشعب، هو لواء الوطنية الحقة، والواجب المقدس، لأن الذي ينحني أمام الشيوعيين في هذه الفترة التي يمر بها شعبنا اليوم، إنما هو الخائن حقاً، والضعيف الذي لا يملك من أمر نفسه إلا أن تحركه الأصابع الماكرة من وراء ستار!!.

والطلاب الذين يفعلون ذلك إنما يبرهنون على أنهم أطفال في أرقى معاهد العلم!! يا سلام عليك يا لواء... يا نميري!! "الطلاب" من هم غير الإخوان في مدلول كلماتك التي كُتِبتْ لك، "وأرقى المعاهد" هذه في السودان ما تكون غير جامعة الخرطوم؟ ولو ضممنا ترجمة مدلول هاتين الكلمتين ماذا نجد فيه؟ نجده في وضوح على الوجه الآتي : الإخوان الذين يفعلون ذلك إنما هم أطفال في جامعة الخرطوم!! يا سلام !! ايه دا كُلّو يا لواء؟؟ أيه اللي حصل؟ وهل صحيح أن الأطفال هم الذين يقومون بالأعمال الوطنية الكبرى؟ هل هم الذين يتحدَّون، ويواجهون الحقائق؟ ويعارضون هذا النظام الأحمر المنهار؟ وأنهم هم الذين يُخْرِجون أقوى صحيفة تصدر في البلاد اليوم؟ وأنهم إذا أنزلوا في الانتخابات قائمة بها عشرون "طفلاً" فاز تسعة عشر أو يزيد في عداد الأرقام؟! أصحيح ما يعنيه اللواء؟ أم أنها الصدمة أصابته حين بلغه اكتساح الإخوان للجامعة، حتى كان أول سؤال يلقيه عند وصوله المطار من رحلة ليبيا هو: صحيح الإخوان اكتسحوا الجامعة؟!!

إن هذا البيان الاعرج الكسيح، هو قطعة من الحقد الشيوعي الذي أبى اللواء على نفسه إلا أن يكون له وعاءً ولساناً ينقله إلى الناس!! مسكين والله يا نميري لقد ضللت الطريق منذ اللحظة الاولى للإنقلاب، حين جعلت من رجل كرئيس الوزراء تُسيِّره نزواته عنواناً لحكومتك، فلطَّخ وجهك أولاً بشرذمة من الشيوعيين الذين وُضِعوا بكل ما فيهم من سوء في واجهة الوزراء الذين قلَّ أن ينجو من وصمة الانتماء إلى اليسار الخائن!! وضللت الطريق حين اتجهت بلا تدبُّر أو تبصُّر، إلى مواجهة الأحزاب ورميها بالخيانة، كأن الأمانة والوطنية والغيرة على هذا البلد لم تولد إلا بميلاد الإنقلاب الذي ولد سفاحاً حكومة لا يربط بينها وبين كيان هذه الأمة إلا أسماء وزرائها، أما عقيدتهم ومبادئهم وأفكارهم، فهي غريبة عنها كغربة الفكر الذي يحمله اللواء وعدد من ضباطه بمجلس الثورة، عند تقديرهم وتقييمهم للأمور والأحداث في هذا البلد!!

لقد خسر اللواء القطاع الأكبر في هذا البلد، وفتح في ذات الوقت ذراعيّ إنقلابه قصداً أو جهلاً للشيوعيين، ولم ينتصح بما حمله إليه المخلصون الذين وضعوا يده على هذه الحقيقة ، فانكرها وأنكرها منه ضباطه، ظناً منهم أنهم مثلما خدعوا أنفسهم يستطيعون أن يخدعوا الآخرين، وحسبنا أننا منذ اليوم الأول للإنقلاب أبرأنا ذمتنا من وِزر هذا الجرم الماحق، والخيانة العظمى لو أننا سكتنا عليها، فصدر بياناً كاشفاً هذه الحقيقة، ومُعارضاً هذا النظام لحظة ميلاده، وفقدت الثورة قلاعها الحقيقية التي كان يمكن أن تسندها وقت الشدة، وجلست تستظل بستار شيوعي رقيق، حسبت أن فيه الوقاية من لفح الهجير، حتى تلاشى عنها، والتفتت الثورة لتجد نفسها في العراء، فالذين كانوا معها لم يغنوا عنها من الله والشعب شيئاً.. ولاقت سوء المصير دون أن تدمع لها عين أو ينفطر لها قلب!!.

الأربعاء ١٦رمضان١٣٨٩هـ - /١٩٦٩/١١/٢٦م

فجع الشيوعيون مرة أخرى في الجامعة على مستوى الأساتذة في هذه المرة! فقد جمعوا كيدهم في نفوس محطمة من أثر الضربة القاسية التي مُني بها الطلاب الشيوعيون، ودعوا لاجتماع سرِّي للأساتذة الاشتراكيين، وتحركت قوى الأساتذة القوميين بالجامعة، وتتبعوا مكان وزمان ذلك الاجتماع، وعلى حين فجأة داهم الأساتذة الوطنيون مكان الاجتماع الاشتراكي، وحاول الشيوعيون منعهم بحجة أن هذا الاجتماع خاص بالاشتراكيين!! فقال

الوطنيون: لا عليكم فنحن أهلها وسنتها، فأُسقط في يد الشيوعيون، وانسحبوا ثم سرعان ما عادوا، واتخذ الاجتماع قراراً بسحب الثقة من اللجنة (الشيوعية) السابقة، واختاروا في الحال لجنة أخرى من هؤلاء الوطنيين الاشتراكيين، وكان هذا الموقف الحازم الجريء، ضربة قاتلة للشيوعيين الذين استسلموا بلا مقاومة، وأقرَّت هذه اللجنة في الحال إرسال مذكرة للواء النميري يعترض فيها الأساتذة على تساهل الحكومة مع الشيوعيين، وفتح المنافذ أمامهم للتسلل إلى مرافق الدولة، وطلبوا الاجتماع باللواء الذي أناب عنه أحد أعضاء مجلس الثورة.. وكان اجتماعاً عنيفاً أفضى فيه الاساتذة بكل آراءهم الوطنية في الوضع القائم ، وأكّدوا أن هذا هو رأي الجامعة الذي لا محيد عنه،

هذا وستجري الانتخابات بين الاساتذة يوم السبت القادم لاختيار اللجنة التي تتحدث بإسمهم!

***

• فجأة تحرك تجمع اتحاد المعلمين الشيوعي ورفع ستار الصمت الذي ضربه حول نفسه ردحاً من الوقت، وذلك حين رأى الاندحار المخزي الذي أصيب به الشيوعيون في مختلف قطاعات الشعب المهنية والدراسية، (وعلى نفسها جنت براقش) وبراقش هي عنزة أراد صاحبها أن يذبحها، فبحث عن سكين فلم يجدها فاستخفَّ بها السرور، فجعلت تقفز في الهواء وتتحرك وتضرب الأرض برجليها، وصاحبها يرقب حركاتها، وفجأة ظهرت سكينة كانت مدفونة في الأرض، فأخذها وذبح بها الشاة!! وجاء اتحاد المعلمين الذي سكت عنه الشعب فترة من الزمن، ليطفو فوق السطح، وينتهز فرصة بيان اللواء الذي أذاعه أمس، وتحدَّث فيه عن الطلاب!! ووجد هؤلاء الانتهازيون فيه ضالتهم، لينفثوا من خلاله سمومهم، ويحققوا شيئاً من أهدافهم التي سعوا إليها من قبل، وباءوا بفشلٍ ماحق وغضبٍ من الله والشعب! جاءوا ليستغلوا بيان اللواء الذي ضرب فيه ذات اليمين وذات الشمال، وقالوا إن هذه الفرصة المواتية التي تستطيع الحكومة فيها أن تضرب الرجعية في معاهد العلم، وأن تريح منها البلاد إلى غير رجعة، وبالطبع فإن الرجعية هنا محددة، ولم يستطيع الاتحاد نفسه أن يخفي هذا المعنى، حين تحدث عن الرجعية في الطلاب والاساتذة وفي برامج الدراسة نفسها، فهدف الاتحاد هو أن تتكرّم الحكومة بإصدار قرار بفصل الأساتذة والطلاب من الإخوان وأن تُعطِّل من حصص الدين بالدرجة التي تصبح معها مقررات الدين الإسلامي لا تنتج أثراً في حياة

الطلاب، ولعل حكومة الثورة قد استجابت للمطلب الأخير منذ عدة أشهر، حين قادت وزارة التربية حملةً ضد مناهج الدين، فحذفت منها الكثير المفيد، خاصة ما تعلق منها بالسيرة النبوية والتشريع في الحكم، وقلَّلت من عدد حصص الدرس في الأسبوع!! بقي أمام الحكومة أن تبحث عن كيفية تحقيق الأمل الذي يراود الاتحاد، بل الشيوعيين جميعهم في التخلص من الاتجاهات الإسلامية بين الطلاب، والأساتذة.

زَعَمَ الفرزدقُ أنْ سَيقْتُلُ مِرْبَعاً***أبْشِرْ بِطولِ سلامةٍ يا مِرْبَعُ

كم يعبث هذا الاتحاد الذي بدأت نهاية عمره تلوح عن كثب ، وكم تعبث الحكومة القصيرة الأجل حين تظنُّ أنَّ بمقدورها أن تحارب في أكثر من ميدان، وأن تفتح لنفسها جبهة جديدة لقتالٍ مرير، لن يكون الخاسر فيه تحت هذه الظروف إلا الحكومة نفسها!! إن اتحاد المعلمين شأنه شأن كل الشيوعيين، إنما يقود الحكومة إلى منحدرٍ سحيق، ونهاية محتومة لن يكونوا هم بمنجاةٍ منها، وأني أكاد أحسُّ في كياني بأن هذا الباطل بكل أركانه وأدرانه وأوضاره، كل هذا الهيكل الماثل، كل هذا النظام السياسي الراهن، سيكون مِعْوَل نهايته القاصِم بيد الإخوان المسلمين.

الخميس١٧ ـ رمضان١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩/١١/٢٧م

لا أبالغ في القول، لو أنني قلت بكل يقين، أنه ما من حكومة في التاريخ المعاصر، استطاع رئيسها – جهلاً – أن يعقد مؤتمراً صحفياً مثلما فعل اللواء النميري مساء هذا اليوم ، فقد نثر أسرار الدولة، مثلما تنتثر حبات الدقيق في يوم عاصف!! وتلقَّفتها إذاعات العالم باعتبارها نموذجاً حيَّاً، لبعض الرؤساء الذين يطفرون إلى الحكم طفراً في أفريقيا والشرق الاوسط، ولعل أعجب ما في هذا المؤتمر الصحفي – وكله عجائب وغرائب – أن اللواء نميري طلب في نهايته من الصحفيين، بعد أن سرد أمامهم كل شاردة وواردة في رحلته إلى روسيا ومصر وليبيا ألَّا ينشروا المسائل السرية الدقيقة المتعلقة بالجيش أو ما شابه ذلك، كان اللواء يقول هذا وعدسات التلفزيون وأضواؤه تخطف أبصاره وابصار الجالسين، وميكرفونات التسجيل الإذاعي تزحم منضدته أمامه، كلها تحصي الأنفاس والهمسات والحركات والضحكات المكتومة والظاهرة، وتسجل للمستمعين كل ما دار في هذه الجلسة العجيبة، بما في ذلك الرجاء الذي ساقه اللواء للصحفيين بألا ينشروا الأسرار الدقيقة التي نثرها أمامهم!! وجاءت الإذاعة الأمينة والتلفزيون لاقطُ الأنفاس لينقلا إلى جمهور المستمعين والمشاهدين هذه المهزلة السياسية التاريخية!!.

وكشف المؤتمر عن الشخصية الحقيقية للواء النميري، كان ضعيف الأداء، مأخوذاً ومبهوراً بلقائه وتَحدُّثِه مع كبار المسئولين في الاتحاد السوفيتي، مملوءاً بالغرور والشموخ بهذه الرحلة، ويظن أنه قد حقق نصراً بعيد المدى عجز عن مثله المسئولون من قبل!! عاجزاً عن تفهم فلسفة الرحلة، الأمر الذي وضح جلياً عند اجابته على أسئلة الصحفيين التي توقف فيها كثيراً واستعان خلالها بمستشاريه، وكم حزَّ في نفسي ونفس كل مواطن مخلص شريف حين قال وهو يتحدّث عمَّا تمَّ عن تسليح الجيش (إن الجيش السوداني اليوم أمانة في يد الاتحاد السوفيتي) لقد والله أظلمت الدنيا في وجهي وطفر الغضب والسخط على نفسي حتى لم أعد أفهم شيئاً مما قاله بعد!! وأحسست بالمذلَّة والمهانة تلطخ وجه كل سوداني، وكل ضابط وجندي، من هذا التصرف الجارح الذي يجعل مسئولاً كالنميري يعلن على الملأ، بلا تَحَرُّزٍ، أن جيشنا أصبح رهينة بيد الاتحاد السوفيتي، لأنه سيصبح وليَّ نعمته: منه يتسلح ، وعلى يد ضباطه السوفييت يتدرَّب، وعلى مبادئه وافكاره يتشرَّب!!

وليت النميري فيما قاله عن الجيش وعن إنشاء الطرق والسكة حديد، وعن بيع القطن كان يذكر خلاصةً لما تمَّ، شأنه شأن رؤساء الدول الذين يواجهون الناس بالحقائق من الزاوية التي تبرز بها الحقيقة، ولكنَّ اللواء الرئيس الحديث العهد بمثل هذه المسئوليات، كأن يقرأ محضر الجلسات السِّرّية بينه وبين المسئولين مما لم يسبقه إليه أحد في تاريخ الحكومات المعاصر!!

ولم يستطع النميري إلا أن يتحدث عن أمر الوحدة بين السودان ومصر وليبيا، فأكد بأن الاقتراح قد حمله مندوب ليبيا الذي حضر احتفالات أكتوبر، وأنه أكد لهم أن هناك وحدة ثقافية واقتصاديه وعسكرية بين السودان ومصر، وأنه يمكن تتم مثل هذه الوحدة مع ليبيا!! ويقيني أنه لو حاول اللواء أن يدخل في مثل متاهات الوحدة هذه لكان هناك شأن آخر يمكن للناس أن يوقفوا به مثل هذه المحاولات الملتوية، وقد كفى النميري نفسه وحكومته مغبَّة أمر كبير خطير بمثل هذا المعنى الذي ساقه تفادياً للحرج السياسي!.

وفي تقديري أن الاتحاد السوفيتي قد جنى من هذه الرحلة أضعافاً مضاعفة مما كسبه السودان منه، إذ أصبح السودان من الوجهة العسكرية والاقتصادية والانتاجية تحت الوصاية السوفيتية، وهذه حقيقة تقررها الحقائق الواردة في هذا المؤتمر الصحفي العجيب.. وهكذا فقد ذهبت الثورة بقرنيها، وعادت من رحلتها بقرن واحد!! ومن يدري ، متى ، وأين ينكسر القرن الوحيد في جمهورية وحيد القرن!!!

الجمعة ـ ١٨رمضان ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩/١١/٢٨م

• تم اعتقال السيد نصر الدين السيد بمطار الخرطوم، فبعد أن مكث في الخارج متنقلاً بين بعض البلاد العربية منذ الإنقلاب، وكان صديقه السيد عمر عبد العاطي كتب إليه بالعودة إلى بلاده، بعد أن أكّد له وزير الداخلية أنه ليس لهم مأخذ على السيد نصر الدين، بل هو مكان تقديرهم وإكبارهم (وجاء الرجل وهو يظن أن لكلمة الشرف مكاناً عند المسئولين في هذا العهد)، جاء ليجد أن وزير الداخلية قد أصدر أمراً باعتقاله فور وصوله في أي وقت.

• بدأ الهمس حول فساد بعض الوزراء الأخلاقي، يدور في المجالس.. أحد الوزراء من العسكريين اتخذ له منزلاً خاصاً بمدينة أم درمان لقضاء بعض المآرب الشخصية!!

و في دوائر جنود الجيش همس وصل مرحلة الحديث حول (أعواد الند) التي تُطْلَق داخل مكاتب ضباط الجيش برئاسة القوات المسلحة، لكي تُخفي رائحة الحشيش الذي يُدخِّنه هؤلاء الكبار في مكاتبهم.

• أحد الوزراء تقدم بشكوى أمام مجلس الوزراء بأن بعض الوزراء يُشِيعون عنه أنه جاسوس لبعض الدول الغربية!! وطلب من رئيس مجلس الوزراء التحقيق ومعرفة الحقيقة... طلب رئيس الوزراء (نميري) من الوزير ـ إزاء هذا الاتهام الخطير ـ أن يعتبر الأمر منتهياً ولم يفتح الباب للنقاش.

• بعض الصحف أبرزت المؤتمر الصحفي الذي عقد امس تحت عنوان (أسرار الدولة) وبعضها صمت عن كل شيء، ونقل كلام اللواء (وكفى الله المؤمنين القتال)، أما صحيفة الحكومة التي تتحدث دائماً بقاعدة (وعين الرضا عن كل عيب كليلة)، وجدت تفسيراً عالمياً جديداً، لطريقة كشف الأسرار التي انتهجها اللواء في مؤتمره أمس، فقالت أن اللواء قد واجه الناس بالحقائق ولم يُخف شيئاً منها كما كان يفعل المسئولون في العهد الرجعي الماضي، برافو يا "أحرار"، ما فيش في الدنيا زيِّك، أهو كدا ولا بلاش!! يا سلام عليك يا جريدة يا وليدة يا سديدة!!

• التمثيلية الخبيثة ذات الوجهين (النّار والرماد)، كانت تحتل فترتين هامتين تذاع خلالهما، هما الخامسة إلا ربعاً مساء، والثانية والربع مساء من كل يوم، وهي الفترة الحيَّة في تعبير الإذاعيين، أي قبل موعد نشر الاخبار مباشرة، فجأة أُعلِن تغيير هذه الفترة إلى العاشرة والربع مساءاً، والثانية عشر والنصف ظهراً!!

والجدير بالذكر أن عدداً كبيراً من برقيات الاستنكار والاستهجان لهذه التمثيلية الماجنة، قد وصل إلى المسئولين، خاصة وأن أحد فترتيها لا يفصل بينها وبين موعد افطار الصائمين إلا عشرين دقيقة فقط ،ولا يزال يرنُّ في الآذان من هذه التمثيلية صدى همس اللقاءات المريبة، والآهات الداعرة، والمواعيد الفاجرة، وهذيان السكارى وهم يعودون إلى منازلهم آخر الليل!!

• وزير عسكري كان عاطلاً عن العمل فترة طويلة، وحين صار وزيراً كان يعمل بإحدى المجالس البلدية.. الآن ارتفع النبأ عن قطعة الارض التي تقع على شارع المعونة بالخرطوم بحري، لحساب الوزير ، وياما نشوف!!

• المنشور الذي يصدر سراً ويُوزَّع بين ضباط وجنود الجيش لايزال مستمراً، وهو يكشف عن شخصيات وسلوك بعض الضباط الكبار ويعرِّيهم أمام الناس.. أحدث أثراً مزعجاً بين المسئولين، وكانت إدارة الجيش تضطر في كل مرة إلى نفي ما جاء فيه، وكان هذا النفي يثير اهتمام كل من لم يقرأوا المنشور، فيسعون وراء ه حتى يحصلوا عليه!!.

• صرَّح وزير الداخلية بأن الأحوال في الجنوب لم تكن في يومٍ خيراً منها الآن، والواقع أن الموقف الآن في الجنوب وفي ظل الاشتراكية الجديدة، يزداد سوءاً يوم بعد يوم، فقد هاجم المتمردون في جوبا جماعةً من الجنود وهم يقومون بدفن زميلٍ لهم قُتِل في صدام بينهم وبين المتمردين وهذا ما لم يحدث خلال أشدِّ حالات السوء في جنوب السودان.

• نشرت مجلة (الأضواء) خبراً موحياً قالت فيه أن المساجد اخذت تكتظ بالمصليين من الشباب والعاملين، ولعلَّ (الاضواء) ـ وهي تجد من الشيوعيين حرباً ضارية ــ أرادت أن تضع في كفة الميزان السياسي الأخرى الوزن الحقيقي للاتجاه الرامي إلى رفض الوضع الراهن بكل مقوماته، وتبني الوجهة الإسلامية التي لا تمثلها الغالبية الساحقة للشعب.

• برَّأت المحكمة العسكرية أمس كُلاًّ من الإخوان محمد آدم الشيخ وعوض واثنان آخران من التهمة التي وُجِّهتْ إليهم في مدينة الدلنج، بمحاولة الاتصال ببعض جنود الجيش لأغراض تتعلق بالأمن الداخلي، وقد مكثوا بسجن كوبر اكثر من شهرين في انتظار المحاكمة ، وقد ادانت المحكمة خامسهم الأخ ..... فحُكِم عليه بالسجن ستة أشهر!!

• جريدة (الأيام) رفضت إعادة الوزير الشيوعي محجوب عثمان لرئاسة التحرير مرة أخرى، جدير بالذكر أن جريدة (الأيام) من أكثر الصحف التي عانت من الرقابة المفروضة اليوم بسبب مواقفها الوطنية الجريئة التي واجهتها و مازالت تواجه بها معالجة ومناقشة القضايا

السياسية الوطنية.. وقد تمَّتْ هذه الرقابة بإلحاح من الوزير، حين رأى الصحيفة التي كان يرأسها تقف مثل هذه المواقف العليا، ولعل أكثر ما عُرِف به الوزير حين كان رئيساً للتحرير، مواقفه الشديدة ضد وضع أي قيدٍ على الصحف؛ وحين آل الأمر إلى يده، كان أول عمل قام به نحو الصحافة، أن فرض عليها أقسى ألوان الرقابة، مما لم تشهده في أحلك أيام الاستعمار!!

• صرَّح السيد عمر عثمان مدير جامعة الخرطوم قائلاً: (إن كل من يقف ضد الثورة فلا مكان له في الجامعة). وقد جاء هذا التصريح بعد النتائج المعروفة التي أحرز فيها الإخوان نصراً مؤزراً في الانتخابات، وبعد أن بدأ الاساتذة يتحركون!! ترى هل تستطيع الجامعة أن تنفذ هذا القول الخطير؟!

• السيد محمود حسيب وزير المواصلات كان من أكثر الناس نشوةً وسروراً لهزيمة اليسار الشيوعي بالجامعة، وقد صرَّح بذلك لبعض خاصته.

• الشيوعيون بمعهد المعلمين العالي، علَّلوا خروجهم على زملائهم حين قاطعوا انتخابات المعهد قائلين: (أنهم لا يرغبون في تمكين الإخوان من موقع جديد!!) وهكذا يُسجِّل الشيوعيون على أنفسهم إحساسهم المرير بالهزيمة واليأس والاستسلام، وبأن العملاق (الرجعي) لم تعُدْ للأقزام حيلة معه.

السبت ١٩رمضان ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩/١١/٢٩م

فتحت الحكومة اليوم على نفسها باباً جديداً من الهجوم، حين قدَّمت إلى المحكمة السيد أحمد زين العابدين، وزير الصحة الأسبق، تحت تُهَمٍ ضعيفةٍ واهية، لا ترقى إلى المستوى الذي يجعل منها القضية الثانية التي تُعْرَض على محكمة الشعب منذ فراغها من قضية السيد وزير التجارة السابق، ولكنَّ الشيوعيين وهم الذين حرَّكوا هذه القضية للمواقف الوطنية الجريئة التي وقفها السيد أحمد زين ضدهم في مختلف المناسبات، هم الذين يحفرون لهذه الحكومة قبرها بأيديهم، وقد استبشرتُ خيراً بتقديم هذا الصديق العزيز إلى المحاكمة، فقد كان وجوده معنا مدة أربعة شهور منذ اليوم الأول الذي دخلنا فيه، حتى غادره إلى المستشفى، فرصة طيبة لزيادة ثقتي به، رغم زمالتنا الدراسية عدة سنوات، فقد عرِفتُ فيه الجرأة في الحق، والشجاعة والامانة سلوكاً وخُلُقاً، والوطنية عملاً وتضحية، وأدركت منذ الوهلة الاولى ان رجلاً كالصديق أحمد زين لن يكون إلا غرضاً يُرمى قصداً من أيدٍ مرتعشة تحيا في ظل النظام السياسي المتعفن الراهن!.

وانعقدت المحكمة اليوم وأنا سعيد بانعقادها لعلمي بأن (المتهم!) سيكون لسان صدق عن كل ما تجيش به خواطرنا.. والتهمة الموجهة إليه ـ تحت قانون الفساد السياسي ـ هي أنه استولى على بعض من المال للدخول كشريك بإحدى الشركات التجارية، مستغلاً نفوذه كعضو بالجمعية التأسيسية، وكوزير، وكعضو بارز بالحزب الاتحادي الديموقراطي!! هذه هي قضية محكمة الشعب، التي تتألف برئاسة الرائد زين العبدين محمد أحمد وعدد من ضباط الجيش والمدنيين، ويقيني وأنا اقررها منذ الآن، أنها قضية خاسرة بالنسبة للحكومة لو أدين فيها الصديق أحمد ، فإن الحكومة أو الثورة قد خسرت خسارة كبرى في جلسة اليوم وحسْبُ الحكومة خسراناً بأن تجد المحكمة نفسها في وضع لا تسطيع معه الدفاع عن نفسها!!!

فقد وجد السيد أحمد الفرصة المواتية للحديث عن اعتراضه على رئاسة الرائد زين العابدين للمحكمة، فأكَّد منذ البداية أن القضية المعروضة قضية سياسية في المكان الأول، قبل أن تكون قضية فساد، ثم بدأ حديثه بقوله (باسم الشعب الذي ضحينا من أجله، وبدأنا كفاحنا له شباباً، ثم أكملناه كهولاً، بتحقيق استقلال السودان، وأقمنا بنيانه منذ إنشاء المدارس الأهلية و حتى رفعنا علم الحرية والاستقلال في كل المؤسسات العالمية والجامعات العربية، وأن هذا المبنى العتيق يشهد اليوم الذي اعلن فيه الشهيد إسماعيل الأزهري والصديق المهدي الاستقلال من داخل هذه القاعة، إن هذه المحاكمة ، محاكمة سياسية ، ولابدَّ فيها من التعرض للتاريخ (وكان رئيس المحكمة قد قاطع معترضاً على سرد التاريخ). وأنا كجزء من هذا التاريخ السياسي، وأن تاريخي لا ينفصل عن محاكمتي، لأن المتهم امام محكمة لابدَّ من سرد سوابقه!! وقد اعترضت المحكمة على استمراره ، وقررت انها ستذكر في مضابط الجلسة أنها منعته من الاستمرار!! ثم استمر السيد أحمد في تعليل اعتراضه على رئاسة الرئيس قائلاً (أن رئيس مجلس قيادة الثورة، ورئيس هذا المجلس، قد دأبا على مهاجمة رجال الأحزاب، سواء في الليالي السياسية أو الراديو، أو الصحف، وهاجمني أنا شخصياً في اجتماع عقده واستمعت إليه في معتقلي في الراديو، وسمح لنفسه أن يصدِر التصريحات في الصحف حول هذه القضية، والصحف اليوم كلها تخضع للدولة، وأن رئيس الدولة يُهدِّد بنكبة البرامكة ومصير القياصرة الروس، وبالذبح والسحل والتنكيل والسجن، فاذا كان هذا هو رأيكم المسبق فإن الواجب يقضي من رئيس المحكمة التنحي، وكرر أنه يسوق هذه الأسباب، فربما استيقظ لها ضميره وتنحى من ذاته، وتحدَّث السيد أحمد عن رحلات النميري

الأخيرة، وقال (إنه يجوب الأرض بطريقة لم يعرف لها تاريخنا مثالاً، وقال أن رئيس المحكمة تحدَّث يوماً في موطنه بجزيرة توتي، وهاجم كل السياسيين الذين مروا بالبلاد، بما فيهم والده الذي كان يوماً رئيساً لمؤتمر الخريجين، ثم قال لماذا أُقدَّم إلى محكمة عسكرية ونحن لسنا في حالة حرب؟ ولماذا أُحرم من حقوقي وقد سلبها هذا القانون العسكري الذي أُقدَّم الان بمقتضاه، وفي ذات الوقت تعقد محكمة سرِّية بسلاح الخدمة لمحاكمة أحد الضباط متهماً بالاختلاس وخيانة الامانة، وسُمِح له بمحامٍ لا كصديق هو السيد جلال علي لطفي، في الوقت الذي أُحرم فيه وأنا مدنيٌّ من كل هذه الحقوق؟!

وظل السيد أحمد يُلقي بهذه الحِمم في قاعة المحكمة بصورةٍ لم يسبق لها مثيل، ولم ينقطع من هذه القذائف إلا حين أعلن رئيسها رفع الجلسة للتداول في اعتراضات السيد أحمد، وعادوا ليعلنوا أن كل هذه الاعتراضات لا تنهي سبباً لتنحي الرئيس عن منصبه!! واستمرت الجلسة حيَّةً تَشُدُّ إليها الأذهان، بما كان يتخللها من نقاط سياسية في كل ما كان يرسله السيد أحمد، ومن ذلك ما قرَّره أن هذه المحاكمة موجَّهة إلى شعوب العالم عن طريق المذياع، وإلى العالم العربي والإسلامي، الذي يتابعها بوجدانه وإحساسه بوجه خاص، وأن الشعب هو الذي سيصدر حكمه الأدبي على هذه المحكمة، وأن الذي يعنيني في المقام الأول هو حكم الشعب، ولا شيء غيره، فأنا من الشعب وإلى الشعب، وقد حكمت يوماً باسم الشعب.

وبعد هجوم مفاجئ من السيد أحمد على حكمدار البوليس شاهد الاتهام، وهجمات أخرى خاطفة تُبُودِلتْ بينه وبين النائب العام، أثارت إعجاب الجمهور بطريقة أداء السيد أحمد ورباطة جأشه، ولدغاته الخاطفة حين يخاطب المحكمة.. بعد كل ذلك، أنهت المحكمة الجلسة الاولى، حتى تواصلها في الأيام القادمة، التي أتوقع أن تكون فيها كثير من المفاجآت والمواقف المثيرة... ألم أقل أن الحكومة فتحت على نفسها باباً ما كان أغناها عنه، ولكن من مأمنه يؤتى الحَذِر !! هكذا يقول المثل.

الأحد ٢٠رمضان ١٣٨٩هـ ـ١٩٦٩/١١/٣٠م

الناس يتحدثون عن جلسة الأمس.. كانت أقوى محاكمة يشهدها الناس من خلال التلفزيون أو يستمعون إليها من خلال المذياع.. إن في أحاديث المتهم تعبيراً صادقاً عن كوامن شتَّى في صدور المواطنين.. الصحف السودانية تخاطفها الجمهور منذ الصباح الباكر، والمناقشات

حول القضية في المكاتب والمركبات العامة واماكن العمل، كانت الشغل الشاغل .. قليلون لا يحسب الإنسان لهم حساباً كانوا بأصواتهم الممجوجة العالية أن ينحرفوا بالنقاش حول القضية.. إنهم الشيوعيون بالطبع.. إنهم هم الذين جروا لاهثين في مكاتب الحكومة وراء الوزراء موهمين أنفسهم وغيرهم من المسئولين بأنهم لاشك واجدون صيدهم الثمين في هذه القضية، إنهم اصحابها، وأصحاب المصلحة الحقيقية فيها، إنهم هم الذين حرّكوها من ألفها إلى يائها، حتى وصلت المحكمة، وهاهم اليوم أُسقِط في أيديهم بعد الجلسة الأولى التي ساق فيها الزميل أحمد دفاعه الأول واعتراضه على المحكمة، يحسون بخيبة الامل، ويشعرون بخطورة الطريق الوعر المسدود الذي دخلوا فيه، وجعلوا من أنفسهم ـ رغم ذلك ـ مدافعين عن قضية خاسرة، ومهاجمين في ذات الوقت للسيد أحمد الذي سدد الهجوم في مواقعه، وجعل من أفراد الجمهور كلهم الذين استمعوا إليه، أو شاهدوه، كتلة من الحماس الملتهب ومن الاعجاب المنقطع النظير.

إن كلمة واحدة قد تحيي أمة بعد يأس، وتلهب في النفوس ناراً ظنها بعض الخاملين أنها قد خمدت، وهي لمَّا تزل تومض من تحت الرماد!! والذي ستفعله هذه المحاكمة في نفوس الجماهير، أمرٌ بعيد المدى عميق الأثر، وكثيراً ما ينطوي الخير في حنايا أمر يظنه الناس شراً، وتلك سنة الله في الخلق ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾.

لابدَّ هنا من حقيقة تنير الطريق، فالصحافة السودانية عُرِفتْ في تاريخها الطويل بأنها تسعى جاهدة لأداء رسالتها مالم تقم في طريقها العوائق، والصحافة السودانية اليوم بأسرها واقعة في قبضة الحكومة، رقيبها مرابط في مكانها، عيونه مفتوحة، وانفه مشدودة، وقلمه الأحمر لا يفارق يديه لحظة من نهار أو ليل!! وفي هذه القضية بالذات، كان الناس يتوقعون مزيداً من الرصد، دون أن تفلت كلمة واحدة مما قيل في المحاكمة، خاصة على لسان المتهم السيد أحمد زين، فصحافة العالم قد تجاوزت هذا النقص منذ عهد بعيد، ومضت تصعد بالفن الصحفي مراقيٍ شتى، فكم تحسن الصحافة عندنا صنعاً، لو أنها قامت بتدريب الصحفيين فيها أو إرسالهم في بعثات قصيرة الأمد لِتَعَلُّم فنّ الاختزال، فإن ذلك سيسدُّ نقصاً واضحاً في رصد الامور المشابهة لقضية اليوم، ورغم ذلك فقد علِمتُ أن السيد أحمد قام بتوزيع ملخص مطبوع من حديثه أمام المحكمة، على الصحفيين ليوفر عليهم مشقة الكتابة، ولكن المؤسف أن الاوامر قد صدرت بعدم نشر ذلك المُلخّص!! ألم أقل أن الصحافة السودانية اليوم تعيش في محنة؟! وأيُّ محنةٍ أكبر من أن تعيش الصحافة عندنا معصوبة العينين،

تتحسّسُ الطريق بالعصا، وتدرك مواطن الخطر في الطريق بتأثير الهواء في أذنيها؟! إن هذا المسلك المشين من الحكومة تجاه الصحافة، يوجب على الصحافة نفسها ألا تقع في عارٍ أكبر، حين تسكت على هذا الموقف المُذِّل، فلأن تُقْبَر الصحافة، خيرٌ من أن تعيش بين الناس بوجه مُمرَّغٍ في التراب.

الأثنين ٢١/رمضان ١٣٨٩هـ ـ أول ديسمبر١٩٦٩م

منذ أمس ونحن نُحِسُّ بأن بالسجن حركة غير عادية، مما يوحي بأن مزيداً من المعتقلين سيضمهم السجن من جديد، بعد أن توقف هذا الاتجاه فترة من الزمن، وقد تأكد الينا قبل ذلك أن عدداً كبيراً من الإخوان قد شُدِّدتْ عليهم الرقابة البوليسية وأن الحكومة بدأت تقلق كثيراً من نشاط الإخوان كمعارضة يجب أن تحسب الحكومة لها حساباً شديداً، وليس هذا فحسب، بل أن قوائم كبيرة قد أُعِدَّت لاعتقال عدد كبير من السياسيين من مختلف الاتجاهات السياسية. ولم يكن صباح هذا اليوم يطلع علينا حتى وصل إلى علمنا أن خمسة من الإخوان قد تم اعتقالهم وأودعوا السجن في المنطقة التي تقع غرب معتقلنا والمسماة ب (الورشة)، تمهيداً إلى نقلهم إلى سجن (دبك) الذي يقع في منطقه نائية على سفح جبل شمال الجيلي، وقريباً من قرية (قَرّي)، والاخوة الذين وصلوا هم : الحافظ الشيخ (المحامي)، وفاروق عثمان (الأستاذ بمعهد المعلمين العالي)، وإبراهيم الدسوقي (أستاذ بالمعهد الفني) ، وعبدالرحمن المصري (استاذ ثانوي) ، وصلاح أبو النجا من (كبار موظفي بنك السودان)، وحين انتصف النهار انضم إليهم بشرى النور وشريف مأمون (حزب أمة) وكلاهما كانا بالمعتقل من قبل، والجديد في هذه الاعتقالات هو انها أخذت تمُس حزباً سياسياً لم تشمله هذه الاعتقالات من قبل ظناً من الحكومة أأنها تقوم بعمل كبير في جنوب السودان، وأن سكوتها عن اعتقالهم ربما ساعد على هدوء الاحوال هناك في ظل الاشتراكية الجديدة، ولما أخذت مشكلة الجنوب تتفاقم من جديد، وبدأت النّار فيه تأخذ في الاتساع والاندلاع ، بادرت الحكومة إلى اعتقال عدد من أعضاء حزب (سانو) وفيهم السيد صمويل أرو ، رئيس الحزب، والدكتور توبي مادوت سكرتيره، والسيد ايزاك وعضواً آخر من البارزين في الحزب، ولا شك أن هذا الاعتقال وبمثل هذه الصورة يؤكد نطاق المعارضة الشعبية آخذ في الاتساع بين الجماهير، وأن الحكومة رأت أن مثل هذه الاعتقالات وسيلة لقمع هذه

المعارضة، أو على الاقل لتقصير خطوطها.. غير أن الحقيقة التي لا مراء فيها هي أن الضيق بهذا النظام قد وصل بالناس حدَّ الجهر بالنقد المكشوف، حتى للتصرفات الشخصية لبعض الوزراء، وحين يصل الضيق بالناس هذا الحد، فإن انتهاج سبيل الاعتقال سيكون بعد حين قصير بمثابة البترول الذي يراد به اطفاء الحريق!! إن المواطنين الحقيقيين الذين لا تراهم الثورة في لياليهم السياسية يهتفون أو يُهرِّجون، قد أدركوا اليوم أنهم واقعون بين فكّيْ الكماشة، وأنها تُطْبِق عليهم بأسرع ما يتوقعون، وحين يصل الأمر بالإنسان أنه لامحالة هالك، فإنه سرعان ما يختار لنفسه المِيتة التي تُحفظ من ورائها كرامته، ورجولته وسيرته الطيبة، والمواطنون وقد فُجِعوا حقاً في كثير من الشخصيات من الحكومة والضباط، وكانوا قد صبروا عليهم لقاء أن تتحسَّن الأحوال، وترفع عن كواهلهم الحرج والضيق والكرب، ما عادوا الآن يحفلون بما يحدث لهم إن واجهوا هذا النظام الشيوعي المنحل، بكل ما يملكون من وسائل المقاومة، فهو نظام يقف على أصابعٍ رخوة، ويستمد وجوده وسنده من صدى هتافات الشيوعيين والمنتفعين، ومن حركة شراذم العملاء والسماسرة الذين كلَّت أرجلهم من سرعة الدوران حول انفسهم!! إن الشعب قد قرر رفض هذا النظام، ولن تستطيع قوة أن تثني هذه الإرادة عن هذا الاتجاه فإمَّا إرادة الشعب أو الطوفان!!.

الثلاثاء ٢٢رمضان ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩/١٢/٢م

• لم تمكث المجموعة التي انتقلت امس طويلاً في كوبر، فقد أُعلِنوا منذ ضحى اليوم انهم سيغادرون إلى معتقل (دبك)، وفي الثالثة بعد الظهر تمكنَّا من مشاهدتهم ووداعهم.

• منذ دخلنا السجن في السادس والعشرين من مايو الماضي، لم نغادر المعتقل إلى مركز آخر داخل السجن، على الرغم من أن تنقلات كهذه قد حدثت بين معظم السياسيين المعتقلين، والجزء الذي نشغله حتى اليوم يُعد منطقة معزولة تماماً بالمقارنة بكافة الأجزاء الأخرى، فعنده تنتهي المنافذ التي توصل الأقسام الأخرى بعضها ببعض، ولا يتمكَّن المقيم به من اللقاء بالآخرين إلا إذا ما اقتضت ضرورة الذهاب إلى مكاتب السجن بسبب الزيارة أو غيرها، وقد أُلِفنا الاقامة به حتى أصبح جزءاً من بقائنا، وفجأة وردتْ إلينا من إدارة السجن إشارة بإخلاء هذا القسم، إلى القسم المجاور له ولم نستطع حينه أن ندرك الغرض من وراء هذه المفاجأة، وصَعُبَ علينا أن نقبل بها على علاتها، فرفضنا الذهاب لأن العِلَّة لم تكن واضحة،

فإن كان المراد بذلك ايجاد محل يستوعب عدداً أكبر، فإن الجزء الذي سنذهب إليه هو أكثر اتساعاً من هذا، فكان اولى بأن يكون هو الحل المختار، وإن كان الغرض منه منع الاتصال بالمعتقلين الجدد الذين يسكنون جوارنا من جهة الغرب، فلتكن إدارة السجن صريحة في ذلك، ولم نستطع أن نجد الإجابة المقنعة لهذا النقل المفاجئ، حتى حضر السيد أحمد صالح نائب مدير السجون، والسيد بشير حسن حكمدار السجن، وعدد من ضباط السجن، واستطاع السيد أحمد بلباقة ويسر أن ينهي إلينا النبأ أن مكاننا يستوعب عدداً جديداً حديثاً قليلاً، وانه أراد بذلك أن يستشيرنا فيما إذا كنّا رغم ذلك نود البقاء في مكاننا الذي دعتهم الحاجة إليه، ولم نجد إزاء هذه الحقيقة المُلِحَّة، سوى قبول الانتقال إلى المكان المجاور، وبنا شوق لمعرفة الجيران الجدد الذين سيضمهم مكاننا المعزول الذي فارقناه ونحن أشدُّ شوقاً للعودة إليه!!.

وفي مساء ذات اليوم تم نقل الأخ السيد نصر الدين إلى معتزلنا، فزاد بذلك عجبنا، اذ أن السيد نصر الدين كان محتجزاً بمكان منفرد، فجئ به إلى مكان منفرد كذلك، فماذا هناك؟ لابد أن تكون عملية التنقلات هذه وثيقة لصلة بحركة الاعتقالات المزعومة الحدوث، ولم يطل بنا البقاء ذلك المساء، حتى أدركنا أن اثنين من كبار الضباط، والذين احيلوا إلى المعاش فجأة في عهد الثورة الاشتراكية النميرية، قد تمَّ اعتقالهما وجيء بهما إلى المكان الذي كان يشغله نصر الدين قبل نقله إلى موقعنا الذي نُقِلنا فيه، والضابطان هما العميد أنس عمر طواف، والعميد مزمل غندور، وكان لابد لنا من معرفة أسباب اعتقالهما ، فالإنسان بداخل السجن يكون دائماً اكثر فضولاً في معرفة الأخبار وتحليلها وتقصّي أسبابها، فالخبر في السجن زادٌ ضروري في رحلة مجهولة كالتي يقوم بها المعتقلون السياسيون داخل الأسوار، واعتقال ضابطين عظيمين في هذه الظروف الحاكمة أمر يدعو إلى التساؤل، وربما قاد إلى إلقاء مزيدٍ من الضوء على حقيقة الوضع السياسي في الخارج، وظللنا ذلك المساء حتى أدركنا أنهما قد رفضا عرضاً بتعيينهما سفيرين للسودان، ولكن هل يؤدي هذا الرفض إلى الاعتقال؟ أليس من حق أي إنسان أن يقبل أو أن يرفض باختياره أي عمل يُعرض عليه؟ أم أن المقصود بهذا التعيين إبعادهما من هذا الجو المشحون بكل أسباب الانفجار؟ أم ان سبب الاعتقال هو الحفاظ عليهما من بعض جهات تحاول أن تستغلهما، كما ذكر الوزير لأحد أصدقائهما؟ أم أن لهما أو لأحدهما اتصالاً بالسيد الإمام الهادي كما ترى بعض جهات الحكومة؟!! إن كل الدلائل تشير إلى أن اجهزة الحكومة أخذت تتحرك في اتجاه يشير إلى وجود حركة عنيفة مضادة، هي في واقعها تعبير حقيقي لإرادة الشعب..

واهمة هي الحكومة أن ظنت انها بمثل هذا الاندفاع الأرعن ، سوف تمنع الطوفان أن يعم ، أو أن تحول بين ألسنة النيران أن تندلع!!.

الأربعاء١٢رمضان١٣٨٩هـ -١٩٦٩/١٢/٣م

مثلما يتخذ الطير عُشَّه في أعلى غصون الشجرة، ثم يملأ جوها بالصفير والشقشقة والحركة، وهو لا يمثل من الشجرة إلا جزءاً لا يُحسُّ به الغصن المسكون، كذلك يفعل الشيوعيون الذين حلا لهم أن يطلقوا على انفسهم لقب القوى الاشتراكية الثورية، فهم يدورون حول أنفسهم، في حركات بهلوانية، ويتنقلون في خفة العصفور كما يتنقل (شبير شد القام بي جماعته وقعد بي جماعته)!! فيوماً هم بالبراري، ويوماً ببيت المال، ومرةً بخور أبو عنجة، وأخرى بالسجانة، و.....!! ويدور رحى طاحونتهم حول موضوعات مجَّها الناس، فأدركوا زيفها وأحسُّوا بسمومها، وخرج الكثيرون من جُعْبة الرحى بلا طحن، وآخر ما دارت به رحاهم حديث ألقاه عليهم بالبراري وزير الداخلية الشيوعي الذي كان ينفي كل يوم بالقول أنه شيوعي، ويثبت في كل يوم بالعمل أنه شيوعي، وعاش الوزير وهو يلقي حديثه في جو غريب عن هذا الشعب عن خلقه وأدبه، وعن سلوكه ووقاره، وعن أصالته وسودانيته، ورضي لنفسه أن يخاطب الشعب من خلال المذياع، وهو في هذا الجو الشيوعي الآسن، مثلما يفعل المخمور حين ينطلق من دار النُّدامى إلى قارعة الطريق يتحدث فيه بمنطق ألحانه وبلسان عقله المخبوء.

كان الوزير يتحدث عن تقييم الضباط الأحرار في الجيش، وهو موضوع تحدث فيه الوزير أكثر من مرة، وحاول دائماً أن يضع نفسه موضع القائد الذي تمركزت فيه روافد العمل والتضحية، كأنما يبدو أنه يُحسُّ في واقع نفسه بنوع من المنافسة والسباق بينه وبين ضباط آخرين ، برزت أسماؤهم وقعد من دونهم في مجال الشهرة والسباق، حتى إذا طوى الوزير هذه المرحلة بين الحديث، قفز سريعاً إلى الهدف من مثل هذه المناسبات الشيوعية، ليتحدث عن الموضوع الذي أصبح سهماً في جنب كل مسئول، وخنجراً في صدر كل شيوعي، وهو موضوع (الإخوان)، وكان طبيعياً أن يشير إلى جامعة الخرطوم حيث تلقت القذيفة المدمرة بانتصار الإخوان فيها على شرذمة الشيوعيين المنبوذين وطفق الوزير يتحدث حديث الشخص المسئول حين أثار في خبث وهو يتحدث عن هزيمة الشيوعيين بالجامعة.

أمريكا رصدت خمسين مليوناً من الدولارات لمحاربة الحركات الثورية في أفريقيا، هل رأيتم كيف يتحدث وزير الداخلية والمسئول عن الأمن؟ مثلما يتحدث الشيوعيون بغثائهم المتعفن حين تضطرب بهم السبل، وتصبح الهزيمة جزءاً من كيانهم؟! بل يتهم اكثر من ألفي طالب بالجامعة بأن أمريكا تقف إزاءهم وتمدهم بالمال، وتشتري ضمائرهم وأخلاقهم وشرفهم بالنقود، هل رأيتم مثل هذا الوزير المنهزم أخلاقياً تحت وطأة النقود التي تسلبها وزارته بالضغط والتهديد من بعض الأثرياء الذين قبضت عليهم وزارته لقاء فك سراحهم؟ هل رأيتم عقدة الذنب التي تصوِّر الرجل الهيِّن المنكسر؟ وقد توكَّل غيره من الشرفاء الكرام على الله وعلى أنفسهم ، يمكن أن يكونوا مثله عبيداً للمال من أي طريق جاء؟ هل رأيتم وضاعة النفس وذلّها حين يكون صاحبها أهون على ذاته من شسع النعل؟!!

إن مصيبة هذه الأمة تكمن دائماً في اولئك الذين يتصدون لحكمها، وهذا الوزير الذي يُكيل التهم ويرمي الناس بالباطل، ولم يجد من الوقت ما يلتفت به إلى ذاته المتداعية، هو مثال حيّ للعصابة الموصوفة بكل موبقة وإلى حكم البلاد هذه الأيام.!!

ومضى الوزير يتحدث للعصبة الحمراء بالبراري، عن الاعتقالات وهو يجهد نفسه ويدخل السرور عليهم وينتزع الاعجاب منهم، فقال: أننا بدأنا الآن اعتقالات واسعة، وهذا هو أول الغيث).. فصفَّق له الشيوعيون طويلاً وحقَّ لهم أن يصفقوا فقد ظنوا كما ظن الوزير أن الجو بذلك يخلو من المقاومة والمعارضة، لتمضي الحكومة في تنفيذ خطتها ب(تشييع) النظام كله!! وهي بذلك إنما تمهد الطريق (لتشييع) نفسها إلى مقرها الاخير، وطاب المقام للوزير بعد أن رطَّبه التصفيق والاستحسان من خلاصة الحقد الأسود الذي يتنزّى في قلوب الحاضرين، فأدار الحديث عن (الرجعية)، المتمثلة في الأحزاب الماضية، فيما عدا الحزب الشيوعي الذي سمحت الحكومة لنفسها بالتعاون معه في وضح النهار وهي تدّعي حلَّه مثلما حلَّت الأحزاب الأخرى، نعم تحدث الوزير عن الرجعية، وعن خطة الحكومة في القضاء عليها حين أوضح انها وضعت لذلك خطتين: إحداهما للتصفية السياسية والاقتصادية، أو بالأحرى سلطة الضرب، نعم يقول الوزير - الضرب بكل أنواعه ! (واستمنح) الحاضرين بالطبع لهذا التعبير الجديد (المهذب) فاندفعوا يصفقون ويضحكون، والوزير يشاركهم الضحك الذي سمعته من خلال المذياع، ومن يدري من كان يشاركهم التصفيق كذلك، ولم يستطع الوزير أن يخفي المرارة التي تشبعت بها نفسه حين أكد أن الرجعية التي قد تسرَّبت إلى المعاهد والمدارس الثانوية والعليا، واتخذت

منها قواعد حصينة، أخذت تنطلق منها قذائفها على الوضع الراهن، وماذا عسى الحكومة أن تفعل إزاء هذا السيل (الإسلامي) الكاسح؟!!

صحيح أن سياسة (الضرب) التي أعلنها الوزير إنما هي أنجع الطرق لاستئصال العقيدة من النفوس، وقد سلكها المشركون من قبل مع أصحاب رسول الله (ص)، وإن كان الضرب الذي يعنيه الوزير، هو ذلك الذي تسنده وسائل التعليم الحديث، فهل يبقى أصحاب العقيدة الفذّة في هذا العصر بعيداً عن تدعيم وسائل مقاومتهم بالعلم الحديث، وإن لجّت الحكومة في غيّها في مثل هذا الأسلوب، فإن الإسلاميين مأذون لهم من الله أن يدفعوا عن انفسهم بكل وسيلة ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾

إن الحكومة اليوم وقد اتخذت من الإسلاميين هدفاً بعد ان أقضَّ مضجعها صلابة موقفهم، وثباتهم في مواقعهم، وصرامة مقاومتهم، واستعدادهم للتضحية في سبيل الله، إنما تواجه خصماً عنيداً، من يكون الخاسر في هذه المعركة؟ لأنه ـ بعد الله ـ إنما يستمد القوة من عقيدته، عقيدة الشعب، وإنما يذود عن دينه وتراثه وتاريخه، وكلها ميراث لهذه الأمة ونتائج لجهدها وتضحياتها من لدُن رسول الله (ص) وحتى يرث الله الأرض ومن عليها!

إننا فخورون اليوم بأن نكون في خط المواجهة الأول مع الوضع الشيوعي الراهن، لأن ذلك جزء من الدفاع عن كياننا وعقيدتنا، وكم نحن نتخذ من كل ذلك قربى إلى الله الذي نتوكل عليه في كل أعمالنا آناء الليل وأطراف النهار، ونحن على ثقة من النصر في النهاية لنا، ومن اننا حين نواجه مثل هذه الحرب اللادينية الفاجرة، اننا نؤدي واجباً دينياً مقدساً ، وأن الله في كل خطواتنا معنا ، وهو الذي يكلؤنا بالرعاية، ويؤيدنا بالنصر ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾.صدق الله االعظيم.

***

في سلسلة الاعتقالات التي تمت اليوم تنفيذاً لوعيد (الوزير الخطير) !! دخل السجن اليوم الرائد التوم عبدالله ، وانضم إلى أخويه العسكريين الذين سبقاه بالأمس، وانضم كذلك الأخ ميرغني سلمان ، من كبار موظفي مؤسسة التنمية الصناعية وهو من الإخوان المشهود لهم بالعمل الدائم في سبيل الله .

الخميس٢٤رمضان ١٣٨٩هـ ـ١٩٦٩/١٢/٤م

- واصلت محكمة الشعب عقد جلساتها خلال الأيام السابقة واستمعت إلى شهادات مجلفيراس، تهواتي ، وأخوان أسمر، وصادق أبو عاقلة، وبخاري، وأمير الصاوي، ونديم ، وحتى الآن لم يرد في أقوال الشهود ، ما يقترب من الإدانة من الثبوت، وضح في اتجاه المحكمة العام ومن اتجاه النائب العام، أنهما يرميان إلى تجريم الشهود، وبث الرعب في نفوسهم، ولم تأت الشهادة في اتجاه المحكمة المستمر على خواجة مجلفيراس، الذي كان واضحاً عليه أثناء الشهادة أنه يعيش في ظروف نفسية سيئة، ورغم ذلك فإن السيد أحمد زين كان يدور في المحكمة في اتجاه سليم، وفي رباطة جأش وعدم اكتراث، كلها كانت تبدو من خلال كلامه ومخاطبته للمحكمة، ورغم أنه كان يؤكد للمحكمة احترامه لها، إلا أنه يبدو عليه انه يؤكد أنه كان يعرف الحقائق، ما يجعل المحكمة في نظره لا تستحق، إلا ظاهرياً شيئاً من هذا الاحترام، إن السيد أحمد زين في نظري سيكون بهذه المحاكمة صورة حيّة للعتاد الوطني إن صحَّ التعبير، وهو اتجاه قد لا تشهده المحكمة القريبة، بل لأكاد أجزم بان هذه المحاكمة وبآثارها البعيدة المدى في الشعب فيما يتعلق بنظرته للوضع الراهن، لتكون سبباً قوياً في إيقاف مثل هذه المحاكمات العلنية في المستقبل، وسأحاول جهدي أن أبرز الحقائق الأساسية في هذه المحاكمة في المرات القادمة، فإن التاريخ هو الآمن، هو الحقيقة التي تمكن للشعوب أن تستهدي بها في بناء مستقبلها وحاضرها على السواء.

***

أصبح اللواء جعفر النميري اليوم دكتوراً، ففي الحفل الذي أُختير له هذا اليوم الذي ذهب فيه طلاب الجامعة في عطلة نصف العام، في هذه العملية الجراحية العجيبة لتحوّل إنساناً من حال إلى حال ، بعد أن عملت الأصابع الشيوعية والمدافع الاشتراكية، والألسنة الملويّة عملها في هذه المسرحية.

وللتاريخ، نذكر أن درجات تقديرية كذلك مُنِحت للسادة النصري حمزة، وعوض ساتي، وإبراهيم العبادي، والسيدة مدينة عبدالله، وبابكر عوض الله.

وأُلقيت الكلمات مثلما ألقى سحرة فرعون حبالهم وعِصيِّهم في يوم الزينة ضحىً ، حتى إذا جاء دور (الدكتور النميري) شرّق بالناس وغرّب ، ووعظ وأرشد ، وتحدث حديث (العالم) الذي صيّرته الدكتوراه بين طرفة عين وانتباهتها، رجلاً يخاطب رجال العلم في أرقى

معاهده بالسودان!! ولم يغب شبح الطلاب عن الرئيس، رغم أن شخصياتهم غائبون في هذا اليوم المشهود، وهل كانت إدارة الجامعة تملك أن تقيم حفلاً كهذا إلا في غيبة الطلاب، وكيف يغيب شبحهم وطيفهم عنه، وكلمات (آخر لحظة) التي يصدرها الإخوان لايزال صداها يربد في الآفاق (أن الفنانة عائشة الفلاتية جديرة بأن تمنح هذه الدكتوراة تقديراً لخدماتها) تحدث الرئيس مخاطباً الغائبين بأن القوى كلها تلاحمت خلف الثورة، وأن مما يؤسف له أن القوى الرجعية اتخذت لها من الجامعة مركزاً قوياً، وأنه يجدر بالطلاب أن ينصرفوا إلى العلم، (وطبعاً أن يسكتوا عن النظام العسكري الشيوعي!!!) لأن البلاد تنتظر منهم المهندس والطبيب والعالم والاستاذ، وأن المعسكرات القائمة اليوم بين الطلاب يجب أن تنتهي(وللتاريخ نذكر أن هذه المعسكرات السياسية لها عشرون عاماً) ليصبح الطلاب يداً واحدة خلف الثورة (كلام ساذج)!! ولم يغفل الدكتور نميري شعوره بالمرارة كلما ذكر الزحف (الإخواني الرجعي) داخل الجامعة، فينفلت بالإشارة أو التعليق ، حتى خرج من ذلك إلى مخاطبة الأساتذة ووعظهم بكلمات ما كان يجدر برجل في موضع المسئولية كالدكتور نميري، أن يخاطب بها أساتذة هم يحملون اليوم أمانة العلم والنور والمعرفة وتقدير الأمور، في أرقى جامعة بالسودان، فأكد لهم أن الأساتذة ينتمون كالطلاب إلى معسكرات سياسية، وأن وضعاً كهذا لا يليق في جامعة كجامعة الخرطوم، وأكد لهم أن الأستاذ الذي لا ينتمي سياسياً لحزب، لا يظفر بتقدير واحترام الطلاب، وعليه فإن واجب الأساتذة ـ في نظر الدكتور نميري ــ هو أن يخلعوا هذه الانتخابات، كما يخلعون ملابسهم، وأن يتخلوا عن عقائدهم السياسية المرتبطة في كثير من الأحيان بالعقيدة الدينية، ليصبح الاساتذة كذلك في نظر الدكتور جنوداً اشتراكيين خلف الثورة الاشتراكية النميرية!!.

إن الجامعة، طلاباً وأساتذةً، ليست في حاجة إلى قيادة، فإنها قد ظلت منذ عهد الاستعمار وحتى بعد أن نال السودان استقلاله والى اليوم ، في مركز القيادة الرشيدة التي تقدّر خطوها، وتضع لكل مشكلة حلولها واحتمالاتها، فما الذي جدَّ اليوم حتى يحدد اللواء النميري للجامعة رسالتها ومهمتها، ويحاول في دهاء أن لوي عنقها عن هذا الواجب الوطني خاصة في هذه الظروف السياسية الملتوية، إن الجامعة وحدها التي تحدد طريقها ومسلكها بنفسها، فهي ليست في موضع الوصاية عليها، بل العكس هو الصحيح، وأيَّة محاولة للقعود من أداء هذه الرسالة الوطنية، إنما هي خيانة لهذا الوطن ولأجياله القادمة، ويقيني أن

الجامعة لها من القوة ما تدفع به كل أذىً يراد بها، فهي تدرك أن المتربصين الذين يخرجون عند الغسق، يتحينون الفرص بالوطنيين في هذه الظروف ليتخذوا من الشعارات الخاوية المرفوعة اليوم، سبباً للقضاء على العناصر الوطنية المخلصة، التي ظل إخلاصها وشرعها لها درعاً وقاها الحادثات طوال السنين الماضيات، ويقيني كذلك أن بالجامعة أساتذة وطلاب تدرك الحبائل المنصوبة اليوم لطمس معالمها، وانضمامها للنظام الجائر القائم اليوم، لتصبح في غدٍ أداةً طيعة في يد المشبوهين والمغرضين ، مثلما فعل موسى حين آنس ناراً ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ .

إن الجامعة سوف تبقى منارة تهدي السالكين في بلادنا العربية لتقود السفينة كلما طغى الموج واضطرب البحر ، نعم سوف تبقى الجامعة، يداً أعلى من يد كل الذين يريدونها ويريدون بالسودان شراً وأن الجامعة وقد صنعت تاريخ أمة وقادت كفاح شعب في أحلك الظروف، لن يكون العدوان عليها إلا على الأمة التي صنعت الشعب الذي قادت كفاحه ، وأن من أبسط قواعد الوفاء والولاء، أن يجعل الشعب من نفسه حارساً وراعياً حقيقياً لهذه القامة الوطنية الشمّاء بعد أن تبيَّن في جلاء أن شرذمة من القراصنة والمنافقين قد جعلوا من راعيها(حاميها ..حراميها)..

الجمعة ٢٥رمضان ١٣٨٩/١٢/٥/١٩٦٩م

المجموعة التي أُرسِلت إلى سجن (دبك) قبل أيام كانت كلها تحت مسئولية ورقابة الجيش، وهذه ظاهرة لم تحدث من قبل، إذ أن كل المعتقلين السياسيين، تقع مسئوليتهم على إدارة السجون، هي التي تشرف عليهم بجنودها وضباطها وفق النظام المعمول به منذ قيام مصلحة السجون، ولكن الأمر اليوم يختلف كثيراً، فقد كان للخبير المصري الذي استقدمته وزارة الداخلية لوضع التوصيات التي تسير بمقتضاها مصلحة السجون، أثرٌ كبير في هذا الاتجاه الجديد، الذي يسند مسئولية بعض المعتقلين والسجناء السياسيين إلى رجال الجيش من جنود وضباط، ولعل هذه هي اول تجربة من نوعها تجري في السودان، وحين تقع المسئولية على رجال الجيش، فذلك يعني أن اتجاه السجون يرتبط تلقائياً به، وهذا هو ما

حدث، فلائحة السجون تُقسِّم المعتقلين إلى درجات تقوم على أساسها المعاملة داخل السجن، وحتى في هذه فإن مصلحة السجون قد يخطئها التقدير، وقد لا يكون ذلك بإرادتها، انما أمرٌ يصدر إليها من وزارة الداخلية، وبالتالي يمكن أن نتصور الأمر حين يؤول إلى الجيش بلا لائحة أو تحديد، فعندئذٍ يكون الأمر الصادر وحتى الساعة هو القانون الساري المفصول فيه دون أن يكون لإدارة السجن رأي فيما يحدث.

فهؤلاء الأخوة الذين ذهبوا إلى (دبك) وكانوا أول من أبتلي بهذا النظام الجديد، قد قاسوا كثيراً من جراء هذا الوضع ، فقد حُرِموا من كل ألوان المعاملة التي يفرضها واجب الإنسانية في هذه الظروف، فلم يُسمح لهم حتى بالزيارات، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار المسافة التي تفصل بين هذا السجن والعاصمة، والتي تُقدَّر بساعتين ونصف بالعربة، والشخص المعتقل ليس سجيناً، بمعنى أنه لم يصدر عليه حكم يحقق لائحة السجناء، إنما هو شخص رأت الدولة لسبب أو لآخر اعتقاله للحد من نشاطه أو تأثيره على الناس أو شيء من ذلك، وهذا أمر يقتضي أن تكفل له كل الحقوق والامتيازات التي كان يباشرها أو يستمتع بها في الخارج، إذ يكفي في مدلول الاعتقال أن تحد حرية الشخص المعتقل، وألَّا يمارس من النشاط ما كان يمارسه قبل اعتقاله، فإذا تجاوز الأمر هذا الحد، فهو تعدي على حقوق المعتقل، وعدوان يجب ايقافه، اللهم إلا إذا كان الوزير الجديد أراد أن يضع ضوابط جديدة، مستقاة من أنظمة بعض البلاد العربية، فذلك أمر يوضع في الاعتبار على أنه وضع يمكن السير عليه وتطبيقه تحت كل الظروف، سواء بقي هذا العهد أو تغير، وسواء بقي هؤلاء الحاكمون، أم أصبحوا هم السجناء والمعتقلين، فإن سياسة المعاملة بالمثل أعدل قانون عرفته شرائع الحرب.

***

• واصل وزير الداخلية تطبيق سياسة (أول الغيث) ومع أن الغيث رحمة ، إلا أن الوزير شاء أن يضع الأمور في مواضعها، فقد تم اليوم اعتقال السيد حسن أحمد، الأستاذ بالمدارس الوسطى، ولكي يتم اعتقاله، تم القبض على والده، ثم على عمه حتى تمكن رجال البوليس أن يعرفوا أنه هو الشخص المعني بالاعتقال.

• أذاع راديو لندن امس ان أسخاصاً مجهولين قد قصدوا في لبنان إلى المحرر السوداني محمد مكي صاحب جريدة (الناس)، واختطفوه، ومن المُرجَّح أن يكونوا قد ذهبوا به إلى سوريا ،

وربما يكون الآن محتجزاً لديهم في لبنان، ثم عاد الراديو اليوم ليعلن أن شخصاً قد تم القبض عليه، وقد تكون له صلة بموضوع هذه القرصنة، وهذه أول سابقة في تاريخ السودان، أن تتم عملية اختطاف كهذه لأحد السودانيين في بلد أجنبي، وقد ذُكِر من قبل أن السيد محمد مكي يقوم في الخارج بعمل معادٍ لثورة السودان.

• تدخلت وزارة الداخلية في انتخابات جامعة أم درمان الإسلامية، فأصدر الوزير أمراً بمنعها، والجدير بالذكر أن الإخوان كانوا يكتسحون مقاعد هذه الجامعة منذ إنشائها حتى آخر انتخابات أُجريت فيها، وفي أكثر من مرة حصلوا على جميع مقاعد الاتحاد.. إن الحكومة أصبحت تقلق من هذا الانتصار الكاسح الذي أحرزه الإخوان في شتى معاهد العلم بالسودان، لذلك لجأ الوزير إلى هذا الأسلوب الفريد الذي ربما ردَّ إليهم بعض الطمأنينة، أن الأمور تجري في البلاد وفق مشيئتهم وإرادتهم.. مساكين!!

السبت ٢٦رمضان ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩/١٢/٦م

• كان أول رزاز الغيث الذي وعد به الوزير حين كان يشفي غليله في ليلة الشيوعيين بالبراري، فدخل السجن اليوم بعض الإخوان من معهد المعلمين هما: عبدالرحمن الزومة ومحمد أحمد فاروق ، وقد سبق للبوليس أن اعتقلهما من قبل بسبب ندوة معهد المعلمين حول (الشيوعيين وسرقة الثورات) ، وأُدخِل كذلك اثنان من طلاب الجامعة الإسلامية هما : سعيد الحسين ، وسليمان .. كما اعتُقِل السيد محمد عمر الخضر، المحرر لوكالة الأنباء المحلية، وموظفان آخران بالجمارك، ومن يدري فقد يظل الأمر كله رزازاً حتى ينتهي خريف هذا الوضع ويعقبه الشتاء الذي تذوي فيه أوراقه.

• انقضَّت محكمة الشعب يوم الخميس الماضي بعد أن استمعت إلى شهود الاتهام، وعادت اليوم للانعقاد للاستماع إلى شهود الدفاع، ولم تجد كل الأسباب التي ساقها الأستاذ أحمد زين، لكي تمهله المحكمة يوماً أو يومين حتى يستطيع الاتصال بهم بما يمكنه من إعداد الشهادة بما يدحض به شاهد الاتهام، وكان سبباً في أن يعكس هذا الشعور بالمرارة والظلم، في الكلمة الافتتاحية التي ألقاها السيد أحمد أمام المحكمة قبل أن يمثل أول الشهود أمامها، قال السيد أحمد مخاطباً المحكمة:(لقد ظل الاتهام أكثر من خمسة أشهر يجد الفرصة أمامه كافية فاتصل خلالها بالشهود ، واستطاع أن يبحث في مكاتب الدولة عن المستندات الرسمية ووثائق الاثبات،

التي يؤكد بها التهمة على الماثل للمحاكمة، وهو في كل الأحوال حر طليق يجد كل المساعدات من الأجهزة الرسمية ، ومن الذين يهمهم تحقيق الإدانة والتهمة، فاستطاع الاتهام في اطمئنان أن يجهّز كل احتياجاته دون أن تقوم في وجهه العقبات، أما أنا فقد اعتقلت منذ اليوم التالي للإنقلاب ، وظللت قعيد المستشفى حتى الآن بسبب ما أشكوه من مرض القلب، وليس من العقل والحالة هذه بالمقارنة بالفرص المتاحة للاتهام ،أن أستطيع في اطمئنان أو إن أسعفني الوقت أن أتصل بالشهود ، وأنا على مثل هذه الحالة التي ذكرتها للمحكمة، أيها السادة إنني الآن مريض ولم أكن في حالة تسمح لي بالمثول أمام المحكمة)، وهنا تدخلت المحكمة ، وقالت ان خطاب الطبيب يؤكد أن حالته يستطيع بها المثول أمام المحكمة، ولكن السيد أحمد فاجأ المحكمة بقوله : (إنني كنت في حجرة الطبيب حين سمعت المكالمة التلفونية بينك وبينه، إنك تأمر الطبيب بأنه لا بدَّ من مثولي أمام المحكمة، ولم يجد الطبيب بُدّاً من كتابة هذا التقرير) ولم تستطيع المحكمة أن تنفي هذه الحقيقة المفجعة الفاضحة، وطلبت من السيد أحمد أن يستمر ويبدأ في تقديم شهود ، ولكنه اكد للمحكمة مرة أخرى أنه مريض، وأن الطبيب سمح له بتعاطي الدواء داخل قاعة المحكمة بل سمح له بأكثر من ذلك، أن يخرج من القاعة إذا أحسَّ بضرورة ذلك ، والذي دعا لكل هذه الرخص التي أتاحها الطبيب للسيد أحمد هي انه كان مقتنعاً بأن حالته الصحية لا تسمح بذلك، رغم أنه ذكر في تقريره بأنه لائق بوجه عام للمحاكمة. واستطاع السيد محمد إبراهيم خليل المحامي أن يتحدث حديث الواثق مما يقول ، بوصفه شاهد الدفاع الأول الذي تحدث في المحكمة، واستطاع في حديث مركّز منطقي أن ينتهي من شهادته الثانوية، وقد نسف من أمام الاتهام شهادتين هامتين كان يعتمد عليهما في اثبات التهمة وهما: أن بإمكان المحامي أن يتقاضى من الشركة التي يقوم بأعمالها الاستشارية القانونية، أسهماً في الشركة نفسها في مقابل أتعابه السنوية ، وأن المحامي في عمله هذا مع الشركة انما يقوم بحمايتها، وانتهى اليوم الأول دون أن يتقدم السيد أحمد بشاهد آخر، محرزاً بذلك انتصاراً على المحكمة وكسب مزيداً من الوقت بعد أن رفضت المحكمة منحه وقتاً يستطيع فيه مقابلة جميع الشهود الذين يرى تقديمهم أمام المحكمة.

الأحد ٢٧رمضان١٣٨٩/هـ - ١٩٦٩/١٢/٧م

مازالت محكمة الشعب وما يدور بداخلها، حديث المجتمع السوداني كله، خاصة لدى اولئك الذين يشاهدون من أجهزة التلفزيون، أو بداخل قاعة المحكمة نفسها، فقد واصلت المحكمة اليوم الاستماع مرة أخرى للسيد محمد إبراهيم خليل، وإلى السيد عبدالله شداد المهندس، وكلاهما من شهود الدفاع، وقد حاول الاتهام كعادته أن يجر الشاهد الآخر إلى حظيرة التجريم التي اتخذها أسلوباً ضد بعض الشهود إلا أنه ببراعته، لم يمكن الاتهام من تحقيق هذا المأرب الغريب، وكان الأستاذ أحمد خير المحامي الذي يحضر الجلسة بوصفه صديقاً للمتهم، والذي كان يقوم بدور الرجل المحنّك المتقد الذكاء والسريع البديهة، كان يبدو منه خلال الومضات الفكرية التي كان يمد بها السيد أحمد زين خلال أسئلته وإجاباته، كان الأستاذ أحمد خير يقف دون إرادة منه ليتحدث إلى المتهم ، وفجأة اعترضت المحكمة، وسرعان ما أجاب السيد أحمد زين بأن صديقه يريد أن يصل إلى أذنه لكي يُسر له كلاماً خاصاً، فضجت القاعة بالضحك، ودار حوار طريف بعد ذلك بين المحكمة والمتهم، حين أطنب في الحديث، فلفتت المحكمة نظره، فرد قائلاً سعادتك كل إنسان يختار الطريق الذي يريده ، فبعض الناس يسلك طريقاً معتدلاً ، والآخر ربما (يلف بالزقاق) فضحك الجميع ضحكاً طويلاً، فردت المحكمة ضاحكة، يعني انت راجع ؟ فقال المتهم نعم : أصلي أنا رجعي، فظلت القاعة تكتظ ضحكاً حتى دوت مطرقة الرئيس فهدأ كل شيء هدوءاً مكتوماًَ.

ومضى السيد أحمد يشير بأنه يطلب من مسجل الشركات عدداً من المساهمين فيها، واستوضحته المحكمة قائله: (هل هؤلاء الناس مربوطين بهذه القضية أم هو طلب للشهادة بها؟) فرد السيد أحمد : سعادتك ديل مش مربوطين وبس، دول مخيطين في هذه القضية) المحكمة : يا سلام !! وحتستمر في عرضهم كدا علي المحكمة؟ المتهم :نعم أصلها دي زي مسلسلة رمضان، يشير بذلك إلى قصة منحلّة تعرض الأن في رمضان من إذاعة أم درمان، وقد ظلت القاعة تنفجر بالضحك رغم أن الرئيس قد اعلنها نهاية الجلسة، لقد كانت جلسة اليوم أشبه بمسرحية تذاع لأول مرة من مسرح عام، ويستطيع أي إنسان لم يكن يتابع هذه الجلسات أن يجزم عن يقين بهذه الحقيقة، لقد كان السيد أحمد زين بلسماً شافياً لكل من استمع إليه في هذه المحاكمة، التي كان فيها مثالاً للمواطن الواعي الجريء ، (الملحلح) الذي تحس من نبراته وهو يتحدث، بأنه طبيعي للغاي ، لايتكلف ولا يجهد نفسه بافتعال

المواقف، بل كان يتحدث عفو الخاطر، ويرسل النكتة مهما كانت لاذعة، فيصيب بها في الصميم!!

أن هذه المحاكمة التاريخية ستثبت الأيام انها قد أدَّت لهذا البلد خدمات جليلة، سيان في ذلك أن يدان فيها السيد أحمد أم يكون فيها بريئاً، فأنه بذلك قد أرضى الله ونفسه وأرضى أمَّته، وذلك غاية ما يصبو إليه الإنسان..

الأثنين ٢٨رمضان ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩/١٢/٨م

- امتدت يد الشيوعيين في وزارة الداخلية ، إلى أخوين عزيزين استقرت بهما في المعتقل ، هما: عيسى مكي، والتجاني الكارب، وإني على ثقة من أن اجهزة الأمن لو تركت لتعمل بحريتها دون ضغط من العيون الشيوعية التي اودعها الوزير بوزارته ، لكان لرجال الأمن المغلوبين على امرهم شأن آخر مع المواطنين، ولعرفوا حقاً إن كان الذين اعتقلوا الآن هم أحق الناس بالاعتقال؟ أم أن الذين يحتمون اليوم بالثورة وبوزارة الداخلية هم الذين كان خليقاً بهم أن تضمهم ظلمات السجون .

- من الحقائق الثابتة لدينا أن مصر قد أشارت إلى الحكومة الثورية بضرورة اعتقال أكبر عدد من غير المرغوب فيهم لمدة لا تقل عن عامين، وبذلك وحده تستقر الاحوال وتهدأ الأمور ، وتستطيع الحكومة عند ذلك أن تثبت أقدامها.

- فاتني أمس عند الحديث عن محكمة الشعب أن أسجل للتاريخ حين ينسى الناس كل شيء، حين يسقط كل شيء وتبقى الحقيقة وحدها ، لا يؤثر عليها مر الزمان ، ان الاخ أحمد زين قد استطاع أن ينفذ إلى حقيقة بعض الحاكمين، حين دار بينه وبين القاضي الحوار الآتي : أنا عايز ارتب الشهود بتاعني ترتيب خاص، عشان امكن استغنى عن بعضهم، والترتيب دا ضروري بالنسبة لي) (يعني دا الكوبليه بتاعك يا طلحة) ، سعادتك المحاماة دي فن ، وتقديم الشهود فن ، كوبليه ملحّن لكن ما فيهوش رقص) ، قال الاستاذ أحمد هذه الجملة ، وأشار بيده كمن يمسك بآلة الكمان الموسيقية ويحرك بالقوس على اوتارها في حركة غامزة لامزة ، وفهم الناس كل شيء.. نعم كل شيء.

وفاتني كذلك أمس أن أسجل موقفاً كريماً وخالداً شهماً للسيد عبد الله شداد ، فقد كانت شهادته مليئة بالرجولة والأصالة ، وتفيض بالنخوة السودانية والمروءة وكرم النفس، تجلّى كل

ذلك في نبراته القوية الخاطفة حين أكد للمحكمة (أن الأستاذ أحمد اتصل بي ، وكان في ضائقة مالية عسيرة ، وذكر لي بأن زوجته مريضة ، ويريد علاجها بالخارج وأنه تقدم إلى بنك مصر بطلب سلفية قدرها خمسة آلاف جنيه بضمانة منزله قرب كبري شمبات، وقد طلب منه البنك بجانب ذلك ضماناً شخصياً فقبلت ذلك في الحال، وانا على علم بسوء أحواله المالية) واخذ ممثل الاتهام (الشيوعي أبو جديري) يناقش الشاهد على جرأته في قبول عرض كهذا رغم علم الشاهد بنتائجه، فرد الشاهد السوداني الأصيل (انني فعلت ذلك مروءة مني ، وأنا مستعد لتحمل النتائج) وحتى إذا تحملت انا الغرم ، فاني أقبله بصدر رحب لأن مروءتي تدفعني إلى ذلك، حقاً لقد أبرزت هذه القضية معادن الرجال الذين يدينون بالولاء لهذه الأمة، وأولئك الذين تحرروا من خلق السراب الخادع الاحمر، الذي أصبح كالرّان على قلوب الشيوعيين حتى اعدم في قلوبهم معاني المروءة والنجدة والايثار، فأصبحوا غرباء يحيون في غير أرضهم ، ويدينون بالولاء لغير أمتهم وبلادهم.

وجاء هذا اليوم الأخير الذي استمعت فيه المحكمة في دقائق معدودات إلى مسجل الشركات التي حاول من ورائه السيد أحمد أن يتحصل على معلومات ، فظنت المحكمة إلى ما يراد بهذا الشاهد الذي يملك تحت يديه أسرار الأسخاص المساهمين في الشركات ، المستترين منهم والظاهرين ، والرسميين منهم والتجار ، لهذا فقد بادرت المحكمة إلى التضييق على المتهم لمعرفة الأسباب التي دعته إلى احضار أسماء شركات بعينها ، ومما جعل المحكمة تدرك من جو القضية ومن اتجاه المتهم السياسي ، أنها تتعلق بفساد بعض الشخصيات الحاكمة اليوم ، ولم تسمح المحكمة في النهاية إلا بشركتين يستطيع المتهم أن يستفسر عنهما مسجل الشركات ، ومن يدري فربما استطاع المتهم في مرافعته النهائية أن يجعل من هاتين الشركتين مفتاحاً يقود إلى الضالة المنشودة، وفي معرض النقاش الذي دار مع الشاهد الاخير المسؤول عن سلفيات بنك مصر، ورد اسم المرحوم اسماعيل الازهري، فأشار إليه الاستاذ أحمد بكلمة (الشهيد)، وهنا تدخل رئيس المحكمة في انفعال واضح وصوت غاضب مخاطباً السيد أحمد زين.(ان المحكمة صبرت على هذا الاستفزاز مرات عديدة منذ بداية جلساتها، وأنها لا تستطيع الصبر أكثر من ذلك ، لهذا فإن المحكمة تأمرك بألا تذكر كلمة الشهيد) (حاضر سعادتك، طيب ممكن أقول المغفور له) المحكمة في حماس (أيوة ممكن) . ضحك مكتوم كرزيم الرعد!! وظل السيد أحمد يتحدث حتى إذا ورد على لسانه اسم السيد

إسماعيل الأزهري (قال المغفور له السيد إسماعيل الأزهري طيب الله ثراه) والمحكمة في كل ذلك تكتم غيظاً ملحوظاً، حتى إذا شارفت الجلسة على نهايتها ليتعقبها مرافعة المتهم بعد العيد، سألته المحكمة عن المدة المطلوبة لذلك فقال عشرة أيام ، وفغر الأستاذ حسن خير صديق المتهم فاهه من هذا الطلب ، وكذلك فعلت المحكمة ، وحين طالب المتهم بسبعة أيام رد الرئيس (طيب عشان خاطرك) وانسدل الستار واطفئت الأنوار، وغادر المشاهدون!!!.

الثلاثاء ٢٩ رمضان١٣٩٨هـ - /١٩٦٩/١٢/٩م

وهكذا ينتهي بهذا اليوم ، شهر الحياة والإنسان في مسيرته القاصدة نحو الله تعالى ، قضيناه في طمأنينة ويسر ، ما أحسسنا بها ونحن خارج السجن ، فلله وحده الحمد ومنه الفضل والنعمة واليقين ، ولطالما يثير هذا الشهر الكريم في النفس ذكريات خوالد، ولم يزل خيط الشعاع الذي تبقى منه يصل بيننا وبين الله بشيء من الاسباب ن فقد ظللنا طوال هذا الشهر الكريم نؤدي فرائض اليوم كلها (معاً) ، ونتناول وجباته سوياً ويلتقي معنا فيه عدد من نزلاء السجون ، وكانت الوجبات (وموية رمضان) ، المتعددة الالوان تأتي من منزل الأخ الترابي ، في عدد من الترامس الكبيرة، والجرادل البيضاء ، يحملها إلينا بالداخل بعض النزلاء، حتى أصبحنا نطلق عليه اسم (الكليتون) وهو قطار صغير محلي كان يسير يومياً من مدينة ود مدني وقرية الترابي، وظل هذا القطار المعتقل يسير طوال شهر رمضان، بين منزل الترابي والسجن وبجانبه (صندوق حمدي) وهو صندوق من الكرتون الأبيض يرسله اهل الاخ عبدالرحيم حمدي إليه في هذا الشهر ، يحمل كل يوم لوناً جديداً من الحلوى والمأكولات الطيبة ، وكثيراً ما كنا نتبادل هذه المطايب مع بقية اخواننا المعتقلين ونرسل إليهم ما عندنا، ويرسلون إلينا خير ما عندهم ، وكنّا نسهر إلى ساعات متأخرة من الليل في سمر ومديح أو مزاولة بعض الالعاب والتسلية أوفي الاستماع إلى المرتل من كلام الله ، وبجانب هذا كان هناك قطاران آخران يسيران مرتين أو ثلاثاً كل أسبوع يحملان ألوان الطعام الشهي من (عصيدة وملاح) وألوان أخرى مما يحملان ، أحدهما العميد بالمعاش عبد الله الأمير إسماعيل ، والآخر للأخ عثمان جاد الله النزير .

وهكذا ينقضي هذا الشهر الكريم وفي النفس أطيب الذكرى وفي الفؤاد حنين وشوق ، وإن فاتني مثل هذا اليوم وهو (وقفة العيد) لأحمل عن كاهل النفس أعباء عن الأهل وذوي

القربى، أو لأمضي حقاً لهم قد وجب، فمعذرتي لهم عند الله ، أن القدمين اللتين كانتا تسيران لهم ، واليدين اللتين لا تعلم أحداهما ما بالأخرى ، كلها اليوم في مجال القيد تحيا، وفي أسوار السجن تعيش ، ولكنّ ذلك كله في سبيل العقيدة ، ومن أجل بلادي وأمتي يهون ، وحسبي عزاءً ، أن الله لا يغيب عن علمه مثقال حبة من خردل في السماوات أو في الارض ، وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

الأربعاء أول أيام العيد ١٩٦٩/١٢/١٠م

صحونا جميعاً منذ الصباح الباكر ونحن في نشوة وانشراح ، قلَّ أن عرفنا مثلهما من قبل ، ولبس كلٌ منّا خير ما عنده من ثياب ،وأقبل كلٌ منّا على اخيه يهنئه بالعيد، ويبدؤوه بالتحية ، وكأنه التقى به بعد غيبة ، أو لقيه بعد فراق ، ثم أخذنا مكاننا على مائدة الشاي نحسوه في سمر وضحك ، وفجأة انفرج الباب الشرقي الذي يفصل بيننا وبين قسم الوزراء ليدخل فيه أحد السجناء ممن يعملون في قسمنا، ونهضنا كذلك فجأة لنحييه جميعاً نحو الباب وننادي على كل المجموعة المقيمة هناك : أحمد السيد ، أبو حسبو ، الرشيد الطاهر ، ميرغني زاكي الدين ، كلمنت ، هلري لوقالي ، عطية محمد سعيد ، أحمد التجاني ، زين العابدين الهندي ، صلاح عبد السلام ، فكان عناق وتحية وسلام ، ومكثنا ريثما انتهى هذا الموقف الأخوي ، ثم اتجهنا ثم اتجهنا بهذا نحو الحائط الشمالي الذي يفصل بيننا وبين الضباط الثلاثة المعتقلين ، ووقفنا صفاً ، وناديا بأعلى صوت : يا مزمل ، يا أنس، يا التوم، وحين ردوا علينا ، نادى الاخ حمدي ، طابور جماعة صفا ، انتباه ، عُد) وعند ذلك نادى كل منّا على أسمه بأعلى صوت ، فجاء الرد من أعلى السور، شكراً لكم جميعاً سعادة القائد ، قد نمنحكم اجازة ، فضحكنا في صوت عالٍ ، وانصرف الطابور بكامل هيئته الجديدة إلى الباب الكبير الذي يقع بالحائط الذي يفصلنا عن السيد نصرالدين السيد، فبادلناه التحية والتهنئة وأطيب الأماني ، في جوٍ مشبع بالإخاء والوفاء .

وفي زيارةٍ عامةٍ للسجن جلس السيد بشير حسن البشير، قمندان السجن بين مجموعتنا في حديثٍ عام للمجاملة والتهنئة بالعيد ، أعقبه بعد نصف ساعه السيد أحمد صالح نائب مدير السجون ، في زيارةٍ مماثلة ، أمكن من خلالها التوصل إلى السماح بزيارة أسر المعتقلين في هذا اليوم .

وجلسنا نستمع إلى صلاة العيد وخطبتها من ميدان عبد المنعم ، حيث أمّ المصلين الشيخ الزبير عبد المحمود ، وقد كان عند قيام الثورة من أوائل المعتقلين في كوبر ، تحدث الرجل ، وكنا نزن كلماته واتجاه خطبته ، فما وجدنا فيهما امتاً ولا عوجا، لم يذكر (الثورة) بخير أو بشر، وكل الذي فعله في النهاية أن اشار إلى نميري بلفظي (الشاب البطل) ، ودعا الله أن يمنحه جماعة خيّرة تحيط به ، وأنتهى الشيخ الزبير، ولم يظفر منه (مايو) الا بما ظفر به باسط كفيه إلى الريح ليقبض منه ، وما هو ببالغ منه شيئاً .

وسار اليوم بعد ذلك رتيباً ، لا جديد فيه ، فعمر الحياة في داخل السجن قصير الرؤى والتصاوير التي تلوح فيه سرعان ما يبتلعها السراب، وتبدأ الصورة المكرورة تتوالى تباعاً سراعاً، حتى يطوي المساء كل شيء ، وتطل الأسوار العالية وكأنها أشباح تتخذ من المساء مسرحاً ، ومن مفهوم السجن العميق عنواناً، ودلفنا إلى أدوات التسلية نتخذ منها سبيلاً يقودنا إلى المراقد، ويضفي على الاجسام صدىً من نثار الفتور، وينادي حثيثاً على الكرى ، فربما تكون أحلامه خيرٌ واقعاً مما يعاني منه شعبنا وتقاسي منه أمتنا من وضعٍ قبيح كريه ، كالذي يجثم على صدرها منذ مايو ...وحتى اليوم.

الخميس ثاني أيام العيد ١٩٦٩/١٢/١١م

تولّى كأمسه ، إلا من لقاءات أسرية سمحت بها ادارة السجن ولم تسمح بها في آن معاً، فاضطرب الامر بسبب هذا الخطأ الاداري الذي تجشمت بسببه العائلات والأسر مشقة الحضور ، فلم يظفر الكثيرون منهم بالدخول .

وأغفت في هذا اليوم السياسات كلها ، ونسينا الذين يصطنعون السياسة ، وأولئك الذين تصنعهم السياسة ، وكنّا عن اولئك وهؤلاء في شغل بحكمة العيد في تشريع الإسلام فيما يحق لنا في مثل هذا اليوم ، أن تجهد النفس والعقل في تذكر هؤلاء الذين جاءوا بنا إلى السجن، إلا بمقدار ما يحتفظ حلقات هذا التاريخ من أن تنفصم، لا أستطيع عقلاً ان أغلق على نفسي أتون الحقد الملتهب فيها حتى الأمس، لأصبح اليوم وقد خمد اللهيب دون أن يخلف أثراً ويرسل دخاناً ، وكيف استطيع ذلك وقد قضيت بهذا اليوم فأنني يوم منذ دخلت السجن كيف أستطيع أن أنسى رغم طهر أيام العيد ، أن ستة أشهر وعشرين يوماً من حياتي قد انقضت بفعل هؤلاء الجهلة الفاسقين المجرمين؟ وكانوا هم أحق بها وأولى، بل كان كل

منهم خليقاً بان يتأرجح في حبال المشنقة ، لا أن يتربع في كبرياء على كرسي الحكم الذي هم أبعد من أن ينالوا شرفه ، أو أن يدنسوا حرمته وقداسته ، لقد نسيتهم احتقاراً ، وتذكرتهم حقداً وكراهية وانتقاماً، لقد كنت أحسب في نفسي لوناً من التسامح ، ولكني أدركت الان ان ذلك لابد من علاجه أو اكماله ، وكنت أدركت من قبل اننا مواجهون بصنف رديء قبيح من الناس والحكام ، لا يجدي معهم التسامح والعفو أو اللين ، بل أن الأمر في حقيقته منذ بداية هذا النظام المتعفن ، انهم تحدٍ عقائدي سافر، لم يترك لنا الخيار في معاداته أو حتى في مجرد التفكير في التعاون معه ، وكيف يتم من ذلك شيء ، وقد أصيبت هذه الأمة في صميم شرفها وكبريائها وكرامتها ، منذ اول يوم للإنقلاب الكالح ، حين برزت حقيقه الشخصيات التي قادت هذه المأساة التي عاشتها امتنا حتى اليوم .

إن الذكريات المؤلمة التي تتداعي على النفس عن هذا الجهاز الحاكم المنهار، نكاد نقسم خلال هذا اليوم وقدسيته ، ولكن عزائي اننا لمثل هذا خلقنا ، فالذين نذروا انفسهم في سبيل العقيدة ، لا يبالون بالعوائق ، أو يحفلون بالحواجز والحدود ، فالقضية في نظرنا مهما تجزأت فهي في نهاية المطاف كيان موحد ، وغاية محددة، هي أن يقوم بنيان هذه الأمة كلها على الإسلام ، وفي سبيل هذا الهدف الأسمى ، يصغر امامنا كل شيء وتهون علينا الحياة الدنيا بكل متاعها وزخرفها، فإن ما عند الله خير للأبرار، ومن هنا كان انطلاقنا في مقاومة كل من يعترضوا طريقنا، أو يوادّون من حادَّ الله ورسوله، حتى لو تسربلوا بالإسلام الذي لما يدخل الإيمان في قلوبهم ، من أولئك الطواغيت الذين يحكموننا اليوم بالهوى والغرور والجهل والتحلل ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً.

وعذري لك أيها العيد ، ان لم نحتفل بك ، اننا في سبيل إرساء قواعد الخير بالعدل والطهر نعمل ، ومن أجل تحطيم الأصنام والتماثيل نصل ليلنا بالنهار، وسوف ننتصر ، وسنخلع من ايدينا القيد ونضعه في أعناق أعدائنا .. أعداء الله ، اعداء الشعب .

الجمعة ثالث أيام العيد ١٩٦٩/١٢/١٢م

كم صدقت احاسيسي أمس عن العصبة الحاكمة ، خاب فيهم الظن أو طاش عنهم الحدس ، إن كل يوم يمر تثبت فيه الحقيقة ويزداد وضوحاً ، انها فئة مارقة سارقة فاسقة عن أمر الله وعن سبيله ، اتخذوا ايمانهم جُنّة ، فصدوا عن سبيل الله ، يحيدون والإسلام منهم براء، واتهموا الاخرين وهم إلى آذانهم غارقون في اوحالهم وروثهم وفجورهم وانحلالهم .

أقول هذا وقد انتهيت الآن من سماع المتحدثين الشيوعيين بالبراري ، ووضعت تحت حذائي كل انواع البكاء والشتم والأنين والشكوى التي سكبها الشيوعيين أمام النميري وأبو القاسم هاشم ، وأراقوها في استجداء ضد الإخوان المسلمين ، فلنا مع الشيوعيين حساب نحن موفوهم إيَّاه ، وأجلٌ هم بالغوه ، وسآخذ في الاعتبار ما قاله النميري وأبو القاسم لصفتهما الرسمية ولا شيء غير ذلك ، فهما كلما تحدثا ، انكشفت حقيقتهما ، وضح ما ينطويان عليه من نفس مريضة عليلة ، وعقد نفسيّة قاتلة ، وضعف ذاتي ليس إلى تقويمه من سبيل ، وتحدث ابن الهاشماب عن رمضان وزكاة الفطر (بعد انتهائهما) حديثاً مصنوعاً ومطبوخاً من الغير، لم يكن له فيه إلا القراءة التي اسقط أمامها سيبويه مغشياً عليه !!

ثم تحدث عن الإسلام ، يا سلام !! وانهم ولا أعرف من هم ؟ كانوا يريدون تطبيقه في واقع حياتنا ، ولكن ما قال بالحرف الواحد ، خاب فألنا مع ظهور جماعة الإخوان المسلمين، هذه الجماعة المخربة التي وضعت يدها في يد الطائفية المستغلة ، وتحالفت مع القوى الرجعية والامبريالية ، فماذا فعل لإخوان للدين ؟ هي كلمات (الرائد) الذي كذب على نفسه وعلى أهله وعلى الله ، وان كان هذا الرائد الكاذب يتحدث عن ثورته العرجاء بأمثال ، انها كانت تريد تطبيق الإسلام ، فأنه يأفك على الناس وعلى ثورته المأفونة ، لأنها أسست من أول يوم على محاربة الله ، وسخط الله ومحاربته ، فقامت على شفا جرفٍ هارٍ ، سينهار به وبمن معه في نيران هذا الشعب التي سيوقدها لهم جراءَ ما اقترفوا في حقه فالثورة التي تقوم بمعاونة الشيوعيين وسندهم ، لن يحكمون يوم ما مع الإسلام ، ولن تكون بالتالي مع هذا الشعب المسلم، وماذا أقول في هذا الخطأ التاريخي الذي وقع فيه "الثائر" أبو القاسم ، جهلاً وتطاولاً ، حين تحدث عن خيبة الفأل بظهور الإخوان المسلمين ، ان هذه الجماعة المسلمة رغم أنف كل مكابر ، حين ظهرت إلى الوجود قبل أكثر من عشرين عاماً ، كان الرائد (الغضنفر) يتلقى الكفوف من معلميه وهو في اعتاب المدرسة الوسطى ، ليصمت هو وغيره من أعضاء الثورة فإن التاريخ لا يرحم .

والحديث عن التحالف مع الرجعية والأمبريالية ، كان أجدر بأن الرائد (الهاشمابي) ألا يتحدث عنه ، وأن يتركه لمن لا تربطه بالهاشماب صلة، أو وشيجة ذلك اكرم له ولتاريخهم الطويل، وأسلم !! اما تساؤل الرائد في ختام هجومه على الإخوان ، وقبل هجومه على الاحزاب، عما فعله الإخوان للدين، فما ذنبي أنا، إذا كان (الرائد العالم) يعرض لوناً من جهله وضحالة تفكيره ، وانعزاله عن مجريات الاحداث في بلاده ، حسب الإخوان في كل هذا التاريخ الطويل ، أن يكون كل غرسهم وحصادهم في هذا المدى الواسع من حياتهم أن يقفوا في صلابة وإيمان في وجه الثورة الشيوعية الراهنة ، حتى يُجهزوا عليها ، ويزيلوا من بلادنا كل أثر من آثارها الدنسة النكراء ، انهم فعلوا ذلك ، وأعانهم الله عليه ، وهو سبحانه ناصرهم وحاميهم ، فحسبهم ذلك ، عملاً كبيراً في سبيل الله والإسلام ، وحسبي هذا ، رداً في هذه الاسطر القلائل ، على (الرائد المفتون) الذي ارسل إلى الناس نسخاً من جهله وصلفه وغروره ، من خلال كلماته العرجاء عبر الأثير .

وانفسح المجال في تلك الليلة الشيوعية (للقائد الملهم) نميري ، الذي ما حملت قبله منابر الخطابة والفصاحة والعلم والسياسة في التاريخ المعاصر ، وتحدث في شجاعة ، عن الاشاعات في الخرطوم ، والاشاعة في عرف اللواء هي الحقيقة في مفهوم الشعب مع اختلافٍ في التعبير ، تحدث عن الاشاعة التي تقول ان الموظفين زعلانين لأنهم ما صرفوا ماهية ما قبل العيد ، وأخذ اللواء يسرد الظروف المالية السيئة التي ورثتها الثورة ، عن الاحزاب الرجعية، كل ذلك ليجد عذراً لهذه الحقيقة التي سمّاها اللواء إشاعة ، وتحدث عن (إشاعة) تذمر التجار ، ولم ينفها ، ولكنها كحقيقة دامغة كأثر من آثار الثورة ، ردها إلى التجار أنفسهم ، إلى جبن رؤوس اموالهم التي أبت أن تنطلق في شتى المجالات الصناعية لتجلب إليهم الثراء والرخاء، ولم يشير إلى أن أسباب تذمرهم هي وقف الاستيراد بسبب فداحة الضرائب التي فرضتها (الثورة العملاقة) على الوارد من البضائع ، وعلى الأرباح الوهمية التي افترضت الثورة أن التجار قد حققوها ، لم يقل اللواء أسباب التذمر فجعل يسوق التهم والافتراء على كل تاجر تقله أرض هذا الوطن ، فزاد بذلك رصيد الساخطين على الثورة اضعاف ما كان يتوقع المخلصون .

ثم أدار اللواء الشريط المكرر الذي مُنِح كل عضو بالقيادة صورة منه ، ليستعين به في الوقت المناسب ، فتحدث عن الرجعية ، والاستعمار والطائفية والأحزاب والإخوان المسلمين

بوجه خاص ، فما ترك في قاموس الالفاظ النابية كلمة الا قالها ، (الصعاليك) (الكلاب) (النذالة) (الخسة) (الخيانة) وغيرها من المفردات التي حفظها جيداً ومن عهد بعيد ، اللواء الذي أصبح يتحدث باسم هذه الأمة المنكوبة التي عرفت بعفة اللسان ، وأدب النفس، ولكن كلٌ ينفق مما عنده ، وكل إناء بالذي فيه ينضح ، ثم دلف اللواء إلى الموضوع الذي استطاع الشيوعيون أن يجروه إليه في إطار التحريض العام الذي قادوا إليه النميري وأعوانه ، واستدرجوه إليه حتى أوقعوه في شراكهم ، وهو يظن أنه قائدهم حتى في الحبائل والشراك ، وبدا يلفت الأنظار إلى خطورة وأهمية الموضوع الذي سيطرقه بكل أبعاده ، وهو موضوع الاستعمار ، ومؤامرته ضد ثورة مايو ، فتحدث عن الطائرة التي قيل أشار إليها وزير الداخلية قبل أسابيع بأنها قد نزلت قرب جبل مكرام في منطقة كسلا ، فقال اللواء (ان الوثائق التي ضبطت اخيراً مع بعض المعتقلين أثبتت بأن الطائرة الامريكية جاءت تستكشف منطقه لتحتلها قوةٌ أجنبية ، لتقوم بمعاونة العناصر المتآمرة من الإخوان المسلمين بتركيب محطة إذاعية تقوم بتحريض المواطنين على التخريب والقتل والفوضى، بعد أن يكون الإخوان المسلمون قد قاموا بنسف الإذاعة السودانية ، ليكون الارسال من تلك المحطة وحدها ، وما ان وصل اللواء إلى هذا النقطة في خطبته التي استنزفت منه قدراً كبيراً من الطاقة في الحديث ، حتى ارتفع (كورس) الشيوعية بالهتاف المبحوح (الإخوان جهاز فاسق) واللواء عنده يتمطى على المنصة كأنما حدث الناس عن حقيقة جديدة أن يصدقوها وكلهم ما زالوا ينتظرون من حكومة الثورة ، آن للناس أن ترفع النقاب المنسدل عن مرجعيات المؤامرة السوداء ، التي كان ابطالها الصادق المهدي ، وحسين خرطوم ، وعن ثوار الاسلحة التي ملأ بها وزير الداخلية الصحافة واجهزة الاعلام ، ثم عن الإنقلاب الذي اتهم فيه المقدم بالمعاش محمد علي مقبل، وها هم الناس اليوم يفاجئون باللواء يكشف عن مؤامرة جديدة على يد الإخوان للإطاحة بحكومة تدّعي أن في يدها قيادة القوات السودانية المسلحة ، ومن ورائها الشعب السوداني كله ، وفي مقدمته الحفنة المرتزقة العميلة من الشيوعيين ، ان الشعب السوداني كله اليوم يعلم أن كل قادة الإخوان المسلمين هم داخل المعتقلات، بل أن منهم من اعتقلوا بعد يوم واحد من قيام الإنقلاب ، ومازالوا إلى اليوم في السجون، فكيف يطلب من هذا الشعب الذي يدرك هذه الحقائق ويعيها وعياً كاملاً أن يلغي علمه وادراكه للحقيقة ، ليصدق اللواء في فرية حديثة ، لا تفرق عن مثيلاتها السابقات التي رواها على الناس وزير

الداخلية ، وهذه تمّ اخراجها على يد اللواء ، لقد كنّا والله نضحك بملء اشداقنا ونحن نستمع إلى رئيس الحكومة يقص على الناس ما يشبه الاحاجي ، كالتي كنّا نقصها على الصغار ، بقصد تخويفهم ، وادخال الرعب في قلوبهم حتى يسارعوا في النوم إلى أجفانهم ليحول بينهم وبين التأويل التي يسمعون ، فهل قصد اللواء بهذا الأسلوب الوضيع أن يذهب الناس في اغفاءهم طويلاً عن الواقع المر الذي يعيشونه ، ليخلو الجو للقراصنة والمفسدين بين الظلام ليعثوا فساداً وافتراءً على الناس، ام أن الهوان بهذا الشعب في نظره قد بلغ حداً بالاستهتار الذي خاطب به الشعب السوداني كله بمثل ما خاطب به ،انه كان يتقيأ على الناس ، هذا السخف المذري المتعفن ، كان يعرض على الناس جانباً من نفسه المريضة المليئة بالعقد ، كان يعرض عليهم الوهن والضعف الذي جعل منه مطيّة للشيوعيين ، يملون عليه ويكتب ، ويوحون إليه بالأكاذيب فينقلها إلى الناس بلا وعي أو تدبر، حتى أصبح اللواء وحكومة اللواء من فرط ما نشروا على الناس من اوساخ عقولهم ، وضآلة تجاربهم، مجموعة من خيوط العنكبوت صورت في هيئة أشباح آدمية ، عليها أسمال من بقايا (الكاكي) ضمت بعضها إلى بعض، فصاروا فيها أشبه ما يكونون (بالهمبول).

أن النميري في ليلة الشيوعيين بالبراري ، كان نتاجاً للحقد المتأصل في نفس محروقة ، وكان عنواناً حياً لنظامه برمّته ، وأقسم أنى ما اطمأننت إلى زوال حكمه، مثلما اطمأننت عليها وأنا اتابع الهوان الذي يكشف به عن ذات نفسه في تلك الليلة ، ونحن نتحدى النظام الراهن كله ، وأن يمضي في متابعة هذا (القيء) الذي (طرشه) النميري أمام المواطنين ، وأن يستمر في وضع صورة كاملة لهذه المؤامرة المزعومة ، وعرضها على الشعب في أية صورة أراد ، وأن يقدم الإخوان .. وهم الآن في السجون منذ ميلاد الثورة ، إلى محاكمات مفتوحة ، ان كان هو أو مستشاروه من الشيوعيون ، يملكون الشجاعة أو القدرة على المضيّ في هذا الأفك حتى نهايته ونحن على استعداد – ونقولها في ايمان وثقة – أن نتحمل النتائج ونحن نعرف عواقبها على الحكومة وعلى أعضاء الشعب لأنفسنا من كل من أسهم في بقاء هذا النظام أو عمل شيء على مساندته .

ثم ماذا بقى ؟ لست قادراً على وصف ما حدث في نهاية كلمة (اللواء) المنّكس ، فما حدث أمرٌ جديد في تاريخ رؤساء الدول المعاصرين ، فقد استبدّ الحماس برأس اللواء ، وفار في قلبه حقدٌ كالح حين جعل ختام أكاذيبه ، هتافاً محموماً.. نعم والله هتافاً بسقوط الإخوان، وهم حزب حلّته الثورة بأمر جمهوري ، أصدره اللواء نفسه ، وكأنه قد أحس بأن (الأمر

جمهوري) لا يستطيع أن ينهي حياة الإخوان ، فدعّمه بالهتاف قائلاً بالحرف الواحد (يسقط كل من قال أخ مسلم ، أو جبهة ميثاق) ثم زاد عليها باللغة الدارجة وبالحرف الواحد (يا جماعة اعملوا حسابكم من الإخوان المسلمين ديل) ، هذا هو النميري على حقيقته ، ومن خلال ألفاظه ، ولن ازيد على ما قال شيئاً، وسأظل مع ملايين من السودانيين نرقب المستقبل لنرى من ذا الذي يسقط بيد الشعب فتسحقه الاقدام ، أهُم الإخوان المسلمون كما اراد اللواء وعصابته ؟ أم هو هذا النظام بكل عيوبه ونواقصه، كما اراد الشعب.

السبت ١٣/١٢/١٩٦٩م

تلقفت إذاعة لندن وصوت أمريكا ، جانباً من حديث النميري بالبراري ، واذاعته على الوجه التالي : أحبطت الحكومة السودانية مؤامرة للإطاحة بالحكم في السودان بتدبير من بعض العناصر وعلى رأسها الإخوان المسلمون) .

وأذاعت ام درمان شريط النميري اكثر من مرة، ونقلت جريدة الصحافة (سر الطائرة التي هبطت في جبل مكرام) كخبر أساسي في صفحتها الأولى ، وتناقل الناس الخبر خلال هذا اليوم بالتعليق ، ويكاد إجماع الناس فيما عدا الشيوعيين أنصار النظام ينعقد إلى إضافة هذه المؤامرة إلى قائمة المؤامرات التي قامت الحكومة بتدبيرها وحبكها وصياغتها ثم إذاعتها للناس بكل ما تملك من وسائل الاعلام والنشر ، وما عاد الناس يثقون من بعيد أو قريب في هذا الأسلوب الوضيع الذي انتهجته الثورة منذ أسابيعها الاولى ، في محاولة يائسة لاستدرار العطف عليها وكسب الثقة بها ، على حساب الشرفاء المخلصين من الذين كان لهم السبق الوطنيّ المشرق من أجل هذه الامة الكريمة ، لا يرجون ثناءً ، ولا يطلبون عطفاً ، ولا يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا !! ولن يطول الوقت بهذا النظام حتى ينكشف للناس كل شيء : حقائق ، شخصيات ، نساء ، ومستشارون اجانب ، لأغراض شتى، وتخطيط مستورد ، واتصالات مريبة ، وجرائم أخلاقية، ومجون وفسق وفجور، في بيوت معروفة بالامتداد ، ورشاوي يقبضها الكبار ، وتهديدٌ لشخصيات ثرية لابتزاز اموالها ، وأموال تتسرب للخارج باسم المسئولين ، وكثيرٌ كثيرٌ مما يتحدث عن نفسه مما حدث خلال الثورة التي تبلغ السبعة شهور من عمرها المنحوس ، ويومذاك فقط يمكن للناس أن يقيّموا كل شيء ، ويدركوا ساعتها ان الذين كانوا يسكنون بيوت الزجاج ، هم وحدهم الذين كانوا يحسبون من الشرفاء .

من خير ما قرأت أخيراً مقال للسيد محمود محمد المرضي بجريدة الصحافة حول موضوع مسلسلة رمضان (النّار والرماد)، وكنت قد أصدرت رأيي عنها وهي لم تزل في أيامها الأولى وأكّدت أنها لون من الأدب المنحل الغريب عن بيئتنا وأخلاقنا، والذي يستهدف في ظل الاشتراكية التي أقحم مفهومها المهتز على نظام الحكم في السودان، إلى اشاعة لون من الدمار الاخلاقي بين أفراد البيئة السودانية ، وجاء السيد محمود ليصوغ من ذات نفسه موضوعاً في نقد هذه المسلسلة المتداعية الفجّد ، لم أملك من فرط إعجابي به وتقديري لكاتبه إلا ان أهمس في أذن اخواني معي (البلد ما زالت بخير طالما ان فيها أمثال هذا الكاتب) فقد اصاب بأسلوبه ونقده الباني وهجومه القاتل على المسلسلة ومؤلفها هدفاً صائباً عبّر فيه عن رأي آلاف المخلصين عن هذا اللون المستحدث من الأدب المنحرف ، الذي تحمله الافكار الاشتراكية المستوردة بين ثناياها ، ولكم اعجبت في نهاية حديثه ، لإدانته لكل من عاون على اخراجه ، وطالب وزير الارشاد بالتحقيق الفوري في مثل هذا الادب العابث الذي قصد منه اشاعة لون التحلل في الوسط السوداني ، بتصويره لبيئة عاهرة بوصفها جزءاً من بيئتنا وسلوكنا وأخلاقنا ، وطالب بفرض رقابة على هذا الادب المتسلل في الظلام ، وعلى يد أفراد يهمهم أن يصبح الوضع الاجتماعي في البلاد ، صورة مطابقة لهذا العبث الفاجر في مثل هذه المسلسلة التي كانت جديرة بان تُلقى هي ومؤلفها في أتون ملتهب .

ان الدعوة للإصلاح على منهج الإسلام بكل قصوره ومقوماته ، هي الطريق الوحيد الذي يقود هذه الأمة إلى الخلاص من كل مشاكلها وأزماتها ، تلك هي الحقيقة التي نؤمن بها، والتي أخذت تكتسب من المؤيدين والأنصار هنا في السودان ، ما تعجز عن مثله كل دعوات الاصلاح التي تستمد فلسفاتها من العقل المجرد للإنسان، ان كل يوم يمر يثبت للإنسانية اعوجاج الطريق التي يسلكها في العالم العربي والإنسان الحاكم في عصرنا الحاضر ، ويجرّ إليها الشعوب قهراً وبطشاً وجهلاً ، وحسبنا أن نعمل من أجل غاية الإسلام في بناء أمتنا، وتأسيس حضارتها وفق منهجه الواضح المحدد ، فكلما طال بغيرنا الطريق أثبت الواقع سلامة منهجنا ، وصحة دعوتنا ، وقوة فكرتنا ، وثباتنا على الحق الذي بأيدينا وبقلوبنا ، والذي ندعوهم إليه ، وبه يكفرون ، ولا يهتدون ، حتى إذا اعياهم الطريق ، وتقطعت بهم الأسباب سوف يأتون الينا مذعنين ، طائعين أو كارهين .

الأحد ١٩٦٩/١٢/١٤م

- فور انتهاء الجلسة الأخيرة لمحكمة الشعب قبل العيد ، والتي طلب فيها السيد أحمد زين (الملفات) الخاصة بشركتين تجاريتين ليشهد بهما في مرافعته، طلب النميري الاطلاع على هذين الملفين، وقد تبين له فيهما أن اسم السيد بابكر عوض الله قد ورد في إحداها باعتباره شريكاً بها، وأنه ظل يتقاضى منهما مبلغاً معيناً منذ كان على رأس القضاء السوداني، وظل كذلك يتقاضى مرتباً ثابتاً وهو في الحكم الاشتراكي الجديد، وانكشف في هذه الملفات أسماء عدد من الشيوعيين البارزين ، منهم عبدالخالق محجوب، سكرتير الحزب الشيوعي ، وأحمد سليمان (سفير سابق بالحكومة الراهنة ووزير التجارة الخارجية الآن) وفاروق ابو عيسي ، وزير الدولة لشئون الرئاسة، وأمين شلبي ، وزير العدل ، ولعل محكمة الشعب بعدما تبينت هذه الحقائق العجيبة، ترفض قبول هاتين الشركتين كجزء من طلب المتهم، وعلمت بان الحقائق المتعلقة بالسيد وزير الخارجية، ورئيس الوزراء السابق، قد دعمت لدى النميري التفكير القائل بضرورة إقصائه عن منصبه الحالي، وتعيينه سفيراً بالقاهرة، أو مديراً لجامعة الخرطوم!! (ولسه ياما نشوف).

- تأكد لديّ بأن السيد الامام الهادي الذي يقع على عاتقه عبءٌ وطنيٌ كبير في مواجهة النظام الراهن، قد أصدر توجيهه خلال أيام العيد لكل مندوبيه ووكلائه بالسودان بأن ينفذوا في الحال كل ما يصدر إليهم من تعليمات بشان تحركاتهم، أو باتخاذ أية خطوات يراها سيادته كفيلة بخدمة البلاد .

وقد أكدت عدة مصادر بان الكتل البشرية من الأنصار التي أدت صلاة العيد بالجزيرة (أبا)، كانت تقدر بما لا يقلُّ عن ربع مليون من البشر، وفدوا من مختلف جهات السودان ليستمعوا إلى الامام الهادي، الذي كان بالغ الحزم ، قاطع الرأي في الخطبة التي ألقاها على هذه الجموع في صلاة العيد ، وقد كانت الفرصة السانحة لوضع الحجر الأساسي لجامع (الكون) بالجزيرة سبباً لهذا التجمع الكبير الذي ظفرت به الجزيرة ، والذي وجهت فيه دعوات خاصة لعدد من الشخصيات .

- تم اليوم اعتقال الأخ التجاني سعيد داؤود، الموظف الآن ببنك النيلين ، والمحرر سالفاً بجريدة (الميثاق) حتى وقوع الإنقلاب، ولا يزال السجن يستقبل من أمثاله من الذين ضاق بهم النظام الذي لا يستند على تأييد الشعب كله ، قريباً ينتهي كل شيء بإذن الله .

الأثنين ١٩٦٩/١٢/١٥م

لم أسبق الحوادث من قبل بعد ثورة ليبيا لأبدي فيها رأياً ، أو أقطع فيها بأمر ، وزاد من حرصي على هذا الموقف ، ذلك التهافت الغريب من جانب الإنقلاب الاحمر المستتر في السودان ، ومحاولة القلقلة المستمرة لصبغه باللون الكريه الذي وُصمت به الثورة في السودان أو جاء كل ذلك جزءاً من المخطط الذي يرمي إلى ايهام كل الناس بأن ثورات أفريقيا إنما هي أشباه في كل شيء حتى في عناصرها المتسلقة المثبوتة الصلة بكيان شعوبها ، وكان ذلك الاتجاه كله مشدوداً إلى محاولة لترسيخ الاشتراكية المنبثقة عن النظرية الشيوعية الماركسية ، والتي يمثلها بوجهها الشائن المحروق ، مجموعة من الوزراء الذين جاء بهم اللواء (البالوني) كأسوأ عنوان لحكومة تقوم في السودان ، وفي سبيل الوصول إلى ايهام المواطنين هنا بهذا المفهوم المرفوض ، عن ثورة ليبيا ، لجأت أجهزة الاعلام هنا إلى الكذب ، والتمويه ، وطمس الحقائق ، حتى لا يدرك المواطنون الحقيقة ، عن ثورة ليبيا فهي أن تبدت على وجهها الصحيح ، لأصبحت الثورة هنا بمفهومها القائم ، في مهب ريح عاصف لا يبقي عليها ولا يذر ، ولكنّ الحقيقة مهما تطوى فهي كالماء ينسرب بين الاصابع ن مهما حاول الإنسان أن يقبض براحتيه ، فقد وضح كل شيء عن الثورة في ليبيا وعن رجالها ، ويكفي أن يكون قائدها معمر القذافي ، رجلاً مؤمناً بالإسلام كمنهج للحياة والإنسان، وأن العدالة الإسلامية جزء لا ينفصم عن منهاجه ، وبأن الحرية فريضة من فرائضه .

ولم أكن أدرك عن هذا الرجل، الا حين استمعت إليه قبل أسابيع قلائل ، من خلال الراديو الذي سمحت به ادارة السجون مؤخراً ، فطربتُ والله وأنا أستمع إلى كلمات الايمان تخرج من قلبه إلى قلوب أبناء العالم الإسلامي ، وهو يتحدث في جمع من مواطنيه ، فيبدأ في يقين المؤمن ، وروحانية المتبتل (بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ، وصلى اللهم على سيدنا محمد رسوله الامين ، وعلى صحابته المجاهدين) وأدرت المذياع عندنا لأستمع إلى اللواء (الملوّن) يبدأ حديثه بجملته المتحجرة (أيها الثوار الاحرار) فأدركت سريعاً وبلا عناء الفرق بين ثورةٍ وثورة ، ورجلٍ ورجل .

وما أن كوّن القذافي مجلس وزرائه ومجلس قيادة الثورة ، حتى جمع بينهما ، وأوضح لهم جميعاً ان سلوك الإنسان لا ينفصل عن عمله ، وان الحرية الشخصية جزء من شخصية الوزير والحاكم بوصف كلٍ منهما رجلاً عاماً ، وحقاً مشاعاً لكل المواطنين ، وأن حسن السمعة

واستقامة السلوك شرط واجب على كل مسئول، ولما كانت الخمر والميسر من أبشع ما يقترفه الإنسان حتى في حدوده الضيقة ، فإنهما يمنعان بقانون، ويحرمان شرعاً ، على المسئولين وعلى المواطنين على السواء، وهكذا حدد القائد الاعلى للثورة الليبية طريقه هو أولاً ، واتجاه الثورة الرائدة ، وما يجب أن يكون عليه المواطنون اقتداءً بحكامهم .

كان هذا الأيام الأولى لميلاد ثورة ليبيا في أول سبتمبر ، وقد مضى عليها الآن أربعة أشهر، فأين هذا من ثورة بلا والدٍ أو ولد ، يتنازعها آباؤها (نميري وبابكر عوض الله ، والشيوعيون) كلٌ يدعي أنها من صنعه وتفكيره وتدبيره ، وينكرها كلُ من تدعي هي نسبته إليها ، وأمومتها له ، فاين هؤلاء من أولئك ، وأين النميري من القدافي ؟

لقد بدات تفوح في الجو عن بعض الضباط والوزراء هنا حقائق يندي لها الجبين ، وكلها تتعلق بسلوكهم الخاص والعام ، ولما تكمل الثورة (الحرام) الا أشهراً معدودات من عمرها المحدود ، فأين هذا من الرجولة والخلق ودعوى الخلق ودعوى الخلاص من الفساد والرجعية؟ ان النميري وقد اعلن من قبل أن (إسلامه) هو إسلام محمد ، وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، كان جديراً به أن يتبع قوله بالعمل، وان يجعل الإسلام عنواناً لثورته وواقعاً لفلسفة هذه الثورة ، وكان خليقاً به أن يفعل مثلما فعل القائد الصادق ، معمر القذافي ، فيبدأ بنفسه ورجاله ، ووزرائه ، وأن يحملهم على الإسلام طريقاً يسلكونه حكماً وتطبيقاً، لا أن يكون هو وحكومته على الإسلام ودعاته، متذرعاً في ذلك بحبالٍ أوهى من خيط العنكبوت.

لقد كتب السيد عبد الله رجب من ليبيا مقالاً بالصحف السودانية، قبل أسابيع ، وضع فيه هذه الحقائق عن ليبيا سافرة، فأوضح بأن القائد معمر القذافي يسير في طريق إسلامي واضح، رغم أن الكاتب اوضح صلة القائد وصداقته للاخوان المسلمين، 'لا أنه ذكر بأنه لا يسير على طريقتهم، وسواء كان هذا أو ذاك، فإن الحقيقة الثابتة هي ان الثورة الليبية قد حددت اتجاهها منذ أول يومها ، ولا تثريب عليها بعد ذلك إن هي حملت داخل إطار هذه الفلسفة ، شعار الاشتراكية ، الذي (هلهلته) الثورات الحديثة ، ووقعت في مطباته المتعرجة ثورة النميري التي أُلقيت تحتها حبال الشيوعيين، مستهدفين ومستميتين في سبيل تحوير هذا المفهوم إلى المفهوم الشيوعي ، وإبعاده عن كل محتوى إسلامي، رغم ما اعلنه القائد الملهم ، عن ايمانه بالإسلام (المحمدي) وإسلام الصحابة عليهم رضوان الله اجمعين ، فالثورة الليبية اليوم وعلى ضوء الإسلام ، بإمكانها أن تذيب كل مفهوم منحرف، وتقيم كل اتجاه معوج ، في

هذا الاطار الإسلامي الشامل، ومن هنا ما فتئت إذاعتها تخاطب الشعب الليبي ، وتعلن أمام العالم أجمع ، بانها تأخذ بيد شعبها في هذا الاتجاه الذي يعكس ارادة شعب ليبيا المسلم ، فانطلق علماؤها وخطباؤها وقادتها المسؤولون فيها ، يحدثون الناس في شتى امورهم وقضاياهم باسم الإسلام ، لا باسم الاشتراكية وحدها ، ذلك ان الإسلام منهج متكامل والاشتراكية جزء منهم ، ولذا فانهم كانوا منطقيين مع انفسهم ومع شعبهم الذي جاءت ثورتهم من اجله تعبيراً حقيقياً صادقاً عن ارادته .

إن ثورة ليبيا ، رغم أنها تعرضت في السابع من هذا الشهر لمحاولة تغيير ، إلا أن ذلك لا يقدح في سلامة اتجاهها ، وقد يكون التغيير ضرورياً في كثير من الثورات ومن بينها السودان، إلا أنه حين يأتي مغايراً لطبيعة الشعب وإرادته ، فهو أمر يجب مقاومته ورفضه.

اننا ندعو من كل قلوبنا لمثل هذه الاتجاهات الإسلامية التي برزت في وضوح في ثورة ليبيا ، أن تكون لها الغلبة والانتصار ، وتلك مسؤولية الشعوب نفسها ، فهي تدعي كل ثورة انها قامت من اجلها ، فالشعوب هي صاحبة الكلمة الاولى في تقرير ارادتها ومصيرها ، فليس امراً لازماً أن يستمر أي نظام ينجم عن الثورة ، فقد يكون نظاماً ملتوياً ، شيوعياً أو دكتاتورياً، وقد يكون جامداً أو عميلاً ، وقد يذهب في كل اتجاه الا في اتجاه الشعب صاحب (الوجعة) ، وفي كل هذه الاحوال ، يتحتم على الشعب أن يقول كلمته ، وان يعبّر عن ارادته بالطريق الذي يستخلص به حقوقه بصرف النظر عن اللون الذي يصطبغ به الطريق ، وسيان أن تكون غضبته وثأره ليلاً أم نهاراً، رغم ان الإنقلابات السارقة كثيراً ما تفاجئ الناس بالفسق تماماً مثلما يفعل اللصوص ، وعذر شعبنا اليوم انه ينتظره موقف كبير ، فقد استبيح حماه ، واهدرت حقوقه ، وزيّفت ارادته ، وانتهكت حرمة العقيدة فيه على يد الملاحدة المارقين ، فالتاريخ الذي سجل ساعة العدوان في مايو ، هو التاريخ الذي يجب أن يسجل للشعب كيف يرد العدوان وكيف يثأر لنفسه من جلاديه .

الثلاثاء ١٩٦٩/١٢/١٦م

- نشر الاستاذ بشير محمد سعيد تعليقاً في جريدة الأيام ، حول خطاب اللواء في البراري ، والاستاذ بشير هو الصحفي الوحيد الذي يستطيع أن يكتب بأسلوبه وبطريقته الخاصة معلقاً على كثير مما يجري على مسرح الاحداث السياسية والثورية في البلاد ، فقد أصبحت بقية

الصحف و الصحفيين ، أشبه بالموكب الجنائزي الصامت ، لا يشهد منه الإنسان غير الحركة الخافتة يطوي بها المشوار الطويل نحو المقابر .

فقد علمت بأن الأستاذ بشير عبّر عن حيرة الناس، في أمر التهم والمؤامرات التي تذيع أنباءها الحكومة للشعب، وتنثر حولها الدخان الكثيف ثم ينتهي كل شيء ، دون أن يعرف الناس الحقائق ، فلم تقدم الحكومة حتى اليوم أحداً إلى محاكمة سرية أو علنية ، حتى يدرك الناس من المجرم ومن البريء ، فقد أذاعت الحكومة منذ أشهر مضت نبأ المؤامرة السوداء ، ونبأ الاسلحة التي عثر عليها بمنزل ما، وشاركت في البحث عنها جريدة الأيام بألف من الجنيهات لمن يعثر عليها ، ونبأ محاولة الإنقلاب التي أتهم فيها اثنان من ضباط الجيش بالمعاش ، وبينما الناس ينتظرون كشف الحقائق في هذه القضايا، وإذا باللواء نميري يطرح على الشعب اتهاماً كبيراً موجهاً ضد جماعة الإخوان المسلمين ، بنسف الإذاعة ، والتآمر على انزال قوى أجنبية لتحتل جزءاً من البلاد ، في محاولة للإطاحة بالنظام الراهن .

وقد طالب الاستاذ بشير بكشف هذه القضايا ، حتى لا تحدث مثل هذا لاتهامات مع السكوت عنها رد فعل شديد لدى المواطنين، مما يفقدهم الثقة مستقبلاً في هذه التهم الغير محددة، والتي تكال جزافاً دون معرفة حقيقة أبعادها، ومدى صحتها من خطئها، حتى يطمئن المواطنون إلى ما يجري في البلاد.

- لفت نظري في كثير من التقدير ، إن جريدة (الصحافة) نشرت نصف الخطاب الذي ألقاه النميري بالبراري، بعد ان حذفت منه جملة (الإخوان المسلمين) حيثما وردت في خطابه، كما حذفت هتاف رئيس الدولة (بسقوط الإخوان وجبهة الميثاق) ورغم ان الخطاب قد اذيع على الناس وعرفوا منه مزيداً من الاتهامات يسوقها الرئيس (المنقاد)، إلا أن الجريدة قد أحست بأن المسألة (فاتت حدها) وأصبحت في مستوى لا يستحسن عرضه كما هو على صفحات الجرائد ، وكأنها تقول يا ريّس لايمها شويه ، واختشي ، الكلام دا عيب ، ولكن هل يدرك النميري هذا الدرس الذي ألقته عليه الصحافة ، عيب يا لواء ، عيب يا أمير .

- زاد صيد السجن من الشرفاء ، أحدهما دخل بالأمس هو الأخ المهندس عبدالله حسن أحمد ، وتم اعتقاله من غرب السودان أثناء أداء عمله ، والآخر هو قطب الاتحاد الديموقراطي السيد حسن حامد مهدي ، الذي عاد اليوم بعد غيبة عن السجن لم تطل.

الأربعاء ١٩٦٩/١٢/١٧م

- كان هذا اليوم مُراً على نفسي وعلى كل أخواني معي في المعتقل ، فقد احسسنا وكان خنجراً مسموماً قد انغرس في رعونة في قلب أمتنا وكبريائها ، وفي مستقبل أجيالها، حين بلغتنا الجريمة النكراء الجاحدة المعادية للعلم ، التي ارتكبها مجلس قيادة (الجهل والجحود) بفصل ثلاثة عشر استاذاً من جامعة الخرطوم، جريمة لم يجرؤ على ارتكابها أحدٌ على مدى تاريخ العلم في بلادنا، حتى عهود الفساد التي قامت الثورة لإصلاح ما أفسدت، فقد نزل الخبر على قلب كل مخلص غيور على بلده، حريصاً على تقدمها خاصة في مجال العلم، نزولاً مؤلماً قاتلاً، لأنه إجراء موجه ضد هذه الأمة كلها، فما من سبب واحد لمصلحة هذا الشعب ينهض دليلاً على سلامة هذا الإجراء ، بل هو إجراء في الاساس قُصد به لتأمين سلامة هذه الشرذمة الحاكمة ، وضمان بقائها حتى لو اقتضى ذلك أن تغلق الجامعة كلها ، وما من عاقل يستطيع أن يجد دليلاً واحداً يثبت إن إغلاق الجامعة إجراء يستهدف صالح هذه الأمة ، فالعداء الذي واجهت به الثورة جامعة الخرطوم بدأ منذ بداية عامها الدراسي شهر يوليو الماضي ، حين أحسّت الثورة بأثر الإخوان في الوسط الجامعي، وبأثرهم في المجتمع الخارجي ، وبانهم حين استبان لهم وقوع الثورة في براثن الشيوعيين من يومها الأول - أعلنوا عدائهم ووقوفهم في وجهها بلا تحفظ وبلا حدود ، وظل رأي الإخوان الجامعيين في الثورة تحمله إلى الرأي العام السوداني جريدة (آخر لحظة) التي يصدرونها بانتظام ،وواجهوا فيها الوضع الراهن بما لم تواجهه به هيئة أو صحيفة في البلاد ، حتى إذا جاءت نتيجة انتخابات الجامعة ضربة قاصمة في ظهر الشيوعيين و(مشايعيهم) من المسئولين ، لم تستطع الحكومة أن تصبر على الحقد المتقد في قلبها ، أو تكتم الجرح العميق الدامي في أحشائها ، فانتفضت تتصرف تصرف الملسوع الذي يتفلت من الموت في شراسة ليقبض بكل ما فيه من قوى موزعة ، بسبب من أسباب الحياة ، فكانت الخطوة الرعناء لضم الجامعة إلى الحكومة ، وكانت غضبة الاساتذة الحريصين على جامعتهم من أن تقع فريسة اهواء السياسة ، فوقفوا في وجه هذا التفكير الهدام ، وقوف الذي يستهدف مصلحة الشعب ويضرب صفحاً عن كل ما عداها ، (فالأساتذة اذن كالطلاب في نظر الثورة - أعداء لها)، ويجب أن يجدوا على يدها مثلما يجد الطلاب الذين وقفوا في وجهها ، دون أن تعتبر للعواقب أو تفكر في وصمة العار التي تلحق بها ، وهي تحسب انها بالغة بذلك امراً ، أو مانعةً قضاءً ، أو حاميةً عنهم وجودها ومصيرها .

وحين يعمّ القضاء لا تعمى الابصار وحدها ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، وهذه الخطوة النكراء التي اتخذتها الثورة ضد الجامعة ، مصداق لما اقول ، فقد عرفت الحكومات المتعاقبة منذ الاستقلال ، أن لجامعة الخرطوم لعنةً قاسية إذا حلت بوضع سياسي أو حكومي، فأنها لا تغادره الا وقد أصبح رماداً تذروه الرياح ، وهاهي الثورة (النميرية) تسعى إلى ذات المصير ، بكماء ، صماء ، عمياء، فامتدت يده الملوثة إلى الجامعة ، وهي في عطلتها السنوية ، واختارت من بين كبار اساتذتها ثلاثة عشر استاذاً ، كلهم بين عميد احدى كلياتها ، أو رئيس قسم ، أو شعبة علمية ، وكلهم ممن عرفوا باستقامة المنهج ، واخلاص الطوية ، والايمان المطلق بالحرية ، والكفر بالتسلط والقهر في أية صورةٍ جاء ومن أي كائن صدر، وحين يكتب تاريخ هذه الفترة الشاذة التي تجتازها بلادنا ، وحين يقوم أحد طلاب الجامعة بتقديم رسالة عن (دور الجامعة في بناء الحياة السياسية والوطنية) فسيكون هؤلاء الاساتذة الذين امتدت إليهم يد الغدر والجهل والخيانة والحقد، هم عنوان الشرف والكرامة والفكر والوطنية ، عنوان امةً بأسرها ، رواد شعب صدقوا ما عاهدوا الله والشعب عليه ، وسيظل كل مخلص في هذا البلد يذكر بالتقدير والاجلال للأساتذة والدكاترة (عبدالله الطيب ، دفع الله الترابي ، مدثر عبدالرحيم ، عوض سالم الحكيم ، صالح محمد نور ، مصطفى خوجلي ، مأمون يوسف ، زكي مصطفى ، حسن عمر ، أبوسنينة ، جحا ، شمس الدين عابدين ، فريد عتباني) وسينضم إلى هذه القائمة الاولى كل من تمتد إليه بالإثم والعدوان اصابع الثورة التي يحركها الشيوعيون ، وحسب الناس أن يدركوا من خلال هذه الاسماء ، ان الجانب الإسلامي الذي ينتظم كثيراً منهم ، هو جانب له اكبر حتى يستبين الناس طبيعة المعركة القائمة اليوم بين الثورة والشعب ، بين الباطل والحق ، بين الشيوعية والإسلام .

- في مناسبة أقيمت بمشروع الجموعية بضواحي أم درمان ، تحدث وزير الري عن هذا المشروع الذي ليست له علاقة بالطبع بالإخوان المسلمين ، ولكن يبدو أن الإخوان قد أصبحوا يسببون قلقاً دائماً للنظام القائم ، فقد أراد الوزير أن يذكر اسم وزير آخر خلال خطبته ، فذكر كلمة (الأخ) واستمر يقول بمناسبة (الأخ) هذه أحدثكم عن الإخوان المسلمين ، وهاك يا ردحي! من النوع الذي يجيده بعض أعضاء مجلس الثورة وبعض الوزراء، وظل الرجل يرغي ويزبد ، والناس في عجب مما يقول حتى إذا خطر له أن يتحدث عن مشروع الجموعية تراجع بطريقة مخجلة ، ليحدث الناس عن منجزات الثورة ، مزيداً من كشف انفسكم للشعب ، فإن (بذلة الكاكي) التي ترتدون ، وخدعت الناس فيكم وقتاً طويلاً.

الخميس ١٩٦٩/١٢/١٨م

- الأنباء التي بدأت ترد عن الجنوب توحي بأن الموقف هناك آخذ في التدهور بصورة خطيرة، ويبدو كذلك بصورة مؤكدة ان الخطورة بدأت بالتدرج، ولم تشأ الحكومة أن تذكر شيئاً عنها ، تدعيماً لزعمهم بان الحلول التي قدمتها للجنوب، وأن الجنة الموعودة في ظل الاشتراكية التي وعد النميري بها الجنوبيين، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، إنما هي عصا موسى تلقف كل الحلول الرجعية الإمبريالية ، التي تقدمت بها الاحزاب من قبل، وان العناية الإلهية قد هيأت (آلهة الثورة) ليضعوا الحل الذي عجزت عنه الاوائل والأواخر ، فكونت للجنوب وزارة ووزير من الجنوبيين البارزين في الحزب الشيوعي (الاشتراكي) ، وسافر مبعوثو العناية الالهية من قادة الثورة والوزراء إلى الجنوب، واستقبلوا استقبالاً ساخناً!!! وخرج في العاصمة موكب كبير من الجنوبين تأييداً للثورة والاشتراكية والتقدم، ومن كل ذلك فهم الناس ــ أو هكذا أرادت لهم الثورة أن يفهموا ـ أن الجنوب لم يعد قضية ، ولن تكون له قضية !!

وظللنا نرتقب الاحداث ، وران على الجنوب سكون كثيف ، قلنا لعل الله أراد لهذه المشكلة أن تجد الاستقرار الدائم، فربما ينبثق الخير من الشر، مثلما ينبثق الفجر عن الظلام ، ولكن يبدو ان الاحداث كانت تجري على غير ما تشتهي السفن ، حتى توالت الأحداث مؤكدة ان الجنوبيين بدأوا حركة تتسم بالعنف الشديد ، والاستعداد الكبير لبدء عمل حربي واسع النطاق ، وأنهم بدأوا بنسف عدد من الكباري الهامة في منطقة الاستوائية ، الامر الذي يؤثر كثيراً على حركة المواصلات الرسمية والأهلية على السواء ، وورد بأن أحداثاً جساماً في طريقها إلى واقع الناس هناك .

- تعلقت موضوعات محكمة الشعب اليوم بأسئلة وجهتها المحكمة للسيد أحمد زين ، حول الاسهم التي يمتلكها في شركة (الخواجة مجلفيراس) والظروف التي أحاطت بالموضوع منذ بدايته ، وحين سألت المحكمة المتهم بوصفه عضواً في المكتب السياسي للاتحادي الديموقراطي، عن كيفية صرف الاموال التي تأتي للمخزن عن طريق التبرعات ، قال ان السؤال خارج عن موضوع المحاكمة ولكن سأجيب عليه ، (شكراً ، السؤال مسحوب) (لا ممكن أجاوب) (لا لا خلاص) (لا والله لو سمحت أحسن أجاوب) ٠لا المحكمة سحبت السؤال.. شكراً).

وفي بداية الجلسة قال رئيس المحكمة ، أن المحكمة بحثت الفايلات الخاصة بالشركتين اللتين طلب ملفاتهما المتهم، واقتنعت المحكمة بعدم صلتها بالقضية ، وبيّن السيد أحمد للمحكمة أن لهاتين الشركتين صلة مباشرة بالقضية ، وأنه يعرف هذه لصلة تماماً ورفضت المحكمة بإصرار هذا الطلب ، وحين ألحّ المتهم، أكدت المحكمة أنها عرفت محتواها واخذت علماً بذلك، وأصرت على رفضها بطريقة غريبة (وهاتان الشركتان وضح أن لعددٍ من الشخصيات كالسيد بابكر عوض الله وعددٍ من الشيوعيين في الوزارة هم أعضاء فيها) ومثل هذه الحماية التي تضربها المحكمة حول هؤلاء الأسخاص ، الذين لهم صلة وثيقة بالنظام القائم، تكشف عن حماية محددة للفساد الذي أخذ يطل برأسه في النظام القائم ، والفساد الذي كان قائماً وأخذت المحكمة بايعاز من المسؤولين في التستر عليه ، إنني أحس بأن السيد أحمد لن يمنعه شيء عن كشف الحقائق في مرافعته يوم الاربعاء القادم فإن الناس ينتظرونها في شوق واصطبار .

الجمعة ١٩٦٩/١٢/١٩

ينعقد غداً (بالرباط) مؤتمر القمة العربي، وقد سافر إليه اليوم اللواء النميري ، يصحبه وزير الداخلية (شيوعي) ، ووزير الدولة للشؤون الخارجية (شيوعي) وعدد من ضباط الجيش والموظفين المدنيين وكيل وزارة الخارجية ، وواضح من تشكيل هذا الوفد ، أن وزير الخارجية بابكر عوض الله ليس من أعضاءه ، وحتى لو كان واحداً من بينهم لكان مفروضاً أن يسافر منذ وقت طويل لحضور الاجتماعات التي يعقدها وزراء خارجيات الدول العربية للتحضير لأجندة اجتماعات المؤتمر ، واعدادها في صورتها الختامية بعد موافقتهم التي تعني موافقة دولهم عليها، ولكن وزير الخارجية لم يسافر أولاً ولا أخيراً، ووزير الخارجية ليس موظفاً في الخدمة المدنية، انما هو رجل يمثل الوجه السياسي لدولته ، وهو من الذين يصنعون سياسة الدولة، ويعيشون هذه السياسة بما يمكنه في كثير من الأحيان من التصرف السليم بما يتفق مع الأهداف السياسية العليا لحكومته ، خلافاً لوكيل وزارة الخارجية، وهو رجل منفذ ، لا رجل تخطيط ، ومن هنا كان وفدنا مبتور التكوين منذ البداية بتخلف وزير الخارجية عنه، وحتى لو ناب عنه سفير السودان لما أجزأ ذلك ، فكان الوفد قد ذهب وهو يحمل صورة مجسمة للخلاف القائم بين النميري ، وبابكر عوض الله ٠ وكلاهما يدعي بأن الثورة لولاه ما قامت ولا كتب لها النجاح) وعلى الصعيد السوداني ، قد وضح للناس هنا ، أن هذا الخلاف

ليس بالسهولة التي يتصورها البعض ، بل أنه سبق لي أن ذكرت منذ فترة طويلة ، أن هذه الثورة تحمل عوامل فنائها في احشائها ، وما هذا الذي يحدث الآن بين رئيس الوزراء السابق ، ورئيس الوزراء الذي حلّ مكانه ، إلا ارهاصات لنتائج هذا الخلاف الدفين ، واذا ما وصل الامر حدّه ، تخلف وزير الخارجية عن مؤتمر القمة ، فإن المتوقع أن يتصاعد هذا الخلاف الذي ربما ينتهي بإقصاء وزير الخارجية والعدل ونائب رئيس مجلس الثورة عن جميع مناصبهم ، وقد لا يقف الأمر عند ذلك إذا ما أصبح وزير الخارجية بعد اعفائهم يشكل قلقاً للنظام ، خاصة لو انه رفض منصب (سفير) الذي ربما يعرض عليه على قاعدة (شيء خير من لا شيء). دعونا نرقب المستقبل القريب ، فأحداث هذا البلد الخفية منها والظاهرة، لاتقف عند حدّ ، ولا تكفّ عن الدوران .

- الجيش منذ الفجر في حالة استعداد ، فرئيس أركان حربه ذهب إلى الجنوب منذ الأمس لتعقب الاحوال هناك، وهو أمر وثيق الصلة بما يجري اليوم في الجنوب ، الامر الذي تحاول الحكومة جاهدة أن تتكتم عليه، والقائد العام للقوات المسلحة في طريقه إلى مؤتمر القمة ، وعدد من كبار الضباط قد صحبوا اللواء في رحلته ، وكان كل منهم يهيأ إليه انه من بعيد يستمع إلى مطلع الاغنية السودانية (تسيبني لي مين انا ، تسيبني وتسافر) ، وهي هاجسه إذا هجست بنفس مسئول كبير لأطارت النوم عن عينيه .

- الدكتور عبدالله الطيب عميد الآداب بجامعة الخرطوم اتخذ موقفاً منفرداً فيما حدث لعدد من الاساتذة على يد الثورة ، فقد رفض استلام خطاب الانذار ، وذهب وقابل النميري يستفسره عن أسباب فصله ، فنفى علمه (وقرار الفصل صادر من مجلس قيادة الثورة) ، فلما عاد وجد خطاباً بسحب فصله من الجامعة، فرفض كذلك استلامه ، موقف ما كان يتوقع، والمحنة التي تذيب كل شيء في النفوس ، وتقتل المشاكل اليومية بين الناس ، قد عمّت الاساتذة الذين أشرت إليهم بالأمس ، أن رجلاً كالدكتور عبدالله كان يمكن أن يلعب دوراً كبيراً في مثل هذه الأحوال التي أريد من ورائها شر بالجامعة ، وهذا الموقف منه يضعف القضية ويذيبها ، ويفسح الطريق العام للعابثين والحاقدين ليجدوا مبتغاهم سهل المنال.

السبت ١٩٦٩/١٢/٢٠م

بدأ الموقف يتحرك داخل جامعة الخرطوم عقب عملية الفصل الجماعي بين الاساتذة، وقد كان رد الفعل بينهم شديداً وقد أخذت الحلقة تضيق حول من يسمون أنفسهم بالأساتذة الاشتراكيين ، بوصفهم المحرضين أولاً على هذه العملية الاجرامية المليئة بالخيانة ، ثم شاركهم فيها بنفس المستوى مجلس قيادة الثورة الذي أصدر القرار الذي تسلمّه كل واحد من الأساتذة المبعدين ، ورغم أن مدير الجامعة حاول أن ينفي عن نفسه المشاركة في هذا العمل القبيح الرديء ، إلا أن تخليه عن مسئوليته الأدبية والفعلية عن ضرورة اتخاذه موقفاً يحفظ لاساتذته حرمتهم وكرامتهم من مثل هذا العبث الصبياني الصادر عن الشيوعين الاساتذة ، وعن مجلس الثورة على السواء، يضعه تاريخياً في مركز المسئولية من الدمار والتخريب بين أساتذة الجامعة .

وقد قدم السيد الكارب نائب مدير الجامعة استقالته من منصبه احتجاجاً على هذا التصرف الغريب، وآثر بعض الاساتذة القيام بالتوسط في محاولة حل هذا الأشكال المفاجئ، هذه المسألة التي لا يحتاج الظلم الكامن فيها إلى إيضاح ، وبعض الاساتذة يرى ان هذه القضية لا تنفصل عن طلاب الجامعة ، فهي مرتبطة بكل قضاياهم الأخرى بالجامعة ، فهم يرون أن يشركوا معهم طلاب الجامعة بعد عودتهم من عطلتهم في هذا الأمر الذي يتأثر به المجتمع السوداني كله من اوجه شتى .

أما اللجنة التنفيذية لاتحاد طلاب الجامعة ، والتي تقف دائماً على مقربة من الاحداث رغم ذهاب الطلاب في عطلتهم ، فقد أقرت ارسال مذكرة برأيها في هذا الشأن إلى مجلس قيادة الثورة ، تمهيداً لاتخاذ موقف محدد من جانب الطلاب كلهم بعد عودتهم ، ومن جانب آخر يقوم عدد من الأساتذة بجمع توقيعات من زملائهم الأساتذة للاستقالة من الجامعة احتجاجاً على هذا التحدي السافر من سلطات الدولة ، بعدوانها في وضح النهار وبلا أدنى حجة ضد أي منهم، تبرر هذا التصرف الرديء من المسئولين ، وأن هذا التعدي على حرمات الاساتذة والجامعة ، قد يغري السكوت عنه ، بخطوات أخرى من جانب المسؤولين في الحكومة ، لتقضي على هذه الجامعة الرائدة ، وتشل كل حركة فيها حتى تقعد بها نهائياً عن اداء رسالتها . ولا تزال كل هذه المسائل تجري في وقار كوقار الجامعة نفسها ، ولكنّ الرأي العام يعلم كل شيء يحيط بهذه القضية ويتابعها باهتمام بالغ ، علماً منه بأن هذه الجامعة في تاريخها الطويل هي فاتحة زوال الحكومات .

- أخذت الإذاعة الديموقراطية منذ الصباح تتحدث عن الجنوب ، وتولي اخباره بعض الاهتمام ، فقد تحدث وزير شئون الجنوب ، جوزيف قرنق (شيوعي) عن الوضع هناك ، وأوضح أن هناك بعض القلاقل التي تقف خلفها اسرائيل وأمريكا ، وفي المساء أذاعت وزارة الداخلية بياناً هو في واقعه تقرير عن حالة الأمن في الجنوب عن الشهر المنصرم (نوفمبر) ، ولم يكن مألوفاً أن يذاع مثل هذا التقرير من قبل. وقد وضح من الأنباء التي وردت مع العائدين من هناك ان المتمردين أخذوا يشددون القبضة على الموقف ، وقد بلغت بهم الجرأة أن عرضوا مجموعة رهيبة من الاسلحة الحديثة داخل الغابة، وأطلعوا عليها بعض الأهالي لإشاعة الخوف فيهم ونشر الخبر بين الناس ، وقد اخذت هجرة أسر الشماليين الموجودين في الجنوب تزداد بشكل ملحوظ ، مما يؤكد ان الموقف آخذ في السوء، وقد وردت أنباء عن احاطة المتمردين بعض المدن الكبرى في الاستوائية ، وأن الضفة الشرقية منها قد أصبحت تحت قبضة المتمردين ، وأصبحت قوات الجيش - رغم الجهود المعنية المتداولة - في موقف أقرب للدفاع منه إلى الهجوم على قواعد المتمردين إلا في مناطق معينة، ولعل وزير الدفاع الذي سافر ليتفقد الأحوال هناك يكشف عند عودته حقيقة ما يجري في الجنوب حتى يكون الناس على بيّنة مما يراد بهم في الخفاء .

- لم أستبن حتى الآن حقيقة ما حدث في بورتسودان مما أفضى إلى اعتقال الأخوين مختار وحمزة حسين واحضارهما من هناك إلى سجن كوبر ، ولا ما حدث في منطقة كريمة ، حتى اعتقل الاخ عبدالجليل الكاروري المدرس هناك ، ولكن فيم يبحث عما حدث من كل الإخوان ، ومتى كان ميزان العدل في عهد هذا الإنقلاب المشؤوم ، من الامانة والقسط بين الناس ، حتى لا يؤخذ إنسان إلا بجريرته ، ففيم إذن كان اعتقال عشرات الإخوان الذين يعج بهم الآن سجن كوبر وسجن دبك ، الم يتخطفوا من منازلهم ليلاً وظهراً وصبحاً؟ ألم يقعد لهم رجال المباحث كل مرصد حتى يحصوا عليهم خطواتهم وانفاسهم ، اذن فلنفتح ابواب السجون والمعتقلات ليدخلها كل الشرفاء الذين ما أحنوا رأسهم لغير الله ، وما ضعفوا وما استكانوا لما اصابهم في سبيل عقيدتهم وبلادهم ، فهم على ثقة من انهم منصورون ، وأن الذي يجري الان أمام أعينهم وعلى مسرح الاحداث في بلادهم إن هو إلا رؤىً تبدو وخيالات تطوف وحين يظهر الحق وتستبين الطريق، وينتصف النهار، ستختفي كل الاضواء الملونة وتسقط كل الاقنعة الزائفة ، ولا يبقى لنا إلا شيء واحد، هو الحقيقة ، ولا شيء غير الحقيقة . ويومها سيعلم الذين ظلمُوا أي منقلبٍ ينقلبون...

الأحد ١٩٦٩/١٢/٢١م

- مع اقتراب عودة طلاب الجامعة إلى حرمها المعتدى عليه ، الشيوعيون ينخذلون امام اعصابهم ، وأمام القرار الذي اتخذته لجنة الاتحاد برفع مذكرة وطنية حول الموقف الاخير من اساتذة الجامعة ، فقد باتوا في حرج لا مخرج لهم منه ، لأنهم يعيشون بوجهين، ويتحدثون بلسانين وحين اراد الإخوان امس أن يعلقوا بياناً خاصاً بالموقف الاخير، حاول بعضهم التصدي له بتمزيقه ، لكن الإخوان أوسعوهم ضرباً مبرحاً شافياً، ولقنوهم درساً لن ينسوه لأنهم سيقرأونه مكتوباً في واقع ثلاثة منهم، جعلهم الإخوان عبرةً لمن تحدثه نفسه بمثل هذا العدوان مرةً أخرى .

- أذاعت الحكومة اليوم بياناً بأسماء عدد من الشيوعيين تحت ستار تدعيم اللجان ، المختلفة (المالية ، والاجتماعية ، وشئون الطلبة وغيرها) بجامعة الخرطوم ، وهذه خطوة أخرى في الطريق الذي بدأت تسلكه الحكومة في محاولته الأخيرة لطمس معالم الجامعة وسلباً لحق الحياة الحرة التي كانت عنواناً لها حتى في عهد الاستعمار ، وسيضيف هذا الإجراء مع سابقاته من تصرفات ، رصيد الطلاب في عمل كبير يرد إلى جامعتهم كل حقوقهم المسلوبة ، ويمنع عنها كل عدوان يراد بها ، مؤامرة تحاك عليها في الظلام .

- وزارة المالية أخذت تجار بالشكوى من الإرهاق المالي الذي أصبح عبئاً ثقيلاً لا طاقة لها باحتماله ، بسبب زيادة حجم ميزانيتي وزارتي الداخلية والدفاع ، فقد ارهقت هاتان الوزارتان ميزانية البلاد بصورة خطيرة ، مما شكل تهديداً بتأخير لمرتبات موظفي الدولة ، وموقف السيولة النقدية ينذر الان بنتائج بالغة السوء .

الأثنين ١٩٦٩/١٢/٢٢م

- لم يكن امام وزير الدفاع وقد عاد من الجنوب، إلا أن يصدر بياناً يلقي به الضوء على الموقف هناك ، فما عادت الأحوال فيه تحتمل السكوت ، وقد أذيع البيان مساء اليوم ، وتعرض لقضية الجنوب وكيف خطط لها الاستعمار ، وعمق من آثارها ضعف الحكومات الرجعية البائدة ، حتى منحت الثورة الحكم الذاتي الاقليمي للجنوب في اطار السودان الموحد، ففقد الاستعمار واعوانه أعصابهم وبذلوا جهداً كبيراً بغرض خلق الاضطراب والبلبلة في صفوف الشعب، باعتبار الجنوب موقعاً من مواقع مؤامراتهم ضد الثورة، والثورة ترى في

الخارجين على القانون اليوم شرذمة من اللصوص وقطاع الطريق هدفهم السلب والنهب ، وأن قواتنا قد اكتشفت في معسكرات هذه القلة الخارجة على القانون ، ذخائر وعتاداً وأسلحةً تدل على مصادرها، ملأت مخازن قواتنا، إن الاستعمار اضطر للظهور شخصياً بأفراده في بعض مسارح الحوادث، إن الواجب علينا أن نقوم بإنجاز المشروعات التي اعلناها، والخاصة بالجنوب، وأن خطة الأمن تسير وفق ما وُضِع لمجابهة كل الاحتمالات بالشدة اللازمة في الوقت المناسب ، والبيان واضح وصريح ، ويكشف عن خطورة الموقف وسوء الأحوال وما ينذر به المستقبل من نتائج وآثار بعيدة المدى.

وللتاريخ نذكر أن الحكومات الرجعية البائدة ، قد بذلت اقصى الجهد في حل قضية الجنوب ، ولا يضرها في شيء ان هي فشلت في النتائج ، مثلما أخذت الحكومة الراهنة بالأسباب ، ومنحت الجنوب الحكم الاقليمي الذاتي ، ووعدت بإنجازات شتى وأعطت أكثر مما اعطت الحكومات الماضية ، الا أن الموقف رغم كل هذا لا يقل خطورة واستعداداً للانفجار عمّا كان عليه أيام الاحزاب والحكومات الماضية ، بما فيها حكومة أكتوبر، بذلت في أمر الجنوب ما استطاعت أن تبذل ، ووضعت حلولاً حاسمة ارتضاها كل الجنوبيين الذين مثلوا في مؤتمر الاحزاب السودانية ، ومؤتمر المائدة المستديرة ، بمنح الجنوب الحكم الاقليمي، وانعكست هذه الإرادة التي ارتضاها الجنوبين في مواقفهم على مسودة الدستور التي كانت عالقة بأذهانهم منذ عشرات السنين ، بل أنهم ذهبوا إلى أكثر من ذلك ، بعد أن اطمأنوا كل الاطمئنان لهذه الحقوق، فقبلوا كل المواد الإسلامية التي نصّ عليها مشروع الدستور ، ولم يبق إلا مناقشته والموافقة عليه أمام الجمعية التأسيسية ، حتى قامت الثورة ونسفت الدستور بكل ما يحويه من حقوق وواجبات ، بما فيها ثمار تلك الجهود التي بذلت من أجل حلول حاسمة لقضية الجنوب ، فماذا تفعل الحكومات الرجعية البائدة اكثر مما فعلت؟ ماذا فعلت؟ ان أخطر مافي هذا البيان هو اشتراك المرتزقة مع الجنوبيين في هذا التمرد ، وهي ظاهرة جديدة لجأ إليها الاستعمار في محاربة وحدة هذه البلاد واستقرارها ، وليس المقام الآن – ونحن أمام قضية مواجهة جديدة – مقام النزول بهذه القضية إلى درك الانحطاط والسخف والغباء، الذي جعل كل المسئولين في هذا النظام ينثرون التهم والتآمر الاستعماري مثلما ينثرون امامهم ملذاتهم واهواءهم ضد المواطنين الشرفاء ، فينسينا ذلك خطورة الوضع الذي آل إليه امر الجنوب في عهد هذا الحكم العسكري البغيض، إذ الواجب الآن يقضي أن

يولي الناس كلهم امر هذه القضية كل اهتمام ، وأن يوجهوا كل جهودهم الفكرية والعملية والعسكرية لدرء هذا الخطر الجديد الذي ربما زاد من خطورة الوضع ، وعجّل بإنهائه لمصلحة الاستعمار واعوانه الحقيقيين!!!

- اكتب هذين الخبرين بلا تعليق (١) استجلبت وزارة الارشاد القومي ثلاثين خبيراً مصرياً لتنظيم الوزارة ، وسيمكثون مدداً تتراوح بين شهر وثلاثة شهور ، وسبق لوزارة التربية والتعليم (محي الدين صابر) أن بادر بالفعل وأحضر عدداً من الخبراء (لقلب نظام التعليم) في السودان ، وكذلك فعل وزير المواصلات في استجلاب عدد من الخبراء المصريين في شؤون المواصلات وتنظيم الورش ، ولا يزال السودان يعج بالخبراء الروس الذين (عمرت) بهم البلاد خاصة بعد رحلة (اللواء الخفاق على السارية الروسية) إلى الاتحاد إيّاه.

- (٢) تبين للحكومة براءة ساحة كل موظفي وزارة التجارة والتموين والاقتصاد في الدرجة الاولى والخامسة ، وأن الوزير أبلغهم بذلك وطلب إليهم أن يفتح معهم صفحه جديدة .

- تم اعتقال السيد علي محمود المحامي ، وتاج السر كنّة الطيار ، وهما الآن في كوبر الذي أصبح لسان حاله كالنار التي إذا قيل لها هل امتلأت؟؟ قالت هل من مزيد!!!

الثلاثاء ١٩٦٩/١٢/٢٣م

منذ انعقاد مؤتمر القمة يوم السبت الماضي بالرباط ، والأنباء عنه تتسرب في فتور، لا يكاد يغني عن الحق شيئاً، والمقنع للظروف الاخيرة قبل هذا المؤتمر أن هناك فتور في بعض العلاقات العربية بين بعض الدول المشتركة فيه ، وفتوراً في تلبية الدعوة إليه ، كما حدث بالنسبة للمملكة العربية السعودية ، وتأجلت الجلسة الاولى للمؤتمر عن موعدها المحدد في يوم سبت ماضي، وانعقدت في المساء ، ويرجع السبب إلى خلاف على بعض المسائل داخل مجلس وزراء الخارجيات المكلف بوضع أجندة مؤتمر القمة للرؤساء والملوك ، بالطبع فإن المسألة سويّت بطريق أو بآخر ، حتى لا يتفاقم الامر من يومه الأول ، ورغم ان الصحافة العربية خلال الأيام التالية ، تساندها وسائل الاعلام الرسمية ، قد حاولت أن تضفي على المؤتمر نوعاً من التهويل ، بالعبارات المنمقة ، والشعارات الكبيرة المعروفة المألوفة ، إلا أن ذلك لم يقتصر على الشعور العام الذي ساد العالم العربي ، بأن هذا المؤتمر ـ رغم انعقاد الآمال الكبيرة عليه، وإلحاح الحاجة إليه – قد يكون وبالاً على العلاقات العربية ، وردّها إلى ما كانت عليه قبل يونيو١٩٦٧م.

والأنباء التي أذيعت اليوم ، والمؤتمر ينهي جلساته في يومه الرابع ، تشير إلى هذه الحقيقة المؤسفة ، وذلك أن الرئيس عبد الناصر قد انسحب في نهاية جلسة اليوم احتجاجاً على عدم التزام بعض الدول بالحشد العسكري مع دول المواجهة ، وأن بعض الدول الأخرى ، كالعراق، اليمن، ولبنان، لم تحضر احدى الجلسات ، ويبدو ان الزمام أفلت، وأن الجو المكفهر الذي انعقد فيه المؤتمر ساعد على توتر الموقف وزيادة حساسيته ، مما أدى إلى هذه النتيجة التي كانت (هدية عيد الميلاد) يقدمها (العرب الاشاوس) لإسرائيل ، وهي تستقبل أعياد (الكريسماس) في بيت المقدس وبيت لحم!!

إن أنظار العالم التي كانت مشدودة إلى (الرباط) خلال الأيام الاربعة الماضية وتستجلى حقيقة ما يتمخض عن التجمع العربي الكبير، فتنقلب اليوم بينها انظار العرب خاسئة حسيرة، وترجع ابصار الاخرين جميعهم وفيها بريق و التماع ، تفيض بالدمع هزيمةً وحسرةً وجراحاً ، وعيونٌ يطفر منها الدمع انتصاراً وفرحةً وانشراحاً .

ولله وحده الأمر من قبل ومن بعد.

الأربعاء ١٩٦٩/١٢/٢٤ (ليلة الكريسماس)

تحتفل اسرائيل والغرب كله احتفالاً مزدوجاً ، بعيد الميلاد ، وفشل مؤتمر القمة العربي الذي انتهت جلساته امس في جوٍ مكفهر قاتم ، وأعصابٍ مشدودة ، وقلوب متعكرة ، وهي نتيجة تبعث على الاسى واليأس بالنسبة للعلاقات العربية ، فقد انعقد مؤتمر القمة الخامس ، ونحن ندرك مدى ما يحيط بالعالم العربي كله من أعداء سافرين ومستترين ومتربصين ، وندرك ان الآمال كلها منعقدة على هذا التجمع الرئاسي الثاني بعد هزيمة يونيو المشهودة ، وإنه سيكون نقطة انطلاق أخرى بعد مؤتمر الخرطوم الذي جاء اعقاب معركة حزيران ، والذي تقررت فيه خطوط العمل العربي الإسلامي في مواجهة اسرائيل، واعلنت فيه سياسة الحرب حتى النهاية ضد اسرائيل حتى تعود فلسطين جزءاً من ارض الإسلام والعروبة ، وان لا تقوم أدنى مفاوضات أو معاهدات أو صلح انفرادي أو جماعي مع الدولة التي مرغت وجهنا بالتراب ، ومضت اشهر طويلة بعد ذلك تعرضت فيها قضية فلسطين إلى مناورات دولية بين الدول الكبرى والدول الغربية ، تستهدف جلّ الشرق الأوسط، على حساب كرامة العرب لصالح إسرائيل ، حتى كان مشروع القرار الصادر في نوفمبر ١٩٦٧م ، القاضي بانسحاب إسرائيل إلى حدودها

قبل العدوان ، وقيام حالة أمن دائمة بين اسرائيل وجميع الدول العربية ، ورفض العرب ذلك المشروع رفضاً تأرجح بين القبول والميل إليه ورفضه رفضاً تاماً، حتى إذا وضح أن اسرائيل كذلك ترفضه لأنه لا يحقق كل أهدافها التوسعية، صُرِفَ عنه النظر، وجُمّد دولياً هذا الحل السلمي وبضرورة مواصلة الكفاح المسلح ، وتدعيم العمل الفدائي ، حتى يتم للعرب أن يردوا كرامتهم التي سلبوها ، وارضهم التي فقدوها نتيجة التآمر الاستعماري منذ عام ١٩٤٨م وحتى اليوم ، وظلت الشعوب العربية تتلاحم ولا تقترب بهذه الأهداف ، وظل قادتها كذلك يقتربون بعضهم من بعض ، بعد ان كانت الوشائج بينهم والعلائق قد اصابها قبل حزيران ما أصابها من تدهور ووهن ، ومن جفاء وقطيعة ، ومن سُبابٍ وشتائم واتهامات ، لو وزعت على دول العالم كله لكفتها وفاضت عن حوائجها ، ان كان في مثل هذا الركام حاجة لمستزيد ، وفتح العالم كله صحائف بيضاء يستقبل بها عهداً مثمراً في تاريخه الجديد ، ويبدأ بها بناء حضارةٍ جديدة ، تقوم على الاستفادة من كل التجارب المريرة التي اكتسبتها خلال العشرين عاماً الاخيرة من تاريخها المليء بالعجائب .

ولاحت من قريب بوادر التجمع العربي في مؤتمر القمة الخامس ، فتعلقت به القلوب، وانعقدت عليه الآمال ، واتجهت إليه المشاعر ، وشخصت نحوه الابصار، ورغم السحابة الداكنة التي انعقدت في الافق العربي قبل انعقاده ، بسبب الأزمة المؤسفة بين جمهورية اليمن الشعبية ، والمملكة العربية السعودية ، في النزاع الدامي الذي نشب بينهما مما أوشك أن يعصف بهما معاً من حضور الاجتماع ، الا أن تغليب المصلحة العامة كان أجدر بالاعتبار في هذه المشكلة ، فانعقد المؤتمر ، ولكن يبدو أنه كان في مستوى علاقات الرؤساء وعلاقات الشعوب ، بكل ما تحوي كلمة العلاقات من معنى، وسرعان ما ارتدت الموجة ، وأدركت الشعوب أن أمراً خطيراً قد لازم هذا التجمع ، وان اسباب بعيدة المدى قد تعصف بكل ما يثمر من هذا اللقاء ، وقد حدث ، فقد إلتقى هؤلاء القادة اربعة أيام ، كانوا خلالها بعيدين من مشاعر ورغائب وآمال شعوبهم ، ولم يحققوا ما كانت تنتظره منهم شعوبهم ، وما كانت تعقده عليهم من آمال ، بل أنهم غادروا هذا المؤتمر في نهايته ، وهم اقرب إلى الانفصام والقطيعة والجفاء، وأبعد ما يكونون حتى عن الاحتفاظ بحسن العلائق والتفاهم والصفاء ، الذي دخلوا به قاعة المؤتمر في أول أيامه ، ولعل أكثر ما يصور هذه الحقيقة المرة القاسية ، ما صرح به عدد من القادة العرب انفسهم ، وما اوردته بعد ذلك صحف العالم الغربي ، وإذاعات الشرق والغرب معاً.

فقد صرح رئيس جمهورية لبنان بان المؤتمر كان يعكس الوجه الحقيقي للوطن العربي ، وصرح الرئيس جمال عبد الناصر(بأن المؤتمرات الأخرى كان يحدث فيها خلاف كبير ، ولكن الظروف التي ينعقد فيها هذا المؤتمر جعلت الخلاف يبدو كبيراً) وقال معمر القذافي (لم يكن في المؤتمر مكان للأحرار) وذكرت صحف بيروت (أن مؤتمر القمة كان مهزلة ويحرز انتصاراً للمصلحة الذاتية والتفكك) ، وأكدت جريدة البرافدا السوفيتية أن المؤتمر كان ناجحاً، وأن الصحف الغربية هي التي تروج لفشله ، وقالت إحدى الصحف الفرنسية (أن مؤتمر القمة لم ينجح في شيء سوى أنه قد انعقد) وكانت الولايات المتحدة أكثر الدول انشراحاً بفشله ، فقد ذكرت احدى الصحف الإسرائيلية (إن أمريكا كانت تخشى من نتائج نجاح هذا المؤتمر ، وقد اطمأنت الآن) وأذاع صوت العرب (أن الرئيس عبدالناصر قبل انسحابه من الجلسة الختامية طلب من الرؤساء ، والملوك أن يجيبوا على سؤال واحد، وهو : هل تريدون الحرب ضد اسرائيل أم لا ؟ وأن الجمهورية العربية المتحدة قادرة على أن تتخذ أيّاً من الموقفين) وأذاعت لندن (أن أجهزة الأنباء التي تصدر في ليبيا قد كشفت النقاب عن موقف كل دولة عربية داخل المؤتمر من الدعم الحربي ، وأن الجمهورية العربية المتحدة والاردن وسوريا هي التي تقدم عونها المادي الذي التزمت به من قبل دون زيادة ، وأن السعودية طلبت معرفة طريقة الصرف فيما قدمته من عون مالي من قبل ، ، وأن تونس واليمن الشعبية ، واليمن الجنوبية اعتذرت عن تقديم شيء لسوء احوالها الاقتصادية ، وان ليبيا تلتزم بتقديم العون المادي الذي التزمت به باقي الدول، ولم تذكر الصحيفة الليبية شيئاً عن موقف السودان من التزامه في معركة المصير الفلسطينية ، وقد اولى السيد ياسر عرفات رئيس منظمات الفدائيين الفلسطينيين (أن المؤتمر قد نجح فيما يتعلق بدعم الفدائيين ، وفي أنه لم يتخذ قراراً بقبول الحل السلمي).

فمن هذه الخطوط المحددة يمكن الوصول إلى الحقيقة التي ما اختلف عليها القادة انفسهم ، وهي أن مؤتمر القمة لم يحقق الغرض الذي انعقد من اجله ، وأنه كذلك لم يقرب الشقة اكثر بين الزعماء ، بل العكس من ذلك هو الصحيح ، وأن المرء تتملكه الحدة من هذه النتائج المؤلمة في الوقت الذي يحس أن ليس لنا من صديق يرجو من كل قلبه لهذه الأمة المرتبطة الجذور بالإسلام ، أن تبني لنفسها كياناً أو تقيم حضارةً ، أو تؤسس مستقبلها على قواعد مستقرة ،إذا ما تحقق لها كسب المعركة القائمة اليوم ضد اسرائيل ، وان اكثر من سؤال

يمكن أن تردد حول مثل هذا المؤتمر رغم الحاح كل الظروف من حوله على ضرورة انجاحه ، لماذا فشل؟! وهل هناك مصلحة لدولة أو أكثر في فشله ؟ ولماذا وضعت الجمهورية العربية المتحدة الامر كله في الزام كل الدول العربية بالموافقة على الخطة الحربية التي قدمها الفريق محمد فوزي ، القائد العام لجيش الجمهورية العربية المتحدة ، رأت الجمهورية العربية المتحدة في الجمهورية الليبية بديلاً للكويت والمملكة العربية السعودية فيما تقدمانه سنوياً من مساعدات مالية للجمهورية العربية المتحدة، ألا يعني هذا الموقف المتسلط من الجمهورية العربية المتحدة ، أن هناك بديلاً يطمئنها على اتخاذ مثل هذا الموقف الذي تنحصر الاجابة عليه في كلمتين : نعم ،أو لا ؟ ثم ما هو مصير العلاقات العربية ابعد انفضاض مؤتمر القمة؟ وإلى أين تتجه العلاقات المصرية السودانية الليبية ، بعد اللقاء الثلاثي الذي سينعقد غداً في ليبيا بين رؤساء هذه الدول الثلاث؟

إني أتوقع تغيراً كبيراً يطرأ على العلاقات بين الدول العربية من جهة ، وبين الدول الكبرى من جهةٍ أخرى ، فاني أكاد أحس بل أجزم بأن شيئاً كبيراً يجري في محيط العالم العربي ، وأن إسرائيل في كل ذلك تمثل دوراً مشتركاً ذا حساسياتٍ متفاوتة ، ترى ماذا تضمر الأيام القادمة لمستقبل العالم العربي؟! إلى أين المصير والمستقر؟ وأين كل هذا من الإسلام المنبوذ وراء الظهور ؟؟؟؟

***

- ومثلما خاب أمل المواطنين هنا في محكمة الشعب التي حددت هذا اليوم في جلسةٍ مفتوحةٍ خلافاً لما درجت عليه منذ بداية محاكمة السيد أحمد زين، فقد تهيأ الناس للاستماع لمدة لا تقل عن الأربع ساعات إلى المرافعين، وهم يتوقعون أن يسمعوا كثيراً من المفاجآت والحقائق المستورة ، والفضائح التي تنتظم عدداً كبيراً من المسئولين ، مما يمكن أن يقوّض أساس هذا النظام ، ولكن تحدث رئيس المحكمة قائلاً أن المحكمة بعد اطلاعها على مرافعة المتهم أحمد زين العابدين ، رأت أن تنظرها مرافعة الاتهام في جلسة مغلقة ، استناداً للقانون الذي يخولها هذا الحق، ان هذا الامر يعد مفاجأةً بالنسبة لي ، اذ أن المحكمة أصدرت قراراً بالموافقة على تحديد هذا اليوم للإستماع إلى المرافعتين معاً ، ومن الغريب أن تتراجع المحكمة عن قرارها بهذه الصورة ، (لم يكن ذلك قراراً) (كان قراراً وملزماً للمحكمة) ، إن المحكمة استناداً على القانون الذي يخولها هذا الحق رأت ألا تستمع إلى المرافعيتن وتكتفي بالاطلاع عليهما ، ثم تصدر حكمها وتخطر به المتهم ، بعد موافقة رئيس مجلس قيادة الثورة عليه ،

عند ذلك تحدث السيد أحمد بانفعال وتحدٍ (المحكمة عملت كدا عشان بابكر عوض الله داخل في الموضوع)رئيس المحكمة منفعلاً (إن بابكر عوض الله ثائر ، وأنا أعرفه أكثر منك ، ومعرفة يوم واحد خير من معرفة سنين ، والمحكمة تأمرك بالجلوس) (فقط امتثالاً لأمر المحكمة سأجلس) ، وارتفعت عند ذلك علامة استفهام كبيره ، ووضح بعدها كل شيء ، وأن اسم رئيس الوزراء بابكر عوض الله، كان مفتاحاً كبيراً وتلخيصاً وافياً لمرافعة السيد أحمد التي منعت المحكمة قراءتها، وساد المحكمة بعد ذلك سكونٌ عميق ، سارع نحوه رئيس المحكمة ليقول كلاماً لخّص فيه بلا إرادةٍ منه بقية مرافعة السيد أحمد التي منعت المحكمة من اعطائها حقها في الحرية التي توفرت خلال كل الجلسات الماضية ، (إن المحكمة قد وسعت صدرها للمتهم منذ بداية الجلسات ، وغضت طرفها عن كثيرٍ من الفخر الذي كان يصدر منه ماساً بالمحكمة، ومنحته الفرصة في أن يدفع عن نفسه التهم الموجهة إليه ، ولكنه وقد قضى في المحاماة أكثر من خمسة عشر عاماً يرد ويفنّد التهم ، ولكنه جعل يتحدث عن أمور لا علاقة لها بالقضية ، فأخذ يمجد العهد الماضي، ويهاجم الثورة ، والمحكمة لم تجيء للتشفي ولكن جاءت للقصاص وانها محكمة الشعب .

وقد فهم الرأي العام كل شيء ، فالدفع القانوني الذي قدمه السيد أحمد خلال سير المحاكمة ، والرد القاطع على كل جزئيات التهم التي وجهت إليه وتفنيده لها ، والأدلة لتي ساقها اثباتاً للحقيقة ، أو نفياً لتهمة ، كل ذلك وغيره قد وضح امام الرأي العام ، واستطاع الشعب الذي تنعقد هذه المحكمة باسمه أن يحدد ابعاد القضية ، ويحدد كذلك ما إذا كان السيد أحمد قد استغل نفوذه كوزير لتحقيق منفعة ذاتية ، أنه أخذ فوق كل ذلك يتساءل ، عما إذا كان هذا هو الفساد الذي تجري به الثورة لكشفه؟ أم ان هناك اتهامات خطيرة وكثيرة، تفوق هذه التهم التي وجهت للسيد أحمد عشرات المرات، ولكنها لم تجد طريقها إلى المحكمة لأنها تتعلق بشخصيات كثيرة لها مكان معلوم في النظام الراهن ، وفي الوضع السابق على السواء؟!

إن الحقيقة التي لا مراء فيها ، هي ان الشعب قد أحسّ بان هذه القضية كان يمكن أن تفتح امام الحكومة ومجلس الثورة باباً واسعاً للتطهير الحقيقي في مختلف قطاعات الناس، لو كانت الحقيقة وحدها ، والعدالة المجردة وحدها ، هما من الغايات التي يسعى لاثباتها وتحقيقها النظام القائم ، ولكن المحكمة منذ البداية رفضت خلال إجراءاتها أن تسمح بفتح

أية ثغرة يمكن أن تقود إلى البحث وراء أسخاص قد لا يشرف الحكومة أن تظهر أسماؤهم ضمن قائمة المتهمين ، وكانت الجلسة الأخيرة مصداقاً لكل هذه الحقائق التي أشرت إليها وقد فهم الناس كل شيء وفهموا من الجلسة الأخيرة، وهي خلاصة الجلسات السابقة كلها ، مالم يستطيعوا فهمه فيما مضى ، بل كانت أقصر جلسات المحكمة الا انها كانت اكثرها اكتنازا بالحقائق، وبالضوء والحركة ، وبالانفعالات التي كانت ترجمةً لكل شيء ، أن المحكمة انتهت ، وانصرف الناس - المستمعون منهم والمشاهدون - إلى حياتهم اليومية ، لكن في قلب كل منهم محكمة حقيقية بكل مقومات الحكم ، بل ان كل واحدة منها قد أصدر قاضيها الحكم في هذه القضية ، بل وقد أصدر حكمه على محكمة الشعب نفسها بكل ما فيها ، ولم يعد بالناس حاجة إلى أن يعرفوا نتيجة الحكم ، فهو باستقراء الاحداث ، وقرائن الاحوال التي جعلت السيد أحمد هو المتهم الثاني الذي يقدم لمحكمة الشعب منذ قيام هذه الثورة ، انما هو حكم بالإدانة ، رغم كل شيء ، فقد وضح ذلك من سير المحكمة نفسها رغم أن رئيسها حاول أكثر من مرة أن يثبت بان العدالة وحدها هي رائدهم ، وأن التشفي ليس هدفاً تجري من وراءه المحكمة ، ان الحقيقة التي يمكن ان أقررها وأنا إليها مطمئن النفس والضمير ، وهي في ذات الوقت تمثل الرأي القاطع لدى المواطنين المخلصين ، هي ان السيد أحمد برئ من كل ما ألصق به من اتهامات، سواء أصدر الحكم بإدانته أم ببراءته ، فانه قد أرضى الله والشعب وأرضى ضميره بمواقفه الوطنية الجريئة الثابتة ، التي وقفها داخل هذه المحكمة ، وستظل كلمات ثلاث وردت في الجلسة الأخيرة يرن صداها في الآذان دائماً..دائماً، عنواناً للحقيقة ، وتلخيصاً لهذه القضية ، بل للنظام القائم كله ، بابكر عوض الله.. تمجيد للعهد الماضي ..هجوم على الثورة .

الخميس ١٩٦٩/١٢/٢٥م

حين يكون الحقد الكثيف هو الإطار الذي يعيش بداخله الإنسان ، فلن يصدر منه حين يعبّر عن ذات نفسه ، الا ما التاث بهذا النبع المتعفن الذي يحيط بذاته من كل مكان، وهذا صنف من البشر ، كشفت عن معدنه ظروف العمل العام ، الذي يتعرى فيه الإنسان امام الناس ، حتى لو تدثر بعشرات الثياب ، هو صنف من المسئولين برز في عهد الحكم الثوري، حكم الاشتراكية العرجاء ، حكم المشبوهين من الذين لبسوا المسوح ، وتدثروا بأغطية

شفافة ، ناعمة الملمس ، وانطووا على زعاف الافاعي، ونتن الجيّف، من هؤلاء ، واحدٌ جعل الله الحكم على يده نقمةً وشراً تنعكس عليه الحقيقة التي ظل منطوياً عليها لسنين ، فقد أذاع على الناس صباح هذا اليوم كلمة يهنئ بها المسيحيين بعيد الميلاد بوصفه رئيساً للوزراء بالإنابة ، ولم ينس أنه ملتفٌ بحقده وأضغانه على الإسلام وعلى المسلمين رغم أنفه، حتى يوم كان رئيساً فعلياً قبل أن يحيق به غضب من الله فيقصيه عن هذا الكرسي الذي جرى خلفه حتى انكفأ على وجهه ومرغّه في التراب ، فقد بدأ حديثه الأبتر ، مخاطباً المسيحيين ومذكراً لهم بدعوة المسيح عليه السلام للتسامح والسلام ، وأدان محاولات الاستعمار الاخيرة في الجنوب ، ثم قفز فجأة ليلقي على المستمعين جانباً من القيء الذي تطفح به ذاته في كل حين ، ويعرض عليهم لوناً من الحقد المسموم الذي ينسرب من خلال لسانه الملسوع ، فأخذ يهذي بحديث يرغم الإنسان على احتقار قائله ، ووصمه بسوء الطويّة ، والتواء العقيدة ، والكيد للإسلام في شخص الإخوان ، حيث قال بالحرف الواحد (وندين الإخوان المخربين ، عملاء الصهيونية والاستعمار ، الذين يسمون انفسهم زوراً وبهتاناً مسلمين). هذا هو الوجه الحقيقي الذي كان ذات يوم رئيساً ، فانحط ليصبح وزيراً، ثم ينزاح عنه ، ليلقى اخيراً جزاء ما اقترف لسانه ، وما اجترح من السيئات، وما ينفطر به قلبه ، ويجري به كيانه ، غضباً عليه من الله وكرهاً له ومقتاً من الناس ، جزاءاً وفاقاً له ولأمثاله الذين يعيشون بين الناس بمئات الوجوه ، ومع الله بمئات القلوب وهم يمكرون ليلاً ونهاراً ، والله يُملي لهم ليزدادوا إثماً (حتى إذا فرحوا بما أتوا أخذناهم بغتة ، فاذا هم مبلسون) ، وهكذا يمتاز المجرمون حتى في الحياة الدنيا ، ليميز الله الخبيث من الطيب ، فهذا الصنف الحاقد ، هو الذي بيده مقاليد أمور هذه الأمة الطيبة التي وجد فيها الفُسّاق والخائنون مجالهم ، واستغلوا مناصبهم ، ليكيدوا لعقيدة هذه الأمة ، وليطعنوا في أعز وأكرم وأطهر بنيها ، وهم بذلك انما يرمون هذا الدين ، بتسخير من سادتهم وأولياء نعمتهم من الشيوعيين هنا وفي الخارج ، كجزء من مخططاتهم ومحاولاتهم الحقيرة الفاشلة في حرب الإسلام ، بيد الذين لا يؤمنون به ،وامتثلوا له في سلوكهم و تربيتهم ، لأنهم اليوم في مركز السلطة والحكم ، وبيدهم أجهزة الإعلام التي يصرف عليها دافع الضرائب المسلم ، ليرتدّ إليه ما يدفعه سهاماً فاتكة بيد المسئولين ، تصيبه في عقيدته ، وفي دينه ، وتطعنه في اعزّ ما يملك في حياتنا الدنيا ، وحين تبذر في طريق القبلة التي ارتضاها ايماناً واحتساباً، بذور الشك والتضليل والانحراف ، هؤلاء هم المسئولون ، في ظل الاشتراكية

والثورة ،وهذا الذي يحدث هو عنوان هذا النظام ، هو أحد ثواره وقادته ، أحباره ورهبانه ، فهل من دليل أسوقه على مدى انحدار هذا الحكم الهابط ، أكثر من أن يكون بين وزرائه ، واحدٌ كرئيس الوزراء بالإنابة؟ ان الله القدير الذي يدرك سجية هذه الأمة ، وعلم ما انطوت عليه معايير الخير والرغبة في أن يقوم حكم الله في هذه الأرض عنواناً عليها ولها ، أنه سبحانه يملك أن يجعل من هؤلاء الذين يحكمون هذه الأمة اليوم عبرةً للذين ينحرفون بإرادة شعوبهم ، ليقودوها ، وهم يستترون في طرف الحكم ، وللتعبير الاجتماعي ، بعيدةٌ .. بعيدة عن عقيدتها وعن دينها حتى ترتكس في حمأة الاتجاه اللا ديني الذي تقوده بعض الدول تحت شعار العروبة ، حيناً ، والاشتراكية الوضيعة حيناً آخر ، ويومذاك فقط يستقيم الطريق للناس وتتضح الرؤيا ، وتأخذ الارادة الشعبية مسارها الطبيعي الذي ظلت تكافح من اجله منذ نالت البلاد استقلالها ، وعلى مدى الحكومات التي تعاقبت على الحكم ، دون تمييز في ذلك بين حكومة وأخرى ، فقد جربها الشعب المدنية فيها والعسكرية ، فما وجد فيها واحدة تستجيب لإرادته ، فينتهج الحكم نهجاً يقترب من الإسلام ، في حين الاخذ بنظام شامل مشرع للإنسان والكون والحياة .

إنني أؤمن بأن فجراً جديداً سيطلع على هذه الأمة ، ويمحو عنها كل الوان الظلم والظلام الذي رأته على مدى السنين السوالف ، وعانت منه ألواناً من الأسى والارهاق والقلق ، ولكنّ الله هو يجزي الصابرين ، هو وحده الذي سيهيء لأمتنا العظيمة الصابرة ، حياة أكرم ، وأفضل تقوم على الحق والخير ، والحرية والعدل ، والكرامة والاستقرار .

قطع راديو أم درمان إذاعته فجأة في نحو العاشرة مساء ليعلق أن الرئيس عبد الناصر سوف يزور السودان لحضور عيد الاستقلال، عبدالناصر ونميري الآن في ليبيا وأعلن ان النميري سيقطع إقامته ليعود إلى السودان بعد غدٍ..

الجمعة ١٩٦٩/١٢/٢٦

وردت فجأة في مقدمة الأنباء التي وردت من ليبيا ، (نغمة الوحدة المصرية، السودانية الليبية) ، والاتجاه وضح منذ أسابيع مضت على إثر الموضوع الذي كتبه بالصور الكاتب المصري أحمد بهاء الدين، ونادى بضرورة الوحدة بين (مصر- السودان – ليبيا)، الذي ربما كان يوحي لأجهزة الاستشارة المصرية التي تخطط لمثل هذه المسائل الكبرى التي تشغل بال

مصر في المقام الأول ، وسرعان ما تلتفت الدوائر الرسمية في مصر لهذا الامر، وأبرزته كضرورة تمليها الآن الاعتبارات السياسية والثورية والاشتراكية، وتلقى السودان هذه الرغبة المصرية الملحّة، عند عودة النميري لمصر بعد عودته من الاتحاد السوفيتي، وتلقفته ليبيا بالطريق الذي ارادته القاهرة، وعند عودة النميري إلى السودان نفى كل تفكيره في الوحدة ، وذكر أن الأمر لم يتجاوز فكرة التنسيق في بعض المسائل الكبرى بين الدول الثلاث ، ولكن يبدو أن الأمر الان بدأ يتخذ موقفاً جديداً باجتماع الرؤساء الثلاثة في ليبيا، إذ أسفرت الاجتماعات الرسمية التي عقدت على تكوين مجلس ثلاثي يضم وزراء الدفاع والخارجية والاقتصاد، في كل من الدول الثلاثة لتنسيق الشئون الدفاعية والسياسية والخارجية والاقتصادية ، وما يتفرع عن كل واحدة في هذه المسائل الكبرى من تفصيلات دقيقة تشمل كل فرع يمكن أن يتصل بواحدة منها ، وبقليل من النظر تبين بأن جميع الوزارات الأخرى في السودان هي توابع كبرى للوزارات التي يدور حولها التنسيق، وبالتالي فإن التنسيق يقوم بين جميع الوزارات في كل من الدول الثلاث ، والوزارة هي جزء من الحكومة، وجميعها يعني (الحكومة) وربطها يعني (وحدتها) ولم استطع ان أفهم غير هذه الحقيقة .

يبدو الأمر بصورته هذه خطير وكبير ، وان استطاع عبدالناصر أن يقطع فيه الرأي ، فإن ما له من القدرات والصلاحيات ، ما يستطيع به مناقشته والقطع فيه برأي من تجارب سبعة عشر عاماً في الحكم في مصر، كفيلة بأن تجعل من يتحدث باسمها خاصة في أمر يتعلق بمصيره ، في وضع لا يدانيه فيه أحدٌ من أولئك الذين ليس لهم من التجارب والمواهب والاستعداد الفطري ، يمتد لأشهر معدودات ، لا تكفي لتكوين الجنين في الرحم، وتجارب الوحدة في مشروع الوحدة ، على يقين واستعداد لأن يعطي على الفور إحصائية كاملة بكل أبعادها واحتمالاتها في ذلك ما طبّق منه وفشل ، يمكن للقضية المطروحة اليوم أن ينشأ عنها تجربة جديدة مع مصر. ميزان القوى في هذه القضية غير متكافئ ، ولا وجه فيه للمقارنة ، فعبد الناصر استطاع خلال سنوات حكمه الطويلة في مصر، أن يجعل كلمته سارية المفعول دون معارضة ، فإن النميري بلا أدنى بارقة من الشك ، لن يستطيع حتى ولو مكث أضعاف ما مكث عبدالناصر، أن يهزم أمراً كهذا، وفي السودان شعب يسمى الشعب السوداني ، ومرجع ذلك إلى أسباب لا تقع عند حصر ، فالنظام القائم وبأسخاصه الذين هم أمامنا ماثلين ، ليسوا هم الوجه السوداني الاصيل الذي يعكس حقيقة هذا الشعب ، والمعارضة القائمة في وجه هذا

النظام هي بلا أدنى ريب أقوى اثراً ، وأشدّ تأثيراً ، وأبعد نفوذاً من الحكومة الآن، رغم ما تملك هذه من وسائل التأثير والاعلام ، وما تملك من سلطة وقوة، فالمعارضة الان في سلبيتها ، أرسخ قدماً من الحكومة في ايجابيتها .

السودان في اتساعه الذي يجعله في مصاف القارات ، لا يمكن الهيمنة عليه وبسط النفوذ فيه ، ان الحكومة تملك الجيش والسلاح والتنفيذ ، فإن أثمرت مثل هذه العوامل في كثير من البلاد العربية فجعلت الحكومة فوق الشعب ، فإن السودان بجغرافيته وقبائله وعاداته ، ولهجاته ، وتباين تقاسيمه الاجتماعية ، واهتزاز الموازين الاقتصادية على مدار العام منه ، يجعل من العسير على أية حكومة أن تظن بنفسها القدرة على الانفراد بالحكم فيه ، واخضاع الناس لأرادتها وسلطانها ، متجاهلة كل هذه الاسباب التي تحدّ من تطاولها ولو وهن منها العظم ، وتبدد كثيراً من طاقتها وقدراتها ، والعُصبة الحاكمة اليوم ليس لها من تاريخها وماضيها وسلوكها أو تفاعلها الاجتماعي ، ما يؤهلها حتى إلى حكم نفسها ، أو الحكم عليها ، ناهيك عن أن تظن بنفسها وهي في فورة من الحماس المفتون ، أن تحكم هذا الشعب الذي يعزّ على الكثيرين أن يسبروا غوره ، وان يدركوا موطن الانقياد فيه ، ولعل أبرز المؤهلات التي تقعد النظام عن الاستمرار في الحكم هو الجهل المطبق الذي يخيم على أسخاصه ، والجهل رذيلة ، والرذيلة ضعفٌ وانهيار ، وليس في مقدور مرتذل ضعيف منهار ، أن يقوم بأعباء أمانة الحكم ، التي تقوم أول ما تقوم على الفضيلة والقوة والتماسك الذاتي ، وهنا قاصمةُ الظهر في هذا النظام وهذه الامةُ الكريمةُ الطيبة، التي هانت حتى على العصبة المهتزة الحاكمة ، فأرادوا ا يحكموا باسم الاشتراكية المغلفة التي تحمل في أحشائها البذرة الحقيقية للشيوعية ، التي تظل تكبر داخل هذا الاطار البراق ، مثلما تفعل العقرب التي تختزن بيضها بداخلها حتى إذا حان وقت فقسه انفجرت عن عشرات العقارب الصغيرة تنتشر في كل مكان ، ان هذا الشعب قد حدد نوع الحكم الذي يرتضيه ، وعبّر عن هذه الارادة في حرية مطلقة ، وايمان لا يتزعزع ، ولا عنه يريم ، حتى برزت هذه الإرادة الشعبية في الدستور الذي كانت في مسودته تأخذ طريقه إلى الجمعية التأسيسية قبل أن يغرس فيها أظافره الإنقلاب المسعور ، ولم يكن الحكم الذي ارتضاه الله لها منهجاً قويماً في كل ما يتصل بوجودها وكيانها ، أما القشور التي حكاها (الثوريون) وارادوا أن يوهموا الناس بانها شعارات ذات محتوى ، اما الاشتراكية التي ينادون بها اليوم ، لتصرف الناس عن منهجهم العقائدي في

الحكم ، فلن تغني أو تخدع الشعب عن مواصلة كفاحه من أجل إرساء قواعد حياته على الإسلام ، مهما كلفه ذلك من تضحيات ، والنظام القائم اليوم كذلك ، ينبئ عن صفة متأصلة فيه وهي الكذب ، فقد ظل أسخاص منذ أول يوم يكذبون على انفسهم في غير طائل ، لينفوا هذه الوصمة عن نظامهم وأسخاصهم والشعب ، يسوق إليهم الدليل تلو الدليل تأكيداً لهذه الحقيقة التي ظلوا ينكرونها وقتاً طويلاً. لهذه الأسباب وغيرها فإن هذا النظام أعجز وأجبن من أن يقوم على خطوة يتحدث باسم الشعب السوداني في هذا الرقعة الممتدة المسماة السودان المستقل ، ولكنهم في معرض التمسح بأعتاب مصر، يستطيعون في فورة الحماس المنبعث من هتاف الجماهير والذي تفور فيه العواطف وتنحجب العقول ، أن يعلنوا بلا عمق في التفكير أنهم انما يتحدثون باسم الشعب الذي فوضهم ومنحهم الحرية في أن يقولوا عنه ما يشاءون، أن يعلنوا (الوحدة) التي تراد لهم أو تملى عليهم ، وان يذيبوا كيان هذا الشعب في أية بوتقة عربية يجدونها امام اعينهم ، أليسوا هم الثوار الاحرار الاغرار ، الذين فجروا الثورة بالليل دون علم النهار؟ أن الخيال السقيم والغرور والجهل والغباء الذي تجسد في هذه الرؤى أمامهم فتجعلهم في موقف الأوصياء على هذه الأمة الواعية ، وهم وحدهم أحوج ما يكونون إلى هذه الوصاية والقوامة .

إن مبدأ الوحدة من أخطر المبادئ التي تعترض سبيل هذه الأمة ، وما من أحد على الأرض يمكن أن يقطع فيها برأي ، الا هذا الشعب نفسه ، الذي أقام حياته منذ قام على الحرية والاستقلال والكرامة ، ان الشعب وحده هو صاحب الكلمة الأولى والاخيرة في هذا الشأن، هو الذي يرفع صوته، هو الذي يملي إرادته ، هو الذي يقرر مصيره ، هو الذي يحدد مستقبله ، وكل سكوت سوف يرتفع بلا تفويض صيغ من هذه الأمة ، إنما هو صوت نشاز، صوت يعبر عن شيء مما تضمره هذه الأمة ،وكل ما لا قطع فيه هذا الشعب برأي ، يخبو تحت الاقدام من أية جهة صدر ، وعلى أي لسانٍ جاء، ولن يكون هذا النظام القائم هو لسان هذه الأمة ، لأنه أشبه ما يكون بالظل القصير ، سرعان ما يزول ، قبل يتقي به أحد من لفح الهجير ، انه نظام غريب عن هذه الأمة ، مرفوض منها ، وسيعود من حيث جاء، مشيّعاً باللعنات ، ليرقد في أطراف البلاد في عمق مكتوب (هنا يرقد اللصوص الغرباء) لقوا مصرعهم بيد الشعب ، وهم يسرقون إرادته ، ويبيعون كيانه ، ويسلبونه حريته ، ويطمسون دينه ، وعقيدته ، عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

السبت /١٩٦٩/١٢/٢٧

- قطع النميري رحلته المشتركة مع عبد الناصر إلى ليبا فجأةً عقب إذاعة نبأ زيارة عبد الناصر إلى السودان وعاد مساء هذا اليوم، وتحدث في المطار عن رحلته، وعن زيارة عبد الناصر التي قال عنها أن سيادته قبل مشكوراً الدعوة التي وجهها إليه لحضور احتفالات الاستقلال، وأنها ستكون زيارة قصيرة ، وقد تردد بأن سبب هذه العودة المفاجئة هو تدهور الأحوال في الجنوب ، وسوء الاحوال فيه بعد أن شدد المتمردون والمرتزقة القبضة على رجال الأمن هناك ، مما جعل أخباراً عن مقتل عدداً كبيراً من جنود الجيش، تثير كثيراً من القلق بين المواطنين في الشمال مما حدا بالإذاعة بتخصيص برنامجها في (ركن القوات المسلحة) إلى مخاطبات ورسائل بعث بها بعض الجنود في مناطق الاستوائية إلى أهلهم وذويهم في الشمال، ولكن السبب المباشر في تقديري هو الدعوة المفاجئة التي وجهت إلى الرئيس عبدالناصر لزيارة السودان، وهنا لابد أن يصعد سؤال مفاجئ حول هذه الزيارة وأسبابها ودوافعها، وما وجه العجلة منها؟ وهل كان يمكن أن تتم بعد الاعداد لها في شيء من الاطمئنان؟

إن الأنظمة القهرية الحديثة لا تستمد وجودها من ارادات شعوبها ، بل هي تقف في اتجاه قضاء هذه الارادة ، ومن هنا كان عليها أن تفرض وجودها ، اما عن طريق القوة والبطش، أو أن توهم نفسها بهذا الوجود الموهوم الذي يؤيده الشعب في تصورها ، عن طريق التجمعات والحشود الضخمة في مناسبات تفتعلها الحكومة افتعالاً ، حدث هذا في عهد الحكم العسكري الأول في السودان ، ذلك الحكم الذي قام على انفاس هذه الأمة وبلا ارادة منها، فقام معزولاً عنها ، مهتزاً من قواعده ، فعاش ذلك النظام وكأنه سرطان نبت في رئتيها ، أوشك أن يحول بينها وبين النمو والحياة ، وحين أحسّ بتلك العزلة القاتلة بينه وبين الشعب ، وأن كيانه وحده لم يعد يجمع إليه الشعب من حوله ، لجأ إلى استجلاب الشخصيات العالمية التي يتوق الناس إلى رؤيتها من فرط ما سمعوا عنها وقرأوا ، حتى إذا تجمع الناس وهم يستقبلونها على عادة السودانيين الذين يكرمون الضيف ويحسنون وفادته ولو كانوا له كارهين ، امكن عند ذلك للحكومة أن تعيش على هذا الوهم والثقة التي تعود إليها بسبب هذا التجمع الذي تستطيع به اقناع نفسها بتأييد الشعب لها ، والهائه بها، وايمانه بها ، واصراره على بقائها ، وكثيراً ما يكون هذا الوهم القاتل ، والخيال المُشطّ ، قائماً يصل لدى قمة الجهاز الحاكم الذي تترسب في أعضاءه هذه الخيالات الممرعة ، فعمد ذلك الحكم العسكري

إلى دعوة الرئيس اليوغسلافي تيتو كأول زائر للسودان، ورغم كُره الناس لذلك النظام ، ووقوفهم منه موقفاً سلبيا ممعناً في سلبيته، الا انهم استقبلوا ذلك الضيف استقبالا كبيراً على طول اقامته وزيارته للسودان، وكان بصحبة الفريق عبود الذي كان يستمع إلى التصفيق الموجه أساساً للضيف، وللبِشْر البادي في الوجوه ، وكأنه موجه إلى النظام الحاكم في شخصه ، فتحدث الطمأنينة والانشراح ، وتنبعث الطاقة التي يمكن أن تدفعهم في الحكم فترة غير قصيرة ، وكلما تلاشى هذا الاحساس أو تبدد صداه عن آذان النظام القائم، عمد إلى دعوة زعيم آخر ، ليثبت به أقدامه ، وليستمع خلال زيارته إلى التصفيق والهتاف الموجه للضيف الزائر، ففي ذلك وحده ارضاء لطموح الحاكمين، وراحة لهم تعينهم على ميزتهم الشاقة وسط البؤس والكراهية والعزلة التي يعيشونها بين الجماهير ، وتعاقب بعد ذلك على السودان بدعوة من الحكومة العسكرية عدد من الشخصيات العالمية ، تؤدي نفس الدور الذي ترمي إليه الحكومة من وراء توجيه الدعوة لهذه الزيارات ، فزار السودان خلال فترة الحكم العسكري، برزنيف ، وأبوتي ، وجمال عبدالناصر ، ووجهت الدعوة للملكة اليزابيث التي زارت السودان ولكن بعد نهاية الحكم العسكري ، في نفس التاريخ الذي حدده النظام العسكري قبل زواله ، وحين اشتدت الأزمة الوطنية بين الحكومة وقتذاك وبين الشعب بقيادة الزعيم الوطني المرحوم الامام الصديق المهدي، وكان على وشك الصدام أن يقع بين الحكومة والشعب، وأصبح السيد الصديق وحده هو الرجل الذي تلتف حوله إرادة الشعب، وتنعقد عليه آماله ، عمدت الحكومة إلى دعوة الرئيس جمال عبدالناصر، إلى زيارة السودان ، أملاً في أن تكون زيارته ترسيخاً للنظام، وتقليلاً من قبضة الشعب على الحكومة ، وكسراً لشوكة المعارضة التي بلغت ذروتها في تلك الأيام ، وقد استقبل عبدالناصر استقبالاً كبيراً لم يشهده ضيف زار السودان في دلك الوقت، ووجهت إليه الدعوة باسم الشعب بيد قائده ومعقد آماله السيد الصديق ، في بيت الإمام المهدي الذي لم يشهد تجمعاً كالذي شهده يوم احتفاءه بالرئيس عبدالناصر ، وقد كان لهذه الزيارة بالفعل أثر مباشر، وتدعيم ذلك النظام بما أحسه الشعب من رضاء عبدالناصر من ذلك الوضع رغم ان عبدالناصر كان يعلم سلفاً معارضة الشعب للنظام ومقاومته إيّاه ، ولكن يبدو أن مصر كانت تجد في ذلك النظام جانباً من الضعف والركون إلى النظام المصري ، وتستطيع به مصر وقتذاك من تحقيق بعض تطلعاتها ، وقد حدث ان استطاعت مصر أن تضع اتفاقية مياه النيل موضع التنفيذ الفوري، وأن يتم

على إثرها تسوية جميع الاراضي التي ستغمرها مياه النيل المختزنة بعد إقامة السد العالي، وأن تتم على الفور عملية تهجير اهل حلفا إلى موطنهم الجديد فيما لا يقل على ثلاث سنوات، استنفدت الجهد والطاقة من الحكومة العسكرية، وبما لم تستطع به البقاء بعد ذلك إلا قليلاً حتى سقطت صريعة بيد الشعب عام ١٩٦٤م .

واليوم يعيد التاريخ نفسه ، فنعم أن الشيوعيين قد نثروا أنفسهم حول النظام العسكري بقيادة اللواء النميري ، ليوهموا الحكومة بالتأييد وثبوت أقدامهم ، بحب والشعب وإلتفافه حولها ، إلا ان ذلك لم يغرس الطمأنينة في قلبها ، فهي تعلم سلفاً انها منذ اليوم الأول لقيام هذا النظام ، قد كسبت عداء الشعب حقيقةً لا تمويهاً وخداعاً ، حين أعلنت عدائها للأحزاب الاتحادي الديموقراطي ، وجبهة الميثاق الإسلامي ، وحزب الأمة ، والإخوان المسلمين ، واحسّت هي ، لا ما صوّره لها الشيوعيون وحاولوا خداعها به ، الواقع يؤكد صدق احساسها ، وبأن كفة الميزان آخذة في الرجحان عليها ، وأن الارض تحت اقدامها آخذة في التحرك والاهتزاز ، وأن ضمان بقائها رهن بأن تسمع الحكومة وأن ترى الشعب هاتفاً ومصفقاً ولو لضيفٍ زائر ، وليس هناك - وزيارة ليبيا واستقبالها الكبير لعبد الناصر مازال صداه في الآذان – إلا أن يزور عبدالناصر السودان ، وان يكون هو الضيف الذي يزور السودان في هذا الظرف بالذات ، الذي تتأرجح فيه موازين القوى ، وتزداد الفجوات وتشتد فيه الحكومة في الهجوم الزائف المحموم على خصومها ، ويعاني الشعب من سوء الوضع الاقتصادي ، وتتصاعد فيه الحقائق التي تلبس ثوب الشائعات والانحدارات والفضائح الأخلاقية بين عدد من المسئولين في هذا النظام، ليس في هذا الظرف من هو أحق بهذه الزيارة من الرئيس عبد الناصر، الذي سيتنافى لقائه بأفراد الشعب ـ الذين يكرمون الضيف – والشيوعيون والقوميون الذين يقفون على مسافات متفاوتة من الوضع الراهن ، وليس هناك مناسبة لدعوة الرئيس عبدالناصر إليها من الاحتفال بالاستقلال الذي يحسّ هذا النظام بقربه والاحتفال به ، فالذين صنعوه وعملوا له حتى تحقق لهم ، اما في القبور ، واما في السجون ، وكلا المنزلين شادهما رجال هذا النظام ، لأولئك الابطال الشهداء ومن ضمتهم القبور أو مازالت تضمهم غياهب السجون ، اذن ولكل هذه الاسباب سبب من زيارة ناصر للسودان ، ولكن السؤال الذي يتبادر طويلاً إلى الذهن : هل ادت هذه الزيارة الغرض الذي قصد إليه هذا النظام ، مثلما ادت إليه في عهد الحكم العسكري الأول ؟ ام تغير الظروف ، وتغير الوعي

ووضوح الرؤيا لدى الشعب كل ذلك وغيره جعل لهذه الزيارة معنىً آخر ، انني لا أسبق الحوادث ، ولكن أرى أن ثماره ذات طعمين ، وتقود إلى طريقين ، وأنها كذلك سلاج ذو حدين!!.

الأحد ١٩٦٩/١٢/٢٨م

هنا أسجل بعض الأنباء العابرة ، فهي ذات دلالات وظلال .

- السيد الامام الهادي قد وصل مرحلة حاسمة في أمر بقائه بالجزيرة (أبا) ، فهو يرى في مثل هذا الظرف ، أن المدة التي قضاها في الجزيرة كافية ، وأن خروجه يعني مواجهة الحكومة ، فيما يتعلق بوجود هذا النظام ، وهو امر قد يفضي إلى نتائج بعيدة الأثر ، وتؤكد الأنباء الواردة من هناك ، بان الأنصار قد دربوا تدريباً عسكرياً حديثاً ، بسلاح حديث ، ويبدو أن الاسابيع القادمة سوف تشهد أمراً ذا بال - وزعت خلال الأيام القليلة التي مضت منشورات بين القوات المسلحة ، وقد بدأت هذه المنشورات تقلق المسئولين ، وتثير دهشتهم وتخوفهم ، المنشورات تتركز في هجوم مباشر على الفساد الذي يسيطر ويلف عدداً من الضباط ورجال الحكومة .

- وجهت الحكومة الدعوة العامة للمواطنين بالأقاليم لحضور استقبال الرئيس عبد الناصر ، وسيقوم الشيوعيون بدور (أم العروس) في هذه (الشغلانه) .

- عقد الشيوعيون مؤتمراً سريعاً بعد أن اشتد النزاع بين جناحيهم ، وبحثوا فيه موقف سكرتيرهم عبدالخالق محجوب، الذي شدد عليه الجناح الآخر (أحمد سليمان وأبو عيسى) هجوماً خاصاً تدخلت فيه الدولة الأم (روسيا). وقيل أن اللواء النميري في رحلة للاتحاد السوفييتي قد تطرق إلى هذا الأمر مع المسئولين ، وقد تطور الأمر ووصل مرحلة الانتقام الخطير بينهم ، وقد أكدت الأنباء أخيراً أنه قد تم ابعاد السكرتير السابق واستبدل بالتجاني الطيب، ليصبح سكرتيراً للحزب الشيوعي ، يتم كل هذا تحت سمع وبصر وموافقة النظام الراهن الغير شيوعي، والذي حلّ الاحزاب جميعها!!!

توالت اتصالات السيد أحمد عبدالوهاب (ضابط سابق) والسيد نور الدين الشنقيطي، بالسيد الامام الهادي ، وظلوا ينقلوا إليه في إلحاح حاجة الحكومة إلى مساندة ، وقد حسم السيد الإمام هذا الأمر الذي قد تكرر على سمعه منهما ، بأنه يطلب، وقف التحدث معه في هذا الشأن لأنه قد حدد موقفه نهائياً من هذا النظام وأعلن معارضته الكاملة له ، وانه قد أقتنع بما لا يدع مجالاً للشك بأن اللواء نميري والرائد فاروق حمد الله (شيوعيان) .

الأثنين ١٩٦٩/١٢/٢٩

وجّه السيد علي شمو مدير التلفزيون عدداً من الأسئلة للواء النميري على شاشة التلفزيون حول رحلته الأخيرة إلى ليبيا ، ونقلتها الإذاعة بدورها إلى المستمعين ، وأستطيع في ثقة أن أؤكد بان هذه المقابلة الإذاعية التلفزيونية ، قد أوضحت شخصية النميري على حقيقتها بلا رتوش، وكشف عن مجموعة من الصفات التي قلّ أن تجتمع الا في (قيادات الظروف الطارئة) ، فهو عاجز عن التعبير والإبانة عن الفكرة التي يريد تقديمها عجزاً واضحاً، وهي صفة حين يفتقدها قائد يفقد معها كل شيء ، ورغم ان الاسئلة التي قدمت إليه لم تكن مفاجئة له بل قدمت إليه في وقت كافٍ للتحضير للإجابة عليها ، إلا ان هذه الصفة العاجزة قد وضحت في جلاء امام المستمعين والمشاهدين ، برزت هذه الحقيقة خلال اجابته على الاسئلة كلها، وهو كذلك لا يحسن الاداء لغةً وقواعداً ومخارجاً للحروف ، لقد توافرت فيه صفة العييّ أكثر مما توافرت فيه صفة القدرة على الأداء، فهو ينطق ببعض الكلمات بطريقه (منكسرة) لا يقدر عليها الإنسان متعمداً أدائها بتلك الطريقة المعوجة ، فهو يقول (العِدوان ، الاتفاقيات ، الغُدوة ،) وهو بجانب ذلك يحس بفراغ كبير متسع في نفسه ، يريد أن يملأه في سرعة وإلحاح ، قد تطوي أسباب الطموح العاجل الصاعد الذي عاون عليه اختلاله للمسائلة التي هو فيها دون توافر الحقيقة لها ، مما أكسبه جانباً كبيراً من الغرور والزهو وحب الذات ، فحين سئل عن الفترة التي قضاها بالجزائر ونزوله فيها للقاء العقيد هواري بومدين قال : (لقد نزلنا هناك وبرفقتي الرئيس عبد الناصر ...) وحين سئل عن الاستقبال في ليبيا قال (ان الجماهير كانت تهتف بحياة الرئيس جمال عبدالناصر والشعب المصري ، وبحياتي ، وبثورة مايو) ، وحين ورد ذكر القتال في فلسطين أكد بأن دول المواجهة ومن بينها السودان ستتجمع بالقاهرة في فبراير القادم ، وهنا قاطعه السيد شمو قائلاً : أمر جديد ورد في ردّ سيادتكم ، باعتبار السودان من أول الدول المواجهة لخط النّار مع إسرائيل ، فكيف تم ذلك ؟؟ (نعم لقد فرضنا أنفسنا فرضاً في اجتماع مؤتمر القمة حتى تمّ لنا ذلك) ولعل أبلغ ما تميز اللواء في تلك الجلسة (الكاشفة) الكذبة البلقاء التي قذف بها ليبرر بها الزيارة المفاجئة للرئيس عبدالناصر للسودان ، فقد تقدم إليه السيد شمو بسؤال حال هذه الزيارة فردّ قائلاً: (عند عودتي من روسيا وجهت الدعوة للرئيس عبدالناصر لزيارة السودان قبل مشكوراً، وأنه كان ينوي زيارة السودان بعد ثورة مايو مهنئاً ، الا أن ظروف مرضه حالت دون ذلك

وستكون هذه الزيارة قصيرة لمدة أربع وعشرين ساعة ، أو ست وثلاثين ساعة ، ليعود بعدها في زيارة أطول لمدة ستة أو سبعة أيام يزور فيها مدن السودان) .

فاللواء النميري (الزعيم الذي لا يكذب) أراد أن يلقي في روع المستمعين أن هذه الزيارة المفاجئة ، هي أمر متفق عليه منذ زار هو مصر عند عودته من روسيا ، وإذا جازت هذه (الكذبة) وانطلت على الناس ولو إلى حين ، فكيف يتفق هذا مع اعترافه هو في المطار عند عودته من ليبيا بانه وجه إليه الدعوة وقبلها مشكوراً؟ ولماذا قطعت إذاعة أم درمان برنامجها ليلاً لتذيع هذا الخبر المفاجئ قبل أسبوع واحد من موعد الزيارة ، ولما ينزل النميري في ليبيا في صحبة ناصر ؟ ولماذا سكتت الحكومة إن صحّ زعم الزعيم بالاتفاق المسبق على هذه الزيارة ، طوال هذا الوقت منذ عودة النميري من روسيا وحتى يوم إذاعة هذا النبأ المفاجئ ليلاً، لماذا سكتت عنه الحكومة ؟ ولماذا لم تشر إليه من قريب أو بعيد صراحة أو تلميحاً صحيفةً واحدة من صحيفة الحكومة نفسها؟ ولماذا سكتت الإذاعة التي تهتف بكل غثٍ ووضيع ، فلم تقطع من وقتها الدسم ، دقائق معدودات تذيع فيها النبأ كما فعلت حين وصلها لأول مرة من ليبيا، واذاعته ليلاً مراتٍ عديدات؟ انه الكذب ولا شيء غيره ، ومحاولة لإيهام الناس بأن زيارة ناصر في هذا الظرف بالذات الذي تحتاج فيه الحكومة إلى المؤازرة والتأييد ، جاءت باتفاق مسبق ،وهو أمر يكذبه الواقع ، وتؤكد التبريرات الكاذبة التي وردت على لسان رائد الاشتراكية الجديد في جمهورية السودان المنحوسة.

تلك ملامح عابرة لاحت على لسان (الزعيم) ، لتكشف عنه جانب من ذاته (المصونة)، وأيّ شيء يمكن أن يعكس حقيقة الإنسان غير لسانه ، وكم جرى من قبل على لسانه من المفردات والشتم والسباب المقذع ، بأن ما استطعت أن ادرك عمق المنهل الذي يستقي منه حتى تقيأ. الناس في حاجة إلى مزيد من المعرفة بهذا الصنف من الحكام الاشتراكيين، فإن الذي عهد منهم حتى الآن إنما هو جانب يسير ضئيل ، وإذا قورن بما ينطوون عليه من (خبوب ولغاويس) ، ويوم يأتي يوم الحساب والقصاص سيفجع الشعب بالحقائق المخزية ، وستكون عليه حسرةً كلما أعاد ذكرى هذه الأيام الحوالك ، ولن يغنيه عنها إلا أن يتخذ منها العبرة والدرس في مسيرته الصاعدة نحو المستقبل المشرق بإذن الله .

الثلاثاء ١٩٦٩/١٢/٣٠

صدر اليوم الحكم الذي قيل أن محكمة الشعب قد اختارته بالإجماع ضد السيد أحمد زين العابدين، في القضية التي اختاروا لها اسم (الفساد) ، وقد أعلنوه به وهو طريح الفراش بالمستشفى بالخرطوم، وكان المرض في تقديرهم قد انتهى بصدور الحكم عليه، فأمرت السلطات بنقله من المستشفى رأساً إلى سجن كوبر، الذي كان السيد أحمد معتقلاً به ، ونقل من المستشفى قبل ثلاثة أشهر ونصف الشهر، ويقضي الحكم بالسجن عشر سنوات، وحرمانه من الحقوق السياسية، ومن تولي الوظائف العامة ، ومن عضوية إدارة الشركات والمؤسسات التي عليها اشراف عام، وبمصادرة خمسة آلاف سهم التي كانت ملكاً له في شركة مجليفريس بعد تقييمها بالسعر الحالي، وبغرامة قدرها خمسة آلاف من الجنيهات ، وفي حالة عدم الدفع يسجن عامين آخرين عند نهاية مدة السجن الأولى.

ولم تطل دهشتي عند سماعي هذا لحكم ، فإن الروح التي ظهرت من رئيس المحكمة خاصةً في الجلسة الأخيرة التي منع فيها المتهم من القاء دفاعه ، كانت عنواناً مسبقاً بالإدانة غير المنطقية على الاتهام الذي وجه إليه ، فالذين عرفوا التهمة المبنية على استغلال المتهم لتفرده كعضو في الجمعية التأسيسية ، وفي الاتحاد الديموقراطي للحصول على خمسة آلاف سهم في شركة مجليفيرس ثم استمعوا إلى ردود المتهم على الاتهام ، والى اسئلته الموجهة للشهود ، والى كل ما قاله خلال المحاكمة ، كانوا على ثقة من البراءة التامة ،اذا كانت الامور تسير على العدل وحده ، وعلى أن المحكمة ما قامت للتشفي بل للقصاص العادل ، ولكن الحكم جاء على غير ما كان يتوقعه الاحساس السليم المجرد من الهوى ، والغرض لدى المواطن السوداني الذي عايش القضية بكل أبعادها ، جاء الحكم جرحاً عميقاً للحق والعدل ، جاء عنواناً للوضع الراهن بكل رأي الناس عنه ، جاء تشفياً حقيقياً ، واتفاقاً مبيّتاً ، ومخالفةً صريحاً لقول الله تعالى ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ جاء الحكم قبيحاً ظالماً بكل ما للظلم من رداءة وقبح ، ، ومن هنا كانت فجيعة الشعب في المحكمة التي أسموها باسمه وألصقوها به ، وهو منها براء .

إنني على يقين من أن السيد أحمد لم يكن هو الشخص الحقيقي بأن يكون الثاني في قائمة الفساد التي تخيلتها عقول الذين يختارون المفسدين ، وهم أول المفسدين ، ان الثورة

طاش سهمها وهي تلقف الناس بالظن والاتهام الذي لا يثبت عند التحقيق فأخذتها العزة بالاسم ، فتصدر أحكامها على الابرياء ، كأنه محكمة الشعب مفروض فيها وهو من عقابها برئ، ويقوم بساحتها عدل وانصاف .

ولو أن الحقيقة صورت إنساناً ينطق ، ويضع الموازين القسط بين الناس ، لقام هذا الإنسان بعقد (محكمة الحقيقة و العدل) يقارن فيها بين الاتهام الذي وجهته محكمة الشعب للسيد أحمد ، والحكم الذي صدر عليه ، اذن لرأينا العجب وسوء المنقلب ، ورأينا كيف تنتحر العدالة على أعتاب محكمة الشعب. قضية السيد وزير التجارة يقوم الاتهام فيها على مسائل تتعلق بالسياسة ، الوزارة كجزء من سياسة الحكومة التي تدعي الثورة انها قامت بسبب فسادها ، وتعاون في هذا لاتهام اتحاد الجامعيين بالوزارة ، مع عدد من الشهود ، وبدوافع وأسباب يكفي أن يكون الشيوعيون طرفاً فيها ، ورغم أن الأدلة التي استندت عليها محكمة الشعب تذوب تحت الحقيقة الواضحة ، الا ان الاتهام الذي وجه في قضية السيد أحمد زين ، المتعلق بشركة تجارية عادية في الخرطوم ، والحكم الصادر فيها إذا قورنا معاً، لتبين في وضوح قاطع بأن هناك أسباب أخرى قوية جعلت المحكمة تصدر مثل هذا الحكم الجائر الظالم ، في قضية كان محلها الطبيعي إحدى المحاكم الجزئية بالعاصمة المثلثة ، فما هي إذن تلك الأسباب التي جعلت المحكمة تحكم بالهوى ، وترمي بعيداً بالقانون والعدالة من يديها .

إنني على يقين من أن المحكمة لم تصدر حكمها على السيد أحمد زين في الاتهام الموجه إليه والذي دافع فيه عن نفسه ، ودحض كل الادلة التي سيقت لتجريمه ، ولكن السيد أحمد حوكم بسب مرافعته المكتوبة التي قدمها للمحكمة ، ثم منع ألقائها امام الشعب عن طريق أجهزة الاعلام ، واكتفت المحكمة بنظرها في جلسة سرية ، فقد نسي رئيس المحكمة وبعض أعضائها هذه الصفة فيهم، وقرأوا محتويا ت المرافعة الصريحة المكشوفة التي قدمها السيد أحمد زين ، بصفتهم أعضاء هذا النظام القائم ، الذي قضت المادة الثانية من الأمر الجمهوري على حمايته من النقد ، والعيب في ذاته حتى لوكان العيب فيهم حقيقة لاتنفصل عنهم ، فقد كانت المرافعة مرآة رأى فيها النظام القائم حقيقته التي ظن أنها خافية على هذا الشعب ، فقد تحدث عن كل شيء ، عن فساد عدد من رجال الحكومة القائمة ، وذكرهم بأسمائهم ، وفضائحهم الخلقية والسلوكية ، وباشتراكهم في عدد من الشركات ، وابتزازهم

لأموال المواطنين بطرق يندي لها الجبين ، وتحدثت المرافعة المكتوبة عن الانحلال والتحلل بين أفراد النظام الراهن ، والتفكك الذي أشاعوه بين سلوكهم وبين أفراد الامة السودانية ، فما تركت تلك المرافعة خافياً الا وكشفته ، ولا مستوراً الا وأزاحت عنه الغطاء ، لقد كان بإمكان تلك المرافعة أن تسقط هذا النظام من أساسه ، وتزيل هذا الوضع في أيام معدودات .

كانت وثيقة اتهام ضد بعض أفراد المحكمة ذاتها وضد النظام بكل المشتركين فيه ، واذا أضفنا إليها كل ما قاله السيد أحمد داخل المحكمة بالثبات والجرأة المعهودتين ، وما جاء على لسانه من اشارات ظاهرة وخفيه عن هذا النظام ، لوجدنا أن التهمة الحقيقية ضده هي هذه الوثيقة الوطنية التي قدمها كدفاع عن شعبه وأمته لا عن نفسه فحسب ، ان اتهامه الحقيقي جاء بعد أن ثبت للمحكمة أنه بريء من التهمة التي وجهت إليه ، فوجهت المحكمة سراً اتهاماً جديداً بسبب مرافعته ، وأصدرت حكمها سراً في هذا الاتهام ، ولكن المحكمة لم تملك الشجاعة في أن تسمي الاشياء بأسمائها ، ان أحمد زين كما قلت من قبل قد أرضى الله وأرضى نفسه وأمته ، وأن الذين نذروا نفوسهم وعهدهم وحياتهم من أجل بلادهم وأمتهم ، يهون عليهم كل ما يلقونه في هذا ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾

الأربعاء ١٩٦٩/١٢/٣١

لا أ دري لماذا توقفت طويلاً عند هذا اليوم ؟! وقد استعصت الكتابة على قلمي وقلبي معاً ، أليس غريباً أن أحار فيما أكتب ؟ أم لعلها لحظات الغروب دائماً تشق على النفس وتترك في حناياها جراحات ضاربةً في الغور، داميةً في الفؤاد ؟ وكيف أستطيع أن أودع هذا العام المليء بالأعاجيب ، بين اعوامي السالفات ، وكيف أودعه ولا احفل به ، وقد كان أقرب أعوامي إلى نفسي ، وكان جزؤه الأكبر أشبه ما يكون باليوم الواحد الطويل ..الطويل ..الممتد بلا نهاية ، رغم ما يتخلله من ليل ونهار ، وفجر وضحى وظهيرةً وغروب ، لقد امضيت منه حتى هذه اللحظات التي ينغمس فيها بين أعوام البلد ، مائتي وعشرين يوماً في مهمة واحدة يسمونها الاعتقال ، فكانت كل علاقتي به هي السجن ، هي الجدران الأربعة العريضة السامقة المتشابهة ، تتوالى أمام ناظري صورة واحدة متجانسة تمثل مائتين وعشرين سجناً تحمل نفس الاسم ونفس الإدارة ، ونفس المجرمين الذين يصدرون تعليماتهم من وزارة

الداخلية ، أفليس من العقوق اذن لهذا العام أن اودعه دون أن أقف على صورته الماثلة في كياني وفي دمي لحظات أعجز عن أن اسوق إليه الوداع .

لست أنسى الخامس والعشرين من مايو يا عامي الذي ولى ، يوم ظنت الفئة العسكرية التي قامت من خور عمر شمالي أم درمان ، انها تستطيع أن تجعل الحكم بيد الشيوعيين حقيقة عجز عنها الشيوعيين انفسهم ، منذ قام لهم في أرضنا الطاهرة كيان ، ولست في ذلك الا مطمئن النفس لهذه التجربة التي اؤمن بأن شعبنا العزيز في حاجة إليها ليعرف من خلالها الحقيقة التي ظلت خافية عليه مدى عشرين عاماً عن الشيوعيين ، فقد عرفهم السودان بلسانهم وأقوالهم المعسولة تفطر من خلالها الخير ، ورأى من فرط ما زينوا الحديث عن دنيا شيوعيتهم الجنة التي صنعوها من خلال سطور ما كتبوا ومن خلال ألفاظ ما قالوا ونمّقوا ، وهاهو اليوم يكتوي بالنار الحقيقية تطفح من خلال الاشهر السبعة التي حكموا فيها ، فكانت في نظري وتقديري أبلغ من كل حديث وهجوم يساق ضد الشيوعين ، فقد عرفهم الناس عن كثب ، ولمسوا الحجر والاتون المشتعل ، فما عادوا يصدقون شيئاً مما كانوا يسمعونه خلال كل الأعوام التي مضت ، فإن واقع الحال كان لديهم أبلغ من ألف مقال، وتلك حسنة لن انساها لك يا عاميّ العزيز ، فقد مهدت الطريق امام المخلصين العاملين في سبيل الله وفي سبيل الشعب ، من ابنائك الذين حملوا لواء الدعوة الإسلامية منذ اكثر من عشرين عاماً مضت ، وسينتهي هذا الحكم الشيوعي المستتر خلف الشعارات التي بان زيفها وضلالها وخداعها ، وسيبقى الشعب وحده يسلك الطريق الذي طالما كان يبحث عنه ، لولا إفك المضلين ، وخداع المنافقين ،الذين يكشفوا اليوم على حقيقتهم وقال الشعب حكمه فيهم .

ولست انسى فجر السادس والعشرين من مايو ، فقد توقعت فيه كل الذي حدث ، وأدركت منذ الوهلة الاولى ، وأنا استمع إلى اسماء الوزراء وأعضاء مجلس الثورة ، اننا وهذا النظام لن نلتقي ، ولن نسير معه خطوة واحدة في طريق المؤامرة الحمراء التي دبروا خطوطها وحددوا طريقها ، وادركت ان السجن هو داري ، دار الكرامة والعزة والعقيدة ، فنمت ليليّ تلك وانا مؤمن بأني لن اكملها في داري وسكني ، حتى طرق الباب ضابط البوليس تصحبه عربة كبيرة محملة برجال الامن في كامل سلاحهم ، فشكرت الله على نعمائه وفضله أن تحققت النبوءة التي كنت أرجو حدوثها عملاً وواقعاً ، حتى إذا استقرّ بي المطاف بين

جدران كوبر ، وألفيت أخواني هناك ، أدركت في عمق معنى قول سيدنا يوسف عليه السلام (رب السجن أحبُ اليّ مما يدعونني إليه) .

ولن أنسى بعد ذلك أيامي التي تعاقبت حتى جاء فجر العام الجديد خيوط الظلام الأخيرة ، منك يا عامي الماضي وقد سجلتها كلها دون أن أغادر منها شيئاً آسف على نسيانه أو هجرانه

وغداً أحيا مع العام الجديد ، وكم تهتز في كياني أحاسيس ، بأنه سوف يشهد أحداثاً ما لها من مثيل فيك يا عاميّ الذاهب في جوف الأبد ، فإن كان حظك أن تبدأ فوق مسرحك العريض ، الفصول الأولى من رواية الحكومة الباغية ، فليكن لأخيك الوليد حظه في أن يشهد في وقت قريب بعد مولده ، الفصول الأخيرة منها .

فوداعاً ...وتحيةً ...والله وحده المستعان وبه التوفيق ،،،

رقم الإيداع: [٢٠١٧/١٢٦٤م]